9

التواصل

AT-TAWASUL

فصلية ثقافية شاملة

السنة الثالثة - العدد التاسع - الربيع 1374 من وفاة الرسول ﷺ مارس 2006 مسيحي



كويشيرو ماتسورا / مدير عام اليونيسكو:

نحو مجتمعات المعرفة

عبدالله مافينغ جون / الصين:

مذهب شيداو تانغ

د. سالمة عبد الجبار / ليبيا:

الإسلام والغرب .. تواصل أم قطيعة؟

علي الهاشمي / الإمارات:

القرآن الكريم .. آفاق علمية

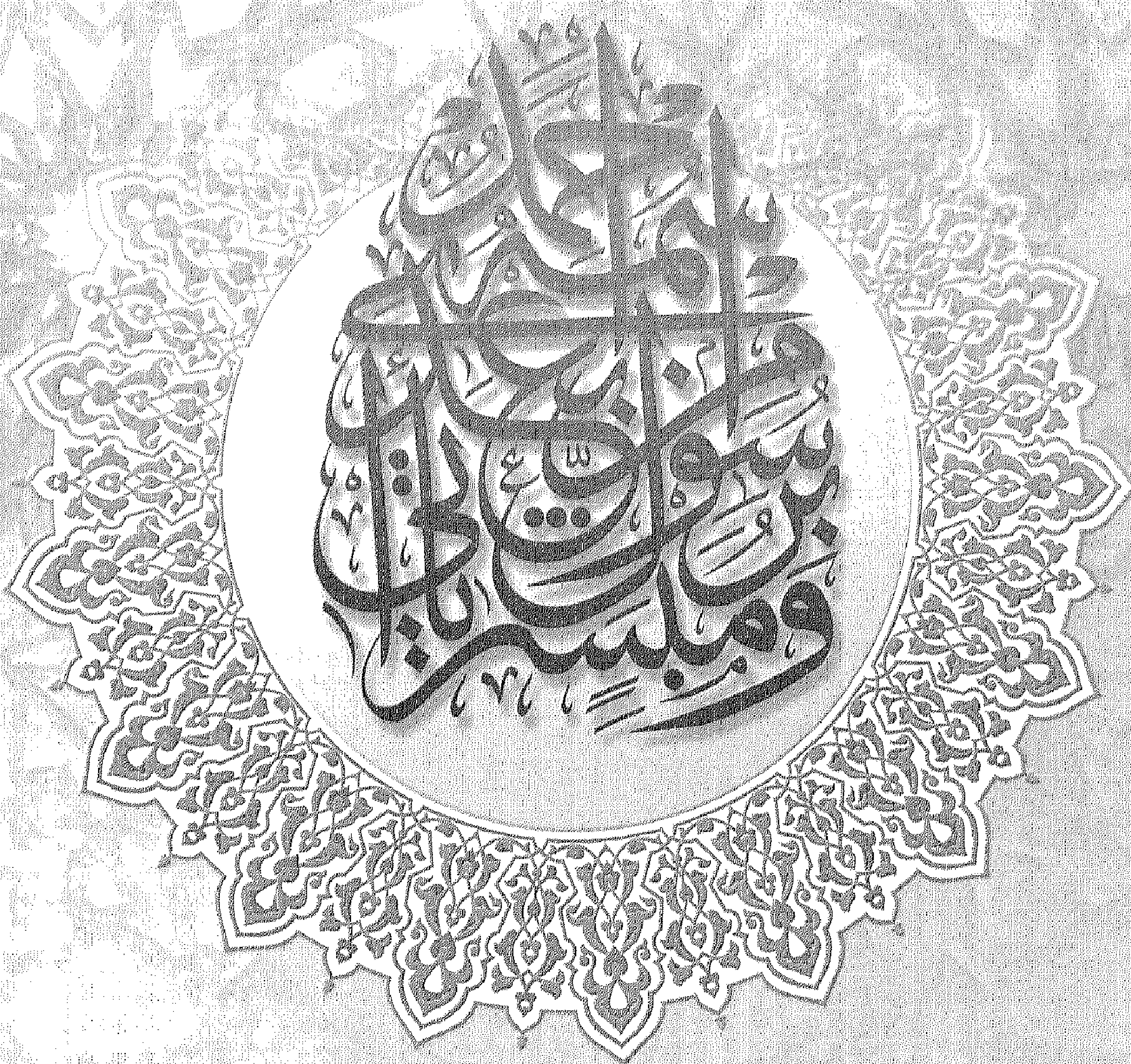
علي يعقوب / النيجر:

إسهام الأفارقة في الثقافة العربية - الإسلامية

جوري

جزيرة الألم .. وبوابة اللاعودة

القراءة الغربية للقرآن الكريم



بسم الله الرحمن الرحيم

محمد عبد السلام شاهين *

نحو عالم أكثر تسامحاً

تدخل مجلة التواصل بهذا العدد عامها الثالث، باعتبارها مجلة فصلية حاولت بكل التواضع وبالقدر المتاح من الحرفية المهنية، إرساء القواعد الصحيحة للتواصل مع القارئ، فمع تعاقب الفصول للعامين المنصرمين، كان تداول أعداد المجلة الثمانية يعطي انطباعات إيجابية مشجعة: متخصصون مهنيّون، ونقاد وباحثون، ومفكرون، وقراء عاديّون تمنوا من جانبهم على أمانة التحرير الاستمرار في مسيرة التواصل..

كان التواصل - في مفهومه الإنساني العام - يلبي نزوعاً فطرياً للتلقي، ومع تفاعل المتلقي يستقيم التواصل ويعطي مردوده البناء، وتلك من بدهيات ومسلمات إرساء تلك القواعد الصحيحة التي دأبت المجلة على بنائها، من خلال انفتاحها على العديد من المناطق في مختلف قارات العالم؛ تتابع وترصد، تقترح وتستكتب الأقلام من هنا وهناك، تتلقى التصورات ووجهات النظر والاجتهادات.. وفي حصادها المنشور بأعدادها الثمانية السابقة، غطت، بمنهجية فكرية مستنيرة، الدوافع والخلفيّات لتلك الأحداث، على الرغم من تسارع وتيرتها بين يوم وآخر، ما يصعب على مطبوعة فصلية مواكبتها..

نحو عالم أكثر تسامحاً.. كانت تلك دعوة المجلة في عددها الثاني الصادر في شهر الصيف / يونيو 2004 مسيحي، مع تزايد مجازر وجرائم الحرب التي لا يزال الغرب يشنها في ديار المسلمين، منطلقاً من دعاوى متشنجة تطلقها عقول تفتقر إلى الحد الأدنى من المعارف الأولية، تزعم بأن الإسلام يشجع ويتبنى الإرهاب، ويشكل الخطر الداهم على العالم بأسره..

في تفنيد المجلة لتلك الافتراءات، نشرت العديد من المقالات حول المتغيرات العالمية، والمأزق الحضاري الراهن ومعالجات للقضايا المتفجرة:

- رؤية إسلامية في مفهوم الإرهاب.
- لماذا الخوف من الإسلام ؟
- الإسلاموفوبيا - الجذور التاريخية.
- التواصل بين الإسلام والغرب ضرورة لخير الإنسانية.
- مفكرون غربيّون يناهضون الإسلاموفوبيا.

وفتحت المجلة ملفات المجامع الفقهية ما بين المتشددين بالفتوى، وأسرى الواقع مروراً بالوطن العربي عبر أوروبا إلى الهند والولايات المتحدة الأمريكية..

واهتمت بملف - لا يزال مفتوحاً - عن التعارف والحوار باعتباره محورا رئيسا على أجندة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية منذ نحو عامين، نظمت له ملتقى «لتعارفوا» الذي شاركت في أعماله رموز من الديانتين الإسلامية والمسيحية وطُرحت فيه للبحث أوراق على جانب كبير من الأهمية:

- التعارف وحق الاختلاف.
- التعارف طريقة للعيش المشترك.

كما تابعت (التواصل) في أعدادها الأخيرة الظاهرة الغربية المؤسفة ذات الجذور القديمة والتجليّات الجديدة، ونعني محاولات تشويه القرآن الكريم والإساءة إلى خاتم أنبياء الله محمد ﷺ، ونشرت نصوصاً لمحاضرات مهمة نظمتها الجمعية لمفكرين مسلمين وغير مسلمين، ومستشرقين مشهود لهم عالمياً، ومن بين هؤلاء وأولئك الدكتور يوسف القرضاوي، والمستشرق يانوش دانسكي، والرئيس الإيطالي الأسبق فرانشيسكو كوسيجا، والدكتور محمد عمارة، والشيخ محمد الحبيب بالخوجة، والدكتور أحمد عبد الحليم، ورئيس وزراء ماليزيا الأسبق الدكتور محاضير بن محمد وغيرهم..

ويحفل هذا العدد (التاسع) بالمزيد من الإضاءات ترسيخاً لنفس المنطلق، في أهمية التواصل وحوار الحضارات وضرورتهما..

في تساؤل حول تراكم التناقضات بين الإسلام والغرب، تخلص الدكتورة سالمة عبد الجبار في مقالها (تواصل أم قطيعة ؟) إلى القول: - هل أصبح الغرب مكتفياً بذاته راضياً عن نفسه؟ مما شكل عوائق نفسية أمام الضمير الغربي تمثلت في تضخم الذات ونمو النزعة الاستعمارية واستفحالها، مما يلغي بالتالي كل شكل من أشكال التفاهم والحوار والتواصل..

يطرح الدكتور حسن الباش في مقاله (حوار الحضارات.. حتى لا يفقد الشعار وعيه) تساؤلاً آخر: - لماذا نرى مفهوم الحضارة في العقل الغربي يتناقض تناقضاً صارخاً، لا سيما إذا قارنا الشعارات بالممارسة على الأرض؟.. العقل الغربي يحرّف ويتحلل من منظومة القيم الدينية التي رسخها السيد المسيح عليه السلام..

في الواحة يجد القارئ أرضاً مخضوضرة، وشجيرات من الكلمات التي لاتموت صاغها في العقود السابقة نخبة من المشاهير والمفكرين والفلاسفة: واشنطن ايرفنج..رودي بارت..ريجيس بلاشير..آرنولد توينبي.. دافيد سانتيلانا..إيتين دينيه.. وآخرون، إن هؤلاء المنصفين في انتظار القارئ الكريم ليقدم كل منهم خلاصة الخلاصة لتأملاته في شخص وصفات ورسالة ومعجزة خاتم أنبياء الله محمدﷺ، تبقى هذه الشهادات المضيئة، التي اهتدت إليها بالبصيرة عقول هي لنخب غربية، لا شرقية ولا عربية، ولكن شتان بين عقول ترى نور الهدى والحق فتقر أعينها، وأخرى تنعكس من سراديب أوكارها الرطبة المعتمة، على ساحات نور الحق والرحمة الأوهام والخزعبلات، ترى النور ظلاماً، والدعوة في سبيل الله إرهاباً !!

في مستهل عامها الثالث تلتزم المجلة بالحرص على شعارها المعلن، ومن ثم تدعو كتّابها إلى الاستمرار في تأصيل نهجها نحو عالم أكثر تسامحا، وتفعيل الحوار مع الآخر..

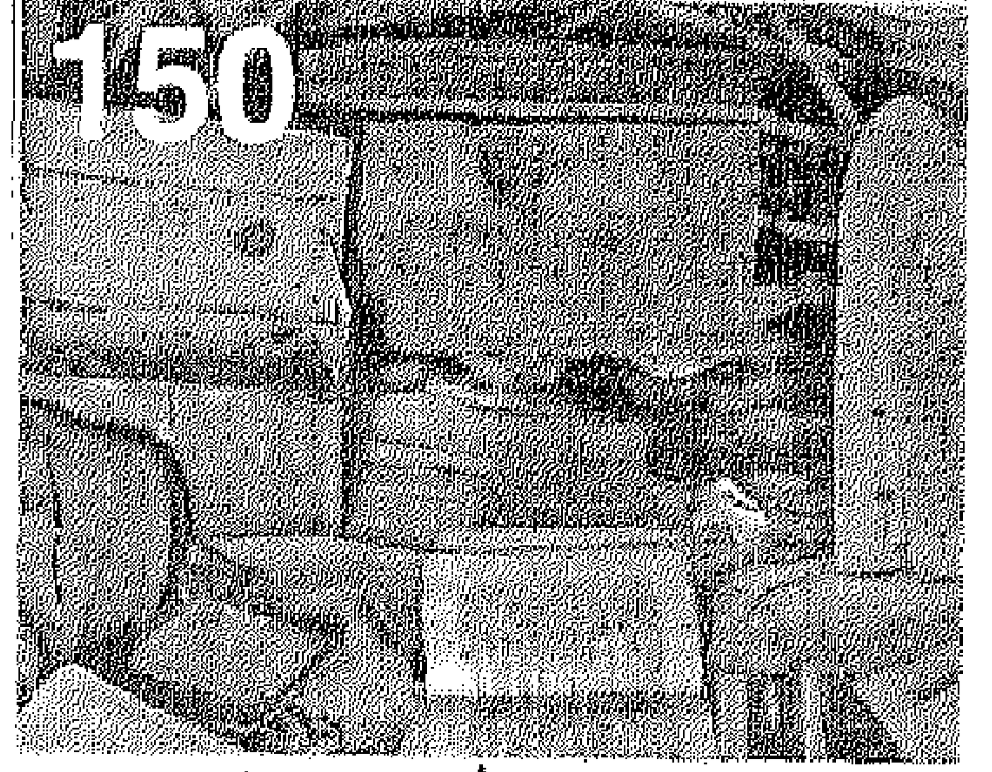
﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ سورة الرعد / الآية 17..

---

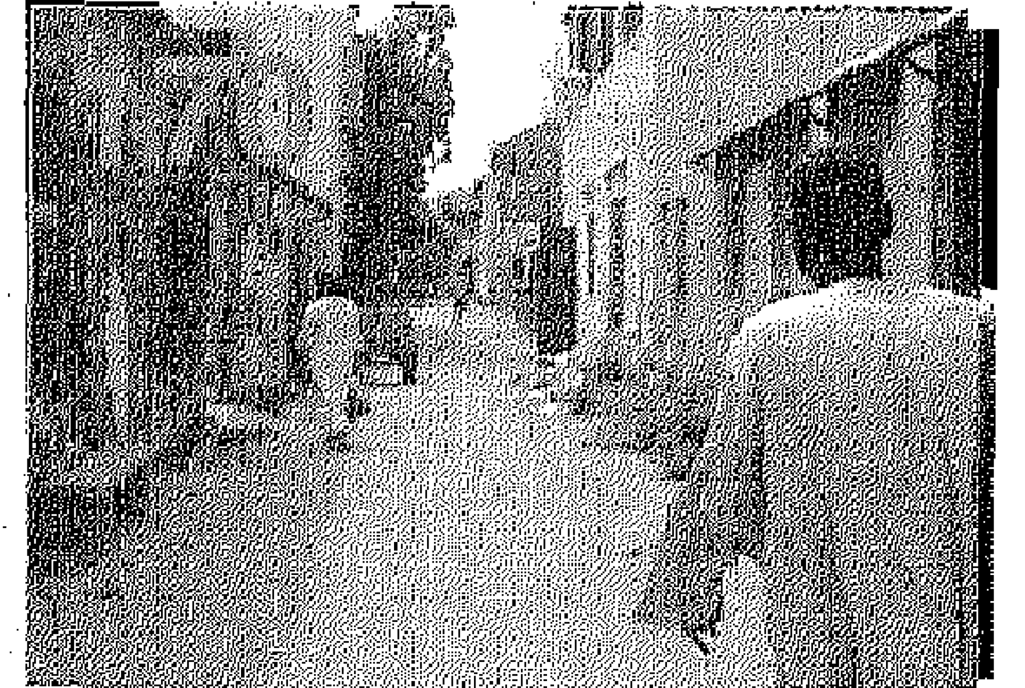
* كاتب وصحفي مصري/ مقيم في ليبيا.



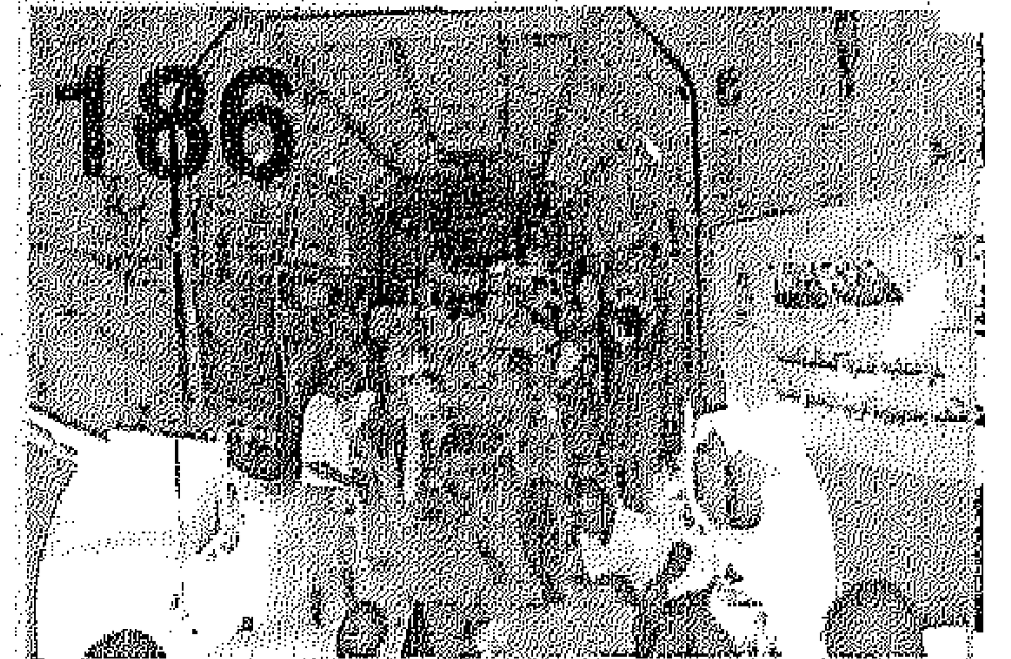
في هذا العدد



دراسات



استطلاعات



تقارير

الافتتاحية

مقالات

الملف: القراءة الغربية للقرآن الكريم؟

إعداد محمد حسن جحا



تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السنة الثالثة ـ العدد التاسع
الربيع 1374 من وفاة الرسول ﷺ
مارس 2006 مسيحي

المراسلات باسم
أمين هيئة التحرير
طريق السواني ـ كلم 5
هاتف: 4800730 / 4808461.5
بريد مصور: 4800736 – 4800730
ص.ب: 86086
طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

البريد الالكتروني
INFO@AT-TAWASUL.INFO
ARAA@AT-TAWASUL.INFO

الموقع على شبكة الانترنت
WWW.AT-TAWASUL.INFO

شـروط النشر في مجلة

التواصل

ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين ينشدون التواصل المعرفي من خلال لغة الحوار والنقاش المستنير بعيداً عن التعصّب بجميع أشكاله، وسعياً لدرء أسباب الخلاف والفرقة، مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية. وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

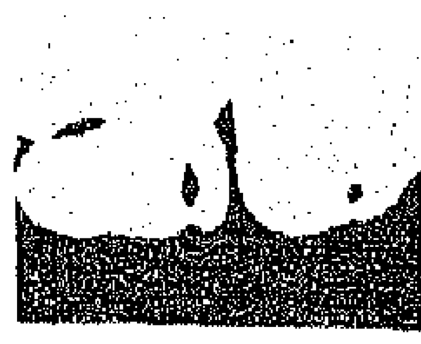
- أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعيّة، وأن يتّبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض، وتوثيقٍ للمصادر والمراجع.
- أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها.
- أن يكون البحث أو المقال خِلواً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ألاَّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءًا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ألاَّ يكون البحث قد سبق نشره في مطبوعة أخرى.
- أن يكونَ البحثُ أو المقال مطبوعاً، أو مكتوباً بخطٍّ واضح.
- ألاَّ يقلّ عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة.
- ألاَّ يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة، ولا يزيد على 6000 كلمة.
- أن يُرفقَ الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية.
- في حالة الترجمة لا بدَّ من أن يرفق النصّ المترجم بلغته الأصلية.

ملاحظات:

- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة.
- ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- لا تردّ البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر.
- تعرضُ الأعمال المقدّمة للمجلة على لجنة تقويم النصوص فيها لإجازتها.
- تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافآت مالية مناسبة.

مقالات

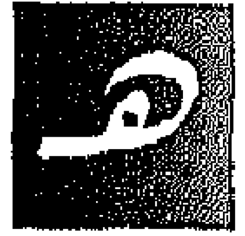
- نحو مجتمعات المعرفة.. الشيء الوحيد الذي يكبر بالمشاركة!
- حوار الحضارات.. حتى لا يفقد الشعار وعيه
- بين الإسلام والغرب.. تواصل أم قطيعة؟
- النهضة الإفريقية في كتابات الحاج أحمد سيكوتوري
- المدارس القرآنية وشخصية الأمة
- الثقافة والهوية.. بين المفهوم والغاية
- التعايش السلمي بين العقائد والثقافات
- أقوال مأثورة في شرف اللغة العربية



نحو مجتمعات المعرفة

الشيء الوحيد الذي يكبر بالمشاركة!

كويشيرو ماتسورا *



هل نعيش فجر عصرٍ جديد: عصر مجتمعات المعرفة؟

تسببت الانقلابات العلمية التي شهدها القرن العشرون في ظهور الثورة الصناعية الثالثة، ثورة التقنيات الثقافية في أساسها. هذه الثورة التي ترافقت بامتداد جديد للعولمة، أرست قواعد اقتصاد المعارف، الذي يضع المعرفة في قلب النشاط البشري والتنمية والتحولات الاجتماعية.

هل يمكن لنا أن نقول إذن إن القرن الحادي والعشرين سيشهد بزوغ مجتمعات المعرفة المتقاسمة؟ إن التقرير العالمي لليونسكو الصادر مؤخراً بمناسبة مؤتمر قمة تونس بعنوان «نحو مجتمعات المعرفة» يؤكد ضرورة ألا يكون هناك مبعدون في المجتمعات الدارسة، لأن المعرفة ملكية عامة يجب أن تكون متاحة للجميع. فللمعرفة ميزتان رائعتان هما: لا (تنافسيتها) ولا (احتكاريتها). وانتهاء فترة الحماية التي تفرضها الملكية الثقافية، الأولى توضح صفة للمعرفة أكد عليها جفرسون، وهي أن استعمالها من قبل أي إنسان لا يمنع استعمالها من قبل إنسان آخر. أما الثانية فتعني أن كل إنسان يمكن له أن يستعمل بحرية المعرفة المنتمية للملكية العامة.

نعرف اليوم جيداً أن ظهور مجتمعات المعرفة المتقاسمة هو الطريق التي ستسمح لنا بمكافحة الفقر بنجاح، واتقاء المخاطر الصحية الكبيرة مثل الأوبئة، والتقليل من الخسائر البشرية المرعبة التي يسببها التسونامي والعواصف الاستوائية، وتشجيع التنمية البشرية المستدامة. لأننا نمتلك اليوم أساليب جديدة للتنمية: فهي لم تعد تقوم الآن على «العرق والدم والدموع»، كما كانت من قبل، بل تعتمد على الذكاء، والقدرات العلمية والتقنية في معالجة المشاكل، والقيمة الثقافية المضافة، وتوسع الخدمات في جميع قطاعات الاقتصاد لتشجيع تنمية مواطنة، وظهور ديمقراطية مستقبلية في مواجهة مجتمع الخطر.

هناك خمس عقبات تقف في وجه ظهور مجتمعات المعرفة:

❖ **الهوية الرقمية:** ليس هناك نفاذ من دون اتصال. من المؤكد أن عدد مستعملي الإنترنت يتزايد باستمرار، حيث وصل إلى مليار إنسان. بالمقابل،

(*) مدير عام اليونيسكو

هنا ملياران من الناس ليس لديهم اتصال بشبكة كهربائية ولا يملكون شبكات الاتصال عن بعد.

- **الهوية المعرفية:** وهي أكثر ترسخًا وقدمًا، وتقسم بعمق الشمال والجنوب من جهة، وتقسم كل مجتمع بذاته أيضًا .
- **تكاثف المعرفة:** ولا سيما المعارف المتقدمة والاستثمارات العلمية والتربوية الأساسية وتمركزها في مناطق جغرافية محدودة مما يؤدي إلى تفاقم هجرة الأدمغة من الجنوب نحو الشمال، وبين بلدان الشمال نفسها.
- **المعرفة أداة للتشارك،** من حيث المبدأ، ولكنها ما إن تتحول إلى إعلام حتى يصير لها ثمن، والسؤال هنا: أين يمكن أن يقع التنازل الضروري بين عمومية المعرفة التي تقتضي أن يكون للجميع نفاذ واحترام حقوق الملكية الثقافية؟
- **بزوغ مجتمعات المعرفة المتقاسمة** يعاق اليوم بتفاقم الفوارق الاجتماعية والوطنية والمدنية والعائلية والمدرسية والثقافية، التي تمس عددًا كبيرًا من البلدان، وباستمرار اتساع وعمق الهوة بين الرجال والنساء 29٪ من مجموع النساء في بلدان العالم لا يذهبن إلى المدرسة، وما زال تمثيل النساء في مجال العلوم قليلاً.

ولكي يتم تجاوز هذه العقبات، على أمم العالم أن تستثمر بكثافة في التربية، والبحث العلمي، وإعلام التنمية، وتنمية «المجتمعات الدارسة»، حيث إن مصير كل بلد متعلق بهذا، والأمم التي لا تستثمر في المعرفة، والتربية، والعلوم المتميزة النوعية، تعرض مستقبلها للخطر: كما أن هجرة العقول تهدد بتفريغها من قواها الحية.

ما هي الحلول العملية نحو تنمية مجتمعات المعرفة؟ هذه أمثلة منها:

- علينا أن نستثمر أكثر في تربية متميزة النوعية للجميع: إنها مفتاح المساواة الفعلية في الفرص،



وعلى بلدان العالم أن تخصص جزءًا من مردود ناتجها الوطني الخام للتربية، وأن يوجه الدعم العام للتنمية نحو التربية.

- على الحكومات والقطاع الخاص والشركاء الاجتماعيين أن يختبروا إمكانية وضع برنامج «رصيد زمني» للتربية، والتأهيل المهني بشكل تدريجي، يعطي النتائج في عدد من سنوات التعليم بعد انتهاء مدة الدراسة الإلزامية. وهكذا يمكن لأي متأهل الحق في أن يتابع التكوين طوال حياته، وأن يحصل على فرصة ثانية في حال خروجه المبكر من النظام التربوي.
- الاستثمار أكثر في البحث العلمي، ولا سيما في بحث متميز النوعية يتلاءم مع تحديات المستقبل، وتشجيع أشكال عملية ومتطورة من التشارك في المعرفة، كما في حالة «المختبر التعاوني»: هذه المؤسسة التي يفترض أن تجمع المختبر والتعاون

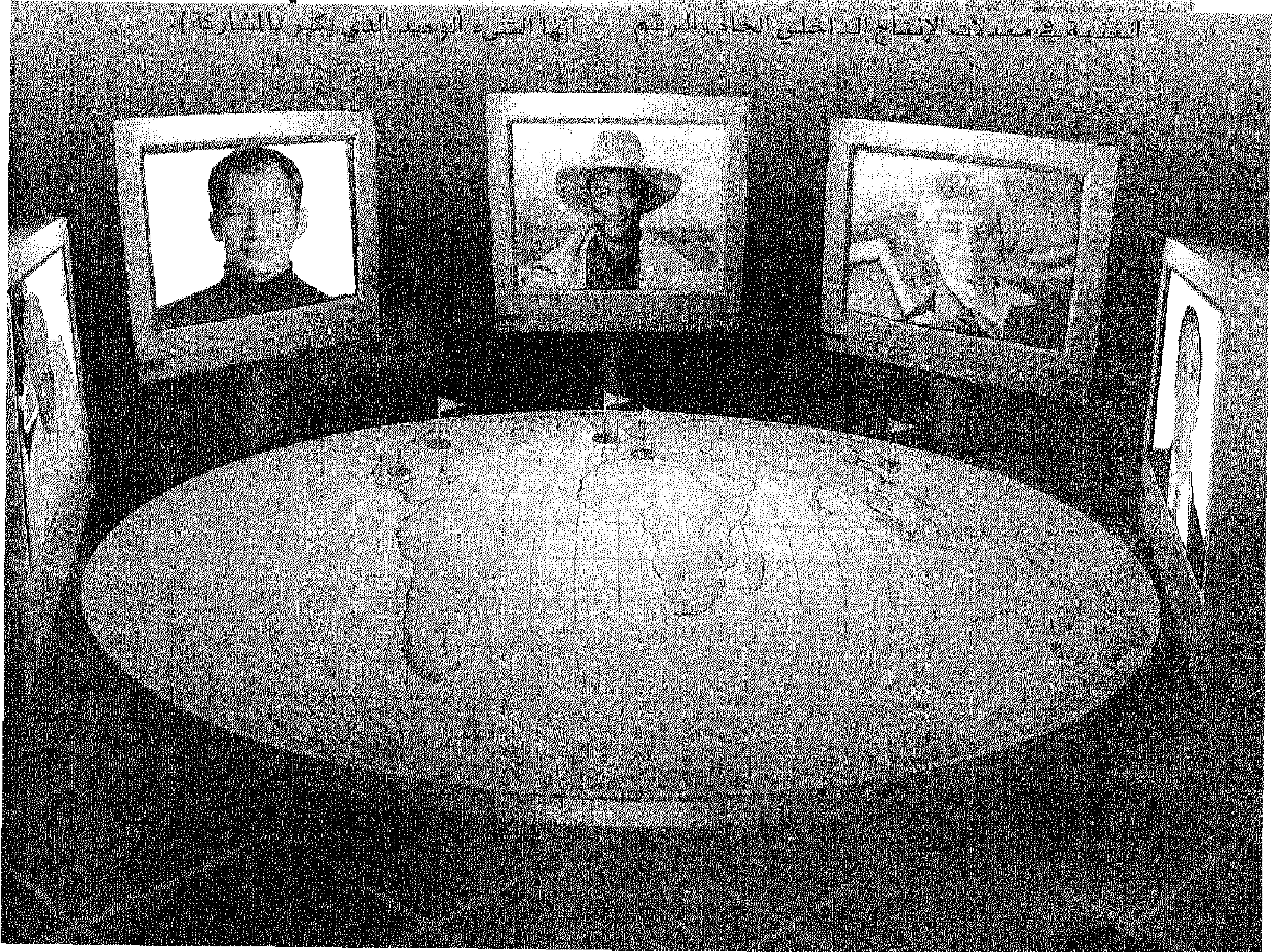
معًا، وتسمح للباحثين بالعمل معًا عبر شبكة تتجاوز الحدود. ويمكن لهذه القفزة العملية التي سمحت بفك رموز الشفرة الوراثية البشرية، أن تغير العلاقات بين الشمال والجنوب في مجال العلوم وأن تحد من هجرة العقول.

❖ علينا أيضًا تشجيع التنوع اللغوي في مجتمعات المعرفة الجديدة وإعطاء الإهتمام الواجب للمعارف المحلية والتقليدية.

ولكن هل يمكن للجنوب أن يصل إلى مجتمعات المعرفة الجديدة؟ أليست هذه المجتمعات ترفاً مقتصراً على الشمال؟ يمكن لي أن أجيب مردداً كلمة لينكوان: «هل تجدون أن المعرفة تكلف غالياً؟» أليس علينا أن نستخلص عبرة من دروس النجاح الملموس الذي وصل إليه عدد من دول العالم؟ بعض البلدان استثمرت بكثافة وخلال عقود من الزمن في التربية وفي البحث العلمي واستطاعت بذلك تقليص الفقر المطلق إلى حد كبير، بل تجاوز بعضها عدداً من البلاد الغنية في معدلات الإنتاج الداخلي الخام والرقم المقدم لكل واحد من سكانه، وهناك بلاد أخرى كانت من قبل بين البلدان الأكثر تقدمًا لكنها ضاعفت فرصها على المستوى العالمي بتحسين نسبة التطور البشري والمستدام.

ألا يملك عالم يخصص ألف مليار من الدولارات في السنة للنفقات العسكرية الاستعداد والإرادة وسائلَ لتشجيع مجتمعات المعرفة للجميع؟ وهكذا يمكن لتمويلات مهمة أن توضع من أجل التربية والمعرفة، من خلال سياسات إصلاحية شجاعة تهدف إلى تخفيض بعض النفقات غير المنتجة، وتحسين إنتاجية الخدمات العامة، وعقلنة الإدارات، وإلغاء عدد من المساعدات غير المجدية، ومكافحة الفساد.

في مواجهة عالم منقسم بعمق من خلال شروخه المتعددة، في مواجهة التناقض بين المشكلات الشاملة وتوزع المعرفة، ليس هناك من حل آخر إلا التشارك في المعرفة، وكما يقول مثل إفريقي : (المعرفة مثل الحب؛ إنها الشيء الوحيد الذي يكبر بالمشاركة).



حوارُ الحضارات..
حتى لا يفقد الشعارُ وعيه !!

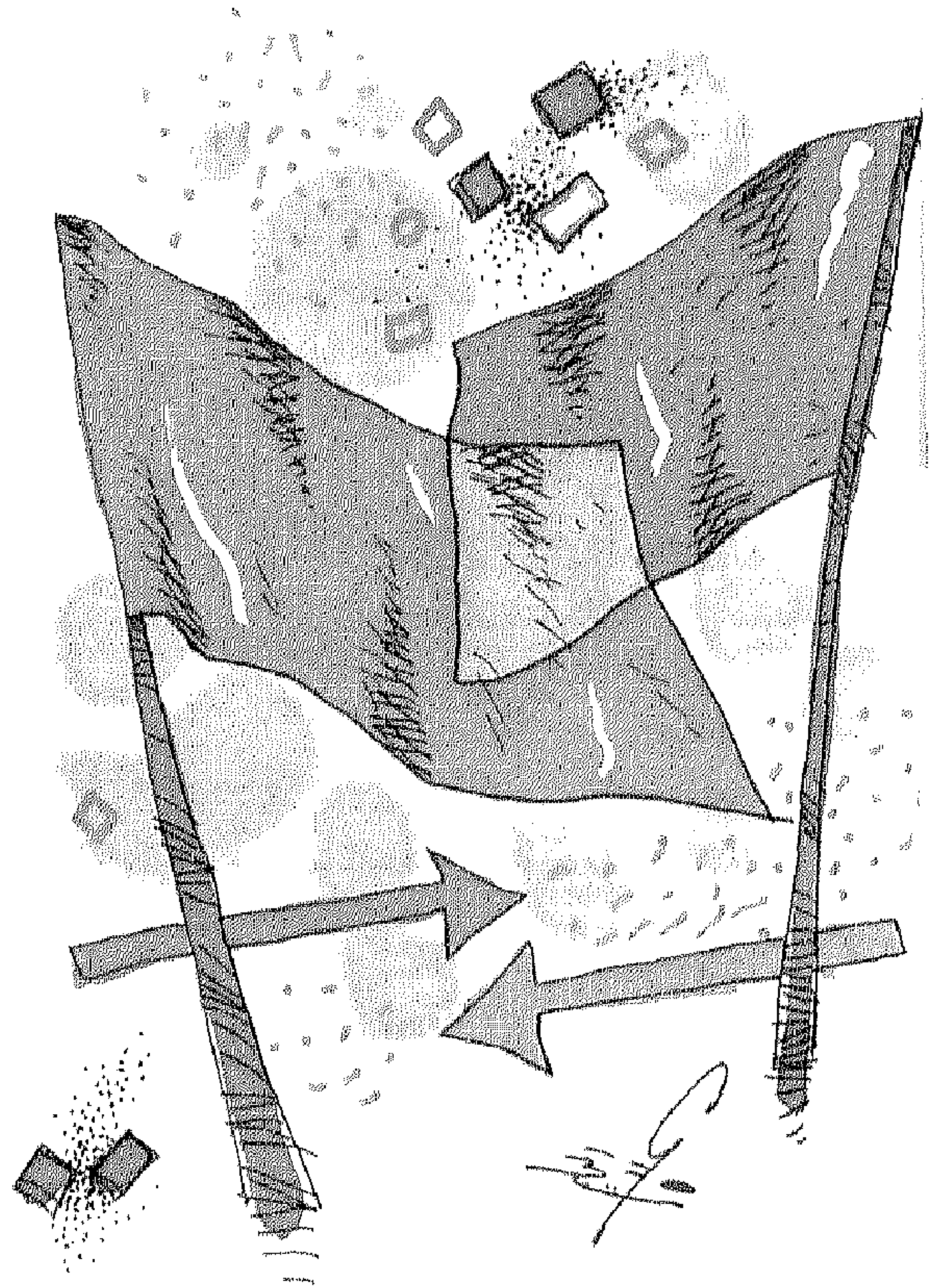
د. حسن الباش *

منذ أكثر من عقد من الزمن طرح هنتنغتون مصطلح صدام الحضارات وراحت بعض الأوساط الغربية المتنفذة تتبنى أفكاره معتبرة إياه منظرًا سياسيًا يرى المستقبل بعين المفكر الاستراتيجي الذي لا يُخطئ، والذي يجب أن يُسترشد به وبأفكاره في السياسات الخارجية.

وتتالت الشعارات المشابهة هنا وهناك، فاستمعنا إلى حوار حضارات، وحوار أديان، وحوار ثقافات، وأخيرًا توقف المجتمع الدولي عند شعار طرحه رئيس وزراء إسبانيا وهو شعار تحالف الحضارات.

ومن خلال السرعة المذهلة لانتشار هذه المصطلحات وخبوها يمكن للمراقب أن يستنتج مبدئيًا أن هذه الشعارات تحمل في جوهرها - حسب فهم بعض الأوساط الفكرية الغربية - تناقضًا، بل مقتلاً، يجعلها تنطفئ لتفسح المجال لشعار جديد عسى أن ينجح ويأخذ موافقة جميع شعوب العالم دون أي اعتراض.

على أية حال فإن مصطلح حوار الحضارات لا يزال يُطرح هنا وهناك من خلال بعض المفكرين والجمعيات الأهلية المنتشرة في العالم الغربي بشكل



* باحث وأستاذ جامعي / فلسطيني - سوريا

كبير، ونقصد بهذا أن الأوساط السياسية المتحكمة في بعض أهم بلدان العالم الغربي لا يعنيها الأمر كثيرًا لأن معظمها لا يزال يعتمد عنصر القوة كعامل حاسم في تغيير العلاقة بين الشرق والغرب، أو بمعنى آخر في تغيير العلاقة بين الحضارات.

ولهذه الأسباب المبدئية نرى أن أهم ما في هذه الشعارات أنها مبهمة على الرغم من وضوحها لغويًا، وفيها من التناقض بقدر ما فيها من التوافق الظاهري، فماذا نعني بالحوار وماذا نعني بالحضارات؟

على ماذا يتم الحوار؟ ما هي أهم الموضوعات التي يجب أن يتحاور بشأنها المتحاورون؟

ما هي أهداف الحوار الحضاري وما هي غاياته؟

وقبل هذا وذاك، من هم المتحاورون الذين يمثلون الحضارات المختلفة، ومن يخوّلهم القيام بهذا الحوار؟

بداية نرى أن الحوار لغة إنسانية راقية، ولا يحصل الحوار بجوهره إلا بين المتصاحبين المتعارضين، ولعل الاختلاف بين المتحاورين ظاهرة إنسانية إيجابية، ولعلنا ندرك كم هو الفرق بين الخلاف والاختلاف.

فالاختلاف أمر طبيعي، كون كل متحاور يحمل ثقافة مغايرة عن الآخر، هذه الثقافة تتشعب وتتوزع بين الدين من جهة والمعتقدات والآداب والفكر والفلسفة من جهة أخرى، وتتوزع أيضًا حول المفاهيم الكبرى كالحرية، وكذلك المفاهيم التي لا تُحصى ولا تعد.

فإذا افترضنا أن الحوار أصبح أمرًا واقعًا فلا بد من أن نفهم جميعًا أننا مختلفون في الأفكار والأحكام، ومختلفون في الثقافة بمفهومها الواسع الشمولي، ولذلك يمكن أن نتحاور لنصل إلى فهم بعضنا بعضًا، ومن ثم لنصل إلى مبدأ احترام هذا الاختلاف.

أمّا ماذا نعني بالحضارات، فهناك الكثير من الاختلاف حول المصطلح ذاته، فنحن نفهم الحضارة على أنها بناء مادي وثقافي تراكمي في المكان والزمان، وهذا البناء قدّم نماذج إنسانية راقية سعت إلى تقدّم الإنسان وسعادته.

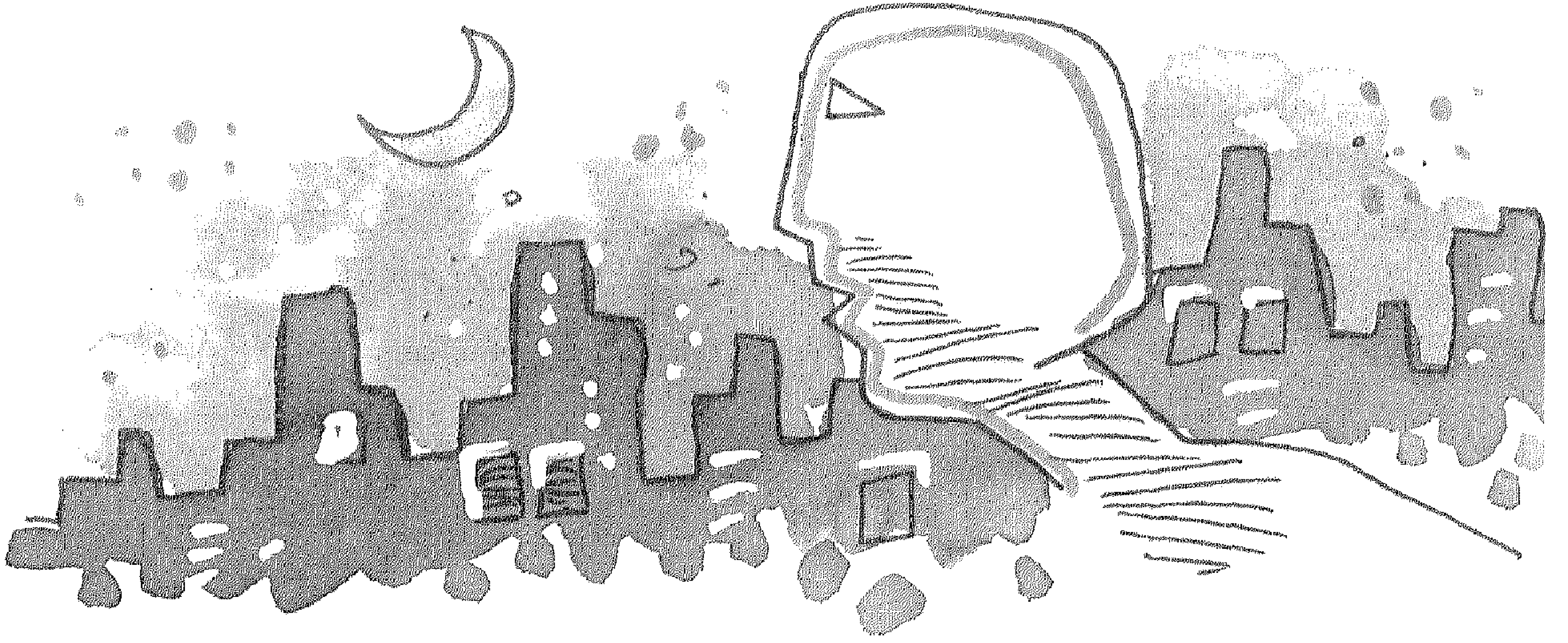
ومن هذا المنطلق لا بد من الاتفاق على مفهوم الحضارات.

هل التقنية حضارة؟ يبدو أن السؤال مدهش لبعض الناس، وبدهيٌّ لبعضهم الآخر، لكننا نقول بوضوح أكبر: هل ما يقدّمه الغرب من تقدّم تقني مقياس حضاري؟ قد يجيب بعضنا بنعم، وقد يصمت بعضنا الآخر ولا يجيب.

الدعوة إلى حوار الحضارات أو إلى تحالف الحضارات أصبحت ترتبط بشكل واضح بالمستجدات الدولية.

إننا نعتقد بأن هنتنغتون عندما طرح مفهوم (صدام الحضارات) كان يدرك تمامًا أن الشرق يمتلك حضارة، بل وقدّم المعطيات الحضارية الراسخة من خلال الفكر الفلسفي والتقدّم العمراني بل والبناء الديني الإنساني الذي لا يزال شاهدًا حتى هذا اليوم، وهو مدرك تمامًا أن الولايات المتحدة الأمريكية التي أقيمت منذ أربعة قرون فقط دمّرت حضارات وحاولت إقامة ثقافة واحدة تستند إلى رؤية إنكلوساكسونية تستبعد الآخرين، ويدرك أيضًا أنه يُقحم مفهوم الحضارة إقحامًا على التقدّم العلمي والتقني، ويحاول تسويق نتاج الفكر الأمريكي المادي على أنه حضارة، وهذه الحضارة ستصطدم بحضارة الشرق، وخاصة الشرق العربي الإسلامي.

على كل حال فإن هنتنغتون يعترف بحضارات وبوجودها الفاعل في هذا الوجود، ويعتبر أن هذه الحضارات بما تحمله من قيم وثقافات لا يمكن أن تلتقي بما يسميه الحضارة الغربية، إذًا لا بد من الصدام.



ومع كل هذا الفهم التصادمي الذي يقره فإن رؤيتنا، على الأقل من منظور حضاري فلسفي وديني، تطرح نفسها محاورة وليست مصادمة، لكن معيار الحضارة الذي يقدّمه الفكر الغربي يحاول أن يضيّق الدائرة حتى تصغر كثيرًا بحيث يبقى داخلها المفهوم الواحد الذي لا يريد الآخر بل يحاول إقصاءه سلفًا.

لقد كان نتاج الحوار الحضاري القديم بين الشرق واليونان على الأقل واضح المعالم من خلال مفهوم «الحضارة الهلنستية» التي لم تقتصر على معالم العمران إنما تعدتها إلى تلاقح فكري فلسفي ظل يفعل فعله على مدى قرون طويلة.

وإذا تجاوزنا الاختلاف الواقع بين مفهومنا للحضارة ومفهوم الغرب، وانطلقنا إلى معرفة نتاج الوجود الحضاري المعاصر بيننا نجد أن مفهوم الحضارة نفسه في العقل الغربي يتناقض تناقضًا صارخًا، لا سيما إذا قارنا الشعارات بالممارسة على الأرض.

إن ذلك يتجلى في المفاهيم التي غدت الغذاء اليومي لمجمل شعوب العالم، هذه المفاهيم التي أضحت شعارات فاقدة لمضمونها بل فاقدة لوعيها.

لنر مفهوم الحرية كنتاج حضاري، ولنر مفهوم الديمقراطية الذي يسوّق اليوم أكثر من تسويق المساعدات الغذائية لشعوب إفريقيا المنكوبة ! ولنر مفهوم النموذج الغربي للحياة الاجتماعية. وكثيرة هي المفاهيم المأزومة التي يُراد بها تزييف عقل الإنسان، بل وصرعه تحت وطأة تصدير قسري لحضارات الشرق عمومًا وحضارة العرب والإسلام خصوصًا.

ونصل هنا إلى السؤال الآخر: حول ماذا نتحاور؟ ما هي موضوعات الحوار التي يتحاور بشأنها المتحاورون؟

لا شك في أن الدعوة إلى حوار الحضارات أو إلى تحالف الحضارات أصبحت ترتبط بشكل واضح بالمستجدات الدولية بعد أحداث سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية، ويبدو أن بعض الدعوات الغربية إلى هذا الحوار أو التحالف ارتبطت بما يسمى (موجة الإرهاب) التي طاولت إسبانيا وبريطانيا، ومن ثم ما حدث في فرنسا مؤخرًا، إضافة إلى ما حدث في نيويورك وواشنطن حيث تفجرت الأحداث التي كانت لها ملحقاتها، ونقصد بها ما يجري في العراق أو أفغانستان أو فلسطين أو بعض المناطق العربية الأخرى.

ولتوصيف حقيقي لوجهات النظر الغربية المختلفة ندرك أن توجهات الولايات المتحدة الأمريكية ليست هي توجهات إسبانيا مثلاً، وليست هي توجهات مجموعة دول الاتحاد الأوروبي بشكل عام.

فالولايات المتحدة الأمريكية - ومن خلال توجهات مسؤوليها - تريد القضاء على هذا (الإرهاب) الذي يتحدثون عنه دون أن تعترف بوجود أسباب منطقية يجب الحوار بشأنها، بينما ترى بعض الأصوات الأخرى أن على العالم أن يعترف بوجود الأسباب الدافعة إلى مثل ذلك الإرهاب، ومع هذا وذاك فإنه وحتى هذه اللحظة لا نرى أي توافق بين الشرق والغرب حول مفهوم الإرهاب، أو أسبابه، ونعتقد أن دعوة بعض الأطراف العربية والإسلامية إلى عقد مؤتمر دولي يحدد مفهوم الإرهاب والفرق بينه وبين المقاومة المشروعة لم يُستجبْ لها، أو أن آذان بعض الغربيين لا تريد سماع مثل هذه الدعوات.

إننا نعتقد أن من الأولويات الاتفاق على التفريق بين الإرهاب والمقاومة حتى تكون هناك أسس مبدئية لأي شكل من أشكال الحوار الحضاري بين الشرق والغرب، ونعتقد أيضًا أن عقد مؤتمر دولي بهذا الشأن يعني أن هناك حوارًا بدأ وقد ينتهي بالإيجاب.

وحتى لا نكون غافلين وتأخذنا الشعارات بعواطفها علينا أن نفهم لماذا طرح رئيس وزراء إسبانيا مفهوم تحالف الحضارات كآخر مفهوم من تلك المفاهيم التي تضاف إلى مصطلح الحضارات؟

لقد طرح هذا الشعار لإنشاء تحالف دولي ضد ما يسمى (الإرهاب)، يجمع العرب وأوروبا وكذلك آسيا وأمريكا، والمسيحيين والمسلمين والبوذيين وغيرهم، ولكن يبدو أن طرح مثل هذا الشعار في توقيت محسوب ومدروس يدفعنا إلى التوقف كثيرًا عند المفهوم نفسه، وعند المتحالفين وعند الأهداف والغايات المرجّوة منه.

فالتحالف ضد من؟ وهل نتفق جميعنا على تحديد الهدف؟ أم أن الاختلاف في الواقع وفي الثقافات وفي الأهداف يحول بيننا وبين هذا التحالف؟ فالواقع الذي يعيشه الغرب الصناعي غير الواقع الذي يعيشه العرب أو المسلمون، ومستوى دخل الفرد هو غيره في بلاد الغرب، بل إن مستوى الفهم لما يسمى (الديمقراطية) يختلف كثيرًا بين الغرب والشرق، وهذا ما ينطبق أيضًا على مفهوم الحرية السياسية والحرية الاجتماعية أو لنقل الحرية الفردية.

وإذا جاز لنا أن نفهم - بحسب ثقافتنا - تحالف الحضارات فإننا نرى أن أولويات هذا التحالف الارتفاع بالمستوى الصناعي والتقدم العلمي والصحي لدول الشرق عمومًا، والبحث عن بدائل تلغي الفقر وتقضي على الإيدز والأمراض الفتاكة في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

ثقافات الشعوب تتعدد وتختلف كما تختلف عقائدها وأفكارها الدينية، ولا يستطيع أحد أن يزعم أن ثقافته هي الأصح وهي التي يجب أن تسود.

هل يريد تحالف الحضارات أن تجند الدول كل إمكاناتها للقضاء على الفقراء وإبادتهم، لأنهم بسبب فقرهم واضطهادهم وقمع عقائدهم ودينهم وثقافتهم يلجأون إلى العنف وما يسمى (الإرهاب)؟

إن ثقافات الشعوب تتعدد وتختلف كما تختلف عقائدها وأفكارها الدينية، ولا يستطيع أحد أن يزعم أن ثقافته هي الأصحّ، وهي التي يجب أن تسود، وعندما يطرح الفكر الأمريكي نموذج النمط الأمريكي ليصدره إلى الشرق فإنه بذلك يريد إلغاء كل الخصوصيات الثقافية والدينية لهذا الشرق، وهذا الطرح أصبح محل السخرية والاستهجان والاستغراب.

وإذا كان مفهوم الإرهاب يسيطر اليوم على

مقولات الجانب الغربي ويصبح الهمّ الأكبر ولا همَّ سواه فإن الغرب بذلك يتغافل عن عشرات المفاهيم التي تحتاج إلى حوار أشد وأوسع وأكثر جدية.

وفي هذا السياق لا بد من أن نطرح سؤالاً مشروعاً وهو: هل يصلح النمط الاجتماعي الغربي لحياة العرب والمسلمين في البلاد العربية أو الإسلامية؟ كيف يمكن أن نطرح ذلك على مائدة الحوار؟

وفي السياق نفسه نسأل: هل يصلح النمط الاجتماعي الشرقي والإسلامي تحديداً لحياة الغرب العلمانية، وكيف يمكن طرح ذلك على مائدة الحوار؟

وحتى لا نكون مبتعدين عن دائرة حوار الحضارات نرى أن كل طرف ربما يقول: إن نمطي هو الأفضل والأصلح.

وفي جو الحوار المنطقي المتساوي يطرح الجميع كل التفاصيل لنمط الحياة الاجتماعية في كل من الشرق والغرب، ولا شك في أن النمط الاجتماعي لأي مجتمع هو جزء مهم من أجزاء التعبير عن الحضارة، ولا نعتقد بأن أي إنسان عاقل يرفض الأفضل والأصلح بالعموم.

ولكن... إذا أردنا أن نكون صادقين معبرين عن حضاراتنا فليس لنا خيار من أن نعترف بأن مجموعة النتاج الديني الأخلاقي الشرقي لا تزال تسود حياتنا كشرقيين مسلمين ومسيحيين، بينما نرى أن الغرب الذي تبنى ولا يزال يتبنى في بعض الأحيان مجموعة ذلك النتاج الديني الأخلاقي قد حرف المسارحتى بات يعيش في حل من منظومة القيم الدينية التي رسخها السيد المسيح عليه السلام، بدءاً من العلاقة الفردية ـ الفردية، والفردية ـ الأسرية، والأسرية ـ الاجتماعية.

وإذا كان التعميم من أكبر الأخطاء فإننا نرى ـ وفي هذا الوقت بالذات ـ أن بروز بعض الظواهر الاجتماعية كزواج المثليين والأسر غير التقليدية يجعلنا في حلٍّ من الاقتراب شبراً واحداً من نمط الحياة الاجتماعية الغربية.

فمفهوم الحرية الفردية ـ بحسب ثقافتنا ـ ليس فوضى فردية، وليس تمرداً على الأُسرة التقليدية المحترمة، وليس ضد القيم التي شرعتها عقائد الشرق ودينه، وإذا كنا صرحاء أكثر نرى أن الحل الاجتماعي لمسألة الجنس على سبيل المثال في الغرب أصبحت محلولة على الطريقة الغربية، طريقة سن القوانين التي تعطي المرأة والرجل حرية تجاوز الحدود والتقاليد والأعراف.

عندما طرح مفهوم هنتنغتون صدام الحضارات كان يدرك تماماً أن الشرق يمتلك حضارة، بل وقدّم المعطيات الحضارية الراسخة والتقدم العمراني بل والبناء الديني الإنساني.

ونرى أن الحل الاجتماعي لمسألة الجنس في الشرق تستند إلى الدين الذي يهذب الدافع الجنسي ويرقى به، وعلى الرغم من ذلك يرى الغربيون في مسألة تعدد الزوجات مشكلة من المشاكل الحساسة في المجتمع الشرقي.

فهذان النمطان لا يمكن أن يتفقا، ولا يمكن للمتحاورين إيجاد حل وسط كحل لهذا الاختلاف، الشرق يرفض الفوضى الجنسية، والغرب يرفض تعدد الزوجات وهيمنة الدين على النفس البشرية.

وهنا نعود إلى القول: إن إغفال مثل هذه القضايا قد يجعلنا نقفز بعيداً إلى مشاكل أخرى كالإرهاب والعنف، علماً أن التدقيق في أسباب هذه الظواهر يدفعنا إلى القول: إنها ترتبط بعضها ببعض وجوهرها الاختلاف في الثقافات المتراكمة عبر مئات السنين، وأصبحت جزءاً من الشخصية، بل حتى جزءاً من ملامح الهوية، وحتى نبتعد عن التعميم مرة أخرى نرى أن من الحق القول إن تعدد الزوجات ليس ظاهرة متفشية في جميع أبناء المجتمع، بل هي الشاذ

بينما القاعدة هي عدم التعدد. وأيضًا نقول: هناك في الغرب أُسر تحترم العلاقة الزوجية والأسرية وترفض تلك الإباحية التي تراها هنا وهناك من بلدان العالم الغربي.

ونعتقد بأن الحوار بين الشرق والغرب سيجد القاسم المشترك من خلال هذه النماذج الشرقية والغربية التي تعترف في قرارة نفسها بأن المبالغة في الانحراف الاجتماعي يدفع الكثيرين إلى التعميم وأخذ المواقف المسبقة قبل أي حوار.

أما إذا تناولنا المفاهيم السياسية المطروحة للحوار فإن التصادم أمر متوقع لا محالة.

وفي محاولة لطرح وجهة نظرنا سألنا نماذج من أبناء المجتمعات الغربية عن المسؤولية الأخلاقية تجاه قضايانا العربية والإسلامية.

من يتحمل بروز تيار النازية في النصف الأول من القرن العشرين؟ أليست الصهيونية نتاج الفكري الغربي؟ ومن ابتدع ظاهرة العنصرية الشرق أم الثقافة الغربية؟

إن حوار الحضارات ليس حوار الأمزجة والخلفيات السياسية المتعصبة، إنما هو حوار حول أهم الشعارات السياسية والاجتماعية والفكرية المطروحة على الساحة الدولية اليوم، بحيث يؤدي الحوار إلى رسم حدود واضحة لتطبيق هذه المفاهيم. إذا كانت صالحة لتقدّم المجتمعات وخلاصها من مشاكل الفقر والمرض والجهل.

إن النموذج الغربي السياسي والفكري لا يزال واقعًا تحت تأثير التباين المفترض بين الشرق والغرب، ولا يزال يقع تحت وطأة مفهوم التفوق المتوهم، ولهذا نرى مواقف زعمائه متناقضة غريبة لا تصلح للحوار البناء.

لقد عبّر الكثيرون من المفكرين المحايدين عن قلقهم ودهشتهم لذلك التناقض الغريب في مواقف الغرب بشكل عام، ففي 2005/11/29 مسيحي، وفي لقاء القادة العالميين في دبي قال مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا السابق: (لماذا عندما يتكلم أحد بالسوء عن الإسلام لا أحد يتحرك أو يحرك ساكنًا، أما عندما ينتقد أحدهم اليهود فإنهم يتهمونه بمعاداة السامية، فهل اليهود أسمى من باقي البشر لكي لا يُنتقدوا؟!) ، فهي كما يرى الكثيرون ازدواجية في الأحكام والمعايير التي تنافي أساس مفهوم الديمقراطية، والديمقراطية التي يتطلع الغرب إلى تعميمها في الشرق تصبح شعارًا أجوف لا يستحق أن يدافع عنه، ولهذا فإن الحوار حول الديمقراطية الغربية وأنموذجها لن يجدي نفعًا إن لم يكن ذا وجه واحد وذا ميزان واحد ومعايير واحدة.

> الدعوة إلى حوار الحضارات أو إلى تحالف الحضارات أصبحت ترتبط بشكل واضح بالمستجدات الدولية.

ونعتقد بأن الغرب بطرحه مفهوم الديمقراطية بحسب فهمه المزدوج والمتغير يشكل أحد أوجه ردود الفعل لدى أبناء الشرق العربي والإسلامي، وقد يتطور في لحظة من اللحظات ليكون ردًا عنيفًا بحسب التوصيف الغربي.

فهل يرى الغرب أن منبع الإرهاب هو في إعطاء جزء من أرض شعب لشعب آخر؟ وإقامة دولة على هذه الأرض؟ وهل يعترف الغرب بأن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي جوهره مشكلة أرض وليست مشكلة دينية؟

إذاً أي ديمقراطية يريدون؟ أم أن على مفكري الغرب وقادتهم إعادة النظر في هذا المفهوم ومعانيه وأبعاده وتطبيقاته حتى يكون حوار الحضارات حوارًا حضاريًا إنسانيًا مقبولاً؟

إن هذه الحيثيات تقودنا إلى طرح السؤال المفترض: من هم المتحاورون الذين يمثلون

الحضارات المختلفة، ومن يخوّلهم هذا الحوار؟

من يمثل الغرب في هذا الحوار؟ ومن يمثل الشرق؟ هل يمثل الغربَ رجالُ السياسة والقيّمون على الحكم؟ أم يمثل الغربَ رجالُ اللاهوت والكنائس الغربية؟ ومن يمثل الشرق في هذا الحوار؟ هل هو النظام السياسي العربي أم علماء الدين والمفكرون ؟

إن طرح مثل هذا السؤال الكبير يحتاج إلى إجابة أكبر، فالمسألة ليست بهذه البساطة، ونعتقد أن الأكثر تعقيداً من طرح المفاهيم واكتشاف تباين الثقافات هو ذلك السؤال: من هم المتحاورون؟

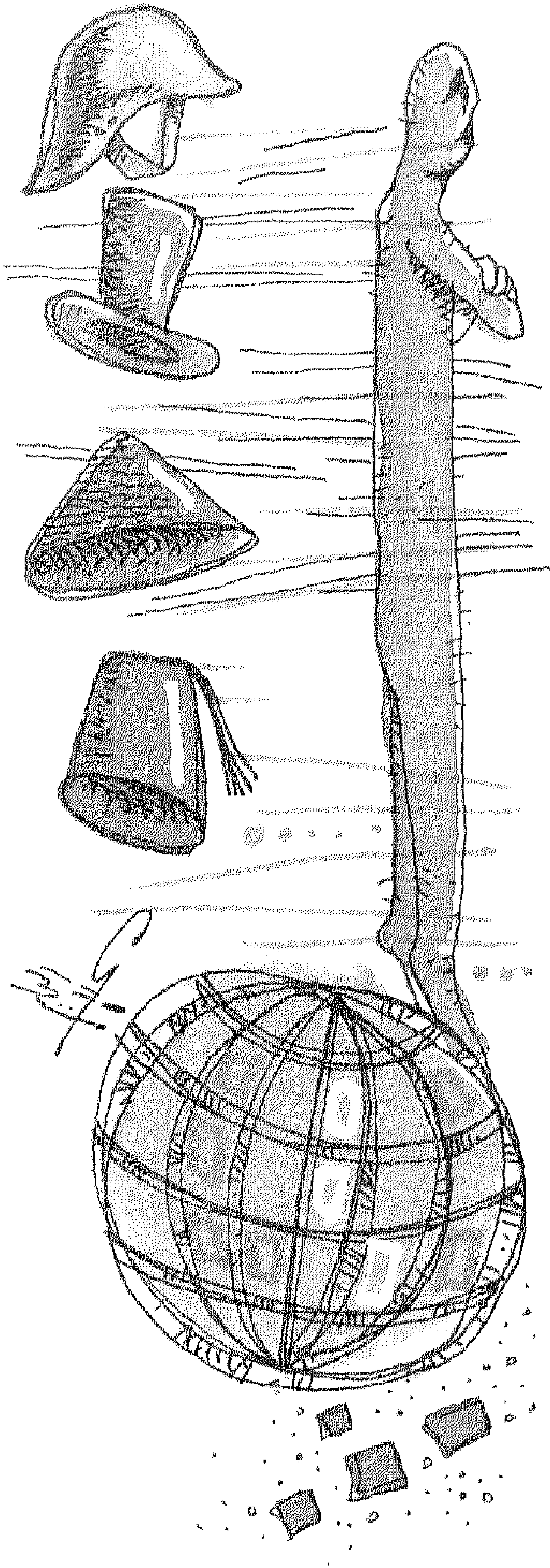
إذا افترضنا أن السياسيين الحاكمين في الغرب يمثلون العالم الغربي في حوار الحضارات فإن الآمال ضعيفة جداً في نسبة النجاح المتوقع، فالسياسيون هم الذين يرفضون حوار الحضارات من خلال استنادهم إلى نظريات الصدام التي انتشرت في أمريكا وأوروبا.

إذاً كيف يمكن أن نبني الثقة على حوار حضارات يفقد فيه نصف المتحاورين مصداقية التعامل الحقيقي مع شعوب العالم على أساس المصالح المشتركة للجميع؟ وإذا قلنا إن رجال الدين واللاهوت في العالم الغربي قد يمثلون الشعوب الغربية في حوار الحضارات فإن الوقائع لا تبشر بخير ولا توحي بحوار صادق بين الشرق والغرب.

ففي آخر مواقف الأساقفة الكاثوليك برزت وثيقة حديثة جداً عن الكنيسة الإيطالية تتضمن توصية واضحة بعدم الزواج من مسلمين.

ويأتي هذا في إطار التحركات التي تشهدها الدول الأوروبية لفرض مزيد من الرقابة على مجتمعات المهاجرين خاصة المسلمين.

وقد بررت الوثيقة الصادرة عن مجمع الأساقفة الكاثوليك هذه التوصية بالاختلاف الديني والثقافي العميق بين الإسلام والمسيحية، وتباين الرؤى بشأن دور المرأة، واستندت الوثيقة التي أبرزتها الصحف



الإيطالية إلى ما وصفته بمشكلات ظهرت في السنوات الأخيرة نتيجة زيجات بين المسلمين والمسيحيين.

وأرجع رئيس مجمع الأساقفة الكاردينال كاميلو رويني تزايد هذه الزيجات إلى رغبة المهاجرين المسلمين في الاستقرار في إيطاليا.

وقد أعربت الكنيسة الكاثوليكية عن قلقها إزاء سلسلة صعوبات مرتبطة بالهشاشة الجوهرية لهذه العلاقة العائلية، ومسألة التعليم الديني للأولاد، ويأتي ذلك متسقًا مع موقف الفاتيكان الذي تحفّظ في عام 2004 مسيحي، على هذه الزيجات التي وصلت في إيطاليا وحدها (عام 2004 مسيحي) إلى 19 ألف حالة.

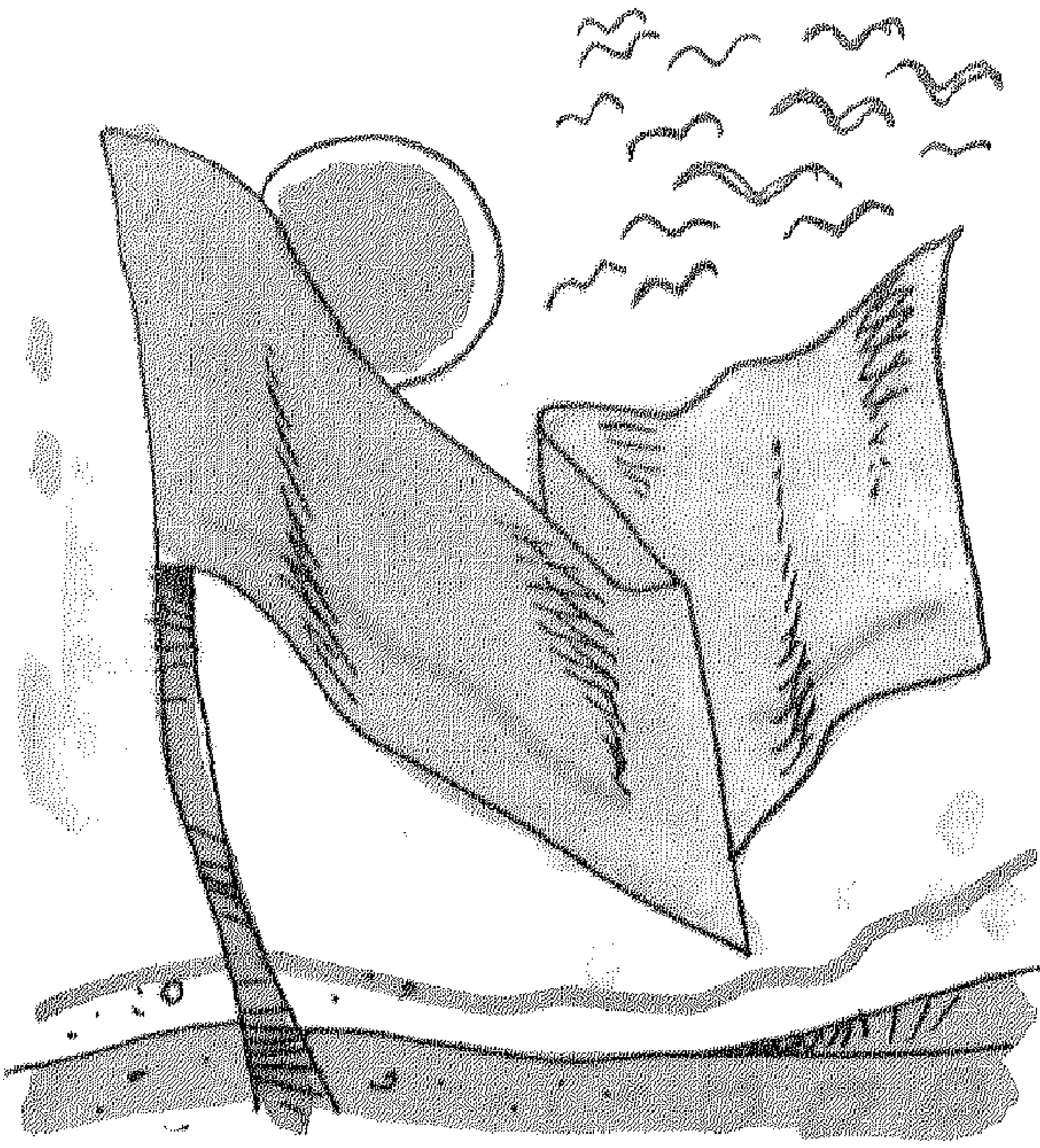
وتسعى الكنيسة للحد من استكمال مراسم الزواج دينيًا، واقترحت على القساوسة أن يطرحوا أسئلة واضحة على الراغبين في الزواج في الكنيسة تتعلق بالمعلومات عن دين الشريك وخطة تعليم الأبناء.

فعندما ندعو إلى حوار الحضارات الذي يتضمن حوار الأديان من المفترض ألاّ يقتصر الحوار على قضايا هامشية غير مؤثرة، فهذه إحدى المشكلات التي تشكل عقبات مؤلمة في طريق الحوار.

وحين نطرح هذه المشكلة فإننا نذكّر بأن الإسلام لا يمانع مطلقًا من الزواج بالمسيحية واليهودية المحصنة، وهذا أمر أقره الشرع ولم نأتِ به من اجتهاداتنا.

على أية حال فإننا لا بد أن نستخلص النتيجة حسب رؤيتنا كشرقيين وعرب ومسلمين، فنحن نرى أن الحوار الحضاري بين الشعوب ينطلق من التساوي بين المتحاورين، ولكن يبدو أن الذي يفتقد المبادئ الثابتة لا يمكن أن يعطي رأيًا صادقًا يوثق به وموقفًا جديًا تجاه ما يسمى حوار الحضارات.

إننا نعتقد أن أي حوار حضاري لكي يكون ناجحًا ومؤثرًا ومجديًا لا بد له من وجود طرفين متعادلين في



قوة الفكر والتأثير، متعادلين في التأثير على المستوى الثقافي وحتى على المستوى السياسي والإقليمي.

والحقيقة أنه على الغرب معرفة أن مصلحة شعوب العالم تتطلب تعارفًا على مستوى العقائد والأفكار والسلوك الإنساني، ولعل هناك الكثير من القواسم المشتركة بين الشعوب التي تُجاذب البشر ولا تنافرهم أو تنفّرهم، لكنّ أطرافًا ترى أن مصلحتها ومصلحة وجودها تكمن في إلغاء أي تقارب بشري إنساني أو أي حوار جاد بين الجميع.

وباختصار شديد نقول: إننا نطرح مفهوم حوار الحضارات على سبيل الكشف الحقيقي لطريق الحوار، وحتى نبيّن أيضًا أننا لسنا جاهلين بهذا المنهج وآثاره وأسبابه والعقبات التي تحول دون تحقيقه، فإذا كان الطرف الآخر يقتنع بالحوار ويحاول أن يتجاوب معه وفي نفس الوقت يتغافل عن العقبات السياسية والاستعمارية والعنصرية فإن ذلك يخالف أبسط أسس التعارف والحوار، لأن تجاهل هذه العقبات يعني تجاوز أي حديث جاد عن آخر ما يواجه البشرية من أخطار وتهديد بالفناء.

بين الإسلام والغرب
تواصل.. أم قطيعة؟

د. سالمة عبد الجبار *

نقل المؤرخ الفرنسي (غوستاف لوبون) في كتابه الشهير (حضارة العرب) عن المؤرخ الراهب (روبرت) الذي شهد اقتحام الصليبيين بيت المقدس قوله: «كان قومنا يجوبون الشوارع والميادين وسطوح البيوت ، ليرووا غليلهم من (التقتيل) وذلك كاللبؤات التي خطف صغارها، وكانوا يذبحون الأولاد والشبان والشيوخ ويقطعونهم إربًا إربًا، وكانوا لا يستبقون إنسانًا... وكانوا يشنقون أناسًا كثيرين بحبل واحد بغية السرعة... وكانت الدماء تسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجثث».

وينقل المؤرخ ذاته عن كاهن مدينة (لوبوي) (ريموند داجل Remond Dagl) قوله: حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم، وكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم، وبُقرت بطون بعضهم، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحرق بعضهم بالنار، فكان ذلك بعد عذاب طويل... وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها إلا الأكداس من رؤوس العرب المسلمين وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث القتلى... ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض مما نالوا».

هذه المشاهد التي لا نزال نعيش نظيرها في أيامنا هذه بعد مضي مئات القرون من عمر الحضارة الإنسانية؛ إنما هي شاهد على عمق الهوة النفسية بين المسلم والمسيحي، مما تجعل العلاقة بينهما جديرة بالتأمل والدراسة والتحليل!!

وإذا كانت هذه العلاقة قديمة قدم الحضارتين، إذ تبدأ مع ظهور الإسلام وغزوتي مؤتة وتبوك، مرورًا بمعركة اليرموك وبالحرب الصليبية في مصر والشام والأندلس؛ فإنها قد اتخذت صورة جديدة بعد ركود الحضارة الإسلامية وأخذ الإنسان المسيحي بزمام المبادرة التاريخية.

هذه الصورة الجديدة هي ما سيكون لها الأثر الكبير على حاضر ومستقبل الحضارتين، بل الحضارة الإنسانية جمعاء.

لقد بدأت الجامعات الكنسية منذ بزوغ النهضة الأوربية في إيطاليا بدراسة العالم الإسلامي وتراثه دراسة موجهة، تهدف للسيطرة والتحكم أكثر مما تهدف للاستطلاع العلمي، عرفت هذه الدراسات باسم الاستشراق، وتطورت لتستقل عن الكنيسة في

* كاتبة وباحثة وأستاذة جامعية / ليبيا



إطار تحرر العقل الأوروبي من سلطانها وما تم من فصل بين العلم والإيمان.

والجدير بالانتباه في هذا الجانب أن الجهود العلمية الجبارة التي بذلها المستشرقون لم تساعد كثيرًا في تحسين صورة العالم الإسلامي في الذهن المسيحي، لما كان ينقصها من التجرد والموضوعية في أكثر الأحيان، ولم ير المستشرقون في الشرق إلا ما كانوا يريدون رؤيته[1]، وظلوا متمسكين بمسلمات أجدادهم عن الإسلام باعتباره دين العنف والتعصب الذي انتشر بحد السيف. ومن العجيب أن تظهر هذه التهمة لدى بعض رجال الفكر الذين اشتهروا بحضارتهم العلمية ودانت لهم البشرية بالكثير[2].

إن أفكارا كهذه هي التي بررت فيما بعد سياسة الاستعمار والإذلال الذي مارسه الأوروبيون على بقية سكان الأرض، خصوصًا في العالم الإسلامي. ومن الطبيعي أن يمارس المستعمرون الأوروبيون كل صنوف الاضطهاد والسلب ضد المسلمين، على أن العلاقة بين الغرب والإسلام اتخذت طابعًا جديدًا في مرحلة لاحقة مما يدعو إلى البحث عن موطن الأزمة.

فالتطور العلمي والصناعي والتقني قد خلق عالمًا موحدًا، وفرض احتكاكًا واتصالاً مباشرًا بين الأمم والحضارات كافة، وأضحى من المحتم أن ينظر البشر إلى مشكلاتهم نظرة عالمية، بيد أن الوحدة الجغرافية التي فرضتها ثورة العلم والاتصال لم تصاحبها وحدة في المفاهيم والقيم، وظلت هوة سحيقة تفصل بين عقول البشر وضمائرهم، ونظرًا لاختلاف خلفياتهم

1 ـ الاستشراق الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، سلسلة كتاب الأمة 1390هجري، ص:116، نقلاً عن المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون في محاضرة له بالقاهرة عام 1969 مسيحي.

2 ـ هيجل ، العقل في التاريخ، ترجمة د. عبد الفتاح إمام، وقد أشار في هذا الكتاب إلى عبارة تصف بلاد العرب بأنها بلاد التعصب.

الفكرية والثقافية. وإذا كان الفضل يرجع إلى الإنسان الغربي في خلق هذا العالم الجديد الموحد بعبقريته العلمية والصناعية؛ فإن هذا الإنسان (الغربي) لم يستطع تجاوز ذاته في صلته بالآخرين، وفي تفهم ثقافاتهم الخاصة، ومراعاة مصالحهم الجوهرية، وتلك هي المفارقة الكبرى التي ترجع إليها أزمة التواصل بين العالم الإسلامي والغرب «إذ إن موطن الأزمة موجود في الضمير الأوروبي نفسه في علاقته بالمأساة الإنسانية»[3].

ذلك الضمير الذي لم يتسع للآخرين، ولم يستوعب تمامًا مقتضيات الوحدة الأرضية التي صنعتها يداه. لقد أصبحت الكرة الأرضية صغيرة جدًا... ولم يعد بالإمكان تجزئة المشكلات والحلول أو انتهاج سياسة أوروبية في جانب واستعمارية في جانب آخر [4].

لكن استيعاب هذا الواقع الجديد أمر يعسر على أولئك الذين حكموا البشرية قرونًا طويلة، أضف إلى ذلك الحساسيات التاريخية تجاه المسلمين، وأثرها في خلق صعوبات نفسية وثقافية صادفها الغربي من أجل التنازل عن كبريائه وإفساح المجال للآخرين، إضافة إلى حالة المسلم المعاصر وشكواه من الغرب الذي يأبى عليه - جراء معتقداته في الهمجية وفلسفته للصراع المادي والعرقي - يأبى الاعتراف بالمنهج الإسلامي، أو حتى مجرد التفهم لمفرداته ومحتواه.

ومع ذلك فإن الإنسان الغربي يتحمل العبء الأعظم في عالم صنعه هو، ويخضعه لسيطرته، إلا أنه لا يتحمل المسئولية كاملة عن سوء علاقته بعالم الإسلام؛ إلا أن المسلم بسوء استيعابه لمقتضيات العصر، وثقافة العلم، وما ينتج عن ذلك من إيحاءات سلبية، وما يطلقه من أحكام غير منصفة في حق الحضارة الغربية، والتي تظل - رغم كل سلبياتها - تجربة إنسانية متميزة حتى الآن؛ فهو يسهم إلى حد بعيد في سوء العلاقة بين الغرب والإسلام، إضافة إلى ما انطبعت به حياة المسلم من سلبية وتخلف، بغض النظر عن سمو الرسالة التي يدعي الانتماء إليها.

«إن العالم الإسلامي يعيش في غير تاريخه، وحقيقة المسلم تخفيها المظاهر الاجتماعية»[5]، من بؤس وجهل ومرض، فكيف تقنعهم باتخاذه ندًا جديرًا بالاحترام؟. كما أن تمسك بعض المسلمين المعاصرين ببعض الأفكار المنتمية إلى عهود التوسع الإمبراطوري الإسلامي، دون مراجعة لتلك الأفكار في ضوء الوحي ومقاصد الإسلام الكلية، ودون مراعاة لمستلزمات الحياة الدولية في العصر الذري؛ أصبح يثير الرعب والفزع لدى الشعوب الأوروبية التي لم تنس بعد تاريخها مع العالم الإسلامي... إن هذه العوامل السلبية لا تؤثر على سمعة المسلم فحسب، لكنها تؤثر على مستقبل الإسلام وانتشاره في الأرض.

إذ لاحظ فرنسيس فوكوياما أنه «بالرغم من القوة التي أبداها الإسلام في صحوته الحالية، فبالإمكان القول إن هذا الدين لا يكاد يكون له جاذبية خارج المناطق التي كانت في الأصل إسلامية الحضارة» [6].


فرنسيس فوكوياما

---

3 - مالك بن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية، ص:20، ترجمة عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى، دار الفكر دمشق 1985.

4 - مالك بن نبي، نفس المصدر ص:32.

5 - مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته، في القرن العشرين، ص:52، دار الفكر دمشق، 1989. والجدير بالذكر أن مالك بن نبي يطلق مصطلح (منبوذ القرن العشرين) على الإنسان المسلم.

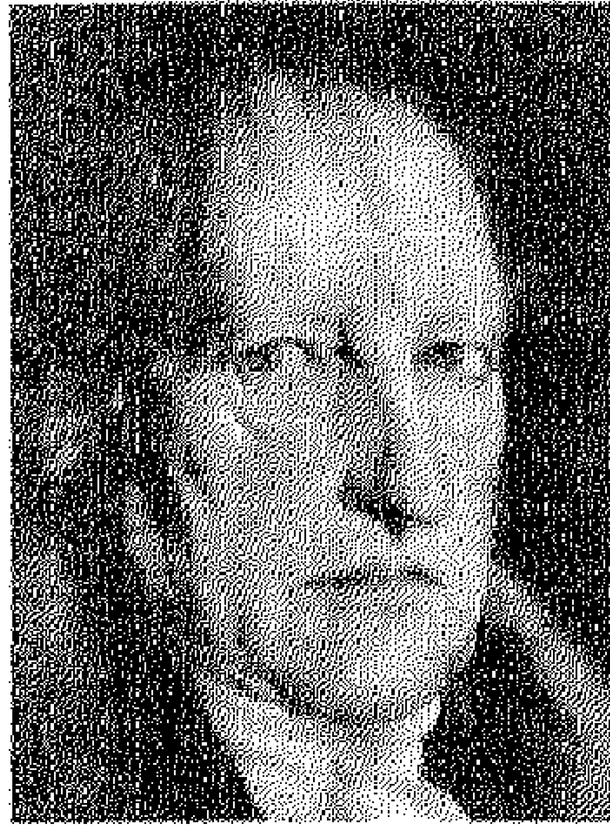
6 - فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر 1993 القاهرة.

لكن ما لم يلاحظه فرنسيس فوكوياما أن للإسلام جاذبيته التي لا تقاوم، وهي التي قادت ملايين البشر إلى اعتناقه قديمًا وحديثًا دون إكراه(7).

لكن بعض المسلمين بصنيعهم وتخلفهم الحضاري شوهوا وجه الإسلام الجميل، وأحالوا حب الناس له فتورًا. ولكن مهما كان الأمر فإن المواجهة بين الغرب الذي لم يستطع حتى الآن التخلي عن أمجاده الاستعمارية في الهيمنة والتسلط، وبين المسلم الذي يعبر على التحرر والبناء انطلاقًا من قيمه الخاصة؛ أصبحت تمثل الصورة التي تحوي شرخًا كبيرًا يمزق الإنسانية من جديد. هذا الشرخ كان بتأثيرات الاتجاهات الماركسية، وتأثيراتها في الحضارة الدينية في الفكر المسيحي، وأدى بالإنسانية إلى سباق محموم في التسلح والمواجهة، وأصبح كل من المعسكرين قادرًا على إفناء البشرية، ووضع حد للحياة على الأرض في ساعات معدودة. هذه كانت إحدى ظواهر القرن الماضي، إذ أصبح بقاء الجنس البشري يمثل القضية الأولى في ذهنية رجال الفكر والأخلاق في هذا العصر.

وإذ سقطت الماركسية فإن صراعاً جديدًا بين الإسلام والغرب بدأ يلوح في الأفق، وأصبح هذا الفضاء الإيديولوجي هو الخطر الجديد على مستقبل البشرية، كما أن محاولة الاجتياح الإيديولوجي للدولة الإسلامية ومحاولة تشويه الإسلام منذ ظهور فكرة الاستعمار قد ظهر فشله الذريع. أو أن الدول التي تزعمت عملية التغريب في مطلع هذا القرن هي التي تضم الآن طليعة ما يعرف بـ (الصحوة الإسلامية). ومع أن الغرب لم يزل عاجزًا عن فهم الصحوة الإسلامية، وينعتها بنعوت شتى، ويخلط بينها وبين الأصولية الإسلامية والتطرف الديني وبين النازية الأوربية، بل يعتبر الغرب أن الإسلام يشكل خطرًا كبيرًا على الممارسات الليبرالية حتى في الدول التي لم يصل فيها إلى السلطة السياسية مباشرة. وبعد انهيار الماركسية وتحقيق المصالحة بين شقي الحضارة المسيحية شعر الغرب بنشوة النصر، ولم تعد ذاكرته تتسع لأي شريك أو قرين في التاريخ والحضارة، بل تجاوز الغرب ذلك بقوة إلى القول بنهاية التاريخ التي عبر عنها فرنسيس فوكوياما في كتابه (نهاية التاريخ) الذي يمثل قيمة فلسفية إيديولوجية نادرة، بل يمكن اعتباره أهم مرافعة إيديولوجية في الدفاع عن الديمقراطية الليبرالية الغربية، وجاء بعدا انهيار الاتحاد السوفييتي ليعبر عن نشوة الانتصار لدى الغرب، وخاصة الأمريكيين، تلك النشوة التي عبر عنها ريتشارد نيكسون في كتابه (الفرصة السانحة)، وأراد فوكوياما تأصيلها فلسفيًا وإيديولوجيًا، ويوظف فوكوياما تراث (هيغل) و(نيتشه) الفلسفي توظيفًا لا يخلو من براعة وديماغوجية، ليحيي فكرة نهاية التاريخ الهيغيلية ويطبقها على العصر، ومفادها أن التاريخ البشري يسير في خط تراكمي لا دوري - نحو المطلق، أي نحو التحقق الكامل لحرية الإنسان التي هي جوهر إنسانيته. وما هو جدير بالذكر في هذا


نيتشه


هيغل

7 - جاذبية الإسلام، هو عنوان كتاب للمستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون.

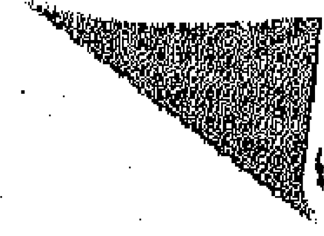
السباق هو أن هذه الفكرة الهيغيلية لا تمثل أهمية في ذاتها، وإنما التأويل الأمريكي لها، وتأثير ذلك على علاقة الغرب بالإسلام. فالديمقراطية الغربية قد نجحت - كما يرى فوكوياما - في التوفيق بين أخلاقيات العبد والسيد [8]، وقضت على ذلك التناقض الذي هو المحرك الأول للتاريخ. ويوضح ذلك بقوله: «إذا كنا اليوم قد بلغنا مرحلة لا نستطيع معها أن نتخيل عالمًا شديد الاختلاف عن عالمنا، أو طريقة ظاهرة وواضحة يصبح فيها المستقبل أفضل بكثير مما نحن فيه؛ فعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار احتمال أن يكون التاريخ قد بلغ نهايته» [9].

ويبدو بوضوح ما في أفكار فوكوياما من تفاؤل مفرط وغريب ووهم لا وجود له في دنيا الواقع ولا مبرر له؛ إذ ليس ثمة ما يدعو إلى اعتبار النظام الغربي هو نهاية للتاريخ، وغاية ما بعدها غاية، إذ هو يدرك بنفسه نسبية فكرة الديمقراطية الغربية، ويقر بأنه «من الصعب أن نتخيل نجاح الديمقراطية في مجتمع معظم أفراده من الأميين غير القادرين على الاستفادة من المعلومات المتوافرة عن الخيارات المفتوحة أمامهم» [10].

كما يبدو أن أفكار فوكوياما مشحونة بالإحساس الكاذب بالكمال والرضا عن الذات، وهو أمر يمكن اعتباره انعكاسًا لنشوة النصر على الماركسية أكثر منه تعبيرًا عن الحقيقة المطلقة. وإذا كان فوكوياما يقر بأن «الاختلافات الظاهرة بين مفاهيم الشعوب عن الخير والشر قد يثبت أنها انعكاس للمرحلة المعينة التي يمر بها تطورها التاريخي» فلن يكون في وسعنا عزل أفكاره عن الأحداث السياسية الكبرى في العالم منذ انهيار الاتحاد السوفييتي.

لقد كان هيجل يرى أن جوهر الحركة التاريخية إنما يكمن في رغبة السيد والعبد معًا في نيل الاعتراف المتبادل، وهو ما يوحي بأن نهاية التاريخ التي يبشر بها البعض حاليًا لم تحن بعد في أحسن الأحوال، إذ ما تزال شعوب كثيرة تمثل دور العبد وتنتظر من السيد (الغرب) الاعتراف بكرامتها وإنسانيتها. وإذا كان فوكوياما قد خلص في خاتمة كتابه إلى أن أولئك الذين سيستمر سخطهم سيظلون دائمًا قادرين على أن يبدأوا التاريخ من جديد؛ أفلا يكفي هذا دلالة على ضعف الحجة القائلة بنهاية التاريخ في وقت لا تزال فيه العديد من الشعوب تشكو الظلم والإجحاف؟. وفوكوياما يدرك تمامًا دور المستضعفين في صناعة التاريخ، إذ يقول: كانت الرغبة المستمرة لدى العبد في نيل الاعتراف هي المحرك الذي دفع التاريخ إلى الأمام، لا رضا السيد الخامل عن نفسه وفكرته الجامدة عنها.

«الإنسان الغربي يتحمل العبء الأعظم في عالم صنعه هو، ويخضعه لسيطرته، إلا أنه لا يتحمل المسئولية كاملة عن سوء علاقته بعالم الإسلام»



إن ما يهم في هذا النمط من التفكير والتنظير هو ذلك الأثر السيء على العلاقة بين الإسلام والغرب، إذ أصبح الغرب مكتفيًا بذاته، راضيًا عن نفسه، مما شكل عوائق نفسية أمام الضمير الغربي تمثلت في تضخم الذات ونمو النزعة الاستعمارية واستفحالها، مما يلغي بالتالي كل شكل من أشكال التفاهم والحوار والتواصل.

---

8 - فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أمين، مركز الأهرام 1993.

9 - المصدر نفسه.

10 - نفس المصدر.

النهضة الإفريقية في كتابات الحاج أحمد سيكوتوري

إعداد: سيسي سليمان *

ولد الحاج أحمد سيكوتوري الذي يعد من حكماء إفريقيا في العصر الحديث في 9 /1/ 1922 مسيحي، في مدينة (فاران Faranha) بغينيا ـ كوناكري، في أسرة متواضعة، وكان والده أحد أبناء الإمام المجاهد ساموري توري ألفا توري، وأمه آمنة فادقا، وقد أدخل في الكتاتيب التي كانت الأسر تبعث بأولادها إليها لتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب وتحفيظ القرآن الكريم[1]، وهكذا بدأ نشأته إلى أن التحق بالمدارس الفرنسية في بلاده، وكان من مؤسسي نقابة العمال في غرب إفريقيا عام 1945 مسيحي، وأمينها العام، وهو العام الذي أخذ فيه زمام (التجمع الديمقراطي الإفريقي Africaine Rassenblement Democratique).

وبعد أقل من عشر سنوات، أصبح المستشار العام لغينيا ورئيسًا لإتحاد عمال إفريقيا السوداء، وتم تعيينه رئيساً لغينيا 1958 مسيحي، وانفرد في استفتاء شهر الفاتح (سبتمبر) 1958 مسيحي، بالرد بـ «لا» على اقتراح «جماعة الفرنسي الإفريقي»، ومن ثم يقود غينيا نحو استقلالها في الثاني من شهر التمور (أكتوبر)، لتصبح بذلك أول دولة مستقلة في المستعمرات الفرنسية في إفريقيا السوداء، فتزداد العلاقات الفرنسية الغينية توتراً بعد ذلك، حتى تنقطع كاملاً في عام 1965 مسيحي، وبعد عقد من الزمن قام الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان بزيارة رسمية إلى كوناكري حيث شهد عام 1975 مسيحي تصحيحاً للعلاقات الثنائية. ومن جانبه قام الرئيس أحمد سيكوتوري بزيارة رسمية إلى فرنسا في عام 1982 مسيحي. وهكذا كان الرئيس أحمد سيكوتوري شديد الاعتزاز بالوطنية والكرامة ليس لبلاده غينيا كوناكري فحسب بل من أجل تحرير واستقلال بقية



الحاج أحمد سيكوتوري

* باحث / غينيا ـ كوناكري

1 ـ د. مطير سعد غيث أحمد/ الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في المجتمع السوداني الغربي، دراسة في التواصل الحضاري الافريقي، دار المدار الإسلامي، نشر دار أويا، طرابلس الجماهيرية العظمى، 2005 مسيحي.



بلدان القارة ووحدتها، فيما كان كاتبًا وخطيبًا بارعًا، حتى لقب بمعلم الكلام[2]، إلى أن وافته المنية في 24/3/1984 مسيحي[3].

منهجه في الكتابة:

كانت معظم كتابات أحمد سيكوتوري تتجه نحو منهج فكري حضاري إفريقي، وكان يقدّم من خلال كتاباته رؤى جديدة في دراسة تاريخ القارة الإفريقية، إذ اعتبر فهم التاريخ ضرورة لفهم حسن تسيير الحياة في الحاضر، لأن التاريخ ينبوع الحضارة، حيث إن معرفة تجارب الحياة ضرورية، وعمر الإنسان يقصر عن الإحاطة بكل ما فيها، ولكي يبني الإنسان حياة جيدة ويتقدم يلزمه الاستفادة من تجارب التاريخ، أي تغيير الخلفية التي صنعت التاريخ السيئ، فإن الرؤية التاريخية الصحيحة هي التي تصنع شخصية الأمة، ولأجل هذا اشتهر عن المؤرخين أن كل جيل يجب أن يكتب تاريخه بيده، أي بلغة عصره، فلا أحقية لأحد في محو تاريخ الآخر لأن شعبًا دون تاريخ شعب بلا روح»[4].

مشروعه النهضوي لإفريقيا:

لا يخفى على كثير منا أن النهضة Renaissance [5] هي قيام أمة، أو هي يقظة أمة من غفوتها بعد الإطاحة بمجدها وقيمها وشرفها، وهذه النهضة في فكر سيكوتوري ظهرت مع بداية نضاله الأولى ضد الإدارة الاستعمارية الأوروبية الفرنسية الغاشمة، حيث كان قراره الشجاع الذي اتخذه في استفتاء 1958 مسيحي، برفض اقتراح «جماعة الفرنسي الإفريقي» وما استتبع ذلك من استقلال بلده المبكر، قد أعاد الثقة في نفوس قادة الدول المستعمرة من قبل فرنسا، فقد تلاه استقلال للدول الأخرى بعد 1960 مسيحي.

وكان نضال أحمد سيكوتوري نتيجة اطلاعه على

2 ـ ألفونس (كواسي) بيبوا/ نبذة عن حياة سيكو توري، تلفزيون (ساحل العاج) 24 /3 /1984 مسيحي.

3 ـ Ibrahim Baba Kake / Sekou Toure el Hero et le Tyran

4 ـ أحمد سيكوتوري، إفريقيا والثورة، ترجمة: محمد البخاري، منشورات المطبعة القومية، سورية.

5 ـ Dictionnaire Scholaire / Une Equipe de Professeurs, DAR ELCHIMALI, P.489. 2004 Beyrouth - Liban

تاريخ شعوب العالم عمومًا وإفريقيا بشكل خاص، وفهمه للتاريخ فهم الهادف المستنتج، لأن هناك من يدرس التاريخ للتاريخ، وهناك من يدرس التاريخ لهدف إعادة بناء حياة الإنسان.

يفهم من خلال تتبع كتابات أحمد سيكوتوري أنه يقسم تاريخ إفريقيا باعتبار المراحل التي اجتازها في تطوره إلى ثلاث حقب كبيرة:

الحقبة الأولى:

تتمثل الحقبة الأولى في حياة الشعوب الإفريقية - كما يراها أحمد سيكوتوري - في مرحلة ما قبل الاستعمار، وقد تميزت تلك المرحلة بعبقرية شعوبها، وارتقاء قيمها، حيث تمكنت تلك الممالك والإمبراطوريات من إدارة شؤونها السياسية والاقتصادية بكفاءة وجدارة فائقة لم يُر لها نظير إلى الوقت الحاضر(6)، كما حققت وحدة ثقافية تشكلت منها وحدة اجتماعية مترابطة قوية كمملكة (سيقو والكانم وماسينا) وإمبراطورية (غانا وسنغهاي)، كما شهدت نشاطات ضد الاستعمار الأوروبي قادها أعلام فكر ودين أمثال الحاج عمر تال الفوتي والإمام ساموري توري ومحمد الأمين درامي، وأُسِّست خلالها مدن ومناطق تاريخية كتمبكتو و(جنى) و(جاو) و(أجاديس) و(ولاته) و(سيقيلا) و(دبكالا) و(دنغراي) و(طوبى) و(كولخ) و(أبتشه) و(كانو)، وانتشر الإسلام خلالها بوسائل سلمية قام بها الدعاة والمعلمون والأئمة والتجار والرحل بالقوافل من الحجاج ومشائخ الطرق الصوفية(7).

العودة إلى الذات هي اعتبار الشعوب عنصرًا ضروريًا ومشاركًا في البناء الحضاري للقارة.

الدروس المستفادة من المرحلة الأولى:

ومن العبر التي استنتجها أحمد سيكوتوري أنه نادى من هذا المنطلق بالعودة إلى إفريقيا، أي إلى إعادة الثقة بالذات الإفريقية وعدم الخضوع لتسرب اليأس إلى نفوس الأفارقة، وهذه هي المعاني الصحيحة للأصالة، وتكون هذه العودة إلى الذات هي اعتبار الشعوب عنصرًا ضروريًا ومشاركًا في البناء الحضاري للقارة، لا منزويًا مكتوف الأيدي تجاه الأحداث، بل لا بد من أن تقرر مسيرتها بنفسها كما كان أسلافها يقومون بذلك.

وهذه العودة تتطلب وعيًا شعبيًا، فالوعي الشعبي هو القدرة الإنسانية التي تسمح للفرد بأن يندمج في المجتمع وأن يكون عامل تطور وتقدم.

القائد الواعي:

عندما يشعر الشعب بوحدة تكاملية بين أفراده، من هنا يحدث التغيير في آلية الحكم، وهذا يبين لنا مدى الارتباط بين الأمة والأنظمة التي تقودها، فهذا الوعي هو الثورة التي تحمل الشعب على التطلع إلى المستقبل ليصنع تاريخه الذاتي لا ليعانيه، وبالتالي ستسعى الشعوب لتجد ثوريًا، وهو الواعي والمستعد للبقاء في خدمة الشعب، وهو المؤمن بعملية التحويل للمجتمع، فيحث الشعب الذي تطرق إليه أحمد سيكوتوري يؤكد أهمية وضرورة تطبيق سلطة الشعب في إفريقيا، كما نادى بذلك مؤسس الاتحاد الإفريقي معمر القذافي في أكثر من تجمع للقادة الأفارقة(8).

6 - أحمد سيكوتوري، مرجع سابق.

7 - حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام والعروبة في ما يلي الصحراء الكبرى، ص: 33، وما بعدها، القاهرة معهد البحوث والدراسات العربية، 1975 مسيحي.

8 - الخطاب الختامي لمعمر القذافي في تجمع رؤساء دول الساحل والصحراء، بوركينا فاسو، 23 - 26 الماء 1373 من وفاة الرسول ﷺ/مايو2005.



والأمر الذي ينبغي أن يكون جليًا أنه لا يمكن معرفة حاجات الشعب ومطامحه دون أن يحياها، لأن الحدس والتحليل والنية الطيبة وحدها غير كافية لحل المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تجابه الشعوب.

الحقبة الثانية:

أما هذه المرحلة فهي مرحلة التردي في التطور الإفريقي، وذلك عندما عرفت القارة ليل الاحتلال الأجنبي المظلم، وقد شاهدت إفريقيا بقدومهم عصر الغدر والنهب والسرقة والخراب والاستعباد والهدم والدمار، وأكبر شاهد على ذلك ما خلفته تلك الأيادي الغاشمة في القارة:

أ ـ حرمان القارة من تسيير وحدة مصيرها، لأنه بعدما تحولت إفريقيا إلى مستعمرات وجدت نفسها مجردة من سيادتها الذاتية وحريتها، وحتى من ممارستها الفعلية لحقها الطبيعي.

ب ـ السيطرة الأجنبية المعتمدة على استغلال خيرات الشعوب واضطهادها في كافة الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

ج ـ التوقف المفاجئ للتطور الخاص، ونضوب منابع النمو الحضاري للقارة.

الحضارة الإفريقية:

أعطى أحمد سيكوتوري المسائل الحضارية والتاريخية لإفريقيا أهمية بالغة، فبعد عرضه أصعب الحالات التي شهدتها القارة من ظلم الاستعمار، قدم للحضارة قائلاً: إنها مجموعة العلاقات الواعية القائمة بين الإنسان والطبيعة، وتتمظهر هذه العلاقات في جملة من الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية، وعلى هذا الأساس لا يوجد إنسان في العالم إلا وأقام حضارة، وقدم أحمد سيكوتوري نماذج من الأزمات التي خلفها الاستعمار.

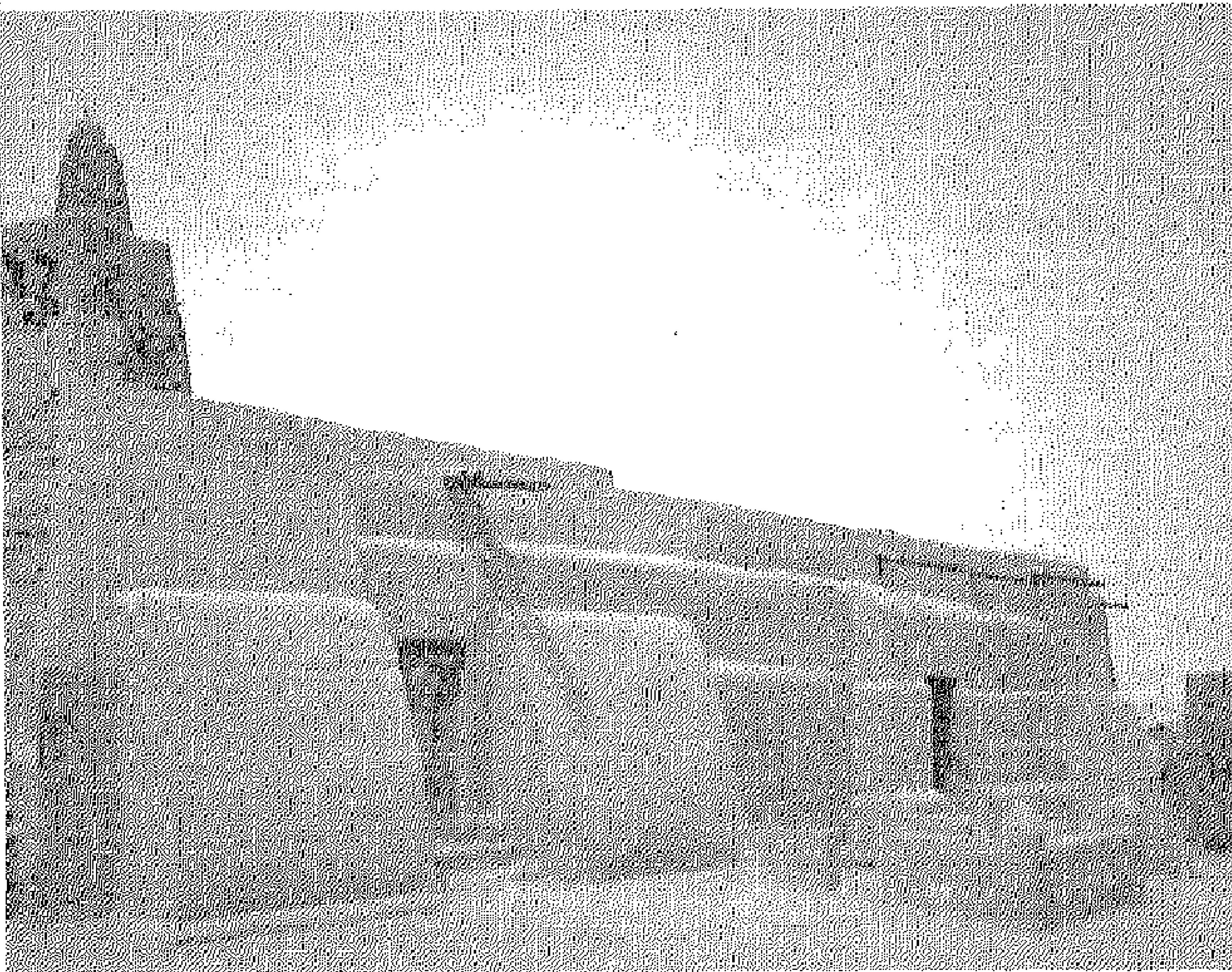
الأزمات التي خلفها الاستعمار:

الأزمة السياسية :

وتمثلت في تكوين طبقة معينة تترأس الشعوب وتراعي مصالحها، وقد حاولت ثلة من أولئك الحيلولة دون إيجاد منطقة توحد صف الأفارقة.

الأزمة الفكرية :

كانت المجموعات التهريبية التخريبية التي تخصصت في نهب الكتب والمخطوطات والتماثيل الأثرية المهمة في القارة من أهم عوامل الأزمة الفكرية.





الأزمة الخُلُقية والاجتماعية:

من أكثر الرواسب التي زرعها المستعمرون في إفريقيا المشاكل الأخلاقية والاجتماعية، فقد كانوا دائمًا يبرزون اشمئزازهم من التقاليد الدينية الإفريقية، وحاولوا استبدال ثقافتهم اللادينية الغربية بها كنموذج وحيد صالح للشعوب كافة.

الأزمة الحضارية: على سبيل المثال نجد المستعمر الأوروبي يدرس حضارة مصر كحضارة مصرية بحتة لا إفريقية، ويطلق مصطلح إفريقيا البيضاء على جزء من القارة وعلى الأخرى إفريقيا السمراء أو السوداء. والحق أن إفريقيا الجنوبية والشمالية تجمعهما قارة واحدة هي (إفريقيا) والفاصل الوهمي وهو الصحراء الكبرى ليس إلا ملتقى حضارياً عظيماً، ـ ولعل اكتشاف توماي (أقدم جمجمة بشرية اكتشفها الباحثون في الصحراء التشادية ـ الليبية) يؤكد على ذلك ـ فهل فرنسا ليست أوروبية لأنها أنجبت دنيس باين Denis Pain؟ وهل ألمانيا انسلت من نزعتها الأوروبية لأن هتلر شرب من مائها؟

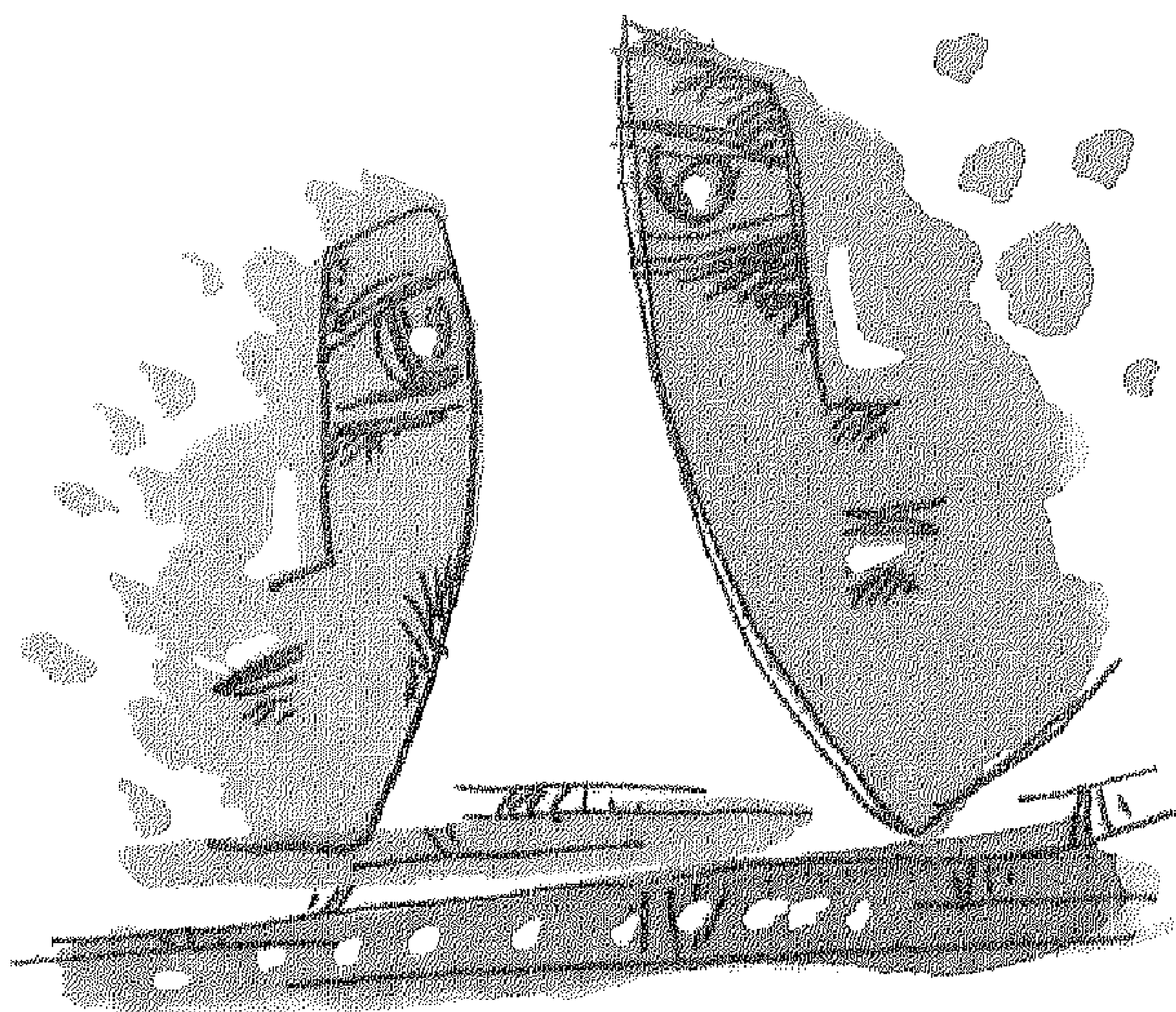
المستعمرون حين دراستهم القارة يفصلون الأفارقة عن العرب في قارة واحدة، وهذا التقسيم غير منهجي ولا موضوعي، لأنه لا يوجد ما يسمى حضارة بيضاء وعدالة سوداء وحرية سمراء.

فلو كان الشعر عندنا (الزنوج) طويلاً لقامت النظريات البيولوجية لتثبت بصورة قاطعة أن مكاننا عالم الحيوان، وإزاء هذه التحليلات أنادي الأفارقة بألاّ تتولد لديهم عقدة ثقافية لأنها أخطر لكونها تحط من قدر الفرد في نظر نفسه ولأنها تكبح مسيرة التاريخ.

الحقبة الثالثة:

هي مرحلة مقاومة الشعوب للاستغلال والاضطهاد، وتفهّم مشروعية المقاومة يسير جدًا على كل العقلاء، لو تساءلنا: هل نقل لنا التاريخ أنّ هناك شعبًا طالب بالسيطرة الخارجية؟ كلا، لقد كافحت الشعوب الإفريقية هذا الاعتداء في كل مكان، وتميزت هذه المرحلة بالانتقال من المقاومة الفردية إلى

الجماعية، وقد زاد وعي المناضلين، خصوصًا عندما انهارت فرنسا عسكريًا أمام احتلال الجيش النازي، وبعد تلك الهزيمة اتخذت فرنسا خطة جديدة، تتناسب واستراتيجيتها المألوفة الساعية لاستمرارية الهيمنة على الشعوب الإفريقية، فالشعوب الإفريقية منذ فجر استقلالها كانت طامحة إلى بناء مجتمع جديد يكون الأفارقة هم صانعوه والمستفيدون منه بآن واحد، وهذا البناء يعني إقامة السعادة والعدالة الاجتماعية. ولتحقيق طموحات هذه الشعوب لا بد من اتخاذ المعايير ومضاعفة الطاقات لحل الأزمات التي خلفها المستعمرون، وإعداد بدائل تتلاءم مع شعوب القارة وتغنيها.



المتطلبات الضرورية للنهضة الإفريقية :

1 ـ التضامن الإفريقي ـ الآسيوي:

يقع عبء التضامن الإفريقي ـ الآسيوي على أبناء كلتا القارتين، لأن بين الأفارقة والآسيويين تقاربًا ثقافيًا متينًا منذ عصور، وقد عقد مؤتمرهما الأول في غينيا ـ كوناكري 1966 مسيحي.

2 ـ التعليم :

التعليم: هو السعي لزيادة طاقات الإنسان وقدراته وسيطرته على الطبيعة، وحل المشاكل التي يطرحها نمو المجتمع، ولكن أيّ تعليم يصلح لإفريقيا؟ إنه التعليم المقترن بالتربية، لأن من شأن ذلك تحسين الطاقات التقنية والخلقية عند الإنسان، وهذا ما يفسر كون أننا كنا نتعلم في ظل الاستعمار ولا نتربى، فكان المستفيدون من تعليمهم غرباء عن شعوبهم مقتلعين من شخصياتهم، تعساء لأنهم مختلو التوازن، فكلما ارتفعت مستوياتهم التعليمية أصبحوا أكثر تشوهًا واختلالاً إلا القلة، فابن المزارع لا يعود إلى قريته، بل يسعى لإيجاد غرفة نوم في المدينة بعنوان (انتظار التوظيف).

أ ـ شرط التعليم الصحيح:

للتعليم الصحيح شروط ولعل أهمها: ارتباط المدرسة بالحياة، أي تكييف بنية التعليم مع ظروف الحياة وإمكانات البلد مهما تواضعت، وبذلك نتجنب الخطأ القائم على الاعتقاد بأن إنشاء المعاهد العلمية لا يمكن أن يتم إلا في ظل شروط عصرية كاملة، وهذا الخطأ الفادح يقودنا إلى التخلي عن توفير البرامج التثقيفية لمجموعة من الشباب الفنيين بادعاء ضعف موارد الميزانية، بينما المدرسة وسيلة وليست غاية، أليس الأحسن أن نذهب بالطالب إلى الحدّاد فيشاهد بأم عينيه صنع المطرقة، بدلاً من أن نكلف الأستاذ برسم المطرقة؟ وهكذا ننشئ مراكز مهنية وتدريبية في كل المناطق.

ب ـ اللغة الثقافية:

وهذا التعليم لا بد له من لغة، وللأسف فإن اللغة الاستعمارية التي نطلق عليها الرسمية ليست لغة الثقافة بالنسبة للأفارقة، ومما لاشك فيه أن فقدان الكتابة المعممة في إفريقيا كانت سببًا في فقدان

التراث العلمي والفلسفي والفني والأدبي الذي أبدعه أسلافنا خلال العصور الغابرة - كان جد أحمد سيكوتوري الإمام المجاهد ساموري توري يكتب دستور دولته وجميع اتفاقاته باللغة العربية لأنها كانت من صميم ثقافته الدينية - وإن أي لغة لا تعبر عن نبوغها التقليدي مهددة بالذبول والاختفاء، وعلى إفريقيا إعادة تقويم لغاتها الوطنية، وبالتالي فإن التعبير باللغات الأجنبية فقط من البراهين على نقصنا الفكري، فينبغي أن ندون لغاتنا لمحو الأمية، واللغة ليست وسيلة نقل ميكانيكية للتفكير بل هي تفاعل في التفكير وتدخل بقوة في تكويننا كأفراد.



الاقتصاد:

إنشاء سوق إفريقية مشتركة:

بعد استقلال أكثر الدول الإفريقية، لا بد من إيجاد شكل من أشكال اللقاء في النشاط الاقتصادي حتى تتجنب القارة الازدواجية في الوظائف، وتقيم العلاقات الاقتصادية والمالية الطبيعية بين مختلف الدول الإفريقية، فالسوق الإفريقية الاقتصادية المشتركة تخفف الكثير من أعباء مؤن الاستيراد الصعبة، لماذا نبيع الماس في بروكسيل بدلاً من إحدى العواصم الإفريقية؟

إنشاء منطقة نقدية أفريقية:

ولأجل أن تكسر إفريقيا آخر القيود الاستعمارية، يتوجب عليها إيجاد منطقة نقدية خاصة بها، لأن النقد الأجنبي يشكل آخر حلقة في سلسلة السيطرة المرتبطة بالنظام الاستعماري.

هذه المتطلبات من أهم الآليات المتينة التي تحقق الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لإفريقيا، فالجهود التي بذلها الآباء بدءاً من منظمة الوحدة الإفريقية التي سعى من أجلها كوامي نكروما وأحمد سيكوتوري في الستينات، وانتهاء بالاتحاد الإفريقي الذي تحقق بهندسة حكيم إفريقيا القائد معمر القذافي، تعني تصفية بقايا النظام الاستعماري القديم، ثم بناء إفريقيا قادرة على البقاء، لكي تحيا القارة معززة فوق الأرض وتحت الشمس بين الأمم، لأن النية وحدها لا تصنع التاريخ، وإن التاريخ بوصفه انعكاساً للمشاريع الإنسانية، يعبر عن تحركات حياة الشعوب ويبرز قواها الحية.

ملف

المدارس القرآنية وشخصية الأمة

عمر لطفي العالم *

لا يعرف التاريخ أن حفاوة المجتمعات الإسلامية بالقرآن الكريم وما يتصل به من علوم قد توقفت أو تعطلت حتى في أشد الحقب حلكة وتأزماً.

وإن نحن أخذنا بعين الاعتبار أن هذا الكتاب كان يعني أكثر من كتاب ديني يرسم الحد الفاصل بين الحرام والحلال، فقد شكّل أيضاً وعلى المدى الطويل ظاهرة استثنائية في اعتماده مرجعاً أصيلاً لتنظيم شؤون الحياة، لا فرق في ذلك بين ما يتصل منه بالعبادة أو بالحركة اليومية لدورة الحاجيات، وبرغم الحملة الشعواء التي شنها بعض المؤرخين والنقاد على تغلغل المعايير الدينية في توجيه المسْلكين، العام والخاص، لا يبدو أن المجتمع الإسلامي عبر القرون لم يكن مجتمعاً سعيداً، أو أن التجارب مع تلك التطبيقات تمّ على مضض.

الواضح أن الدين لم يعش على جانب والخاضعون لتعاليمه على الجانب الآخر، كذلك لا تُوحي المصادر بأنواعها أن الجموع المسلمة كانت لا تتحرك باتجاه الشرع إلا بالإيعاز والإكراه، لا لم تكن الحال كذلك، ولا عرف المجتمع الإسلامي في أعتم عصوره ثنائية الشرع والتطبيق، ذهبياً كان ذلك العصر أو غير ذهبي، وأموياً أم عباسياً، فالوجه المُشرق للإسلام لم ينقطع يوماً ولم يتوقف، وإذا كانت طبيعة العصر الذي نحن فيه تقضي بأن يكون البُطء والتردد والتخمين من السمات الملازمة للقرار، فقد وفّر المجتمع الإسلامي على دولته عناء التفكير في الكثير، حين حقق بآلياته العفوية كثيراً من أعمال البِر التي قد تنوء بها الدول.

ولكي لا يبقى حديثنا حُلماً ماضوياً، نُذكّر بأن البداية كانت القرآن نفسه، فقهاً وتفسيراً وتلاوة، وبالحديث ومدارسه، وبمرافق الإطعام والإيواء والإكساء والصحة والتعليم، ولكن ليس من منطلق ربوي ولا خدمات مأجورة، فعلى صعيد الثقافة، كانت مدارس القرآن دُوراً أُنشئت ليحفظ الطلبة فيها القرآن ويُلقنوه على حرف أو حروف متعددة.

وأول مدرسة أُسست قبل جميع المدن الإسلامية كانت في (نيسابور) منذ منتصف القرن الرابع الهجري، وإن كنا لا نعرف عنها الكثير، ولا يوازيها من حيث التأسيس زمنياً إلا دار أخرى هي (الرشائية) التي أُسست بدمشق في أواخر القرن الرابع تقريباً.

(*) كاتب وباحث ليبي / مقيم في سورية

أما بغداد فلم تعرف أول مدرسة بالمعنى الذي ألمحنا إليه إلا في أيام نظام الملك السلجوقي التي عُرفت باسم المدرسة النظامية، وبُدئ التدريس فيها سنة 459هـ ـ كما يذكر ابن الأثير ـ، ولم تشهد القاهرة تأسيس المدارس القرآنية إلا في زمن صلاح الدين خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وكانت المدرسة الناصرية أول مدرسة أُحدثت في الديار المصرية وبدأ بها صلاح الدين سنة 566هـ، وربما جاء بناء هذه المدرسة لخطة بدأها نور الدين زنكي لإثبات المذهب السُّني واستئصال المذهب الشيعي، بعدها توالى تأسيس المدارس، ففي القرن السابع أُنشئت مدرسة ثانية في دمشق هي المدرسة الوجيهية، ثم العمرية التي تخرّج منها عدد لا يُحصى من القراء ـ كما يقول النعيمي ـ ، وسمّى ابن كثير ست مدارس أخرى أُنشئت في القرن الثامن حتى بلغ العدد ذروته في القرن التاسع أيام المماليك، ومن الأمور اللافتة أن أصحاب (التُّرب) وهي المساحات المخصصة للدفن، تطوع أصحابها فجعلوها مثابات لتعليم القرآن حباً في العلم وطلباً للثواب، وكان أصحابها يشترطون أن يُقرأ فيها القرآن ويُعلّم، وإن لم يُطلق عليها اسم «دار القرآن» كتُربة الملك الأشرف الأيوبي التي تولاها عالم ذاع صيته كما جاء في «طبقات القراء»، وتُربة أم الصالح التي شرط أصحابها أن يكون الشيخ القارئ بها أعلم أهل البلد بالقراءات، فإذا مات عنها الشيخ القارئ تولاها من انتهت إليه الرياسة عملاً بوصية المانح، وقد ذكر «ابن الجزري» أن المساجد الكبيرة كالمسجد الأموي ـ مثلاً ـ خرّجت أكثر من ألف نفس ختمها عليهم (إلياس بن علوان)، ومن المفيد التذكير بأن المدارس اكتسبت أسماءها وشهرتها من أسماء مؤسسيها.

لقد أُسست المدارس لتلقي الثقافة الإسلامية الدينية وما يتصل بها من علوم العربية، فكان فيها مدارس للقرآن والحديث وللمذاهب الفقهية الأربعة، وللطب أيضاً.

أما من أسسها وأشرف عليها فلم يكن من غير القادرين بالطبع، لكن هؤلاء إن اختلفوا في مواقعهم الاجتماعية كالملوك والأمراء والولاة وأزواجهم وبناتهم وأخواتهم والتجار والمُوسرين والخواتين والقضاة والعلماء، فقد سوّى بينهم الهدف السامي الذي يُرضي الله ويعود بالخير على الناس.

أما عن الطريقة التي كان يتم بها تمويل تلك المرافق والإنفاق عليها، فلا أظن أن القلق ساور يوماً طالباً أو أستاذاً أو مستخدماً، إذ كان يتولاها نظام بديع هو الوقف الإسلامي بأغراضه ومشاريعه الاجتماعية التي شملت شُعب الحياة كافة، فقد وقف أولئك جميعاً أوقافاً وافرة من الأموال والقرى والضياع والبساتين والحوانيت والخانات «أماكن المبيت للإنسان والحيوان معاً» والقاعات، فدّرت المال الذي يُفرغ المتلقي لطلب العلم، ويُغني الشيخ عن التماس المعاش.

وفّر المجتمع الإسلامي على دولته عناء التفكير في الكثير حين حقق بآلياته العفوية كثيراً من أعمال البر التي قد تنوء بها الدول.

وبرغم أن مدارس القرآن الكريم حققت نمواً سريعاً وصولاً إلى القرن الثامن، لكنها لا تجاري نمو مدارس الحديث أو الفقه، فبينما نجد أن مدارس الفقهاء كانت تتزايد بسرعة خلال عهود النوريين والأيوبيين والمماليك، نجد تزايداً بطيئاً على مستوى المدارس القرآنية، وتعليل ذلك أن الرغبة في تأسيس مدارس الفقه كانت بمنزلة رد فعل، فقد منع الحاكم الناس إلا من الاشتغال بالتفسير والفقه والحديث كما يذكر صاحب (البداية والنهاية)، وذلك كإجراء استثنائي استهدف محو التشيع وتنفير الناس من المذهب الشيعي بعد القضاء على سلطان الفاطميين.

وكان السلاجقة أول من بدأ بتطبيق تلك الخطة

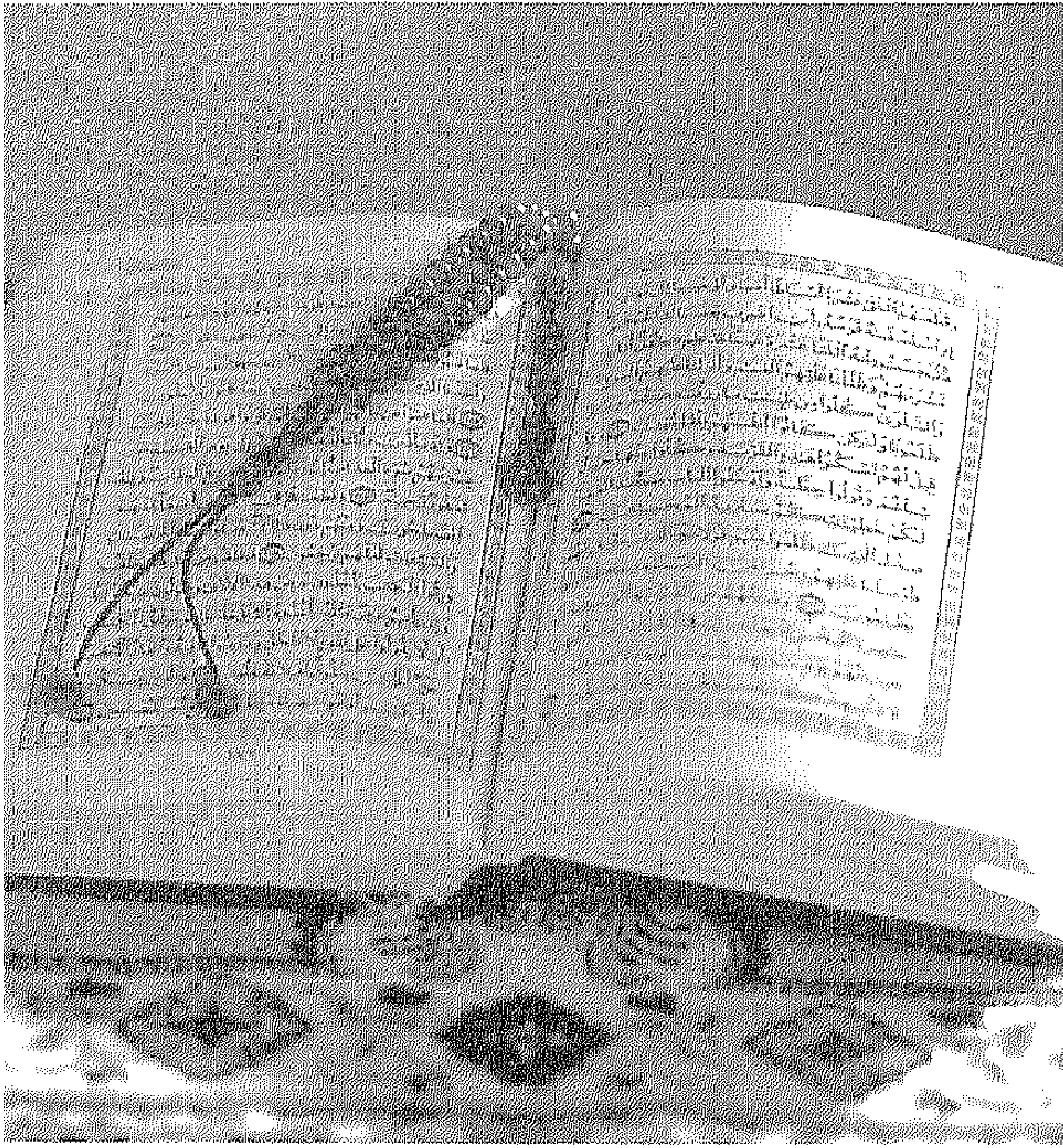
في العراق، ثم اتبعها نور الدين في دمشق، ثم الأيوبيون في مصر والشام، فلم يكن من خطة أفضل من المذاهب الفقهية للقضاء على ذلك المذهب.

وثمة سبب آخر، فمدارس الفقه هذه كانت بمثابة مدارس رسمية تُخرّج العاملين في قطاعات القضاء، وأصحاب المواريث، ووكلاء بيوت المال، وأمناء السر، وما شاكل هذه الوظائف التي كانت تتطلب معرفة تامة بالأحكام، فكان الراغبون في ذلك يُقبلون على التفقه بما سيعينهم إذا نُصبوا في وظيفة ما، لقد كانت مدارس الفقه نواة قديمة لكليات الشريعة والقانون والاقتصاد والاجتماع والإدارة.

وبلغت القراءات في هذه الدُور شأواً عظيماً، وإذا كان أهل المغرب على قراءات ورش وحفص وقالون، كانت بالمقابل قراءات ابن عامر على الجانب الآخر، وقد استمر ذلك حتى القرن الخامس تقريباً، تلاوة وصلاة وتلقيناً، ثم تحوّل الناس إلى قراءة أبي عمرو وظلوا على ذلك إلى حين ظهور الشاطبية والقراءات السبع، هذا إلى جانب قراءة أبي عمرو في الشام والحجاز ومصر.

وبرغم ما أثار النقاد الغربيون حول القراءات والفقه والسُّنة والتفسير من غبار، فقد كذّب الواقع ظنهم، فتلك الدُور انتشرت في كل حي بل وفي كل زقاق على رقعة الأرض الإسلامية، فيما لم تفارق تلك الانتقادات موقعها على الورق، حتى القراءات التي كانت لا تزال موضع جدل أو كانت مهملة أو مجهولة لسبب أو لآخر، فقد أحيا ابن الجزري العمل بها وعبّر عن ذلك في كتابه (النشر) بالقول: «ولما كان من الواجب عليّ التعريف بصحيح القراءات ؛ فقد عمدت إلى إثبات ما وصل إليّ من قراءاتهم وأوثق ما صح لديّ من رواياتهم».

ومع وصول القرن الثامن، وقد خفّت حماسة الناس في المشرق وأصبح الإقبال على هذه العلوم ضعيفاً، وأصبحت الفترة الفاصلة بين القرنين الثامن والثالث عشر شبه مشلولة أيضاً، حتى تولى المصريون والمغاربة الزمام وحملوا مشعل الفقه والحديث من جديد.



يحكي المختصون أن الإدارة العربية لما فكرت في بعث منظومة تشريعية عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى وأفول نجم الامبراطورية العثمانية، حاولت الاستعانة بأكثر من مصدر للتشريع وكان من بين ما عُرض القانون الفرنسي أو النابليوني كما كان يُعرف في حينه، وما أن أنهى الفقهاء المسلمون عملهم ووضعوه أمام المجلس للنظر حتى بدت جميع التشريعات، نابليونية أو رومانية أو خلافها، باهتة ناقصة، أو عاجزة عن مناجزة الفقه الإسلامي، الذي وافق بروحه ونصه ومرونته عين الطلب.

وحين نسأل عن السبب، أو حين ينبري أحدهم للاعتراض : ولكن ما علاقة هذا بذاك..؟

يأتي الجواب: كل العلاقة !! فقد شكّلت تلك المدارس قاعدة فقهية ثقافية، وكوادر علمية قادرة على التكيف مع روح العصر ومتطلبات التغيير، أجل لم تكن تلك الكتاتيب أداة شد إلى الخلف بقدر ما كانت ثقافة شعوب وشخصية أمة.

بقي أن أذكر بأن الذين أعطوا إمضاءهم على الموسوعة الفقهية لم يكونوا رجال دين، بل رجال سياسية وقانون درسوا وتخرجوا في السوربون..؟!

الثقافة والهوية .. بين المفهوم والغاية

عمر ميلاد سلامة*

مصطلح الثقافة تعددت حول تحديد مفهومه الآراء، وتباينت وجهات النظر، عند أهل الذكر وأولي الاختصاص، بتعدد البيئات التي ينتمون إليها، والقيم التي يؤمنون بها، رغم أنه من أكثر المصطلحات الفكرية شيوعاً وتداولاً بين الناس، مثل غيره من المصطلحات الفكرية والأدبية، التي تجري عليها نواميس التطور والتبدل والتجديد، في مدلول لفظه ودلالة معناه، بتطور الزمن وتبدل حياة بني البشر؛ فالثقافة في اللسان العربي، مشتقه من مصدر فعل ثقف - بضم القاف أو فتحها - الشيء إذا فهمه وحذق فيه، حتى صار ماهرا، ثابت المعرفة فيما يحتاج إليه، فطنا ظريفاً خفيفا؛ وأصل كلمة ثقف، جاء من تثقيف الرمح، أي تسويته وإزالة ما علق به من شوائب وعقد، ومنه استعير المعنى - جرياً على سنة التطور الدلالي، للألفاظ والمعاني في اللغة - فصار يعني تثقيف الإنسان، أي صقله وتسويته وشحذ ذهنه، بعلوم ومعارف متنوعة، ليصير أسرع فهما، وأوسع إدراكاً لحقائق الأمور، ومنه جاء تثقيف الكلام أو الحديث، أي فهمه بسرعة فهماً صائباً(1)؛ هذا في مفهومه اللغوي، أما الثقافة في اصطلاح أهل



(*) كاتب /ليبيا

1 - أنظر: أبي الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت - لبنان، ط : 2000 مسيحي.
: جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم للملايين، بيروت. لبنان، ط : 3/1978 مسيحي
: مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، المطابع الأميرية، القاهرة 1994 مسيحي.

الفكر والأدب، فهي مفهوم شامل يعبر عن نظرة الإنسان، للكون والحياة بكل صورهما ومكوناتهما، ومن هنا نجدها تختلف في طبيعتها من حضارة إلى أخرى، حيث لكل بيئة وحضارة خصوصيتهما الثقافية، تتحدد من خلالها هويتها، مصدراً وغاية[2]، وقد ذهبوا في تحديد مفهومها طرائق قدداً، كل عرفها من وحي بيئته، وظروف مكانه وزمانه؛ فهي تعني - من ضمن ما تعني - جملة المعلومات المكتسبة، التي تساهم في إغناء وترقية ملكات الفكر، من خلال تطويرها وتدريبها؛ كما تعني : محصلة المعلومات ومجموعة الرؤى والمفاهيم التي يكتسبها الإنسان؛ خلال مسيرة حياته، بطرق ووسائل متنوعة، ليكوّن من خلالها شخصيته المتميزة والخلاقة، إلا أنها معلومات ورؤى ليست نظرية ولا مبدعة، وإن كانت أحياناً قد تؤدي إلى الإبداع[3]؛ ويعرفها د.رجب أبودبوس، بأنها مجموعة القيم والأفكار، وأنماط التعبير، التي توجه سلوك الإنسان، وتفسر مظاهر الحياة الاجتماعية، وتبرر المواقف والأفعال؛ إنها علاقة جدلية مع الحياة والمحيط، وحوار الإنسان مع واقعه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي[4] وهي عند الشاعرة والأديبة والناقدة العراقية الراحلة (نازك الملائكة): بصيرة وروح وقدرة على الاجتهاد والإبداع[5]. وفي بعض اللغات ذات الأصل اللاتيني[6] مثل الفرنسية، تعني : التربية والعناية - من فعل ربى واعتنى - وهي بهذا المفهوم تقترب من مفهومها في اللغة العربية؛ عكس ما نجده في لغات الإنجلو ساكسوني كالإنجليزية والأمريكية مثلا، حيث نجدها في اللغة أو اللهجة الأمريكية، تعني الحضارة، رغم أن الحضارة مفهومها أعم وأشمل من مفهوم الثقافة، إلا أن تفسيرها بهذا المعنى في اللسان الأمريكي، ربما يرجع إلى كون الحضارة الأمريكية، قد ولدت وترعرعت وتشكل جانبها المادي قبل تشكل جانبها الفكري أو المعنوي، أي قبل أن تكون لها ثقافة تجسدها، مما جعلها تعاني حالة تخلف ثقافي وروحي بين في سلوك مجتمعها.

وكون مفهوم أو معنى الحضارة أعم وأشمل من مفهوم الثقافة، فذلك لأن العلاقة بين الحضارة والثقافة، هي علاقة شامل بمشمول، أي أن الحضارة تشمل جملة المنجزات المادية والمعنوية، التي تبلغها الأمة معاً[7]. والثقافة من جهة أخرى، مسألة ذاتية يكتسبها المرء بالممارسة وكثرة القراءة والإطلاع، ومداومة التحصيل، بعد نيل قدر من التعليم، فهي كما قال الأديب الفرنسي، أندريه مالرو 1901 ـ 1976 مسيحي: ما يأتي فيما بعد؛ أو هي كما قال ابن موطنه الأديب، إدوار هريو ـ 1872 ـ 1975 مسيحي : ما يبقى بعد أن ننسى كل شيء[8]؛ أي أن الإنسان يتعلم أولاً ثم يتثقف، وقد ينسى ما تعلمه، إلا أنه لا ينسى ثقافته، لأنها أكثر ثباتاً في ذاكرته، وأعمق أثراً في حياته، من العلم، فالتعلم جمود، لأنه حفظ للمعلومات دون قدرة على الابتكار، والمتعلم تابع[9]. كما أن الثقافة تتميز

2 ـ أنظر: د./آجقو علي، الثقافة العربية الإسلامية وتحديات العولمة، مجلة الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى، عدد: 21/2004 مسيحي، ص: 285ـ316.

3 ـ أنظر: د./إحسان هندي، كلمة في الثقافة، مجلة العربي الكويتية، عدد: 228/1977 مسيحي، ص : 24 ـ 27.

4ـ أنظر : د./رجب أبودبوس، مواقف 9، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الجماهيرية العظمى، ط : 1998 مسيحي، ص : 5 ـ19.

5 ـ أنظر : نازك الملائكة، التجزيئية في المجتمع العربي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط : 2/1980 مسيحي، ص :176ـ 182.

6 ـ لغة الرومان القدامى، الذين ينسبون إلى مدينة روما، عاصمة إيطاليا حاليا، وحاضرة الإمبراطورية الرومانية منذ ما قبل الميلاد؛ واللاتين هم سكان إيطاليا قديما، نسبة إلى مدينة لاتينا الحالية، الواقعة بإقليم لاسيوم الإيطالي، واللاتين اسم يطلق على المسيحيين الكاثوليك. أنظر معجم المنجد في اللغة والأعلام. ط : 39/ دار المشرق ـ بيروت ـ لبنان، وكذلك المعجم الوجيز (مرجع سابق).

7 ـ انظر : د./إحسان هندي، كلمة في الثقافة. (مرجع سابق).

8 ـ انظر : د./إحسان هندي، كلمة في الثقافة. (مرجع سابق).

9 ـ نازك الملائكة، التجزيئية في المجتمع العربي، (مرجع سابق).

بالشمول والديمومة، دون أن يتعارض ذلك مع طابعها الوطني، واختصاصها بقوم أو جماعة معينة من البشر، وتلازمها مع التراث، وارتباطها به ارتباطاً عضوياً ووثيقا، تتوارثها الأجيال، جيلاً بعد جيل، لتحمي بها هويتها وقيمها، باعتبارها حصن التراث الحصين، وخط الدفاع الأول عنه، في مواجهته لموجات الغزو العاتية، وعوامل التهميش والإقصاء، والإنكار والتغريب العديدة، ومن هنا فإن الثقافة لا تكون ولن تكون ثقافة حقيقية، إذا لم تحافظ على خصوصيتها وتميزها، وأن تكون أصيلة بيئتها وقيم قومها، متشبعة بتراثها الوطني، دون أن يتعارض ذلك مع قانون التطور، ومقتضيات العصرنة والتجديد، وتأثرها بالثقافات الأخرى، وتأثيرها فيها، وتلاقحها معها؛ وهذا أيضاً لا يلغي ولا يتعارض مع مبدأ، أن لكل حضارة خصوصيتها الثقافية، التي تتحدد من خلالها معالم هويتها؛ وقد عرف قاموس أكسفورد الثقافة بأنها : الاتجاهات والقيم السائدة في مجتمع معين، كما تعبر عنها الرموز اللغوية، والأساطير والطقوس والشعائر، وأساليب الحياة، ومؤسسات المجتمع التعليمية والدينية والسياسية، من خلال التنشئة الاجتماعية(10).

وللثقافة معان، منها : ـ

أولاً : معنى إنساني خاص، يتعلق بما ينتجه العقل أو الخيال البشري، لصقل الذهن وتهذيب الذوق والسلوك، وعلى هذا تكون الثقافة مسألة ذاتية يكتسبها الفرد وأساسها مداومة صقل الذات لتبلغ أعلى مراتب المعرفة، وهذه لا ينالها إلا الخاصة من القوم ممن لهم إرادة وطموح.

ثانياً : معنى شعبي، وهو ما يمكننا أن نسميه ثقافة الشارع أو السوق، التي ليس لها ضوابط أو اشتراطات، وليس لها أية أهداف، أو مضامين، ومع ذلك تعد الأكثر رواجا، والأسرع قبولا، لدى العامة من الناس، وعلى نطاق واسع، ومن أهم ميزاتها، أنها تعتمد على الإثارة والتشويق، ودغدغة المشاعر، ومن أمثلتها ألوان الطرب الشبابي الخفيف ـ أغاني الشباب التجارية ـ السائدة الآن في أغلب القنوات الثقافية، وكذلك الغناء الشعبي، وبعض الأعمال الفنية (الكوميدية) الفكاهية أو المهرجة، وفنون الخطابة والإلقاء الديني والسياسي، الذي يتوجه به أصحابه إلى العامة، بأسلوب لغة قضاء الحوائج (اللغة الدارجة) لكسب ودهم ونيل نصرتهم.

ثالثاً: معنى كلي عام، يشمل منظومة القيم والمعارف والمفاهيم، العرفية، والدينية والأخلاقية، والآداب والفنون، وكل ما يكتسبه الإنسان، بوصفه فرداً في المجتمع؛ وعلى هذا الأساس يكون معنى الثقافة شاملاً وبطيء التحصيل، إلى حد تكون معه الثقافة جامدة وساكنة، وبالذات في المجتمعات التقليدية المحافظة، لاعتمادها على التوارث الآلي، واكتساب الفرد لها، يكون من خلال انتمائه للمجتمع، وبالتالي فهي تمثل نقطة بداية حياته، وعليه أن يتقبلها كما هي، بكل قيمها واتجاهاتها.

❖ أما المثقف، فهو ذلك الإنسان الذي يعرف شيئاً عن أي شيء، والساعي دائماً إلى تطوير ذوقه وحسه النقدي باستمرار، المحب للمعرفة، المتذوق لكل ألوان الفنون والآداب، والمعارف والعلوم، وله القدرة على تقييمها، والتمييز بين الغث والسمين فيها، والرفيع والهابط منها، وهو المستخدم لملكة عقله وخياله، في إبداع الجديد والأفضل(11) وتتميز طبيعة المثقف عن غيره من أفراد المجتمع، بتطلعها الدائم نحو تحقيق صورة جميلة لمستقبل مجتمعه،

10ـ انظر : د./إحسان هندي، كلمة في الثقافة (مرجع سابق).

11ـ انظر : د./إحسان هندي، (المرجع السابق).

فهو الموجه له بفضل ما يملك من علم وإدراك شخصي، ونور عقلي يستنبط به المعاني، ويهتدي به إلى القيم[12].

❖ لقد أثبتت وقائع التاريخ، أن أعظم المثقفين ـ مفكرين وفلاسفة ـ، قد سبقوا بأفكارهم زمنهم، ليمهدوا الطريق أمام حصول تحولات حاسمة، في مسيرة مجتمعهم، بل في مسيرة البشرية كلها، مثلما هو الحال عند مفكري عصر الأنوار في أوروبا، الذين مهدوا الطريق بأفكارهم، لحدوث تحولات كبرى وعظيمة في مجتمعاتهم، بعد أن هيئوا العقول لتقبلها؛ وقد كان من أبرز تلك التحولات في أوروبا ثورة عام 1789 مسيحي الفرنسية. ومن جهة أخرى فإن وعي المثقف وتفكيره، كان دائماً متجاوزاً إطار واقعه، وما هو محقق فيه من الوعي، إنه متمرد على القيم السائدة، منطلق إلى ما هو أفضل وأبهى، وأجمل من الحاضر، وقد لا تتحقق تصوراته إلا بعد عقود من الزمن، وربما قرون، ومن هنا كانت إحدى صور التأزم الثقافي ـ في أي مجتمع ـ ناجمة عن عجز الواقع على مواكبة الفكر، باعتبار أن الفكر هو الأكثر مرونة، والأقدر على التحرك إلى الأمام نحو المستقبل، متجاوزاً الواقع، ولذلك ارتبط مفهوم التأزم، بمفهوم الثقافة، وتلازم معها، حيث لكل مرحلة من مراحل التاريخ الإنساني، أزمة ثقافية خاصة، ملازمة لكل المجتمعات، عبر مراحل تطورها، إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة، عدم حصول تحولات اجتماعية أخرى، قبل حصول تحولات في عقول وأفكار الناس وقيمهم، وأساليب تفكيرهم وسلوكهم، بدليل حدوث أزمات ثقافية عميقة، غالباً ما تلازمت مع أي تطور حضاري مادي نتج عنها تصادم بين الفكر والواقع، إلا أنها تعد ظاهرة إيجابية، تدل على وجود وعي سليم بالظروف المحيطة، وإحساس مرهف لدى الإنسان[13].

❖ أما من حيث طبيعة العلاقة بين الثقافة والعلم، فإنها علاقة الكلي بالجزئي، والعام بالخاص، والشامل بالمشمول، والغاية بالوسيلة، حيث الثقافة أشمل وأعم من العلم، فهو وسيلة وهي غاية، كما أن العلم ليس له وطن ولا جنسية، باعتباره تراثاً إنسانياً عاماً، لا ينسب لأي أمة بعينها، عكس الثقافة التي لابد أن تكون لها هوية، ووطن، وجنسية، تنتسب إليها.

الثقافة من جهة أخرى، مسألة ذاتية يكتسبها المرء بالممارسة وكثرة القراءة والإطلاع، ومداومة التحصيل، بعد نيل قدر من التعليم.

والعالم غير المثقف، إنه من يعرف كل شيء عن شيء معين، وهو الإنسان المتخصص في فرع من فروع العلم والمعرفة، وليس بالضرورة، أن يكون العالم مثقفا، وإن كان الأفضل فيه أن يكون كذلك؛ ومن المفيد في هذا المقام، أن أشير إلى أن الدراسات والأبحاث العلمية، التي أجريت حول علاقة الثقافة ببعض أمراض الشيخوخة، قد أكدت على وجود صلة بين صفاء الذهن، ونشاط الذاكرة في خلايا دماغ الإنسان، وسعة ثقافية، حيث تبين للباحثين، الذين درسوا هذا الجانب من العلاقة ـ من الناحية البيولوجية ـ أن الثقافة تؤمن للإنسان المثقف قدراً من التوازن، وصفاء الذهن، وتهذب نفسه، حتى تصل بها إلى أقصى درجات السمو والكمال، الذي يمكن

12 ـ انظر : نازك الملائكة، التجزيئية في المجتمع العربي، (مرجع سابق).
13 ـ انظر : عبد الله باه، التأريخ وأزمة الهوية، جمعية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى، ط : 2000 مسيحي، ص : 143 ـ 148.

تصوره في الإنسان، وأن ذاكرة المثقف غالباً ما تظل محافظة على نشاطها الذهني، وتعيش أطول مدة ممكنة، عكس ذاكرة أترابه من غير المثقفين، عندما يتقدم بهم العمر، وتشيخ خلايا الدماغ عندهم، أو تصاب بداء الخرف ـ الزهايمر ـ [14].

❖ أما علاقة الثقافة بالهوية، فإن الثقافة الأصيلة، تعد هي السد المنيع والحصن الحصين، الذي يصون الهوية ويحميها من كل عوامل التشويه، والمسخ، والإقصاء؛ وهي المبرزة لها أمام الآخر، في أجمل صورها، وأبهى حللها. فإذا كانت الهوية تعني ـ في أبسط معانيها ـ الإجابة عن سؤال: من نحن؟ ومن أنت؟ ومن هو؟ ومن أنا؟ ومن هم؟! فإن الإجابة عن هذه الأسئلة، يحددها مفهوم الثقافة عند كل أمة.

لكل حضارة خصوصيتها الثقافية، التي تتحدد من خلالها معالم هويتها.

والهوية ـ من جهة أخرى ـ تعني مجموع العناصر، الداخلة في المركب الروحي والاجتماعي والنفسي للأمة، والذي من ضمنه اللغة، والمعتقد الديني، ومنظومة العادات والتقاليد.. إلخ، كما أن الهوية هي: الحقيقة المطلقة، في الأشياء والأحياء، المشتملة على الحقائق المطلقة، والصفات الجوهرية؛ يقال: هُوية النفس الإنسانية، وبطاقة الهُوية نسبة إلى الضمير هو[15]. وفي مقام العلاقة بين الثقافة والهُوية يؤثر عن الرئيس الفرنسي الراحل، فرنسوا ميتران (1916ـ1995 مسيحي) قوله: من فقد ثقافته وهُويته فقد سيادته واستقلاله. وأن طغيان ثقافة واحدة يعتبر تهديداً للدين وجوهر الهوية، كما يقول دافيد روتكويف[16]. ويرى صاحب صدام الحضارات ـ هنتينغتون ـ ونتفق معه في رأيه هذا ـ أن الهوية، تعد من أكثر الأشياء التي لها معنى عند الإنسان، ولهذا سيدور عليها الصراع، في المستقبل بين البشر[17]. كما أن الانخراط في العصر، دون هوية واضحة، يعني الضياع الحتمي، مثلما أن التأقلم، أو التعايش، مع أي ثقافة وافدة، يعني اغتراباً مشيناً، وانسلاخاً فظيعاً عن الهوية، من يقبله يصير مثل البعير الأجرب، وأي أزمة تتعرض لها أية أمة أو مجتمع تعني أنها تعاني أزمة هوية، إلا أن المبالغة في تمجيد الذات وتقديس التراث، بدعوى الحفاظ على الهوية، قد يكون سبباً في إضاعتها، من خلال إفقادها حوارها مع الواقع، ويقزم الحاضر والمستقبل، ويحقرها هي[18]؛ باعتبار أن التنوع في حياة بني البشر، بل في كل عناصر الكون، ومن ضمنها الطبيعة الصماء، والحيوانات البكماء، يعد أساس بقاء الكون كله، لأنه يحفظ توازنه، ويعطي للحياة فيه طعماً حلوا، ومذاقاً طيبا، وشكلاً جميلاً رائعا؛ وبذلك اعتبر القانون الدولي، من ضمن ما اعتبر في هذا المقام، التنوع الثقافي، مبدأ من المبادئ التي أكد عليها في المادة الأولى من إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي، التي نصت على أنه: لكل ثقافة كرامتها وقيمتها، التي يجب احترامها، والمحافظة عليها، وأنه من حق، بل وواجب، أي شعب العمل على تنمية ثقافته، وبذلك فإنه، ووفق مفهوم هذا المبدأ الأممي، يصير أي

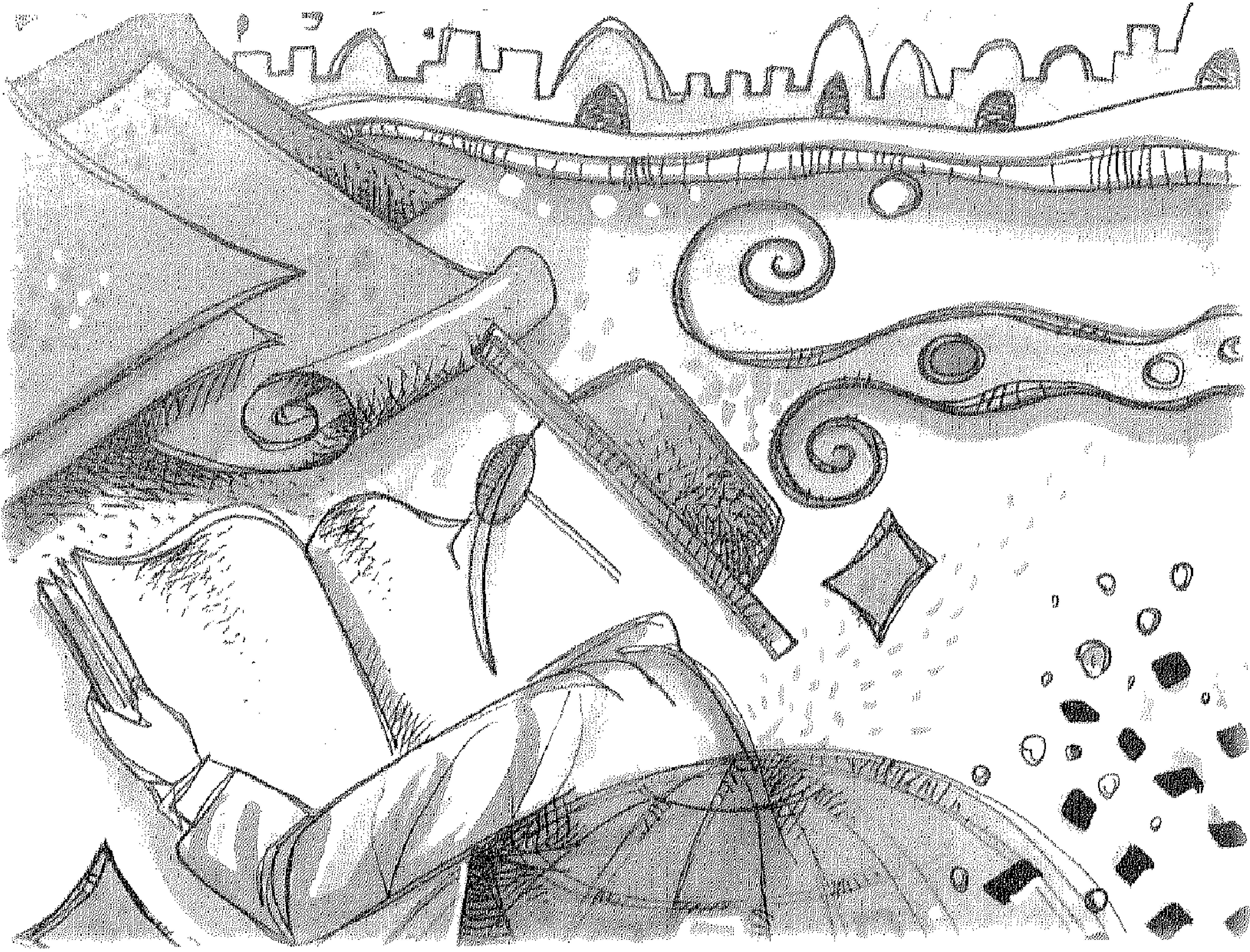
14 ـ انظر : د./إحسان هندي، كلمة في الثقافة... (مرجع سابق).

15 ـ انظر : عبد الله باه، التأريخ وأزمة الهوية، (مرجع سابق).

16 ـ أنظر : د./آجقو علي، الثقافة العربية الإسلامية وتحديات العولمة، (مرجع سابق).

17 ـ أنظر : صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الجماهيرية العظمى / 1999 مسيحي.

18 ـ أنظر : د./رجب أبودبوس، مواقف 9، (مرجع سابق).



تصرف يهدف إلى تشويه أو مسخ أو إقصاء أي ثقافة، عملاً من أعمال العدوان، على القيم والمبادئ الإنسانية[19].

إن واقعنا الثقافي، كعرب أولاً، ومسلمين ثانياً، لا شك أنه يعاني حالة تأزم، في منهجه، وأدواته، جعل الساحة الثقافية تعيش في ركود عميق، لا يمكن لأحد منا إنكاره أو إخفاؤه، وقد أخذ منذ مدة يلتف حول خنّاق ثقافتنا، حتى ليكاد يجتثها من جذورها، إذا ما ظل الحال على ما هو عليه الآن، من العبث واللامبالاة، أو عدم تقدير المسئولية، من قبل أصحاب الشأن، وأهل الذكر، الذين أراهم يتفرجون غير مبالين، أمام كل عوامل الإقصاء، أو مظاهر التغريب، ومعاول الهدم، التي تواجهها ثقافتنا، بصور وأشكال متعددة، طالت حتى المنابر، التي يفترض أنها جعلت لحمايتها، والدفاع عنها، وفي معركة شرسة ضروس، غير متكافئة، والأغرب ما فيها أن جل أعتديتها، من صنع أيدينا لا أيدي سوانا، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى، ومن ضمنها: أننا لم نحسن اختيار أدواتنا الثقافية، وتوظيف إمكانياتنا الذاتية كما يجب، بعيداً عن الحسابات الأنانية الآنية، ومجاملات اللف الرخيص، في اختيار العناصر الكفؤة، لإدارة وتسيير مرافقنا الثقافية، ومنابرنا الإعلامية.

إن خلق ثقافة قادرة على إنتاج وعي سليم، يواكب العصر، ولا ينسلخ عن الذات، أو يخاطر بضياعها، لن يكون أبدا، بالتقوقع إلى الوراء، أو الانكفاء على الذات، والعودة إلى الماضي البعيد، ولا بالاندماج الأعمى في الحاضر، انبهاراً بأباريقه الزائفة، بلا وعي ولا ترتيب محكم، وإنما يكون باستيعاب الحالتين معا، وبعقلية مستنيرة ومتحررة من كل العقد والأحكام المسبقة على الآخر، عقلية ترى في الحاضر امتداداً للماضي، واستشرافاً لمعالم المستقبل؛ بذلك فقط، يمكن أن تعاد لثقافتنا كرامتها، التي ديست وتداس أمام أعيننا، صباح مساء، بسنابك خيل الأعداء، وأحذية أرجلنا أيضا، حيث صار بعض من الجهلة والسطحيين، من قومها، يرمونها بالعقم، وهي منه براء، تتحين فرصة يصحوا فيها قومها من

19 ـ أنظر: د./أجقو علي، الثقافة العربية الإسلامية وتحديات العولمة، (مرجع سابق).

سباتهم، وتعود لهم الثقة بأنفسهم، لتسترد هي عافيتها، حتى تصير قادرة على الصمود والبقاء، أمام موجات الغزو العاتية، فتحافظ على هوية قومها، دون المخاطرة بإضاعة الذات، أو فقد التواصل مع الثقافات الحية الأخرى، كما أن مسألة تحريك الثقافة، وجعلها فاعلة، ليست مسألة أدوات فقط، بقدر ما هي مسألة تحرير العقول من أسر الانغلاق على الذات، بل إن الإكثار من الأدوات، دون السيطرة عليها، وضبطها، والوعي بها، سيؤدي إلى نتائج عكسية[20].

إن من أبرز وأهم عوامل ازدهار الثقافة أن تتوفر لها:

أولاً: وضوح المنهج، وتحديد الهدف، حول أي عقلية نريد بناءها في الإنسان؟ هل هي عقلية طيعة، وخاضعة مستسلمة، لا تسأل ولا تنتقد، بل تراوح مكانها؟ أم عقلية متمردة على الواقع، قادرة على التطلع إلى الأمام، نحو المستقبل ؟

خلق ثقافة قادرة على إنتاج وعي سليم، يواكب العصر، ولا ينسلخ عن الذات، لن يكون أبداً بالتقوقع إلى الوراء، أو الانكفاء على الذات.

ثانياً: إسناد أمر إدارة مؤسسات الثقافة، والإشراف عليها، ومتابعتها، إلى كفاءات متخصصة، مؤمنة بها، لا إلى أدمغة ضحلة، وعقول متحجرة، ونفوس ضعيفة، خاوية على عروشها، عاجزة حتى عن إدراك ذاتها، والتعبير عنها، لأن مثل تلك الأدمغة، والعقول، والنفوس، إن لم تشوه الثقافة، عملت على تحريفها، وانحرافها.

ثالثاً : أن لا تفرض على الناس أية قيود تحد من حرية تفكيرهم، أو التعبير عن أنفسهم، وطرح آرائهم، في إطار ضوابط موضوعية، تراعي فقط ثوابت قيم المجتمع.

إلا أن هذه العوامل الثلاثة غالباً ما تصطدم بقيود السلطة في أي مجتمع، والتي ليست سلطة السياسة وحدها، كما يتبادر إلى ذهن الكثيرين، بل قد تكون:

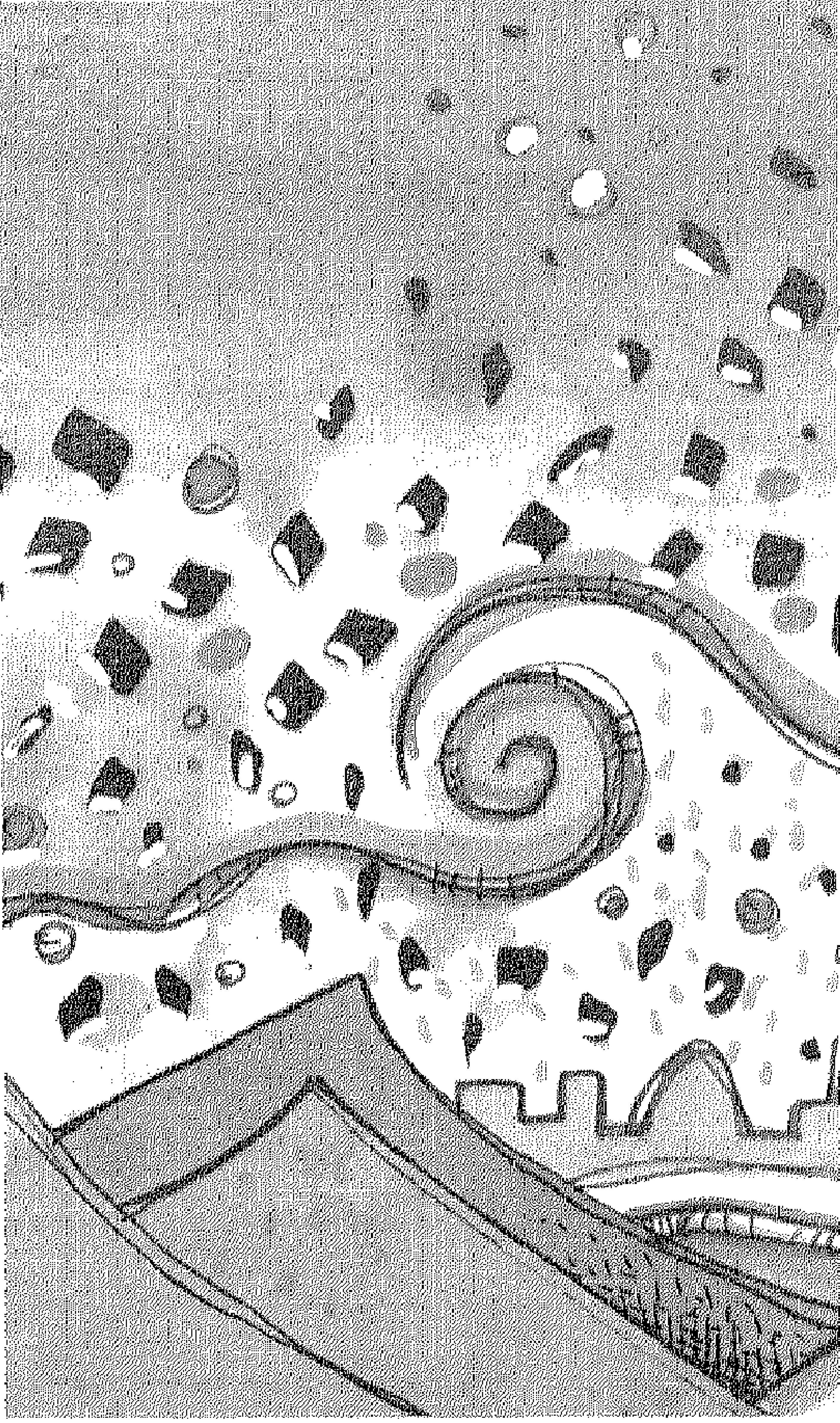
1 ـ سلطة العرف الاجتماعي: المتمثلة في منظومة العادات والتقاليد الموروثة، التي تعارف عليها الناس، وهذه غالباً ما تشكل عامل قمع، أو أداة كبح للثقافة، باعتبار أن العادات والتقاليد، تتسم بالثبات والمحافظة، والتمسك بالوضع القائم، الموروث عن الماضي، إلى حد يجعلها لا تشعر بوجود أزمة، أو تأزم في الثقافة، محاولة الإبقاء عليه، والتشبث به، لأنها ترى فيه زمن عز وازدهار؛ وبذلك نجدها تناصب الثقافة العداء، بل تدخل معها في صراع طويل ضد أي إبداع أو تجديد ثقافي، رغم أن الإبداع أو التجديد الثقافي، لا يتصارع مع القيم السائدة، من باب العداء لها، بل من أجل جعلها تواكب مراحل التطور نحو الأفضل.

2 ـ سلطة رجال الدين: ـ الثيوقراط ـ، الذين يطوعون الدين للسياسة، ويحكمون الناس باسمه، ـ وهم طبعاً غير فقهاء الدين ـ وسلطتهم الدينية تلك تعد هي الأشد خطراً على الثقافة، والأكثر تأثيراً فيها، سيما وأن صراعها مع الثقافة، غالباً ما يأخذ طابعاً حاداً وعنيفاً، لأنها تحتكر لنفسها، حق تفسير الدين وفق رؤيتها له، التي لا تخرج عن إطار مصلحتها، ومفهومها للحياة، دون أن تسمح لأي رأي يخالفها، مهما كان صائبا، وهي سلطة تتسم بالانغلاق والظلامية، بزعم حماية العقيدة من الانحراف، والدفاع عن الموروث من القيم، وهي في الواقع انحرفت بالدين، وأفسدت الموروث من القيم، بقصد أو دون قصد.

20 ـ أنظر : د./ رجب أبو دبوس.

3 ـ السلطة السياسية ودهاليزها: والتي غالباً ما تعمل جاهدة على فرض رأيها، ورؤيتها على الناس، وأنماط تفكيرهم، وألوان تعبيرهم الثقافي، معرقلة، بل قامعة أي رؤية تخالفها، بطرق ووسائل كثيرة، قادرة على خلقها، وتبريرها، ومن هنا كان الطغيان السياسي لا يرى من صالحه تطور الحس النقدي والذوق السليم عند الأفراد، مما نتج عنه ركود في الثقافة[21].

4ـ سلطة العلم : المتمثلة في إشكالية التوفيق بين ازدواجية مفهوم العلم، في إطاره الجزئي، ومفهوم الثقافة في شمولها، لتحقيق نمو متكامل للمكات وقدرات الإنسان، وتلك إشكالية واجهت وتواجه المجتمعات المتقدمة صناعياً، أكثر من غيرها. في محاولاتها التوفيق بين موقف العقل والروح، إزاء الآلة، وطغيان التقدم العلمي (التكنولوجي) السريع، الذي حول الإنسان إلى سلعة تجارية تباع وتشترى، أو ترس في آلة صماء[22]، ومن هنا وجدت الثقافة نفسها في صراع مع كل هذه السلطات وغيرها، القامعة لها، مثلما وجد إنسان الحضارة الغربية ذات الطابع المادي الصرف، نفسه مخلوقاً متوحشاً، وإن كان في صورة آدمي، بخدود وردية، كما يقول بعض فلاسفة الغرب نفسه، وإذا كان العرب، والمسلمون عموماً، وحدهم من يمتلك ثاني أهم عاملين أساسيين لصنع الحضارة وبناء التقدم، كما حددهما الرئيس الأمريكي الراحل، رتشارد نيكسون (1913ـ1994 مسيحي) في كتابه: انتهزوا الفرصة!، ـ والفضل، كما تقول العرب، ما شهدت به الأعداء ـ ويعني به الثقافة الروحية أو الأيديولوجيا، وهذه يقر، نيكسون، بأن قومه لا يمتلكونها. والعامل الثاني : هو التكنولوجيا[23]، فهل



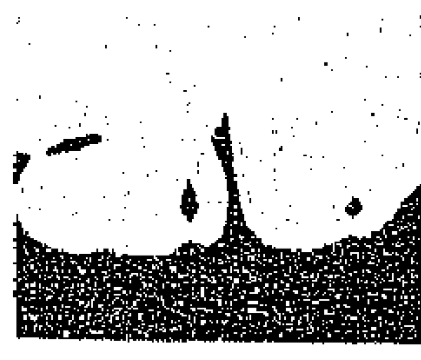
عندنا من يعي هذه الحقائق كما ينبغي الوعي بها؟! هذا ما لا أستطيع أن أجزم في الإجابة عنه، بنعم أو لا، في زمن اختلت فيه عند قومي كل الموازين، وأفضل ترك الأمر للقراء الأعزاء، فالله وحده يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون، وإن كنت أعتقد أن حقيبة الثقافة، في بلادي هي الآن في يد أمينة، قادرة على تحريك الواقع الثقافي نحو الأفضل، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ولو في هذا الجزء من عالمنا الإسلامي، ووطننا العربي، إذا ما توفر لها الدعم اللازم، ومنحت الوقت الكافي، لإنجاز برامجها فهل يكون لها ذلك ؟!

---

21 ـ أنظر : د./ رجب أبو دبوس، تبسيط الفلسفة، ط : 1996 مسيحي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ـ الجماهيرية العظمى، ص،ص: 50ـ53.

22 ـ أنظر : د./ آجقو علي، (المرجع السابق).

23 ـ انظر : د./صلاح الدين النكدلي، قراءة في كتاب نيكسون: انتهزوا الفرصة !، الدار الإسلامية للإعلام، بون ـ ألمانيا / 1993 مسيحي.



التعايش السلمي بين العقائد والثقافات

نظرة إسلامية

محمد السعدي *

يعيش المسلمون اليوم مع غير المسلمين في كل بلاد العالم الذي تتعدد فيه العقائد والثقافات والأعراق، والذي أصبح قرية كبيرة واحدة بسبب تقدم المواصلات والاتصالات، ويشجع على ذلك أن دين الإسلام الحنيف ينظر إلى البشرية كلها - على اختلاف ألوانها وأجناسها وعقائدها - باعتبارها أسرة كبيرة واحدة، أفرادها إخوة وأخوات، أبوهم واحد هو آدم - عليه السلام -، وأمهم واحدة هي حواء، كلهم من تراب وإلى التراب يعودون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحُجرات: الآية 13]

وفي ذلك دعوة إلى أن يتعارف المسلمون مع غير المسلمين، وأن يتعايشوا معهم كإخوة في أسرة واحدة تربطها وشائج المحبة والأخوة الإنسانية. إن البشر جميعا على اختلاف أجناسهم وعقائدهم كرمهم الله كجنس بشرى، فالإسلام إذن يريد المسلمين أن يعاملوا غير المسلمين باحترام يليق بكرامة الإنسان، وفى أدب النبوة نقرأ أن جنازة يهودي مرت أمام الرسول ﷺ فقام لها واقفا، فقالوا : إنها جنازة يهودي؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أليست نفساً؟.

ولما اعتدى ابن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - على القبطي الذي سبقه، فضربه، أمر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن يقتص القبطي من ابن عمرو، وأن يضربه كما ضربه، وقال لعمرو بن العاص: يا عمرو ! متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟. والمسلمون يتمنون الخير والهداية لغير المسلمين، ولا ينبغي للمسلمين أن يدعوا على غير المسلمين جميعا بالهلاك، بل على الظالمين والمعتدين منهم فقط، إن استدعى الأمر ذلك، والرسول ﷺ كان يدعو لقومه المشركين بالهداية فيقول: (اللهم اهدي قومي فإنهم لا يعلمون). والحق أن كثيرا من غير المسلمين لم يدخلوا في دين الإسلام لأنهم لم يعرفوا الإسلام الحقيقي وهم ضحايا تضليل الإعلام، وضحايا تقصير المسلمين في الدعوة إلى الدين، وممارساتهم المخالفة لهدي القرآن الكريم وسنة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام.

الإسلام دين السلام

والإسلام هو دين السلام والتسامح يحرم العدوان، ويعلم المسلمين أن يعيشوا بسلام مع جميع الناس طالما أنهم لهم مسالمون، ولا يضطهدون المسلمين :

(*) إمام مسجد المركز الإسلامي / مالطا

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[سورة البقرة: الآية 190]

فالإسلام يحرم قتل المسالمين المعاهدين من غير المسلمين والرسول ﷺ يقول: (من قتل معاهدا في غير كنهه - أي بغير حق - حرم الله تعالى عليه الجنة) والقرآن يقرر أن الله تعالى خلق الناس أحرارا وتركهم أحراراً، يختارون الدين الذي يشاءون بإرادتهم الحرة، لأنهم مكلفون ومحاسبون، ويتحملون مسؤولية الاختيار في الدنيا والآخرة. والقرآن يحرم إكراه غير المسلمين أو تهديدهم أو الضغط عليهم ليعتنقوا الإسلام لأن ذلك معارضة لمشيئة الله الكونية في حرية الاختيار وحرية الاختلاف، والرسول ﷺ دعا الناس إلى الإسلام، لكنه لم يجبر أحدا على اعتناق الإسلام، بل عاهد يهود المدينة وتركهم على يهوديتهم، وعاهد نصارى نجران وتركهم على نصرانيتهم، وعاهد مجوس هجر وتركهم على مجوسيتهم. والمسلمون ساروا على هدي القرآن الكريم ولم يكرهوا أحدا على الدخول في الإسلام، ووجود الملايين من غير المسلمين في بلاد الإسلام خير شاهد على سماحة الإسلام. والمسلمون مكلفون أن يبلغوا دعوة الإسلام لغير المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة، وهداية الناس إنما هي بيد الله وحده يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وكما أن الإسلام يبيح لغير المسلمين أن يحتفظوا بعقيدتهم فإنه كذلك يبيح لهم ممارسة شعائر دينهم، ويبيح لهم بناء معابدهم وكنائسهم، ويأمر المسلمين باحترام مقدساتهم، والمحافظة على أماكن عبادتهم، بل إن الإسلام يبيح الحرب من أجل صيانة حرية الأديان وحماية أماكن العبادة لكل الديانات. والفاتحون المسلمون ساروا على هدي القرآن الكريم ولم يهدموا كنائس النصارى، وما يزال بعضها موجودا منذ الفتح وإلى يومنا هذا. ومعلوم أن عمر - رضي الله عنه - منح نصارى القدس العهدة العمرية التي جاء فيها : ز هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء - أي القدس - من الأمان: أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم ز شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان.

الإسلام هو دين المعاملة الطيبة والمعاشرة الحسنة، ودين البر والإحسان والرحمة لبني الإنسان.

الإسلام دين التعاون والتضامن

والإسلام هو دين التعاون والتكافل، يدعو المسلمين إلى أن يتعاونوا مع جميع الناس، في سبيل الخير والمعروف، من أجل تحقيق المصالح المشتركة والمنافع العامة وتحقيق السعادة لجميع الخلق على اختلاف أجناسهم ومعتقداتهم، وأن يكونوا نافعين لجميع البشر، فاعلين للخير مع المسلم وغير المسلم والرسول ﷺ شهد - وهو غلام - حلف الفضول الذي تعاهدت فيه خمس قبائل في الجاهلية على أن يأخذوا للمظلوم من الظالم، وللضعيف من القوي، وللغريب من القاطن، وفيه يقول الرسول ﷺ: (شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت، شهدت غلاما مع عمومتي حلف المطيبين - حلف الفضول - فما يسرني أن لي حمر النعم وأني أنكثه). والرسول ﷺ وادع يهود المدينة وعاهدهم على الدفاع المشترك عنها وعن جميع سكانها من المسلمين واليهود ومن سواهم. وملايين من المسلمين اليوم يعيشون في بلاد غير إسلامية، وملايين من غير المسلمين يعيشون في بلاد الإسلام، فينبغي أن يتعاونوا معا على تحقيق العدل ومحاربة الظلم، وتحقيق التعايش السلمي، ومحاربة التعصب والكراهية والعنصرية، وتحقيق الكفاية، والقضاء على الجهل والمرض والفقر، وعلى تعزيز الفضيلة ومحاربة الرذيلة، وتأمين الحياة

الآمنة الكريمة لكل الناس، والمحافظة على منجزات الحضارة الإنسانية.

إن الإسلام هو دين العدل والإنصاف، يأمر المسلمين أن يكونوا عادلين مع المسلمين وغير المسلمين، والقرآن يدعو إلى القسط في معاملة غير المسلمين طالما أنهم لا يعتدون على المسلمين، يقول تعالى:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة: الآية 8]

ولقد أنزل الله تعالى آيات من القرآن الكريم دفاعا عن يهودي اتهم ظلما بالسرقة في عهد الرسول ﷺ ليعلم المسلمين في كل زمان ومكان أن يكونوا عادلين ومنصفين مع جميع الناس، وأن لا ينقادوا للعواطف ولا يميلوا للهوى. والآيات المتعلقة بهذه الحادثة في سورة النساء كثيرة منها قوله تعالى مديناً السارق الحقيقي الذي ألصق التهمة باليهودي:

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [سورة النساء: الآية 112]

كما أن الإسلام هو دين المعاملة الطيبة والمعاشرة الحسنة، ودين البر والإحسان والرحمة لبني الإنسان، ودين الألفة والوحدة والتفاهم والانسجام بين مختلف فئات المجتمع وأتباع الأديان، والقرآن الكريم يدعو المسلمين إلى بر الذين يخالفونهم في الدين، الذين هم لهم مسالمون. ومن برهم أكل طعامهم ودعوتهم إلى الطعام والزواج من نسائهم إن كانوا من اليهود والنصارى، وكان أحد الصحابة إذا ذبح يقول لخادمه: ابدأ بجارنا اليهودي بإعطائه من اللحم. ومن برهم تقديم العون لهم وإطعام جائعهم وإكساء عاريهم، ومن برهم زيارة مرضاهم ومشاركتهم في أفراحهم ومواساتهم في أحزانهم. وقد ورد في أخبار الصحابة رضي الله عنهم أنهم شيعوا جنازة أم الحارث بن أبي ربيعة وكانت نصرانية. ومن بر غير المسلمين إكرامهم واحترام طقوسهم، فالرسول ﷺ استقبل وفد نصارى الحبشة في مسجده وقام على خدمتهم بنفسه، وقال: لقد أكرموا أصحابي وأحب أن أكرمهم. كما استقبل الرسول ﷺ وفد نصارى نجران في مسجده، وسمح لهم أن يصلوا فيه صلاتهم النصرانية، ومن برهم التعامل معهم في البيع والشراء، فقد انتقل الرسول ﷺ إلى جوار ربه ودرعه مرهونة عند يهودي، لا لحاجته له، ولكن ليعلم المسلمين كيف يتعاملون مع غير المسلمين، ومن برهم الصبر عليهم والعفو عن مسيئهم، ومن بر غير المسلمين نصيحتهم وصون أموالهم وأعراضهم والحفاظ على حقوقهم ومصالحهم. وإذا كان المسلمون يعيشون في بلاد غير المسلمين فينبغي أن يشاركوهم في كل ما فيه خير ومصلحة، وفي سائر المناشط المشروعة، وأن لا يعيشوا في عزلة وانغلاق تؤدي إلى الخوف والكراهية والتعصب والعنصرية، وتهدد التعايش السلمي المشترك بين الجميع وتعرض المسلمين للخطر، فالإسلام هو دين المنطق والحجة والحوار والجدال بالتي هي أحسن، والقرآن الكريم يحوي الكثير من الحوارات مع الملائكة ومع إبليس ومع المؤمنين والوثنيين والنصارى واليهود ومع الناس جميعا، وهو خطاب لكل عقل وقلب، ودعوة عامة لجميع الخلق:

الإسلام يدعو المسلمين إلى أن يتعاونوا مع جميع الناس، في سبيل الخير والمعروف، من أجل تحقيق المصالح المشتركة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: الآية 107]

والله تعالى يدعو في القرآن الكريم إلى محاورة غير المسلمين ومجادلتهم بالكلمة الطيبة والقدوة الحسنة.

وما أشد حاجة العالم اليوم إلى الحوار لتجاوز الهوة الكبيرة بين المسلمين وغيرهم وتحقيق التفاهم وبناء الثقة. إن التعددية الثقافية لا تمنع من الاندماج والانسجام في المجتمعات، طالما أن هناك رغبة صادقة من كل الأطراف في الاحترام المتبادل والتعايش السلمي المشترك.

أقوال مأثورة في شرف العربيّة

أ. د. محمد بلاسي *

إنّ لغة اصطفاها الله - تعالى - من بين اللّغات جميعًا لتكون دعاءً لكتابه الخالد: (القرآن الكريم)؛ لا شك لغة تتربع على عرش الألسنة واللّغات؛ ذلك لأن لها من الخصائص والميزات ما تستحق له هذا الاصطفاء...

وتلك مفخرة لنا نحن العرب، غبطنا عليه أهل الفكر والثقافات - شرقيين أو غربيين - ..

يقول المستشرق الفرنسي ماسينيون: «وباستطاعة العرب أنّ يفاخروا غيرهم من الأمم بما في أيديهم من جوامع الكلم التي تحمل من سموّ الفكر وأمارات الفتوّة والمروءة ما لا مثيل له!»[1].

هذا؛ ونظرًا لأن اللغة العربية قد حملت آخر رسالات السماء إلى الأرض، وأريد لها أن تكون لسان الوحي، وقدر لها أن تستوعب دليل نبوة الإسلام، واختزال مضامين الرسالات السّابقة، والانطواء على المنهج الذي ارتضاه الله لخلقه إلى يوم الدين[2]...



---

* كاتب، أستاذ جامعي / مصر

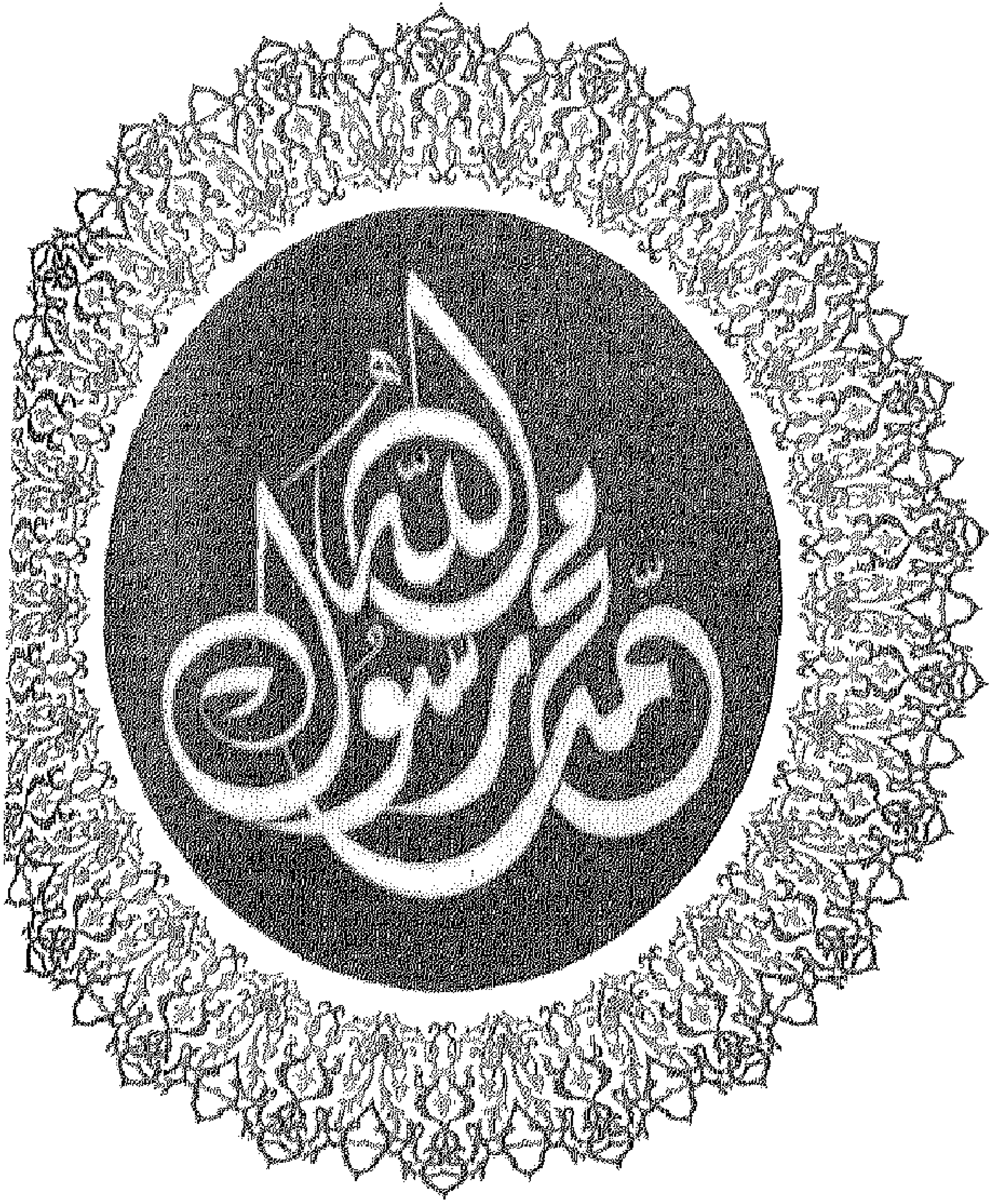
1 - من مقالة للمستشرق الفرنسي «لويس ماسينيون» بعنوان: «مقام الثقافة العربية بالنسبة إلى المدنيّة العالمية». نشرته له جريدة: (الأهرام) القاهرية، عدد 1949/1/26 مسيحي.

2 - العلم بالعربية... ضرورة عقيدية: للدكتور عباس أرهيلة، ص:82، - بتصرّف يسير -، (مقال منشور بمجلة: (منار الإسلام): عدد محرم 1415 و.ر).

نظرًا لهذا؛ «فقد كانت دراسة اللغة العربية عند الأقدمين مرتبطة بالعامل الديني، ونتيجة لهذا الارتباط الوثيق فقد خلقت لنا العصور الأدبية على امتداد التاريخ اهتمامًا كبيرًا بلغة القرآن الكريم سواء فيما يتصل برصد مروياتها من الآثار الأدبية من شعر ونثر، أو فيما يتصل بإحصاء مفرداتها، وتسجيل أوابدها وغرائبها في المعجمات والقواميس اللغوية، أو فيما يتصل باستنباط القواعد والأسس التي تعني بسلامتها، والمحافظة على أصولها الموروثة، ووضع الدراسات اللغوية الخاصة باكتفاء أسرارها، والكشف عن خصائصها ومميزاتها»[3].

ويقرّر هذا أبو منصور الثعالبي (429هـ)؛ إذ يقول: «من أحبّه الله ـ تعالى ـ أحب رسوله محمداً ﷺ، ومن أحبّ الرسول العربي أحبّ العرب، ومن أحبّ العرب أحبّ العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحبّ العربيّة عنى بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه؛ اعتقد أنّ محمداً ﷺ خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللّغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح الثقة في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد.

ثم هي لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة، وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء والزند للضارب، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلاّ قوّة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة التبصر في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان لكفى بهما



فضلاً، يحسن فيهما أثره، ويطيب في الدارين ثمره»[4].

ويقول الإمام الشافعي (204 هـ): «فإذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض، فلا بدّ أنْ يكون بعضهم تبعًا لبعض، وأن يكون الفضل في اللّسان المتبع على التابع، وأولى الناس بالفضل في اللّسان من لسانه لسان النبي. ولا يجوز ـ والله أعلم ـ أن يكون أهل لسانه أتباعًا لأهل لسان غير لسانه في صرف واحد»[5].

وها هو ذا ابن قتيبة (276 هـ) يقول: «وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة، والبيان، واتساع المجال ما أوتيته العرب

---

3 ـ مقالات وآراء من اللغة العربية: للدكتور محمد بن ناصر الدخيل، ص:53، 54، الطبعة الأولى ـ دار الشبل بالرياض، سنة 1415 و.ر.

4 ـ فقه اللغة وسر العربية: للثعالبي، (المقدمة)، بتحقيق السقا وآخرين، ط. الحلبي.

5 ـ الرسالة: للإمام الشافعي، ص:46، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، ط. مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1940مسيحي.

خصيصي من الله لما أرهصه في الرسول ﷺ وأراده من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب»[6].

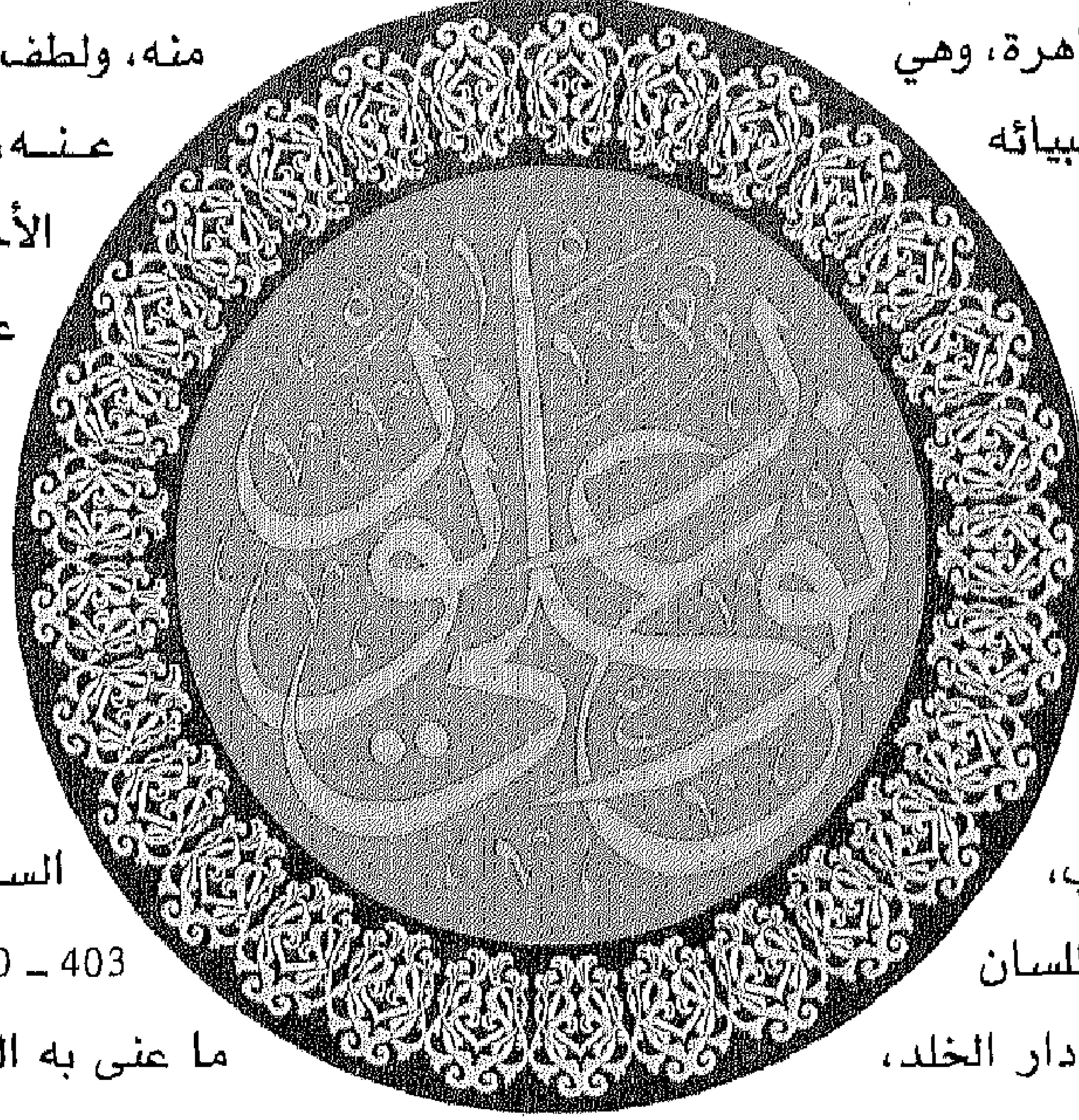
ويقول الزجاجي (337هـ): «وأمّا اللغة، وهي العربية - التي فضل الله - عز وجل - بها العرب، وأنطقهم بها - فهي لغتهم. كما أنّ لكل قوم لغة يتكلمون بها»[7].

ويروي عن الزجّاج (311هـ) أنه سمع أبا العباس المبرد يقول: «كان بعض السّلف يقول: عليكم بالعربية فإنها المروءة الظاهرة، وهي كلام الله - عز وجل - وأنبيائه وملائكته»[8].

وفي ديوان الأدب عدّد الفارابي (350 هـ) فضل الله على النبيّ المصطفى ﷺ بكل فاضل ونفيس من زمان، وبلد، وأصحاب، واسم، وخلق، وسمت، ونسب، ولسان..؛ فقال: «.. وأمّا اللسان فهو كلام جيران الله في دار الخلد، وهو المنزه من بين الألسنة من كل نقيصه، والمعلى على كلّ خسيسة، والمهذب مما يهجن أو يستشنع، فَبُنِيَ مباني باين بها جميع اللغات»[9].

هذا؛ ويعدّ القول بتفضيل ابن جنى (392هـ) للغة العربية من قبيل تحصيل الحاصل إزاء افتتانه بإحكام العربية وسحر أسرارها افتتانًا هزّه عن مذهب المعتزلة في القول بأنّ اللغة اصطلاحية - وقد كان هو منهم - ليقول: «إنّني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة؛ وجدت فيها من الحكمة والدقة، والإرهاف والرقة، ما يملك على جوانب الفكر، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر.

فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا - رحمهم الله - ومنه ما حذوته على أمثلتهم، فعرفت بتتابعه وانقياده، وبعد مراميه وآماده، صحة ما وفقوا لتقديمه منه، ولطف ما أسعدوا به وفرق لهم عنه، وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة بأنها من عند الله - عز وجل - فقوى في نفسي كونها توقيفًا من الله - سبحانه -، وأنها وحي»[10].



ويقول العلاّمة السرقسطي (المتوفى بين 403 - 410 تقريبًا): «وإنّ أشرف ما عنى به الطالب بعد كتاب الله - عز وجل - لغات العرب وآدابها، وطرائف حكمها، لأنّ الله تبارك وتعالى اختارها بين اللغات لخير عترة، وأشرف أمة، ثم جعلها لغة أهل دار المقامة في جواره ومحل كرامته، فهي أفصح اللغات لسانًا،، وأوضحها بيانًا، وأقومها مناهج، وأثقفها أبنية، وأحسنها بحسن الاختصار تألفًا، وأكثرها بقياس أهلها تصرفًا»[11].

---

6 - تأويل مشكل القرآن: لابن قتيبة، ص:12، تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الثانية - دار التراث، سنة 1393 و.ر.

7 - الإيضاح في علل النحو: للزجاجي، ص:91، تحقيق د.مازن المبارك، ط4 - النفائس ببيروت، سنة 1402 و.ر.

8 - المصدر السابق، ص:95.

9 - ديوان الأدب: للفارابي، 1/ 70، تحقيق أحمد مختار عمر، الطبعة الأولى - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة 1398 و.ر.

10 - خصائص اللغة العربية... تفصيل وتحقيق: د.محمد حسن حسن جبل، ص:33، ط. دار الفكر العربي، د.ت، ويراجع، الخصائص: لابن جنّي، تحقيق الشيخ محمد علي النجار، 1/ 70 وما بعدها، ط. دار الكتب المصرية، نشر دار الكتاب العربي.

11 - الأفعال: لأبي عثمان سعيد بن محمد السرقسطي، تحقيق: د.حسين محمد شرف، 1/51، ط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1395 و.ر..

وفي مقدّمة كتاب الفائق للإمام الزمخشري (538هـ)، يقول: «الحمد لله الذي فتق لسان الذبيح، بالعربية المبينة والخطاب الفصيح، وتولاه بأثره التقدم في النطق باللغة التي هي أفصح اللغات، وجعله أبا عذر البلاغة التي هي أتم البلاغات»[12].

وبعده فهذا غيض من فيض ممّا أشاد به أئمتنا الأجلاّء، إدراكًا منهم بمكانة اللغة العربية وأهميتها بالنسبة لفهم الدين...

ولا عجب، فالعربية - كما قلنا - ليست كأية لغة من اللغات الأخرى؛ بل هي فريدة من نوعها؛ اصطفاها الله من بين اللغات جميعًا لتكون وعاء لكتابه الخالد: (القرآن الكريم)، كما اختارها لتكون لسان نبيه الأمين؛ لذا أوجب الشارع الحكيم تعلّمها؛ حتى يفهم مقاصد الكتاب والسنة.

يقول الإمام الشافعي - رحمه الله - : «فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ويتلو به كتاب الله. وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك»[13].

في الوقت الذي أرجع فيه أحمد بن تيمية - رحمه الله - الخلط في الدين - عند أهل البدع - إلى قلة فهم اللغة العربية؛ فيقول: «لابد في تفسير القرآن والحديث من أنْ يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ وكيف يفهم كلامه. ومعرفة العربية التي خوطبنا بها ممّا يعين على أنْ نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك ضلال أهل البدع كان لهذا السبب؛ فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك»[14].

إنّ أشرف ما عني به الطالب بعد كتاب الله -عز وجل- لغات العرب وآدابها، وطرائف حكمها، لأنّ الله تبارك وتعالى اختارها بين اللغات لخير عترة، وأشرف أمة، ثم جعلها لغة أهل دار المقامة في جواره ومحل كرامته، فهي أفصح اللغات لسانًا، وأوضحها بيانًا، وأقومها مناهج، وأثقفها أبنية، وأحسنها بحسن الاختصار تألفًا، وأكثرها بقياس أهلها تصرفًا.

وأوجب ابن تيمية على المسلم تعلم اللّغة، فقال: «إنّ معرفة اللغة من الدين، ومعرفتها فرض واجب، وإنّ فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[15].

والإمام الشافعي - رحمه الله - في وضعه للأصول المعتمدة في فهم النصوص وتأويلها اعتمد منطق اللغة العربية. وقد أورد السيوطي (911 هـ) قول حرملة بن يحيى: «سمعت الشافعي يقول: «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلاّ لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطو طالي»... ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة إلاّ على مصطلح العرب ومذاهبهم في المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال لا على مصطلح اليونان، ولكل قوم لغة واصطلاح»[16].

---

12 - الفائق في غريب الحديث: للعلامة الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، 11/1، الطبعة الثانية - عيسى البابي الحلبي، د.ت.

13 - الرسالة: للإمام الشافعي، ص:42.

14 - الإيمان: لابن تيمية، ص:111.

15 - اقتضاء الصراط المستقيم: لابن تيمية، ص:207.

16 - العلم بالعربية... ضرورة عقيدية، للدكتور: عباس أرحيلة، ص:87، وانظر: صون الكلام عن فن المنطق والكلام: للسيوطي، شرح وتعليق الدكتور سامي النشار، ص:45، الطبعة الأولى - السعادة، سنة 1947 مسيحي.



* منهجية التعامل الغربي مع الإسلام والقرآن الكريم
* من أجل فهم المسلمين وقرآنهم ومن أجل فهم واضح لكل الثقافات ولكل الحضارات
* العالم الإسلامي وتحديات المرحلة
* قراءة في موقف بعض الاجتماع وبعض المقررات الدراسية في الغرب
* مخاطبة ذوي العقول السليمة في المجتمعات الغربية
* تحصين الأمة ورد الشبهات والأباطيل عنها
* ست طبعات جديدة من ترجمات القرآن إلى اللغة الإسبانية
* نحو شكل جديد من البروتستانتية!!
* نحاسب أنفسنا قبل الآخرين ونصحح أخطاءنا!!
* رؤية تاريخية لمنهجية التعامل الغربي مع القرآن الكريم
* الغرب يركز على معرفة تراثنا وحضارتنا
* تقريب فهم القرآن لغير الناطقين بالعربية
* مضامين وأبعاد ندوة القراءة الغربية للقرآن الكريم
* القراءات الجديدة للقرآن الكريم: عرض للإصدارات والأطروحات
* البيان الختامي وتوصيات الندوة

القراءة الغربية للقرآن الكريم

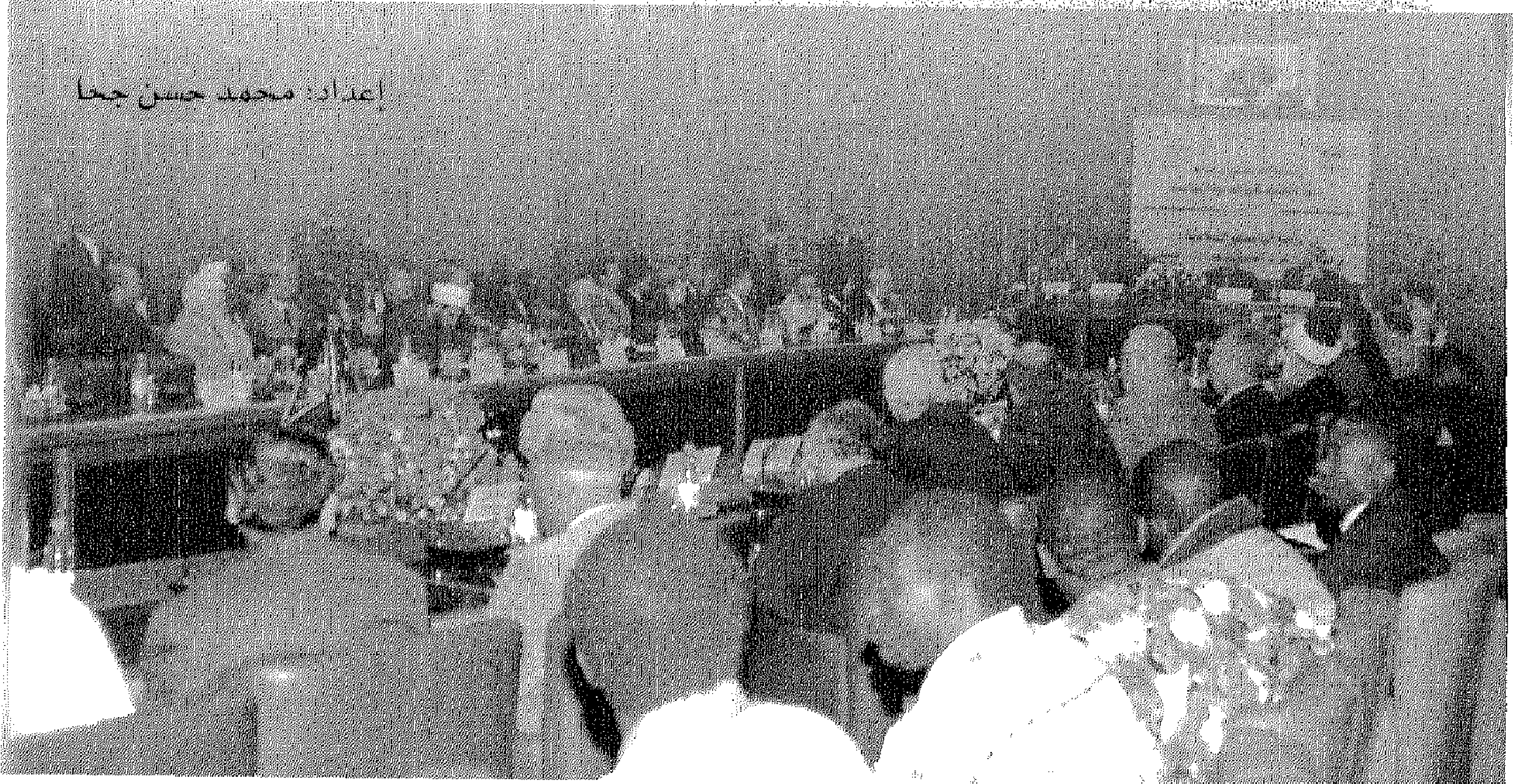


الرؤية أو القراءة الغربية للقرآن الكريم مسالة قديمة جديدة، وهي موجودة منذ بداية التعامل الغربي أو التراث الحضاري الغربي مع القرآن، ومع شخصية الرسولﷺ، ومع الدراسات الإسلامية. وهذا أمر وثّقته دراسات المستشرقين، ودراسات المهتمين بالشأن الديني والشأن السياسي والعسكري في أوروبا. وفي إطار الاهتمام العلمي بهذا الموضوع الذي يعتبر في غاية الخطورة في هذه المرحلة بالذات، ألا وهو تتبُعُ فهمٍ صحيحٍ للقرآن الكريم، وفهم عميق من قبل المهتمين بهذا الكتاب (الوحي الخاتم) الذي أُنزله الله سبحانه وتعالى على نبيهﷺ؛ جاءت الندوة التي نظمتها كلية الدعوة الإسلامية (خلال الأسبوع الأول من شهر الكانون / ديسمبر2005 مسيحي) بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية تحت عنوان: القراءة الغربية للقرآن الكريم، والتي شارك فيها ما يزيد عن ثلاثين باحثاً ومفكراً من الوطن العربي وأوروبا، لدراسة ومناقشة هذا الموضوع، ودراسة أبعاده الآنية والمستقبلية، بهدف الوصول إلى قناعات يتم صياغتها في توصيات، من أجل تنبيه المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي، رسميين وشعبيين، إلى خطورة هذه الهجمة، وضرورة الوعي بها، والحذر منها، والعمل على حفظ الأجيال القادمة من خطورتها. وفي ذات الوقت مخاطبة ذوي العقول السليمة في المجتمعات الغربية، كي يصححوا ما عندهم من أفكار خاطئة، وكي يعملوا - سوياً - من أجل احترام الديانات والثقافات، والعيش سويا في عالم يسوده السلام والحب والاحترام.

وعلى مدى يومي (3 و4) من شهر الكانون (ديسمبر) 1373 من وفاة الرسول ﷺ (2005 مسيحي) وخلال ثماني جلسات عمل؛ عكف المشاركون الذين يمثلون خمس عشرة جامعة ومؤسسة علمية وبحثية في الوطن العربي وإفريقيا وأوروبا على استعراض ودراسة ومناقشة عدد من الأبحاث والدراسات وأوراق العمل، والتي انضوت تحت المحاور التالية:

1 - القراءة الغربية للقرآن الكريم (رؤية تاريخية).
2 - القراءة الغربية للقرآن الكريم (رؤية واقعية).
3 - منهجية القراءة الغربية للقرآن الكريم .
4 - السياسي والديني في التعامل مع القرآن الكريم.
5 - آثار التعامل الغربي مع القرآن الكريم على علاقة المسلمين بالغرب.
6 - دور الجامعات الإسلامية في تصحيح المفهوم الغربي عن القرآن الكريم.

وتعميماً للفائدة، ونظراً لأهمية الندوة وموضوعها، وللقيمة العلمية والفكرية للأوراق التي قُدّمت، والمناقشات والمداخلات التي أثيرت حولها، نقدم للقارئ الكريم - في ملف هذا العدد - قراءة في فعاليات الندوة وبعض أدبياتها.





منهجية التعامل الغربي مع الإسلام والقرآن الكريم

د. محمد السماك *

ينقسم هذا البحث إلى قسمين، يعالج القسم الأول منه ظاهرة الحذر من الإسلام كما يقدمه القرآن الكريم ورفضه وحتى تشويهه في مرحلة ما قبل 2001/9/11 مسيحي، ويعالج القسم الثاني تنامي هذه الظاهرة إلى حد الانفجار العدائي بعد هذا التاريخ.

أولاً: مرحلة ما قبل 2001/9/11 مسيحي

في منتصف القرن التاسع نشر المؤرخ البيزنطي جورج هامر تولوس كتاباً عن تاريخ الإنسانية، وفي الفصل 235 من هذا الكتاب وصف المسلمين بأنهم «رجال أغبياء مشوشي العقول». ومن بعده وجه الراهب الفرنسي هيوكلوني (1049 ـ 1119) رسالة إلى أحد الأمراء المسلمين دعاه فيها إلى الارتداد عن الإسلام واعتناق المسيحية، مبرراً دعوته بقوله: «لقد خدع الشيطان أحفاد إسماعيل، بالنسبة لإيمانهم بمن يعتقدون أنه نبي، فكان طبيعياً أن يكون عقابهم نار جهنم». ومن خلال هذا النص فإنه يقدم القرآن على أنه عمل شيطاني، كمايقدم النبي محمد عليه الصلاة والسلام على أنه رجل مخادع، ويصوّر المسلمين على أنهم مخدوعون، مصيرهم جهنم.

وفي أواسط القرن التاسع عشر حرَّمت الحكومة الإنكليزية على رعاياها شرب القهوة. كانت حبات البن تعرف يومذاك باسم (حبّات محمد). وكان هناك اعتقاد بأن من يشرب القهوة يرتد عن مسيحيته إلى الإسلام، وأن الأتراك المسلمين يتآمرون على المسيحية في بريطانيا من خلال القهوة.

وقد تمكن رئيس أساقفة كنتربري الأسقف لاند من استصدار قانون عن مجلس العموم في عام1637 مسيحي يمنع أي بريطاني من اعتناق الإسلام ويحرم شرب القهوة. وتوجد في هانوفر بألمانيا مخطوطة من القرن السابع عشر تحمل توقيع الفيلسوف الألماني ليبنيز، المخطوطة موجهة إلى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر تدعوه بإلحاح إلى غزو الشرق، مصر

* كاتب، رئيس لجنة الحوار الإسلامي المسيحي / لبنان

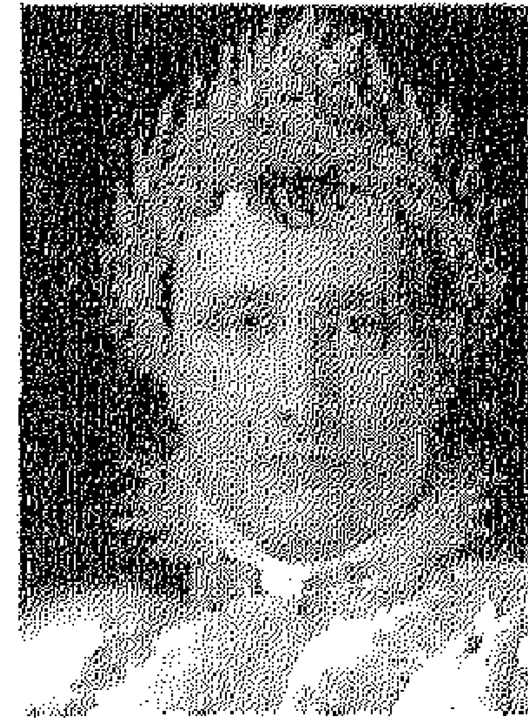
وبلاد الشام. تتضمن المخطوطة ثلاثة إغراءات للقيام بالمهمة:

كان الإغراء الأول عبارة عن دراسة ميدانية وصفية لحالة الضعف العسكري والتناحر السياسي التي كانت مستشرية في هذه المنطقة، وشمل الوصف كذلك مواقع الحصون والقلاع تسهيلاً لمحاصرتها وإسقاطها. (تقرير استخباراتي).

أما الإغراء الثاني فكان عبارة عن محاولة لاستنهاض حميّة الملك الفرنسي حتى يقوم بالمهمة التاريخية، فقد رفعه الفيلسوف الألماني إلى مصاف الإسكندر المقدوني والقيصر الروماني اللذين تمكنا من السيطرة على الشرق وإخضاعه.

وتمثل الإغراء الثالث في محاولة إثارة العصبية الدينية للملك الفرنسي عندما دعاه (ليبنيز) إلى العمل على تحقيق الهدف المقدس من الحروب الصليبية التي انتهت عام 1270 مسيحي، وهو تحويل الشرق إلى المسيحية وربطه بالغرب مرة جديدة، وإلى الأبد.

في ذلك الوقت كان الجيش الفرنسي الأقوى في أوروبة، وكان على رأس ألمانيا الملك دوشنبون ا لذي كاد يمثل حالة ألمانية استثنائية - ربما - في نزوعه نحو السلام الأوربي. اعتقد الملك لويس الرابع عشر أن رسالة صديقه الفيلسوف الألماني


نابليون

تستهدف إغراءه لإبعاد الجيش الفرنسي من أوروبة إلى الشرق، ولذلك رفض الاستجابة، لكن هذه المخطوطة التي انتقلت فيما بعد إلى نابليون ربما شكلت أحد العوامل التي أغرته وشجعته على تغيير أولوياته العسكرية من غزو إنكلترا إلى غزو مصر. وهكذا بدلاً من أن يُسقط نابليون إنكلترا لحقت به إنكلترا حتى مصر، حيث وجهت إليه في «أبو قير» الضربة التي عجلت بسقوطه فيما بعد في معركة واترلو.


ريتشارد نكسون

قبل وفاة الرئيس الأميركي الأسبق ريتشارد نكسون صدر له كتاب عنوانه (اقتناص اللحظة)، كشف فيه بكثير من الوضوح عن ثقافة كراهية الإسلام، فقال في الصفحة (195): «يحذر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يكون قوة جغرافية متعصبة ومتراصة، وأن نمو عدد أتباعه، ونمو قوته المالية سوف يفرضان تحدياً رئيسياً، وأن الغرب سوف يضطر لتشكيل حلف جديد مع موسكو من أجل مواجهة عالم إسلامي معاد وعنيف. إن وجهة النظر هذه ـ يضيف نيكسون ـ تعتبر أن الإسلام والغرب على تضاد، وأن المسلمين ينظرون إلى العالم على أنه يتألف من معسكرين لا يمكن الجمع بينهما، دار الإسلام، ودار الحرب».

عكس نكيسون في كتابه صورة بشعة عن العالم الإسلامي عندما قال: (ص 194): «إن معظم الأميركيين ينظرون نظرة موحدة إلى المسلمين، على أنهم غير متحضرين، وسخين، برابرة، غير عقلانيين، لا يسترعون انتباهنا إلا أن الحظ حالف بعض قادتهم وأصبحوا حكاماً على مناطق تحتوي على ثلثي الاحتياطي العالمي المعروف من النفط».

ولا شك في أن كثيرين في الولايات المتحدة وفي الغرب يشاركون نيكسون وجهة نظره التي يقول فيها (ص 196): «إنه يوجد في العالم الإسلامي عاملان اثنان مشتركان فقط: هما الدين الاسلامي والاضطراب السياسي». وهذا يعني أنه بما أن مصدر الدين هو القرآن، فإن مصدر الاضطراب هو العمل بما جاء في القرآن.

بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفياتي وانحلال حلف وارسو، جرى تصعيد متعمد للعدوانية الغربية ضد الإسلام، حتى إن مدير معهد بروكنغز في واشنطن Brookings Institution هيلموت

سوننفيل Helmut Sonnenfeld يقول: إن حلف شمال الأطلسي سوف يعيش، وإن الغرب سيبقى مجموعة دول لها قيم أساسية مشتركة، وستبقى هذه المجموعة متماسكة معاً من خلال الشعور بخطر خارجي: الموقف من الفوضى أو التطرف الإسلامي». ويعزى هذا التطرف الإسلامي دائماً وباستمرار إلى نصوص قرآنية، مع استبعاد أي عامل سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي آخر.



هنري كيسنجر

وفي ربيع 1990 مسيحي ألقى هنري كيسنجر وزير الخارجية الأميركية الأسبق خطاباً أمام المؤتمر السنوي لغرفة التجارة الدولية قال فيه: «إن الجبهة الجديدة التي يتحتم على الغرب مواجهتها هي العالم العربي الإسلامي، باعتبار هذا العالم هو العدو الجديد للغرب (لاحظ كلمة الجديد أي بعد سقوط الشيوعية) «وإن حلف الأطلسي باق، رغم انخفاض حدة التوتر بين الشرق والغرب في أوروبا، ذلك أن أكثر الأخطار المهددة للغرب في السنوات القادمة آتية من خارج أوروبا. وفي نهاية التسعينات فإن أخطر التحديات للغرب ستأتي من ناحيتي الجنوب (أي المغرب العربي) والشرق الأوسط».

وكانت مجلة الإيكونوميست البريطانية المعروفة برصانتها قد نشرت في الوقت نفسه على الغلاف موضوعاً بعنوان (الإسلام الأيديولوجية البربرية المعادية للغرب) هذه الأيديولوجية قائمة على القرآن الكريم وعلى التزام المسلمين به.

وجاء في دراسة أخرى نشرتها مجلة ألمانية متخصصة في الدراسات الاستراتيجية: إثر انتهاء الحرب الباردة وسقوط الشيوعية في عام 1990 مسيحي أعلن الأمين العام لحلف شمال الأطلسي ولي كلايس (تولى منصب وزير الاقتصاد في بلجيكا فيما بعد): «لقد حان الوقت الذي يجب علينا فيه أن نتخلى عن



أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية:

من أجل فهم المسلمين وقرآنهم ومن أجل فهم واضح لكل الثقافات ولكل الحضارات *

هذا اللقاء يعتبر لقاءً مهماً، ويقع في إطار الاهتمام العلمي بشأن من شؤون المسلمين، هو في غاية الخطورة في هذه المرحلة بالذات، وهو تتبع فهم صحيح للقرآن الكريم، وفهم عميق من قبل المهتمين بهذا الكتاب (الوحي الخاتم) الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه محمدﷺ.

في الماضي - ومنذ أكثر من ثلث قرن من الزمان - عندما تحدث الأخ معمر القذافي حول أهمية القرآن الكريم وأهمية شخصية الرسول الكريم محمد بن عبد الله ﷺ، في ذكرى المولد النبوي الشريف؛ كثير من الناس، وكثير من المسلمين، اعتبروا أن في هذا الحديث شيئاً من التزيد، وشيئاً من خلط الأمور، ولكن تمر الأيام ونجد أنفسنا في وضع تناوله ذلك التحليل منذ أكثر من ثلث قرن بالإيضاح والدراسة.

نحن كمسلمين تشرذمنا وتفرقنا لأسباب كثيرة، اقتصادية واجتماعية وسياسية، وضغوط من الخارج، وضغوط من الداخل، ولكن الذي رسّخ ذلك التفرق وأصبح سببا في تفرقات أكثر هو الجهل بثوابت الدين، والجهل بمصادر هذه الثوابت. والتحليل الذي أشرت إليه يذكّر برؤية إسلامية واضحة أكد عليها رسول اللهﷺ، وهي أن القرآن الوحي الخاتم هو المرجع الأول في كل شئوننا، وفي كل شؤون حياتنا، وفي كل أساسيات الدعوة، وأن شخصية

خلافاتنا وخصوماتنا السابقة وأن نواجه العدو الحقيقي لنا جميعاً وهو الإسلام.. إن الأصولية الإسلامية هي على الأقل في مستوى خطورة الشيوعية سابقاً». ومن شأن هذه المقارنة أن تقدم للغرب القرآنَ الكريمَ على أنه مماثل للمانيفستو الشيوعي. وبالتالي فإنه كما كان كارل ماركس ولينين مصدر الخطر على الغرب والرأسمالية ؛ كذلك هو الإسلام ممثلاً بالقرآن وبالنبي محمد ﷺ.

وفي شهر الصيف (يونيو) 1994 مسيحي انتهت مهمة الجنرال جون كالفان القائد الأعلى لقوات حلف شمال الأطلسي. وفي الاحتفال التكريمي الذي أقيم له في بروكسل ألقى كلمة تحدث فيها عن الآفاق المستقبلية للحلف ولدوره، تستوقفنا من كلمته العبارة الآتية:«لقد ربحنا الحرب الباردة، وها نحن نعود بعد 70 عاماً من الصراعات الضالة إلى محور الصراع القائم منذ 1300 سنة. إنه صراع المجابهة الكبيرة مع الإسلام».

الواقع أن المشاعر المعادية للإسلام وللمسلمين هي التي تجعل من الإسلام عدواً عند الضرورة، وهي التي تجعل من صورة هذا العدو، المقررة سلفاً والمغروسة في الثقافة العامة، أسرع انتشاراً وأكثر قدرة على الاستقطاب. فإثر إحراق آبار النفط الكويتية على يد قوات الغزو العراقي في عام 1990 مسيحي طرحت جماعة من حزب الخضر في ألمانيا نظرية تجاوزت فيها الحديث عن الصراع بين الإسلام والغرب، لتقرر أن ثمة صراعاً بين الإسلام والتنوير والتحرير أيضاً. وطالب آخرون من الخضر الألمان بـ (بوليس دولي) لحماية البيئة من المسلمين العرب.

وفي أعقاب المحاولة الإرهابية الأولى التي استهدفت برجي التجارة العالمية في نيويورك في عام 1993 مسيحي نشرت مجلة نيوزويك الأميركية بتاريخ 15 / 3 / 1993 مسيحي دراسة مطولة، عنونت لها على الغلاف بما يلي:

(الرعب البارد، الإرهاب اليوم، الدور الاسلامي)، وقد تصدرت الغلافَ صورةٌ لشاب ملتح يحمل نسخة من القرآن الكريم مكتوب عليه (الله ومحمد).

في ذلك الوقت دعا رئيس مجلس النواب الأميركي السابق نيوت غينغريش إلى وضع إستراتيجية متكاملة لمحاربة التوتاليتارية الإسلامية.


صموئيل هنتنغتون

يلاحظ المفكر الأميركي صموئيل هنتنغتون في دراسة نشرتها الخارجية الأميركية ونقلت مقتطفات منها صحيفة هيرالد تريبيون الأميركية (عدد 8/6/ 1993 مسيحي) أن المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية تفصل الشعوب عن هوياتها المحلية، وفي معظم أنحاء العالم يتقدم الدين لملء هذا الفراغ على يد حركات غالبا ما تتصف بالأصولية كالمسيحية الغربية، واليهودية، والبوذية، والهندوسية، والإسلام.

وفي مقابلة أجرتها معه مجلة تايم الأميركية (28/6/1993 مسيحي) سألت المجلة البروفسور هنتنغتون: إنك تؤكد أن الصراع المقبل الذي سيواجه الغرب سوف يأتي من العالم الإسلامي.. لماذا ؟

أجاب هنتنغتون عن السؤال بقوله:«إن الإسلام هو الديانة الأشد صرامة في العالم خارج المسيحية، لا يوجد فصل بين الدين والسياسة، ثانياً، هناك شعور بأن العالم الإسلامي قد تعرض للضرب واستغل على يد الغرب، وأن ثمة نوعاً من الصحوة في طريقها إلى البروز مصدرها القرآن. إن الصراع سيأخذ عدة أشكال، والواحد منا لا يريد أن يظن بأن هذا يعني قيام حرب ماحقة بين الإسلام والغرب».

لم تتأثر هذه المواقف السلبية والعدائية بالدعوة التي أطلقها الفاتيكان في عام1965 مسيحي للانفتاح على الإسلام وإلى التعامل مع المسلمين بالحسنى. ففي ذلك الوقت صدر عن نتائج أعمال المجمع الفاتيكاني الثاني كتاب قدم له الكاردينال ماريللا المسؤول عن

أمانة شؤون غير المسيحيين، جاء في هذه المقدمة - التي ما كانت لتنشر لو لم يقرها البابا نفسه - ما ترجمته حرفياً: «يجب أن نعترف، وبكل شجاعة وصدق، أن المسلمين لم يلاقوا من العالم المسيحي إلا القليل من التعاطف والود، وقليلون هم الذين أولوهم العناية الكافية، بالرغم من أن الرهبان والراهبات أظهروا اهتماما أكبر في مجالات التعليم والمساعدة والرعاية، ولكن جهودهم بقيت جزئية أمام اتساع الاحتياجات، كما أن الغربيين، المستشرقين منهم والعلماء المتخصصين بالإسلاميات، أظهروا تعاطفا وتفهما لكل ما يتعلق بأهداف دراساتهم، ولكن تفهمهم للإنسان وتعاطفهم معه كان أقل، وهذا ما يأخذه المسلمون عليهم في أيامنا هذه، مع شيء من اللوم والعتاب. وحتى اليوم، وفي أكثر الأحيان، عرف المسلمون العالم الغربي من خلال الأنظمة الاستعمارية. وباختصار يجب أن نعي بكل موضوعية أن المسيحيين لم يحققوا بعد، كمجموعة، الشرط الأول والأهم الذي يؤهلهم لأن يكونوا موجودين وحاضرين في عالم المسلمين كما هو، وعلى حقيقته .وعلى هذا الأساس، فإن الحوار لن يكون ممكنا طالما أن مثل هذا الجهد لم يبذل بعد».

أود أن أتوقف من هذا النص أمام دور «المستشرقين الذين أظهروا تعاطفا وتفهما لكل ما يتعلق بأهداف دراساتهم». وأرسم خطا عريضا تحت عبارة «أهداف دراساتهم». وإذا كان من غير الإنصاف العلمي إطلاق الاتهامات جزافا وبالجملة ودون تمييز ؛ فإن الواقع يؤكد أن معظم تلك الدراسات استهدفت أمرين أساسيين:

أولاً: تشويه صورة الإسلام في الثقافة الغربية تعميما لظاهرة الرفض أو العداء للإسلام في المجتمعات الأوربية.

ثانياً: الطعن بصدقية النصوص الدينية الإسلامية وبصوابيتها وبثوابتها العقدية، بهدف فك ارتباط المسلمين بدينهم أو إضعافه والتشكيك به .

الرسول ﷺ هي أساس هذه الثوابت، وأن وفاة رسول الله ﷺ هي الفيصل بين الدين وبين التراث.

للأسف.. أحياناً كثيرة أصبحنا نُنَظّرُ للتراث، وهو شيء مهم طالما أنه محكوم بالثوابت، ولكن عندما يغض الناس النظر عن الثوابت من أجل تفعيل بعض رؤى التراث وقعنا ونقع في أمور كثيرة في مسيرتنا التاريخية وخاصة المعاصرة.

لا أريد هنا أن أذكر أمثلة حية في حياتنا المعاصرة تبتعد كثيرا عن التأكيد على ثوابت العقيدة في القرآن الكريم، وتنجرُّ نحو مسائل في التراث أوجدتها الصراعات بين الفرق والمذاهب، والرؤى المختلفة، ولعل التطرف والتشدد الذي عانينا منه منذ أعوام، بل منذ عقود، وأدى إلى ما أدى إليه وما ترونه الآن، وأدى ذلك إلى النتائج التي نعاني منها؛ قد جاء نتيجة للاعتماد على رؤى ضيقة أوجدتها بعض مراحل فهم التراث الإسلامي، بعيدا عن حكم القرآن وبعيدا عن فهم شخصية رسول الله ﷺ. ذلك شأن بين المسلمين والمسلمين، وهو دائما يحتاج إلى تعمق في الفهم. ونحن اليوم نلتقي على مائدة جانب آخر من جوانب فهم القرآن، وهو رؤى بعض الثقافات الأخرى حول القرآن الكريم، وما يتصل بذلك من الترجمة والفهم والتحليل، والحملات التي أشار إليها بعض الإخوة.

فنحن نحتاج إلى لقاءات علمية، مثل هذه الندوة، بمشاركة العلماء والباحثين، لفهم كثير من شؤوننا وشجوننا.

مسالة الرؤية الغربية أو القراءة الغربية للقرآن الكريم مسألة قديمة جديدة، وهي موجودة منذ بداية التعامل الغربي أو التراث الحضاري الغربي مع القرآن، ومع شخصية الرسول ﷺ، ومع الدراسات الإسلامية. وهذا أمر وثقته دراسات المستشرقين، ودراسات المهتمين بالشأن الديني والشأن السياسي والعسكري في أوروبا. وقراءتنا التاريخية توضح أن هناك - أحيانا - اجتهادات فردية، وهناك - أحياناً - حملات دينية، وهناك - أحيانا -

شجع الأمر الأول العديد من الكنائس المختلفة على العمل التبشيري بالمسيحية في الدول الإسلامية، باعتبار أن الإسلام ليس دينا، وأن القرآن هو نص كتبه مدع بالنبوة هو محمد ﷺ، وأن المسلمين يحتاجون إلى الهداية من أجل النجاة يوم القيامة، وأن العمل التبشيري هو واجب على هذه الكنائس.

وهزّ الأمر الثاني ثقة بعض المسلمين بدينهم، وزرع الشك في إيمانهم بعقيدتهم، ليشكل ذلك مدخلا للحركة التبشيرية. ولما لم تحقق هذه الحركة أي نجاح يذكر، ازدادت حدة الخوف من الإسلام ومن العداء له، ومن الشعور بضرورة بذل المزيد من الجهد لتشويهه والتشكيك بأركانه وثوابته، وفي مقدمتها القرآن الكريم. حققت الدراسات الاستشراقية الهدف الأول وهو التشويه، وشكل نجاحها هذا الأرضَ الخصبةَ لإطلاق ظاهرة العداء على نطاق واسع بعد 2001/9/11، ونتيجة لها كما سنرى لاحقا.

أما الهدف الثاني - أي التشكيك - فقد أدى بدوره إلى أمرين أساسيين:

يتمثل الأمر الأول في ظهور مثقفين مسلمين متأثرين بالمستشرقين وبنظرياتهم التشويهية للإسلام.

أما الأمر الثاني فهو ظهور حركات فكرية - دينية، تجاوزت في رفضها للمستشرقين ولكتاباتهم حد توجيه الاتهامات الجماعية للفكر الاستشراقي على إطلاقيته، ومن ثم إلى الغلو والتطرف في الدفاع عن الإسلام إلى حد استعداء الغرب، وتكفير المسلم الذي لا يشاطرها مفهومها للإسلام ورؤيتها للآخر غير المسلم. ولعل حادث 2001/9/11 كان ثمرة من الثمار المرة لهذا الفكر الاستعدائي والتكفيري وترجمة له.

مرحلة ما بعد 2001/9/11

قبل هذا التاريخ، كان قساوسة الحركة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة يعبرون عن كراهيتهم للإسلام، ويصبون جام حقدهم عليه، ومن أبرزهم: جيري فولويل، وبات روبرتسون، وفرانكلين غراهام، وهول ليندسي، وكثير غيرهم. فهم يعتبرون أن المسلمين، بوقوفهم في وجه الإسرائيليين، يعطلون المشيئة الإلهية ويؤخرون العودة الثانية للمسيح . وقد ازداد نفوذ هؤلاء القساوسة السياسي في عهد الرئيس جورج بوش، ثم بعد أحداث 2001/9/11. فالرئيس الاميركي مدين لهم بالانتقال» من حالة الادمان على المسكرات إلى الإيمان بـ(الولادة الثانية)، وبالعمل من أجل تسريع العودة الثانية للمسيح. وتحت مظلة هذه العلاقة فإن القس ليندسي حذر من«أن المسلمين لا يريدون فقط تدمير دولة إسرائيل ولكنهم يريدون تدمير الثقافة اليهودية - المسيحية التي تشكل أساس الحضارة الغربية. إنهم كالشيوعيين في أعماق فلسفتهم توق شديد لدفننا جميعاً».(1)


بات روبرتسون

كذلك فإن القس بات روبرتسون وصف الإسلام بأنه «دين الإرهاب» وبأنه «يهدف إلى السيطرة على العالم». كما اتهم المسلمين الأمريكيين بأنهم ينظمون خلايا إرهابية لتدمير الولايات المتحدة. وجاءت تلك الاتهامات من خلال برنامجه التلفزيوني الواسع الانتشار (نادي السبعمائة). ووصف القس جيري فاين Jerry Vine النبي محمداً ﷺ في مؤتمر المحفل المعمداني الجنوبي الذي عقد في فلوريدا في عام 2002 مسيحي بأنه الشيطان نفسه(2). وكان فرانكلين غراهام Franklin Graham وهو نفسه أيضا الذي

1- H. Lindsay, The Final Battle, P.45.

2- Richard Vara, Texas seccesion rumor, attaks on Islam mark Baptist meeting, House Chronicle, 10 June (2002).

تـرأس الصـلاة الخاصـة بمنـاسـبـة أداء الـقسـم الدسـتوري للـرئيس جورج بوش الابـن، قد قـال عن الإسلام إنه دين شيطاني وشرير[3]، وقال عنه القس جيري فولويل إنه دين«مزور». وهذه الأوصاف والنعوت توجـه أسـاسـا إلى الـقـرآن الـكـريم بـاعـتـبـاره مصـدر التشريع ومنبع الثقافة في الإسلام. ولم يجد القس غـراهـام في المسلمين«أيا تكن أصـولهـم سـوى أعـداء للـديموقـراطـيـة والـلـيبرالـيـة ولـطـريقـة عـيشـنـا..»، الأمريكيون لم يتجاوبوا مع هذه الأقوال لأنها تحرض الأمـريـكيين الآخـريـن عليهـم، رد غـراهـام بقوله: «إن الذين هاجموا الولايات المتحدة ودمروا برجي مركز التجارة الدولي في نيويورك لم يكونوا من ا للوثريين ولا مـن الميـثـوديين، بل كـانـوا مـن المسـلمين، ولـذلك فـإن وجودهم يشكل خطرا على المجتمع الأمريكي».

تـتـكـامـل هـذه الـدعـوات الاسـتـعـدائـيـة مـع الموقـف الإسرائيلي مـن الإسلام، ففـي مطلع شهـر الربيع مارس 2003 مسيـحـي نشـرت صـحـيـفـة هـاآرتس الإسـرائيليـة تصـريـحـا لـوزيـر السياحـة الإسـرائـيلي بنـلي ألـون قال فيه: «من الواضح أن الإسلام في طريقه إلى الزوال، فما نشاهده اليوم في العالم الإسلامي ليس انتفاضة إيمان قـويـة، بل انـطـفـاء جـذوة الإسـلام». أمـا كـيـف سيزول، فبكل بساطة، بقيام حرب مسيحية صليبية ضد الإسلام في غضون بضع سنوات ستكون الحدث الأهم في هذه الألفية، وطبعا سنواجه مشكلة كبرى حين لا يبقى في الساحة سوى الديانتين الكبيرتين، الـيـهـوديـة والمسـيـحـيـة، غير أن ذلك مـا زال متروكـا للمستقبل البعيد[4].

حملات للتمهيد للاستعمار، وهناك ـ أحيانا أخرى ـ حملات أكبر للاستيطان، ولتحضير أو تحديث المجتمعات الإسلامية أو العربية، لأنها أقرب إلى أوروبا.

وبالنسبة لاجتهادات العلماء ـ بالرغم من أن التمويلات كانت تقصد أمرا آخر غير العلم ـ فإنه قد نُظر إليها من طرف المسلمين في الماضـي علـى أنها قد تكون اجتهادات علمية فردية، وفيها أفكار تحتاج الى مناقشة وردود علمية في إطار الجامعات والمؤسسات العلمية، وهـنـاك حـوار تم في الماضي وفيـه الكثير مـن الخير للعلم ولتقدم المعرفة الإنسانية، سواء كان من طرف المسلمين والعرب، أو من طرف الأوروبيين على اختلاف لغاتهم. هناك دراسات علـمـيـة جـيـدة مـن الـكـثيـر مـن المستشـرقين والغربيين، وهذا شأن العلم، بمعنى أن هناك دراسات نقدية في الغرب للإنجيل وما حواه وما حوله، قد تكون لها أسباب لمجموعات الضغط أو غيرها، كما اتضح للكثير من الناس. وأحيانا تـكـون اهـتـمـامـات فـردية عـلـمـية، وذلك أمـر خبرناه نحن المسلمون والعرب، وتقبلناه ورددنا علـيـه وحـاورنـا الآخـريـن فـيـه، وهـو ـ فـي كـل الأحـوال ـ مجال لـلـبـحـث في إطـار المؤسسـات العلـمـيـة والـفـكـريـة. صـحـيـح أنـه قـد وُظّفت ـ أحيانا ـ مثل هذه الرؤى في إطار سياسي أو استعماري أو عسكري أو أمني أو اقتصادي؛ وذلك أمر يتم بالنسبة لأية دراسة.

لكن المزعج ـ في الحقيقة ـ في هذه المرحلة الأخيرة هو أنه بعد سقوط الاتحاد السوفييتي أصـبـح الإسـلام هـدفـا وعـدوا أول، قـبـل كـل الثقافات والحضارات الأخرى، بالنسبة للغرب ولأوروبا، وهذا أمر لا ندّعيه نحن، لأننا نعمل في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، أو لأننا ننتسب إلى الأمة الإسلامية، بل هذا أمر معلن رسـمـيـاً مـن طـرف المسؤولين السـيـاسـيين مـنـذ أكثر من عقد من الزمان، ومعلن رسميا في تصريحات رسمية، ومعلن عن طريق مؤسسات اقتصادية وعسكرية ومحاور إقليمية، وعن طريق مؤسسات علمية أو شبه علمية، ومعلن

3- Washington Post, Vol. 18, 2001.

4- ما هو الهدف الحقيقي لأعمال العنف في الرياض ـ باتريك سيل، جريدة الحياة 2003/5/16م.



العالم الإسلامي وتحديات المرحلة

نحو إعادة قراءة النص القرآني

د. محمد البشاري *

«لقد اختتم الله بالإسلام رسالاته للعالم، فليس لنا أن ننتظر اتصالا جديدا من السماء بالأرض يطهرها مما كاد يعمها من شرك وضلال وفساد، ولا نبيا، بعد رسول الإسلام، يخرج العالم برسالة جديدة من الظلمات إلى النور، ولا قرآنا جديدا يهدي الإنسانية الحائرة إلى سبيل الرشد والسعادة.ولكن الله الرحمن الرحيم ترك فينا بعد هذا، أو بسبب هذا، كتابا لن يضل من تبعه، وشريعة لن يشقى من عمل بها».

هذه كلمات حررت منذ أزيد من نصف قرن، وحررها فضيلة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى في تقديمه لكتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) للشيخ أبي الحسن الندوي [1] لم نجد أفضل منها في معرض افتتاح هذا العرض حول أهم التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية في الظروف العالمية الراهنة.

وحتى لا نتيه مع كثرة التفاصيل والجزئيات، سوف نتحدث عما نعتبره أهم هذه التحديات، دون أن نبخس حق التحديات الأخرى، لولا أن منطق الأولويات يفرض علينا أن نركز على تحديات دون أخرى.

لكن، قبل التفصيل في هذه التحديات، علينا تحديد أرضية مسلمة ومتفق عليها ، وسوف نختصرها بدورنا في نقطتين اثنتين هما: قضية الظرفية الزمنية، وقضية الأرضية المرجعية.

1 ـ إشكالية الظرفية الزمنية:

كان ممكناً أن نستعرض نفس المحاضرة وتحت نفس العنوان في ظرفية زمنية مغايرة، على أن الفرق بين الظرفية الراهنة يختلف جذرياً عن أن يكون تاريخ هذه الكلمة مؤرخا في إحدى السنوات التي تلت البعثة المحمدية، أو في أحد أيام زمن الممالك في الأندلس، قبيل سقوط غرناطة، أو بعد في تاريخ آخر.

والقصد من هذا التفصيل أنه لا مفر من أن نأخذ بعين الاعتبار أهمية الظرفية الزمنية التي نعيش على إيقاعها اليوم. فنحن ـ كما هو معلوم ـ نعاصر السنة 1426 بعد الهجرة النبوية، والعام 2005 بعد ميلاد عيسى عليه السلام، وتحديدا ما يقرب ثلاث سنوات

---

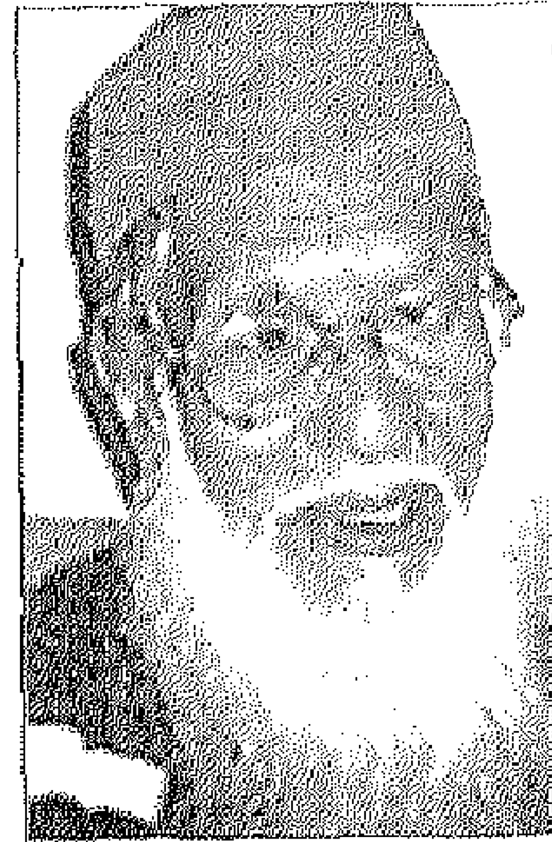
* الأمين العام للمؤتمر الإسلامي الأوروبي / رئيس الفيدرالية العامة لمسلمي فرنسا / نائب رئيس المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية

1 ـ (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) ـ أبي الحسن الندوي ـ تقديم الدكتور محمد يوسف موسى ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ص 19.

ونصف من أحداث عالمية ساهمت بشكل كبير في تغيير مجموعة من المفاهيم والسياسات والرؤى في ربوع العالمين الإسلامي والغربي.

إننا نتحدث ـ بطبيعة الحال ـ عن حقبة زمنية جد حرجة على الأمة الإسلامية، وترتبط أساسا بأهم تداعيات المتغيرات الدولية التي يشهدها العالم، والتي اندلعت أو برزت بعد العديد من المحطات الدموية، بدءا على الخصوص من تفجيرات 11 سبتمبر 2001، ونهاية بآخر عملية دموية تمت في المنطقة العربية.

أحداث ومنعطفات وصمت التاريخ، وفي طليعتها أحداث 11 سبتمبر 2001، بكل التداعيات التي تلتها، سواء كانت سياسية أو استراتيجية أو دينية أو ثقافية.. ولكن يبقى أهم هذه التداعيات بالنسبة لنا شن الإدارة الأمريكية حروبا على دول إسلامية ذات سيادة، حيث تم إسقاط نظامي أفغانستان والعراق، مقابل استمرار الضغوط على أنظمة أخرى في الشرق الأوسط، عبر ما سمي بمشروع الشرق الأوسط الكبير الذي لقي معارضة كبيرة من قبل أغلب الدول الأوروبية.


الشيخ أبو الحسن الندوي

من بين التداعيات الأخرى، هناك تصاعد الضغوط الأمريكية على الدول العربية والإسلامية من أجل تعديل وتغيير المناهج الدراسية، وخاصة المناهج المتعلقة بتدريس الخطاب الديني، إلى درجة أن قراءة الآيات القرآنية في شاشات الفضائيات العربية أصبحت تتحاشى قراءة الآيات التي تتعرض لليهود والنصارى، بل وامتد الأمر إلى درجة حذف العديد من سور القرآن الكريم في بعض المناهج الدراسية في دول الخليج العربي، حتى بدا أننا أمام ضغوط تهدف لأن يتحول الإسلام إلى طقوس وعبادات لا بد أن تسطر خطوطها العريضة وأهدافها من قبل الغرب وليس من قبل الدول والمؤسسات الإسلامية.

عن طريق التمويلات التي تُرصد لهذه البحوث، ويُستخدم فيها الكثير من (العلماء) بمن فيهم (علماء العرب والمسلمين) في هدف معلن وليس في دهاليز سرية، إنه أمر معلن: الإسلام يشكل خطرا ولابد من مواجهة هذا الخطر. والمواجهة ليست عسكرية، وليست سياسية، وليست اقتصادية، وليست اجتماعية، وليست أمنية فقط؛ ولكنها مواجهة ثقافية علمية تستهدف على قائمة مهمة ـ من بين ما تستهدف ـ القرآن الكريم..!! وأنتم تعرفون تصريحات رئيس وزراء إحدى الدول الغربية عندما كانت هناك انتفاضة إسلامية في دولة من الدول التي تستعمرها تلك الدولة حينها، حيث جاء إلى (البرلمان) رسمياً ـ في منتصف القرن الماضي ـ وأخذ القرآن ورمى به أمامهم، وقال لهم: طالما هذا الكتاب موجود عند المسلمين فهناك خطر دائم يواجهنا. علما بأن هؤلاء المسلمين مغلوبون على أمرهم، مستعمرون، وفي أقصى غايات الانحطاط السياسي والاجتماعي والاقتصادي في ذلك الوقت.

العقل الأوروبي ـ بتراكمات الرؤية الأوربية القديمة منذ العصور الوسطى ـ لازال يرى ويفعّل رؤية تكونت عنده لعداء تقليدي نحو القرآن الكريم، ونحو شخصية الرسول محمد ﷺ، ونحو التراث الإسلامي، ويعتبر أن هذا شكل خطراً. في الماضي عندما جاءت الحروب الصليبية من أجل تطهير مكان المسيح، وتأمين طريق الحج.... الخ، وبعدها الاستعمار الاستيطاني، اعتُبِرَ أن الدين يمثل خطورة ما، ويجمع الناس، ويجعلهم يقاومون. ولكنه بالغلبة العسكرية أصبح متواريا ولا يشكل خطورة حقيقية.

الآن.. الحملة الجديدة هدفها المعلن هو ثوابت الدين، والهدف هو الإسلام ككل، وطبعا نسمع نحن مصطلحات وأوصافا مثل: المتطرفين والأصوليين.... إلخ، ونحن عانينا من التطرف في داخل العالم الإسلامي أكثر مما عانى الآخرون، لكن اتخذت الأحداث التي وقعت ـ وهي أحداث مؤسفة ونحن ضدها ـ اتخذت

2 - إشكالية الأرضية المرجعية:

من مميزات الحضور الذي يستمع لهذه الورقة، أنه: أولا ينحدر أو قادم من القارات الخمس، ومن مختلف الجنسيات والإثنيات، ولكن الميزة الجامعة لهذا الحضور أنه مسلم أولا وأخيرا.فلماذا نثير هذه الملاحظة، والتي نعتبرها ثاني مسلمة علينا الانطلاق منها قبل الحديث عن أهم التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية ؟

نحن نرى أن تبعات الظرفية الزمنية التي تحدثنا عنها (أي استحقاقات أحداث 11 سبتمبر 2001) أننا بدأنا نشهد تصاعد أصوات إسلامية من داخل المجال العربي والإسلامي تدعو تارة إلى إعادة قراءة القرآن، أو تطبيق منهج الإصلاح الديني على شاكلة ما حصل مع المسيحية، أو تطالب بإقامة أنظمة سياسية تكون علمانية بالدرجة الأولى، وغيرها من الرؤى والقراءات التي سنتعرض لبعضها في باب التحديات الدينية التي تواجه الأمة.

وواضح أن أهم ميزة تجمع بين جميع هذه الأصوات، تكمن في إشكالية المرجعية.إن سؤال المرجعية يحتم علينا أن نحدد أي مرجعية ننطلق منها، مرجعية الله عز وجل أم مرجعية أخرى؟ والتي لن تخرج في الغالب عن مرجعية الإنسان، ومعلوم، بل إنه مُسَلّم به، أن قصة العجز عن رعاية الإنسان لحقوق العدالة الإنسانية الشاملة، عندما يستأثر هو بحق التشريع ورعاية حقوق الإنسان، ليست جديدة، بل هي قديمة قدم الإنسان الذي ركبت فيه نوازع الأنانية وحب الذات، ومنها انبثقت الحاجة إلى أن يتدارك الله الأسرة الإنسانية بالنظام الذي يجب أن تخضع له الشرعة التي يجب أن تستسلم لسلطانها، وتلك هي الحكمة العظمى لضرورة الدين الحق، ولهذا السبب، نرى أنه من الضروري جدا الاتفاق على أرضية صارمة في النقاش، أو مقدمات متفق عليها سلفا، حول إشكالية المرجعية، وطالما لم نتفق على هذه الأرضية، فسوف يصبح من العبث التفكير في الاتفاق على تحديد أهم التحديات التي تواجه الأمة، وبالتالي الاجتهاد في طرح حلول أو مقترحات تصب في مجابهة هذه التحديات.

في تحديد التحديات الكبرى

الإصلاح السياسي، تعديل المناهج الدراسية الدينية، أوضاع حقوق الإنسان، معالجة الفقر، إشكالية التنمية البشرية، طبيعة العلاقة مع الآخر، وخاصة الغربي المسيحي واليهودي...إلخ. عناوين من بين أهم العناوين والإشكاليات التي أصبحت تقام لها ندوات ومحاضرات رسمية وجمعوية داخل وخارج العالم العربي، ولكن بشكل مكثف في حقبة ما بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، مقارنة مع ما كان سائدا في حقبة ما قبل نفس الأحداث، وهنا تتضح مجددا أهمية الانطلاق من أرضية زمنية مُسَلّم بها، تلك التي افتتحنا بها هذه الورقة.

أهم هذه التحديات:

1 - تحدي التجديد الديني:

يعتبر تحدي التجديد الديني أحد أهم هذه التحديات، وذلك بالرغم من ثقل مجموعة من الأسباب المنفصلة عن استحقاقات الظرفية الزمنية التي تحدثنا عنها سلفا، تدفعنا لأن يكون هذا التحدي، حاضراً دائماً، خاصة وأن هناك ضمانات ربانية لأن يكون حاضراً باستمرار، وتكون اجتهادات فقهية معاصرة، تقوم على إعمال العقل الفقهي فيما لم يرد فيه من المشكلات نص قاطع من الكتاب أو السنة، ولم يقم عليه إجماع من سلف الأمة.

والواقع أن استحضار هذه المتغيرات يدفعنا لأن نتساءل مع ما ذهب إليه الكاتب المصري نبيل عبد الفتاح، حول مصداقية الحديث عن التجديد الديني أو إصلاح الخطاب الديني في الظرفية الراهنة بالذات، كما لو أن الأمر أصبح - في الحقيقة - مجرد مشروع لهندسة أمريكية للإسلام ديناً وعقيدة وقيماً وقواعد وموجهات سلوكية وعملية ؟ وأصبح المطلوب، على نفس الأساس، أن ننصاع لمثل هذا النمط من الهندسات

الجديدة المطلوب إدخالها إلى المنطقة كجزء من خطابات الوعظ والتبشير السياسي الأمريكي لدى رموز الإدارة الأمريكية، أو ما يسمى اليوم بالرسالة الأخلاقية الأمريكية في المنطقة.

على أننا نميز هنا بين مجموعة من التحديات والإكراهات نوجزها في منحيين اثنين:

- تحدي التجديد الديني.
- تحدي إعادة قراءة النص القرآني.

قد يبدو الأمر مرتبطا أو متداخلا، ولكننا تعمدنا الفصل بينهما، لأننا - بالفعل - نفرق بين تحدي التجديد المرتبط دوما بحضور الأمة، والذي تحدث عنه حديث نبوي شريف جاء فيه «أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها [2]». وبين خلفيات هذا الترويج المريب والمفضوح لما يسمى إعادة قراءة النص القرآني، كما تطالب بذلك مجموعة من الأصوات المحسوبة - للأسف - على العالم الإسلامي، والغريب أن أغلب هذه الأقلام يقيم في دول غربية.

❖ بين التجديد والتحديث الديني

وتتخذ هذه الإشكالية عناوين مختلفة من قبيل الإصلاح الديني أو تحديث العقل الديني.والملاحظ هنا أنّ الدارس للكتابات العربية المتطرقة إلى الموضوع (نقد العقل الديني) أو (العقل الإسلامي) أو (العقل المسلم) ؛ لا يسعه إلا أن يقف على قاسم مشترك بين القائلين والمتكلمين والكتاب، يتمثل في اختيار العديد من الباحثين المسلمين لمنطلقات فكرية وعقدية صاغها الاستشراق، ومهدت أرضياتها أسماء لا تمت للعرب ولا المسلمين بأي صلة، وكذلك شأنها بالنسبة للإسلام ديناً وفهماً وأخلاقاً ومعاملات، وعلوماً على الأخص.وبذرة دائمة التجدد لثقافة كونية لم يستوعبها العرب والمسلمون بعد.والحال أن الباحث في المنطلقات والأرضيات أو المقدمات الاستشراقية، والغربية ؛ سيجدها قائمة على علاقة مع الديني

ذريعة من أجل شن الحملة الكبرى على هذا العالم الإسلامي وإنهائه، واتخذت الأساليب التي اتخذت نحو إنهاء الاشتراكية أو الشيوعية، وأنتم تعرفون الكتب التي ظهرت حديثا منذ نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن، وهي كتب أوضحت الأساليب التي اتخذتها جهات أمنية وسياسية غربية، واستخدمت فيها كتابا وأدباء ومفكرين كبارا، كنا نعتقد أنهم مفكرون كبار - استخدموا بأسماهم وأعمالهم - حتى في مجال الشعر - لمواجهة الاشتراكية والشيوعية التي هي إنتاج غربي. فإذا أعلن أن الإسلام عدو بعد الشيوعية أو الاشتراكية أو الاتحاد السوفييتي؛ إذن علينا أن نتخيل نوعية المواجهة الفكرية التي سوف تكون. ومن هنا اتضحت الأمور بشكل جلي جداً.

معظم الإخوة الموجودين الآن شاركوا مشاركة فاعلة وإيجابية في لقاءات الحوار التي تمت مع كثير من المؤسسات العلمية والدينية والسياسية الغربية، وفي الحوار نتحدث ونتبادل الرأي ونختلف ونحل المشاكل ونعلق بعض المشاكل ونتفق على مساحات تترك للمستقبل.... إلخ، لكن في نفس الوقت الذي نتحاور فيه هناك مؤسسات يقال عنها مؤسسات غير حكومية (طبعا أنتم لكم أن تقدّروا) وتمويلات ضخمة جداً - باعتراف الغربيين - من أجل تشويه الإسلام في كل مظاهره. وأنتم سمعتم وتسمعون بالأموال التي تُدفع إلى محطات فضائية وغير فضائية، التي تعرقل أي قول محايد من أي مؤسسة إعلامية، والضغط الإعلامي الشديد، ما ينشر على الناس في منطقة لا ينشر على الناس في منطقة أخرى، آثار التعذيب التي حصلت في أماكن كثيرة، وقهر الإنسان ومصادرة حقوقه، وأن المسلم هذا يمكن أن تعمل فيه أي شيء، ولا يكون في ذلك أي اختراق لحقوق الإنسان، وهذا أمر معروف، حتى (فولتير) ومن معه من أهل التنوير عندما كانوا يتحدثون عن الإنسان، وتحصل بعض الأشياء في إفريقيا، يقول لهم: ما رأيكم في هذا؟ يقولون: نحن نتكلم عن الإنسان. بمعنى آخر إن هؤلاء

---

2 - رواه أبو داود في سننه (كتاب الملاحم) - رقم 4291.

والعقدي لا يجوز مطلقا أن نطبقها على الإسلام والمسلمين.

ويرأي أحد الباحثين، تبقى المنطلقات الاستشراقية بمثابة الجذور المؤسسة التي جعلت العقل الغربي يبدأ أول الأمر بالتنكر لكل ما هو ديني وعقدي ضدا على للكنيسة وإمعانا في مقابلة إذلالها للعقل بإذلال أنكى وأكبر، ثم يعود بعد ذلك إلى مناولة الشأن الديني ـ بعد أن انكسرت شوكة الكنيسة ـ بمنطق مادي وجودي يمليه عليه خوفه الشديد والدفين من أن يزل مرة أخرى، فيعيد إنتاج نفس التجربة الفاشلة من جديد .وطبيعي أن مثل هذا الفكر لا يسعه إلا أن يتخذ لنفسه ولرواده مسارا في الاتجاه المعاكس مع هذا الأخير، أي خارج الدين وضدا له، وبالتالي، فإن تدخله في تقييم المعتقدات الإسلامية وإبداء الرأي فيها وفي التراث الفكري المتولد عن رجالاتها وجهابذتها، من السلف الصالح ومن الكفاءات العلمية المعاصرة، والتي لا تقل عن ذلك السلف عددا وعدة، ولا تنقص عنه كماً وكيفاً ؛ ينبغي أن نرفضه نحن المسلمين، من أساسه، لا على رد الدين للغرب المستعمر، أو من قبيل تفجير عقد نقصنا أمام تفوقه وغلبته وفتوحاته العلمية المتتالية والمستمرة، كما يدعي بعض مثقفينا المتغربين، وإنما من باب توخي الموضوعية والنزاهة العلميتين اللتين يتشدق الغربيون أنفسهم باحترامهما، ويعتبرون ذلك أساس تفوقهم وغلبتهم، واللتين تخونانهم يقينا في مثل هذا الموقف، بسبب أحكامهم القيمية والمسبقة تجاه كل ما له علاقة بالدين، والوحي، بالأنبياء والرسل، وبالخلق الأول [3].

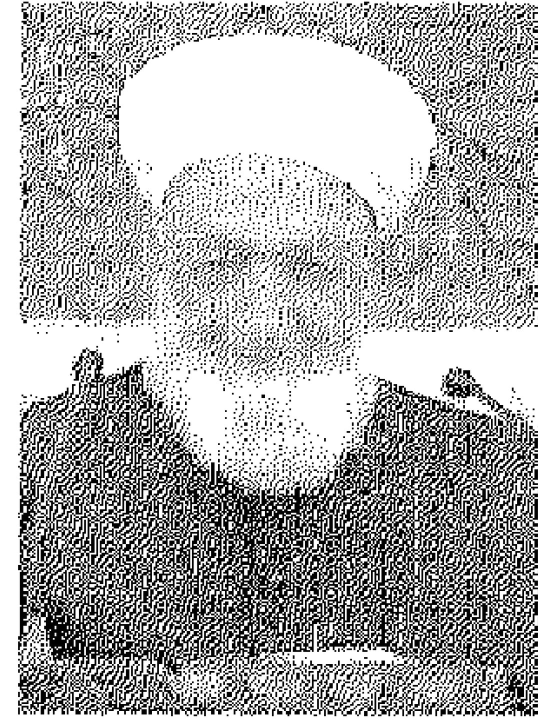
وإجمالا، يبقى التجديد الديني أقدم وأرسخ عمقا في الذاكرة الإسلامية من المطالب الغربية، وخاصة المطالب الأمريكية التي تطالب بالتجديد والتحديث والإصلاح، والتي غالبا ما تأتي في شكل ضغوط على الدول الإسلامية، ونرى أنه من الأفضل لنا أن ننخرط جميعا في معالجة سؤال التجديد الديني، انطلاقا من احترام السنة الإلهية التي تمثل ضمانا لا ضمان يعلو عليه، على رهن قضايا التجديد بضغوط سياسية عابرة، ومرتبطة بأسباب غالبا ما تكون ظرفية ومحدودة الأفق، وقد تخدم مصالح دولة أكثر من أخرى، هذا إن لم تكن رغبة غربية ملتوية تهدف إلى هندسة الإسلام بشكل يروق لهذه الجهات، تحت شعار التبشير بالرسالة الأخلاقية للأمة الأمريكية.إن خطابات الإصلاح والتطوير والتجديد الديني في إطار شامل ؛ تبقى أقدم وأرسخ وأكثر عمقا في تاريخنا الثقافي والسياسي من خطاب الإدارة الأمريكية، بل نجزم بأن مشروع التجديد الديني ليس بدعة ولا حدثا عارضا، وإنما بدأ مبكرا في القرن الثالث الهجري. فتاريخنا التجديدي والإصلاحي ولحظات تألقه وازدهاره .كانت ولا تزال تعبيرا عن احتياج فقهي وروحي ومجتمعي وتاريخي، تولد من داخل البنيات الداخلية أساساً، ولم يكن محض تعبير عن ضغوط ومطالب خارجية، وإذا حدث أحيانا فقد كان استجابة لنمطين من المطالبات والمؤثرات الداخلية والخارجية، والأخيرة لم يجد أكابر الفقهاء المجددين حرجاً من التصدي لها بالإبداع الفقهي الأصيل والمتجدد. ولقد سبق للشيخ أمين الخولي أن تحدث عن شرعية اصطلاح (التجديد الديني)، عندما أشار إلى أن «الحديث عن التجديد بدأ مبكراً منذ نحو القرن الثالث الهجري، ولم يبق بعد ذلك مقال لقائل ولا اعتراض لمعترض، ولم تعد فكرة التجديد بدعا من الأمر يختلف الناس حوله فتخسر الحياة ضحايا من الأشخاص والأعراض والأوقات، مما ينبغي أن تدخره هذه الحياة لتفيد منه في ميادين

ما مدى مصداقية الحديث عن التجديد الديني أو إصلاح الخطاب الديني في الظرفية الراهنة بالذات؟

3 ـ انظر كتاب (تحديث العقل المسلم) للكاتب المغربي محمد عزيز الوكيلي ـ مطابع رباط نت.الطبعة الأولى ـ 2004 مسيحي.

نشاطها». نحن إزاء اصطلاحات وأفكار واجتهادات إبداعية كشفت عن عمق وأصالة اتجاهات التجديد في الفكر الديني الإسلامي، وقدرته علي المواكبة وإنتاج الأفكار الخلاقة اجتهادا وبحثا وتأصيلاً ونقداً .

علينا أن نحدد طبيعة التجديد الذي يصلح لعالمنا العربي والإسلامي، وأن نحدد ونتفق على الأرضية والمنطلقات التي نؤسس عليها خطاب التجديد الذاتي، وليس تجديدا مفروضا بالترهيب والتهديد والوعيد، ولهذا كان محقا سماحة الشيخ أحمد كفتارو عندما أشار إلى أن « كلمة التجديد في الإسلام لا تعني تغيير الأحكام الثابتة النابعة من الأصول التشريعية، والإسلام يدعو إلى الفضائل والحقائق الواضحة في حياة الإنسان والكون، ومن يجهل فيدعو إلى محاربة الفضائل والتخلي عن منهج البحث عن الحقائق التي يدعو إليها الإسلام؛ فقد جانب الصواب ودعا إلى الجهالة[4]».



الشيخ أحمد كفتارو

وإذا كان العديد من الباحثين يؤكدون على أن الربط بين الإصلاح والتجديد الديني بضغوط أمريكية وأوروبية، يشكل عائقا نفسيا إزاء تداخل المفكرين أو المشايخ لإعادة التوازن إلى إطار طرح مسألة الإصلاح أو التجديد في الفكر الديني، بحيث أدى إلى شيوع خوف بعضهم من الربط بين الضغوط الغربية وبين مطالباتهم بالإصلاح ؛ لا يجب أن يقف عائقا أمام فتح باب الاجتهاد الديني، والتركيز على مفهوم الاجتهاد في الدين انطلاقا من منطوق الأثر النبوي، وليس التحديث في الدين، لأن القول بالتجديد الديني لا يعني في شيء القول بالتحديث الديني، فالتجديد يكون في الدين، حيث لا توجد ولا يمكن أن تكون هناك قطيعة مع التراث، على عكس التحديث، وكما كان في القارة الأوروبية، حيث جاء

4ـ حوار مع سماحة الشيخ أحمد كفتارو أجراه مراسل جريدة الشرق الأوسط في دمشق في 1998/10/24.

الذين في إفريقيا يحتاجون إلى وقت ليكونوا ضمن رؤية ما يسمى بالإنسان..!!

وعندما كنا نتكلم عن هذا الموضوع كان بعض زملائنا من أهل التحديث ومن أهل الفكر ومن أهل المعرفة العميقة بـ (الفكر الغربي) وما يسمى بـ (الوضع الراهن) للفكر الغربي؛ كانوا يعتقدون أننا من الطبيعي أن نقول هذا الكلام، لأننا مغلوبون على أمرنا ونُنَفّسُ عن حل مشاكلنا باتهام الآخر بهذه الأمور. نعم نحن مغلوبون على أمرنا، وعندنا مشاكل كثيرة، ومشاكل فيما بيننا، وقصور في الفهم...إلى آخر هذه القائمة. ولكن أيضا ـ وبالإضافة إلى هذا الهم ـ هناك الهم الآخر وهو اتضاح رؤية أن الكثيرين من الآخرين لا يقيمون لنا وزنا، ولا يطبقون علينا ما يسمى حقوق الإنسان، واحترام الصدق الإعلامي، واحترام الصدق في القول، والشفافية ..... إلى آخر هذا الكلام. هذه تطبّق ـ إن طبقت ـ على الإنسان (المتحضر) ولكن الإنسان الآخر من الممكن أن تعمل فيه أي شيء، حتى تلحقه ـ بعد ذلك ـ بمستوى الإنسانية المطلوبة.

هذه رؤية تحتاج إلى أن ندافع عنها، ليس من أجلنا ولكن من أجل الإنسان. بمعنى أننا لا بد أن نساهم مع إخواننا ـ في الشرق وفي الغرب ـ في إجلاء الحقيقة، حتى نعيش في مجتمع إنساني متحضر بمعنى الكلمة، وليس متحضرا بالعنوان، ثم يتم فيه الاختراق ولا يعلن عن هذا الاختراق بأي معنى من المعاني .

كتابات ضخمة وكثيرة وممولة ومجلدة وموضوعة على أفضل وأوسع وسائل النشر تقول عن الإسلام قولا لا يمكن أن يقبله أي إنسان غربي قرأ (ألف باء) الحضارة الإسلامية..!! وهم يسيرون في ذلك على أساس: أكتب والإنسان الذي لا يعرف شيئا عن الإسلام دعه يعرف شيئا سلبيا عنه.. وهكذا.

القرآن مستهدف استهدافا كاملا، وأنا لا أريد أن ألقي قصائد الرثاء عن القرآن، فالقرآن يحفظه الله سبحانه وتعالى، ولكن يحفظه بجهود المسلمين الذين يجب أن يقوموا بواجبهم نحو القرآن لتوضيحه للناس.

ليكرس قطيعة مع الماضي، وهذا يعني أنه يجوز الحديث عن التجديد في الدين، وليس التحديث فيه.

يرتبط السؤال الثاني بطبيعة التجديد الديني الذي نحن في حاجة إليه، وهذا سؤال يتطلب منا أن نأخذ بعين الاعتبار إشكالية تعدد الخطابات الدينية اليوم، والتي تتفرق على خطابات تتبناها المؤسسة الدينية الرسمية، أو خطابات تنتجها الحركات والجماعات الإسلامية، ويمكننا أن نضيف الخطابات الدينية الخاصة بالأقليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية.

فما هي طبيعة التجديد الديني الذي نحتاج إليه أكثر اليوم ؟ هل نتبنى خطة التجديد المؤسساتي الذي تسهر عليه الدول العربية والإسلامية ؟ أم نوفق بين هذا التجديد واجتهادات فقهاء ومرجعيات إسلامية لا تشتغل داخل هذه المؤسسات ؟ وكيف نتعامل مع فوضى الفتاوى التي يعرفها العالم الإسلامي؟

فما هو إلهي يبقى على حاله إلهيا مهما تطورت الأحوال وتقدمت الأزمنة، لأن الزمن والفضاء غيرواردين في حكم كل ما هو إلهي، ومن ذلك كلام الله عز وجل

من بين الأسئلة الحرجة التي لازالت معلقة كلما تعلق الأمر بموضوع التجديد الديني، سوف نكتفي بسرد الأسئلة التالية:

- كيف نتعامل مثلا مع الاستكشافات العلمية التي تتطلب آراء فقهية اجتهادية، منها عمليات الاستنساخ؟.
- كيف نحسم مع الاختلافات القائمة حول الموقف الشرعي من الفوائد المصرفية (البنكية) ؟.
- كيف نتعامل مع النوازل الفقهية الخاصة بالأقليات الإسلامية في الغرب؟.
- كيف نستوعب أن يكون هناك فارق بين أن نعرض أحكام الإسلام بشكل موضوعي محايد، وبين أن يكون التحليل (تعبويا) يدفع الناس إلى اتخاذ مواقف بعينها ويرفض مواقف أخرى هي بين القضايا الخلافية في الإسلام ؟.
- كيف نتعامل مع فوضى الفتاوى التي يعرفها العالم الإسلامي ؟.
- إذا كنا نقفز على هذه الأسئلة الملحة، فكيف نفكر أصلا في ضوابط ومعوقات التجديد أو مدارس التفكير؟.

إن الإعداد الحقيقي لمشروع التجديد الديني الذي نطمح إليه لن يتم - من وجهة نظرنا - خارج دائرة الاجتهاد الجماعي، فبرأي أحد الباحثين: هل من الممكن للاجتهاد في عالمنا المعاصر أن يكون اجتهاداً فرديا ؟ وبعبارة أخرى: هل في الإمكان الاطمئنان إلى جواب شرعي يكون مجموع اجتهادات فردية، وثمرة إعمال النظر الفقهي من الفقيه المجتهد يكون ملزما له، أولا وأساسا بمفرده ؟ فأصناف المعارف بلغت من التفرع والتخصص ما لم يعد في إمكان شخص واحد أن يحيط بكليات تلك المعارف، كما أنه ليس في مكنة فرد واحد أن يحصي أنواع المعارف ومجالات الدرس والبحث، ومن جهة ثانية فإن مقتضيات الوجود الإنساني المعاصر تجعل المرء أمام مشكلات وقضايا تتصل بجوانب عديدة، متداخلة، من شؤون الاجتماع والاقتصاد، وتتعلق بما يقوم بين الناس من علاقات.فإذا انتبهنا - بجانب ما نبهنا عليه - إلى حال المسلمين في عالم اليوم ؛ فإننا نجد ذلك التداخل بين المشكلات الاقتصادية والقضايا الاجتماعية قد أصبح أكثر تشابكا واختلاطا، والحل الخاص بنازلة فقهية معينة، لا يمكن أن يكون - من جهة الشرع وبموجب أحكامه - إلا حيث تكمن المصلحة الفعلية لأهل الإسلام، وذاك معنى القاعدة الأصولية الشهيرة (حيثما كانت المصلحة فثم شرع الله).

ونختم هذه الكلمة حول إشكالية أو تحدي التجديد الديني بتمرير إشارة إلى العقل السياسي

الغربي وممثليه من المفكرين المسلمين الذين يجتهدون في تمرير وجهات نظره بلغة عربية وفقه إسلامي لا يرتبط لا من قريب ولا من بعيد بالفقه الصالح بصلة، فنقول بأن العقل الغربي الذي ينظر إلى المسلمين، وإلى الإسلام من خلالهم، بتلك النظرة من الاستعلاء المصحوب بتلك الإرادة المبيتة في إظهارهم بما يليق به هو نفسه من مظاهر الهمجية والعدوانية ؛ لا يجوز أن يتخذه أي عاقل لبيب مرجعا ومصدرا يعتد بهما في فهم الإسلام وقضاياه، وفي إصدار الأحكام، على المسلمين (وعلى العقل المسلم)، والقول بالتالي إن على هؤلاء أن يتخذوا التجربة الغربية نموذجهم الأدعى بالاقتداء، والعقل الغربي دليلهم في فهم ليس الحياة والكون فحسب، بل في فهم الإسلام نفسه، وفهم الذات المسلمة، في حين أنهم (المسلمون) هم حاملو الرسالة ودعاتها الأجدر بالاقتداء والاتباع، ولكن، شريطة قبولهم ـ بعد طول تلكؤ وتردد وإحجام ـ بفكرة تجديد العقل وتحديثه بالصورة التي تجعلهم قادرين على مناطحة العقل الغربي على جميع الأصعدة.

❖ نحو إعادة قراءة النص القرآني

نأتي لما نعتبره بحق أهم هذه التحديات على الإطلاق، ونتحدث عن تحدٍّ يحمل عنوان (إعادة قراءة القرآن)، ونؤكد ـ لأهمية وخطورة الموقف ـ أن الأمر يتعلق بتحدٍ عظيم يعلو على جميع التحديات السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها، لأنه يمس النص الديني (القرآن الكريم) الذي يميز المسلم عن غيره، وسوف نكتفي بسرد مثال واحد فقط، يبرز خطورة ما يروج له في الكواليس الغربية والعربية ضد هذا النص المؤسس.

بتاريخ 10 و11 من شهر الكانون (ديسمبر) 2004، احتضنت مؤسسة فكرية في مدينة الدار البيضاء المغربية، ندوة فكرية دولية تحت عنوان: (من تفسير

تحفيظ القرآن من الأشياء المهمة، رغم أن بعض الناس يقول: لا تحفظ القرآن لأنه لابد أن يفهم الإنسانُ القرآنَ قبل أن يحفظه، ومعروفة أهداف هذا التوجه !! كيف ؟؟ الحمد لله أننا نجد ـ في أنحاء العالم الإسلامي، العربي وغير العربي ـ أن الذين يحفظون القرآن الكريم أكثر عددا من أي عصر من عصور تاريخ الأمة الإسلامية، وهذا فيه شيء من حفظ القرآن الكريم.

الجانب الآخر: الحرص على أن تكون هناك مؤسسات وجامعات ومدارس للمحافظة على القرآن الكريم، والمحافظة على القرآن في لغته وفي ترجمة معانيه على أوسع نطاق ممكن.

وفي تصورنا أنه لو اطلع الناس على هذا القرآن لكان ذلك أمراً في غاية الأهمية، وفي غاية الوضوح، وفي غاية الشفافية.. بالنسبة للناس جميعاً.

إخراج أي آية من القرآن خارج سياقها هو الذي أوجد التطرف عندنا (بين المسلمين) والقصور في الفهم، وعدم الوضوح، ثم يزكى ذلك الاستشهاد ببعض المواقف التراثية التي تروج لتلك الفكرة أو هذه. القرآن يؤخذ ويفسر بعضه بعضا، ولا نقتصر على كلمة واحدة أو نقطة واحدة ونقول إنه القرآن. والآن هناك كُتّابٌ عرب ومسلمون يُدافَعُ عنهم، ويُدعمون بكل أنواع الدعم؛ لكي يرددوا هذا القول الذي يقوله الغربيون، حتى يرسخ بين أجيالنا، ناهيك عن المترجمين.

ونحن ـ لحسن الحظ ـ معنا في هذا اللقاء كبار الذين ترجموا معاني القرآن للغات أوربية حية، وتحدثوا في مقدمات ترجماتهم عن الكيد الفعلي والمقصود في الترجمة لتوصيل المعنى غير العلمي لقارئ القرآن بتلك اللغة. ونراهم بعد ذلك يتحدثون عن الموضوعية العلمية !! وهناك فضائح كثيرة وكبيرة جدا من كبار أولئك الذين يكتبون عن القرآن من أجل تضليل الناس، وهنا يجب علينا أن ننقذ العلماء الغربيين من هذه المتاهة التي وضعوا فيها.

وللأسف بعض الناس مثل (برنارد لويس) الذي تحدث عنه بعض الإخوة في الجلسة

القرآن إلى القراءات الحديثة للظاهرة القرآنية) [5]، وقد صنفت الكراسة أنواع التفاسير أو القراءات إلى ثلاثة أنواع:

1 ـ القراءات التي تواصل العمل بالتقاليد الإسلامية للتفسير، حيث تطلق الكراسة على هذه التفاسير التي تشمل التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والتفسير الصوفي وغيرها ؛ وصفا آخر هو (التفسير الأرثوذوكسي).

2 ـ القراءات التي تعد امتدادا للتقليد الاستشراقي.

3 ـ القراءات التي أنتجها مسلمون مدركون لمأزق التفسير التقليدي، والذين يحاولون إخضاع النص القرآني لأدوات ومناهج القراءة الحديثة، مع الاعتراف به كنص مؤسس لدين استطاع أن يتجاوز حدود الزمان والمكان والثقافات.

اختار عدد من الباحثين المسلمين منطلقات فكرية وعقدية صاغها الاستشراق

ثم قامت الكراسة بعد ذلك باستعراض ما وصفته بـ (مأزق التفاسير التراثية)، مؤكدة أنه ـ لأسباب تاريخية ـ هيمن اتجاه تفسيري محدد على غيره، وهمشت خيارات تفسيرية من قبل التفسير الفلسفي للفخر الرازي أو التفسير الاعتزالي للزمخشري (القرن 12 المسيحي) وكذا مختلف القراءات الصوفية.وبرأي الكراسة، فقد طرح التفسير التراثي اليوم ثلاث مشكلات إبستمولوجية على الأقل:

ـ اتساع حقله المرجعي..فالتفسير التراثي لا يكتفي بإدراج النص القرآني ضمن مرجعيته، بل يضيف إليه أيضا كل الإنتاجات الثقافية التي تلته، ويتعلق الأمر على وجه الخصوص بالنصوص الثانية التي يرتبها وفق تصور كرونولوجي (الأحاديث النبوية وأخبار وأقوال الصحابة والتابعين).

ـ تتعلق المشكلة الثانية بالغاية من التفسير نفسه، فالقراءة التراثية تقعيدية معيارية، تعبيء المصادر اللغوية والأدبية والتاريخية بهدف استنباط القواعد الفقهية والعقدية بالأساس، وهذه ـ في الواقع ـ مقاربة براغماتية وظيفية، تفرض إجماعا مذهبيا مؤداه هو توظيف النص وإفقار التجربة الإيمانية التي هي محور علاقة المؤمن بالنص القرآني، وإفراغها من التوتر الناجم عن مسعى المؤمن وتساؤلاته الملازمة لكل حالة إيمانية.

ـ وفيما يتعلق بالمشكلة الثالثة، فتبقى لصيقة بمفهوم المعنى، على اعتبار أن التفسير التراثي ينطلق من فكرة وجود معنى واحد وأصلي أودعه الله في النص وأوحى به إلى نبيه. والحال أن هذه المقاربة أنتجت تفسيرا ذا مشروعية مؤسساتية، تحول مع مرور الزمان إلى عائق دون نفاذ المسلمين المعاصرين إلى النص القرآني.

نحن لا ننكر أن مجموعة من الأحداث والمستجدات العاصفة التي شهدها العالم خلال السنين الأخيرة حاضرة بثقلها في أغلب المبادرات الداعية مثلا إلى

---

5 ـ عرفت الندوة مشاركة نخبة من المفكرين العرب والمسلمين، وقد تمحورت المداخلات حول العناوين التالية: (البناء الاجتماعي للحقيقة: من المصحف إلى المتون الرسمية المقفلة ـ محمد أركون).و(المقاربة التاريخية النقدية في فهم النص القرآني ـ ألفريد لويس دوبريمار) و (ما الحاجة إلى تفسير جديد للقرآن؟ ـ المنصف عبد الجليل) و(الاتجاهات الحديثة للتفسير على الصعيد الدولي ـ جان دامن ماكوليف ـ جامعة جورج تاون ـواشنطن) و (أوامر إلهية أم أخلاقية قرآنية؟ ـ عبد الفيلالي الأنصاري) و(القرآن: من النص إلى الخطاب ـ نصر حامد أبو زيد) و(فلنقرأ ـ يوسف صديق) و(القراءة المعاصرة من التساؤل الحرج إلى البناء العلمي ـ فيصل العوامي المشرف العام على مجلة «القرآن نور» القطيف) و(البحث عن المعنى الضائع للقرآن: بين أحكام المؤسسة وشؤون الفرد ـ ألفة يوسف ـ المعهد العالي لأطر الطفولة، تونس) و(في بنية ومستويات النص الديني في الإسلام ـ المختار بنعبلاوي ـ جامعة الحسن الثاني.الدار البيضاء) و(الاستخدام السياسي للنص القرآني في الفكر الإسلامي المعاصر ـ محمد الشريف فرجاني).

تعديل المناهج الدراسية أو إعادة النظر في طبيعة الاجتهاد الذي تحتاج إليه أكثر الأمة الإسلامية، وغيرها من المبادرات والدعوات التي يربطها البعض بضغوط أمريكية مباشرة على الدول العربية والإسلامية. هذه معطيات ميدانية وموضوعية يصعب تجاهلها، ولكن حتى لو تركنا جانبا ثقل هذه الأحداث وإكراهات الضغوط الأجنبية، وفي مقدمتها الضغوط الأمريكية، فكيف نتعامل نحن كمسلمين مع الأصوات سالفة الذكر التي تدعو إما إلى إحداث قطيعة مع النص الديني المؤسس عند المسلمين أي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، أو عبر تقزيم حضور هذا النص، أو بكلمة، تدعو إلى نزع القداسة عن القرآن؟!.

وكما كان منتظرا، فقد ركزت المداخلات على إبراز حاجتنا إلى ما يسمى بـ (القراءات الجديدة) للقرآن، وهي قراءات ـ كما أشارت العديد من المنابر ـ تقتفي أثر بعض المستشرقين المغرضين، الذين سعوا إلى إثبات (تاريخية النص القرآني)، والتعامل معه باعتباره نصا نشأ في ظروف تاريخية، وإخضاعه لما يسمونه بـ (المناهج الحديثة) بما يعنيه ذلك من إسقاط كل ما راكمه المسلمون من علوم وآليات منهجية في فهم النص القرآني وتفسيره.ونتيجة هذه القراءات هي نزع القداسة عن القرآن الكريم، والتعامل معه على أساس أنه نص ديني اجتماعي وجب أن يخضع للنقض والنقد، وثانيا إفراغه من أي معنى محدد أو دلالة محددة، وجعله قابلا لكل المعاني حسب رغبة كل قارئ، إذ أن لا تناهي معانيه، معناه أنه لا معنى له، وهذا عين النقد الصارم والصادر عن الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن في المحاضرة القيمة التي جاءت تحت عنوان (الآيات القرآنية والقراءات الحداثية)[6]، وقد اتضحت ذهنية نزع القداسة ونزع المعنى الذي حامت حوله ندوة الدار البيضاء من خلال حيثيات الكراسة التعريفية بالندوة، عندما نوهت بالمستشرقين الأولين

6 ـ انظر نص تغطية محاضرة طه عبد الرحمن أنجزها منتصر حمادة في جريدة القدس العربي،لندن،20/12/2004.

الافتتاحية، والذي كتب كتابات يقول إنه كتبها قبل الأحداث ـ وقد كتبها بعد أحداث 11 / 9، أو كُتبت له ـ وينادي فيها ليس فقط بالمواجهة الثقافية مع القرآن ومع المسلمين ولكنه ينادي بالمواجهة العسكرية، لأنه صهيوني من كبار الصهاينة، وهو الذي أشرف على تحرير الموسوعة الجديدة للعالم الإسلامي (انسكلوبيديا الإسلام)، وتعلمون أن له صفات أخرى سيئة، ولكن من بين أسوأ الصفات أن تتخذه بعض الدول الإسلامية مسؤولا عن مراجعة مناهجها وتحديثها، حتى يرضى عنها الغرب، وتدفع له الملايين من أجل ذلك، ليكون لوبي لمصلحتها. بمعنى آخر إننا يجب أن نتنبه إلى أننا لا نواجه تفسيرا للقراءة الغربية للقرآن الكريم من طرف الآخر، ولكننا نواجه اختراقا للآخر في داخل صفوفنا.

نحن في المؤتمر العام للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية الذي عقد خلال الأسبوع الأخير من شهر الحرث (نوفمبر) 1374 ـ 2005 من بين الأمور الكبيرة التي أحسسنا بها قضية تشويه القرآن ومحاولة تغييره، وفرض ـ على المسلمين ـ عدم قراءة آيات معينة في الاحتفالات، وعدم قراءة بعض الآيات القرآنية للتلاميذ في المدارس، وشطب الكثير من المصطلحات الإسلامية... وفي واحدة من الدول حدثنا الإخوة عن أن (سورة الأنفال) و(سورة التوبة) لا وجود لهما، وإذا طبع القرآن بالنسبة للمؤسسات العلمية يجب أن لا تكون في تلك الطبعة هاتان السورتان. يعني.. هناك أشياء عجيبة..!!. وفي الحقيقة فإن هناك تشنجا كثيرا عند الرؤية الغربية.

بالنسبة للحوارات التي نعقدها مع إخواننا، وهي جيدة، ومع أناس محترمين، ولهم رأيهم، ونحن لنا موقفنا. وأحب أن أشير إلى أننا لا نطلب من الآخر أن يتوافق معنا في كل شيء، لكننا نحترم آراء بعضنا. ولا يخفى عليكم أن الحوارات جيدة، وهي أفضل من الأساطيل والتعذيب والسجون للمسلمين، واحتلال العالم الإسلامي، وإن كنا قد نُمنّى بذلك إذا كانت

الذين تجرؤوا فكسروا «الطابوهات والأفكار المسبقة التي أحاطت بقراءة النصوص المقدسة عموما والنص القرآني خصوصاً». وتضيف الكراسة أن « المعنى وفق المنظور الحديث، هو ثمرة علاقة جدلية معقدة بين القارئ والنص، ضمن محيط اجتماعي وثقافي وتاريخي ونفسي، فمعاني النص ـ سواء أكان نصا مقدسا أو غير مقدس ـ لا توجد مودعة فيه بمقتضى مقاصد مؤلفه، بل تتولد باستمرار، من خلال العملية التأويلية التي تمثلها القراءة المحكومة بنسبية مداركنا وتنوع تجاربنا، فتكون المعاني بذلك متغيرة ونسبية باستمرار». وهذه أمور متوقعة من قبل محاضرين يمثلون مدرسة واحدة، ومقاربة واحدة في النظر إلى القرآن الكريم وقراءته، ومعركتهم تكاد تكون واحدة ووحيدة هي نزع المعنى والقداسة، وذلك معناه في التطبيق نزع مركزيته ومرجعيته في حياة المسلمين، وهذا ما اتضح جليا للحضور عندما ادعى أحد المحاضرين بأن «الوحي القرآني لم يعد منتجاً للحقيقة !».

والذي نرى أنه لا يجوز بأي حال من الأحوال أن يتحول إلى شأن اجتماعي تاريخي معرفي مرهون بزمان النزول وظروفه، وبالتالي قابل للمراجعة والتعديل والتغيير متى تقدم الزمن وتغيرت الظروف، أي أن يتحول إلى مجرد تراث لمجرد ارتباطه بمصير الإنسان، واتصاله بفهم هذا الإنسان لذاته ولما حوله.وهذا هو الفهم الذي يريد البعض أن يجرنا إليه بطرق خطابية مختلفة، يعلن فيها بأن قدسية النص المنزل إنما هي من صنع العقل، وبالتالي ففي وسع العقل أن يتدخل فيها بالتخفيف ثم بالإلغاء، فيصبح النص إنسانيا اجتماعيا وتاريخيا، وبالتالي قابلا، كما التراث، للتعديل والتغيير أو النسخ أو التعطيل، وما دام قد تحول بعد الزوال إلى جزء من التراث ؛ فقد بات معرضا لأن يتجاوزه الزمن وتتخطاه تحولات المجتمع الإنساني، وتغض عنه الطرف قضايا الإنسان الحديث وانشغالاته بالغة التطور.وهذا منظور مغلوط من أساسه، لأنه أصلا قائم على مقدمة باطلة. فما هو إلهي يبقى على حاله إلهيا مهما تطورت الأحوال وتقدمت الأزمنة، لأن الزمن والفضاء غير واردين في حكم كل ما هو إلهي، ومن ذلك كلام الله عز وجل النابع من حكمة وعلم وخبرة ومشيئة ربانية، متصفة جميعها بالإطلاق.ومن ثم فما يطاله التغيير أو النسخ أو التعطيل هو تمثل العقل لكل ما هو إلهي، وهذا على الخصوص، في الأمور المحكمة التي لا علاقة لها بالحلال والحرام.

إذا كنا نقفز على الأسئلة الملحة فكيف نفكر أصلاً في ضوابط ومعوقات التجديد؟ أو مدارس التفكير؟

قواسم مشتركة

تلك إذن هي القواسم التي يشترك فيها ـ لسوء الحظ ـ المفكرون العرب والباحثون الحداثيون (7)

7 ـ إعلان باريس حول سبل تجديد الخطاب الديني بدعوة من مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، انعقد بباريس يومي 12 ـ 13 هانيبال (أغسطس) 2003 مسيحي، (اللقاء التشاوري حول السبل العملية لتجديد الخطاب الديني)، بين نخبة من المفكرين والباحثين والمدافعين عن حقوق الإنسان من 8 دول في العالم العربي (نحو ثلاثين مفكرا وباحثا وحقوقياً). وعبر ست جلسات، قدمت أوراق عمل أساسية للكتّاب: أحمد عبد المعطي حجازي، د.الباقر العفيف، جمال البنا، صلاح الجورشي، د.فيصل دراج، د.نصر حامد أبوزيد.وقد دار الحوار حول هذه الأوراق شفاهة تارة وبالتعليق المكتوب تارة أخرى، في مناخ من الجدية والالتزام والعمق، والشعور بالمسئولية الحقة بين المفكرين والباحثين الذين كانت مشاركتهم تعبيرا عن ذواتهم الفكرية الفردية لا تعبيرا عن أحزاب أو هيئات أو جماعات منظمة.
وتتلخص المستخلصات الأساسية لهذا اللقاء في النقاط التالية:

والتي تجعلهم يمارسون في كتاباتهم وخطبهم أشكالا شتى من المراوغة، ليقنعوا المتلقي بنفس الأحكام المستقاة من المصادر الغربية ذاتها، مجتهدين في تقديم ذلك بلبوسات متنوعة تذهب إلى تجريد النص المنزل في قدسيته، باعتبار هذه القدسية عملا إنسانيا يضفي صفة المناعة والثبات على النص المذكور، كالقول بأن النص لا يعود إلهيا بمجرد نزوله، بل يصير عنصرا اجتماعيا وتاريخيا، وإنسانيا بالتالي، بما يضفيه عليه العقل من الفهم، وبذلك يصبح جزءاً من التراث، وقابلاً للمراجعة والتحديث، شأنه في ذلك كشأن باقي النصوص الوضعية ذات العلاقة بالإنسان والمجتمع والتاريخ.

الاتجاه الأول: يرى أن القرآن فيه كل الإجابات، وأن قراءة سليمة صحيحة للدين ستكشف عن أن القرآن زاخر بالتجديد والحرية والعقل والتقدم والعدالة والشورى واحترام الآخر، فهو عقيدة وشريعة.

الاتجاه الثاني: يقول بتاريخية النصوص، وضرورة الاجتهاد على كل مستويات قراءة النص. فالمعاني لا تعطي ذاتها للقارئ وإنما يتم استنباطها على ضوء التجربة التاريخية، حيث إن النص القرآني ذاته استعمل لغة التاريخ.ومن ثم تصبح كل قراءة ممكنة مرهونة بالتاريخ المعطى، حيث تتجلى ضرورة إخضاع التفسيرات الموروثة للنقد باعتبار أنها القراءة الخاصة بزمانها، وذلك على ضوء معاشنا الراهن ومعطيات حياتنا المعاصرة.ويدعو هذا التيار إلى الدولة العلمانية التي لا تعني نفي الدين أو التناقض معه وإنما تطلق إمكانياته الروحية الكامنة من عقال القراءات الزمنية وأسر التوظيف السياسي والانتهازي.وفي نفس الوقت تصبح المرجعية في شؤون السياسة والتشريع مدنية لا دينية.

الاتجاه الثالث: يقوم على أساس الفصل بين (الدين) و (الفكر الديني).حيث الأول مقدس إلهي لا يمس، بينما الثاني بشري يخطئ ويصيب ويتغير بتغير العصور والحاجات الإنسانية المتحولة.

الأمور سائرة على هذا الطريق، وهي التصريحات السياسية على هذا الطريق.

أردت أن أشير إلى أن أحد كبار المحاورين المسيحيين - وليس متدينا - قال لي: أنتم يجب أن تنظروا نظرة علمية للتراث الخاص بكم، قلت له: نحن قلنا في تراثنا أكثر مما قلتم أنتم فيه، لكن فيما يتعلق بالقرآن وشخصية الرسولﷺ فهذه أمور أنتم تبالغون فيها كثيرا. فقال: أنا أريد أن تكون منفتحا أكثر. قلت: كيف ؟ قال: القرآن الكريم مثل العهد الجديد، نحن كنا منغلقين - مثلما أنتم منغلقون الآن - قبل أن نتقدم في هذا العالم. قلت: نفترض أنكم تقدمتم. قال: ليس مطلوبا أن تشطب الإصحاحات أو الآيات، ولكن المطلوب أن يعاد تفسيرها، ولا يُنظر إليها إلا وفقا للتفسير المعاد. قلت له: وضّح.. فلست أفهم ما تعني !؟ وكنت أعرف ما ذا يقصد وإلى أين يريد أن يصل، ولكنني قلت له أوضح. قال: نحن عندنا في المسيحية مسؤولية اليهود عن دم السيد المسيح، وهذه كانت تمثل مشكلة بالنسبة للسلام العالمي والتوائم بين الثقافات،... الخ، وبُذلت جهود كبيرة من قبل المنصفين والعلماء.... وتجد المسيحي الآن يقرأ الإنجيل ويفسر في ذهنه - وهو يقرأ - أن اليهود ليست لهم علاقة بدم المسيح....

قلت: هذا ممتاز، يعني أنتم عندكم الإنجيل وهو روايات وليس كلمة الله كما جاء ت لنبي الله عيسى عليه السلام، أما نحن فعندنا أن القرآن نزل على محمد رسول اللهﷺ وليس فيه إدانة لأي أحد، وإن وجدت هذه الإدانة فهي إدانة لغير الصالحين من أهل تلك الأديان، وحتى الذي تحدث فيه القرآن عن الكافرين - من المسيحيين أو اليهود - نجد أنه منسجم ومتفق مع وجهة نظر الوحي الذي جاء إلى اليهود وإلى المسيحيين، أو أنه ليس مقصودا به أمة كاملة، وليس موضوعا عدائيا عنصريا مثل ما عندكم أحيانا.

النقطة الأخيرة التي أحب أن أقولها في نهاية هذه الكلمة، وأتوجه بها - أنا شخصيا - إلى إخوتي العلماء في الغرب، وصانعي القرارات



قراءة في موقف بعض علماء الاجتماع وبعض المقررات الدراسية في الغرب

أ.د. نبيل السمالوطي *

إن القرآن الكريم هو كتاب الأمة الإسلامية والموجه للناس أجمعين، الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الناس إلى عبادة رب الناس، ومن سيادة الظلم والتسلط والغطرسة المادية أو الطبقية أو العرقية أو الثقافية إلى ممارسة العدل والحرية والمساواة، من الصراع الطبقي والاقتصادي والسياسي والحروب العسكرية المدمرة بين البشر على مصالح دنيوية خاصة محدودة وزائلة، إلى المجتمع الذي يسوده التكافل والتراحم والمودة والرحمة.

وللإسلام بمصدريه الأساسيين (القرآن الكريم والسنة المطهرة) منهجه في إصلاح الأرض بعد فسادها، ومنهجه في مواجهة المشكلات الاجتماعية، ومنهجه المتميز في إطلاق طاقات التنمية وتحويلها إلى خطط وبرامج تحقق أقصى درجات القوة الإيمانية بمعيار الكتاب والسنة، والقوة المادية والعلمية والتقنية والاقتصادية والعسكرية بمعيار العصر، والقوة الاجتماعية والسياسية بالمزاوجة بين ثوابت الإسلام وضوابطه التي لا تتغير (البناء العقدي والقيمي والأخلاقي والتشريعي) وبين المتغيرات التي تحقق المزيد من القوة الاجتماعية والسياسية بمقياس كل عصر (مجالس تشريعية، مؤسسات غير حكومية، مؤسسات تربوية وتعليمية تتسم بالجودة الشاملة، نظم إدارة لها القدرة على تحقيق الأهداف وتحقيق العدالة وتنمية منظومة القيم الإنسانية...إلخ).

وقد تنبه الغربيون إلى عظمة القرآن الكريم، وإلى أن هذا القرآن حقق أسرع تغير اجتماعي في تاريخ الإنسانية كلها، من خلال نقله إلى عالم الناس عن طريق محمد ﷺ، وتطبيقه منهجًا وفكرًا وقيمًا وغاية. كان الرسول ﷺ قرآنًا يمشي على الأرض، ومجموعة المؤمنين الذين حرص على إعدادهم في مدرسة النبوة، سواء خلال مرحلة الدعوة الشخصية خلال السنوات الثلاث الأولى من الرسالة، أو مرحلة الدعوة الجهرية بعد ذلك وعلى مدى عشر سنوات في مكة المكرمة وقبل الهجرة إلى المدينة، ثم من خلال دولة الإسلام التي تأسست بعد الهجرة..من خلال هذا الجهاد الطويل القاسي ضد مشركي مكة ومشركي الجزيرة ويهود المدينة والمنافقين بها ؛ استطاع محمد ﷺ بالقرآن نقل الناس من قبائل متصارعة متناحرة، ومن رعاة للإبل والشاة إلى صناع

* باحث وأستاذ جامعي / مصر

حضارة وصناع لأمم وشعوب متحضرة متقدمة، قادرة على إدارة العالم وقهر القوى الكبرى المتغطرسة، التي تكرس الظلم والفساد والإفساد في الأرض.

تنبه مفكرو وفلاسفة الغرب إلى أن القرآن الكريم دستور يصنع مشروعًا حضاريا إنسانيا يحقق القيم العليا، وهي قيم السماء لهداية الأرض.قيم الحق والخير والجمال والعدل والمساواة والتراحم والرحمة.هذا يعني أن المشروع الحضاري الذي يتبناه القرآن الكريم يتصادم مع مصالح دول الغرب، وهي مصالح استعمارية، رأسمالية، مؤسسة على إعلاء قيم الفردية، والنفعية، والبراجماتية، دون نظر لمصالح الآخرين، ودون نظر لمنظومة القيم الدينية كالعدالة والمساواة أو حقوق الإنسان. فالأهم في نظر منظومة الحضارة الغربية، المصالح الخاصة الفردية، ومصالح الصفوات أو النخب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الحاكمة، دون النظر إلى مصالح الجماهير. ودون النظر إلى القيم الإيمانية والأخلاقية والتشريعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي جعل منها القرآن الكريم ثوابت يجب الحفاظ عليها، والاسترشاد بها عند كل تحرك أو توجه أو تنمية أو فعل اجتماعي.

هنا بدأ الصراع بين منظومة القيم التي يرسيها القرآن الكريم وبين منظومة قيم الغرب ومصالح الطبقات العليا أو الصفوات الحاكمة والمسيطرة داخله.تمامًا كما بدأ الصراع بين منظومة القيم الحضارية التي أرساها القرآن الكريم، وبين قيم وأهداف ومصالح مشركي مكة ومشركي الجزيرة ويهود المدينة ويهود خيبر وقادة الغساسنة والفرس والروم قديمًا.

على هذه الخلفية نستطيع تحليل رؤية الغرب للقرآن الكريم وإقامة منظومة لدراسته، مع تحليل السنة النبوية والثقافة الإسلامية، بهدف فهمها والإلمام بها أولاً، ثم بهدف تشويه ما جاء بها وإيراد العديد من الشبهات والشائعات، التي تحول دون انتشار الإسلام الذي يمثل التحدي الأكبر ضد الأطماع والمصالح الاستعمارية والانتهازية والرأسمالية المتوحشة الراغبة في أمرين:

1 ـ استنزاف ثروات المسلمين والسيطرة عليها.

الثقافية في الغرب؛ هي أنه إذا كان صحيحا أنهم يقولون ما يقولون من أجل مواجهة الإرهاب والتطرف، فإن هذا الطريق الذي ارتضوه أخيرا، وهو مواجهة القرآن الكريم، هو الذي سوف يوجد تطرفا لم يأت في شكله تطرفٌ قبل هذا، وأنهم يقومون بهذا العمل وكأنهم يعملون لدى المتطرفين ولدى الإرهابيين، لأن الإرهابي إذا كان عنده فهم خاطئ للتراث الإسلامي، وتحرك وفقا لذلك خارج إطار الأمة وخارج قرارات الأمة؛ فإن مواجهة القرآن الكريم وشخصية رسول الله ﷺ من طرف الغربيين أو من طرف الآخرين؛ أقول إن هذا سوف يحول كل المسلمين إلى المواجهة العملية الواضحة، مثل ما تمت المواجهات في السابق ضد الاستعمار وضد الصليبيين وضد التتار وغيرهم....

ومعنى هذا، أن الذي يقوم بهذا العمل لا يريد ـ ولعل هذا هو الصحيح ـ حلا للمشكلة، ولكنه يريد تأزيما للمشكلة لأهداف عسكرية وأمنية تخص الغرب أو تخص آخرين في غير الغرب.

ولذلك فإننا عندما نعقد هذه الندوة العلمية، التي ليس فيها، ولا يفترض أن تكون فيها، رؤى مسبقة تكون أحادية الجانب، بالنسبة لتوضيح هذه القراءة الغربية للقرآن الكريم، ومدى مصداقيتها، ومدى إيجابيتها أو سلبيتها. هذه الندوة في تصورنا ـ ونسال الله سبحانه وتعالى أن تكون كذلك ـ هي من أجل مساعدة كل الناس، وليست من أجل مساعدة المسلمين ضد غيرهم من الناس أجمعين. لا.. هذه لكل الناس، من أجل فهم المسلمين وقرآنهم، ومن أجل فهم واضح لكل الثقافات ولكل الحضارات. ونحن لا نستطيع في هذا العالم أن نعيش في سلام وفي استقرار، وفي فهم مشترك وعيش مشترك، وتبادل تجاري واقتصادي وسياسي مشترك؛ إلا إذا كان هناك الاحترام المتبادل الذي يقوم على فهم صحيح ومشاركة صحيحة لكل الثقافات والحضارات التي أعطت و لها ما تعطي في هذا العصر.

2 ـ منع انتشار قيم الإسلام ومبادئه وأهدافه في أوروبا وفي العالم، تلك القيم والمبادئ التي تحمل مشروعًا حضاريا يعلي من مبادئ الحق والعدل والإخاء وحقوق الإنسان.

والمشروع القرآني الإسلامي يتصادم مع مشروع الهيمنة الغربية ومحاولة استنزاف ثروات الآخر، المسلم وغير المسلم، تحقيقًا لمصالح وجشع نخب محددة في العالم الغربي.

هنا ظهرت حركة الاستشراق، كما ظهرت حركة لنقل القرآن الكريم إلى لغات الغرب، بل وتفسيره من قبل مجموعة من المستشرقين. ولهذا نجد (نكلسون) المستشرق الإنجليزي، و(ماسينيون) الفرنسي، و(جولد تسيهر) الألماني الذي قام بتفسير القرآن الكريم. كما نجد غيرهم الكثير. وهنا كان لعلماء الاجتماع في الغرب دورهم في دراسة الإسلام ودراسة القرآن والسنة. البعض كان محايدًا، والبعض الآخر كان متعصبًا ضد الإسلام ومصادره بصورة خفية، والبعض أعلن العداء الصريح للإسلام. وقد وصل الأمر بمفكري الغرب إلى محاولة القضاء على القرآن الكريم (النص الإلهي الأصلي)، وترويج كتب هزيلة على أنها بدائل عن القرآن، أو على أنها هي القرآن، ولعل أبرز الأمثلة وأحدثها ما وزع من جانب أمريكا في بعض دول الخليج، وتم الترويج له تحت ما يسمي (الفرقان الحق). هذه المحاولات هي محاولات مستمرة من جانب أعداء الإسلام والحاقدين عليه، والذين يسوءهم انتشار قيم العدل والحق والإخاء ؛ لأنها تضر بمصالحهم المتوحشة، وقد بدأها مسيلمة الكذاب في نجد، ولا نتوقع أن تنتهي حتى تقوم الساعة. فالحياة كما أخبرنا عنها القرآن الكريم تقوم على التدافع بين الحق والباطل، وسوف ينصر الحق بإذن الله.

تنبه مفكرو وفلاسفة الغرب إلى أن القرآن الكريم دستور يصنع مشروعًا حضاريا إنسانيا يحقق القيم العليا.

وموقف بعض علماء اجتماع الغرب من المستشرقين الذين عالجوا قضايا الإسلام تحتاج إلى تجلية وتوضيح، فمنهم المحايدون والمنصفون، ومنهم المنحازون والضالون والمفسدون : هذا سوف يمثل الجزء الأول من البحث الحالي.

أما الجزء الثاني فيتمثل في كيفية تدريس الإسلام في الغرب، وكيفية فهم آيات الذكر الحكيم، وكيفية تشكيل اتجاهات الطالب الغربي نحو الإسلام والمسلمين. وهذه قضية بالغة الخطورة، لأن العديد من كتب ومناهج التاريخ والاجتماع والدراسات الثقافية التي يدرسها الطالب في الابتدائي والإعدادي والثانوي في دول أوروبا وأمريكا ؛ بها العديد من المعلومات المشوهة والمغلوطة حول الإسلام، وحول النبي ﷺ، وحول أهداف وقيم وسلوكيات المسلمين. ولا شك في أن خطورة هذا التزييف الواضح ـ سواء المقصود أو غير المقصود ـ في المناهج التي يدرسها الطالب الغربي : تتمثل في تكوين وجدانات واتجاهات ورأي عام معادٍ للإسلام والمسلمين لدى كل الناس في الغرب، دون داع ودون وجه حق، الأمر الذي ينعكس سلبًا على كل قضايا وما يهم المسلمين في العالم، اعتبارًا من قضايا فلسطين والعراق وأفغانستان والعالم العربي، إلى قضايا وحقوق الجاليات الإسلامية في الغرب. ولا شك في أن هذا الموقف المعادي للإسلام والمسلمين يؤثر على العلاقات والمعاملات بين دولنا الإسلامية والغرب، وفي مقدمة هذا حوار الأديان، وحوار الثقافات، والحقوق الاقتصادية والقضايا الوطنية.

ولعل أبرز جوانب الزيف والتشويه في كتب ومقررات التاريخ التي تدرس لطلاب أوروبا، كما عبرت عنها دراسات واقعية أجريت خلال السنتين الماضيتين. وعرضتا في مؤتمر عقد بجامعة الدول العربية في شهر الكانون (ديسمبر) 2004 مسيحي :

1ـ الإسلام ليس دينًا سماويا، وإنما هو ثقافة من الثقافات المتعددة في عالم اليوم (هذه النقطة تنسف أية محاولة للحوار).

2ـ الرسول ﷺ ليس مرسلاً من قبل الله، وإنما هو مفكر أو مصلح اجتماعي، أو في أحسن الحالات قائد مبدع

استطاع إحداث أسرع تغير اجتماعي وحضاري في التاريخ.

3 ـ القرآن الكريم ليس منزلاً من عند الله، إنما هو من تأليف محمد ﷺ، أو هو محصلة آراء سابقة عليه (إنكار للوحي).

4 ـ الإسلام انتشر بالسيف، وهنا يفسرون آيات الحرب والجهاد في الإسلام تفسيرات مشوهة، حيث يخلعونها من سياقها التاريخي والاجتماعي واللغوي، ويخضعونها لتفسيراتهم الشخصية المغرضة. مثل قوله تعالى :

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾

فهم يركزون على: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ويهملون ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ كما يهملون ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ ومثل قوله تعالى :

﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ﴾

فالأمر بالقتال هنا عندهم لغير المسلمين دون تمييز، مع أن الآية واضحة في الأمر بقتال المعتدين أو المتآمرين أو المفسدين الذين يضمرون شرًا بالمسلمين. ومن الثابت تاريخيا أن الرسول ﷺ لم يحارب إلا دفاعًا عن الدولة أو دفاعًا عن الدعوة، أو إحباطًا لمؤامرات القضاء على الإسلام والمسلمين. فلم يثبت التاريخ أي حرب عدوانية قام بها الرسول ﷺ .

5 ـ العداء للحضارة الغربية، ويستثمرون بعض الآيات القرآنية التي يخرجونها عن معناها الحقيقي مثل:

﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾

هذه حقيقة وهذا تقرير واقعي. وهم يتجاهلون أن المشروع الحضاري الإسلامي منفتح على كل الحضارات والثقافات، بما فيها الحضارات الوثنية، بعد عرضها على ثوابت الإسلام وضوابطه، فما اتفق معها وحقق نفعًا للمسلمين قبلناه. ولعل أبلغ الأدلة على هذا دخول الرسول ﷺ قبل البعثة في حلف الفضول. وقال عنه «لو دعيت إليه في الإسلام لأجبت»، والأمثلة كثيرة في عهد الرسول وأبو بكر وعمر بن الخطاب الذي أخذ عن الروم فكرة الدواوين. . . إلخ.

6 ـ الخلافة على أنها حكم ثيوقراطي ديني. والحق أن

قد أكون أطلت عليكم، ولكنني نقلت إليكم هموم إخوتكم في القيادة الشعبية الإسلامية العالمية وفي جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ونحن سوف ننشر مداولاتنا العامة وتوصياتنا، ونأمل أن تكون هناك مناقشات ليس من علماء القرآن فقط، وليس من علماء ترجمة القرآن، وعلماء التاريخ والتراث؛ ولكن من كل العلماء الذين يستطيعون أن يقدموا رؤى حول هذه القراءة الغربية وما فيها من إيجابيات وسلبيات، وما فيها من خطورة، وما فيها من توضيح، حتى يكون هناك خيرٌ نستشهد به في الحوارات، سواء كنا مسلمين أو غير مسلمين، ليكون ذلك منطلقا لفهم أعمق، ولوضع تنبيهات واضحة لكل من يعتقد أنه بتشويه القرآن يستطيع أن ينقضّ على هذه الأمة.

وتعرفون أن في الغرب هناك ما يسمى بـ (الثنك تانكس) والمجموعات الاستشارية الثقافية. في الماضي عندما كنا أطفالا كنا نصدق أن هذه المؤسسات هي مؤسسات فكرية محضة، تستهدف الخير والفضل، وتستخدم أسس العلم، ولكن وجدنا أنها قد تستخدم كل ذلك ولكنها توَظّف لأشياء أخرى. نحن نرغب ـ حقيقة ـ في أن تكون الدراسات علمية حتى تكون النتائج علمية، وتوظف في ما توظف له، ومتأكد من أن النتائج أو الإجراءات التنفيذية سوف تكون من أجل الاستقرار والسلام إذا ما كانت النتائج علمية، أما إذا كانت النتائج معروفة مسبقا، بمعنى عقد ندوة عن القرآن لشتم المسلمين وشتم القرآن، أو ندوة عن شخصية الرسول محمد ﷺ حتى تحط من شأنه، وتحدث عن المسلمين أو الهنود الحمر أو الصينيين حتى تحط من شأنهم ليسهل الإجهاز عليهم؛ فذلك ليس فيه سلام في العالم، وليس فيه خير للناس بمن فيهم الذين يستخدمون هذه الأشياء.

ولذلك فإنني أقول لكم باسم زملائي في القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، وباسم إخواني في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية: أنتم العلماء.. ولكم كل الحرية في إطار علمي موضوعي، وباستخدام كل وسائل البحث

الإسلام أبعد ما يكون عن الثيوقراطية. فالله لا يحكم العالم من خلال شخصية الحاكم، إنما الحكومة في الإسلام حكومة مدنية منتخبة من الجماهير، ويمثلهم أهل العلم والرأي والمشورة، وهم أهل الحل والعقد، وهناك شروطٌ يجب توافرها في الحاكم وحقوق للحاكم، وحقوق للمحكومين، ورقابة شعبية، وديمقراطية (شورى) في اتخاذ القرارات، وهو منهج واجب الأخذ به.

7 ـ المرأة في الإسلام مستعبدة مهضومة حقوقها، ليس لها حقوق. هذا كذب وافتراء، فتاريخ تكريم المرأة وتاريخ ميلاد حقوقها رسالة محمد ﷺ يقول تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً...﴾ [سورة النساء: الآية 1]

والرسول يوجهنا إلى أن (النساء شقائق الرجال). والقرآن يعطيها كل ما للرجل من حقوق، إلا حق القوامة. يقول تعالى:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [سورة البقرة: الآية 228]

والمرأة في الإسلام لها ذمتها المالية وحقوقها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية تماماً مثل الرجل، ولها أن تتقلد كل المناصب عدا مركز الولاية العامة في المجتمع. والمرأة في أوروبا حتى القرن الثامن عشر كان ينظر إليها على أنها شيطان، وأنها سبب الخطيئة الأولى، وأنها تتحمل هذه المسئولية. وهي إلى اليوم يتم الاتجار في جسدها وجمالها في الإعلام ولصالح رجال الأعمال والأرباح الحرام، التي يسعى رجال الأعمال في الغرب إلى تكريسها دون نظر إلى حلال أو حرام.

8 ـ ربط الإسلام بالتطرف والإرهاب والعنف. ففي كتب التاريخ لتلاميذ المدارس الإعدادية في إنجلترا، مثل كتاب (الأديان في العالم) Religions in the world عام 2002 مسيحي يقول المؤلف : «إن الإخبار عن الإرهاب كثيراً ما تشتمل على مسلمين، مثلاً نسمع عن جماعات فلسطينية مسلحة تفجر الحافلات في إسرائيل كما نسمع عن إرهابيين مسلمين يزرعون القنابل في المطارات ويقومون بخطف الطائرات.. ويبدو أن هؤلاء المسلمين متطرفون، لكن الأخبار ربما أعطت انطباعاً بأن هؤلاء يمثلون التيار العام للمسلمين وأن الإسلام دين عنف.

9 ـ الإسلام دين طقوس جامدة غير مفهومة (إفعل هذا ولا تفعل ذاك، هذا حلال وذاك حرام، هذا محظور وذاك مباح).. وهو لا يحمل رسالة حضارية للعالم.

10 ـ ربط الإسلام بالتخلف. فأغلب الدول الإسلامية من العالم الثالث هم لا يفهمون أن هذا لم يحدث بسبب الإسلام، وإنما بسبب تخلي المسلمين عن قيمهم الإيمانية التي هي قيم التقدم والحضارة، وأنهم أفرزوا أكبر حضارة علمية وفكرية وثقافية عندما تمسكوا بدينهم، وأن هذه الحضارة ساعدت أوروبا على النهضة والصحوة بعد مرورها بالعصور الوسطى المظلمة.

هذا بعض من ما ورد في كتب ومناهج التاريخ والاجتماع والدراسات الثقافية في أوروبا وأمريكا عن الإسلام والمسلمين. وقد عقد في رحاب جامعة الدول العربية مؤتمر مهم، شارك في عقده اليونسكو والمعهد السويدي بالإسكندرية تحت عنوان (المؤتمر الدولي عن صورة الثقافة العربية والإسلامية في كتب التاريخ في الدول الأوروبية) في الفترة من 12ـ 14 الكانون (ديسمبر) 2004 مسيحي. وقد كانت أهداف المؤتمر كما يلي :

1 ـ تنقية كتب التاريخ في أوروبا والغرب من الصورة السلبية والمعلومات المشوهة، أو مراجعة وإزالة الأخطاء في الكتب المدرسية، مثل الصور النمطية السيئة عن الآخر، التي تحط من شأن الثقافات الأخرى.

2 ـ التمييز بين الإسلام ديناً ومبادئ وأسس وقيم، وبين سلوكيات بعض المسلمين، أو التاريخ السياسي للدول الإسلامية.

3 ـ الحوار بين الأكاديميين وواضعي المناهج لتصحيح الأخطاء التي تخلق صورة سلبية عن الآخر، وتؤدي إلى العداء والخلافات بين الشعوب.

4 ـ السعي لتربية الطلاب في الدول الإسلامية والغربية على التسامح واحترام الآخر، وقبول التعدد في المنظورات Multiperespectivity .

5 ـ بناء آلية دائمة للحوار الثقافي بين العرب وأوروبا ؛ لمراجعة الكتب المدرسية، وتصحيح ما بها من أخطاء نحو الآخر.

وقد خرج المؤتمر بعدة توصيات، أهمها :

1 ـ ضرورة العمل معًا (المسلمون والأوروبيون) على تصحيح الأخطاء الواردة بالمناهج الدراسية، كل عن الآخر، بناء على معايير أكاديمية دقيقة.

2 ـ إرساء مبدأ التنوع الثقافي والديني، ووجود رؤى متعددة.

3 ـ ضرورة الاعتماد على وثائق ومصادر صحيحة.

4 ـ مناقشة كيفية معالجة المسائل الخلافية.

5 ـ تبادل الطلاب والمنح الدراسية وعقد ندوات ولقاءات لتدريب المعلمين.

6 ـ إقرار خطة متوسطة المدى للتعاون المشترك ؛ لإنتاج مواد علمية تدرس، يشارك فيها أوروبيون وعرب.

7 ـ ضرورة إعداد توجيهات محايدة لتوجيه المدرسين ومؤلفي الكتب المدرسية للاسترشاد بها.

موقف بعض المشتغلين بعلوم المجتمع الغربي من الإسلام

يتضح للمستعرض لموقف علماء اجتماع الغرب من الإسلام أن هناك تناقضًا كبيرًا في المواقف وفي النظرة إلى المشروع الحضاري الإسلامي وعلاقته بالمشروع الحضاري الغربي. فهناك من يقفون موقف العداء السافر للإسلام ومشروعه الحضاري، مثل : (ماكس فيبر)، و(ماكسيم رودنسون)، خاصة في كتاباته الأولى، و (فرنسيس فوكوياما)، و(صمويل هنتنجتون) أستاذ العلوم السياسية في هارفارد.

وهناك من العلماء من أدركوا أن الإسلام ومشروعه الحضاري لا يتعارض مع العلمية والعقلانية والموضوعية، وإعلاء قيمة الإنسان، وهي الأمور التي دافعوا عنها، وكان هذا الإدراك في أواخر أيامهم، مثل: (كونت) و(سبنسر)، وهناك من يتناول الإسلام بموضوعية وحيدة إلى حد كبير وفهم لجوهر رسالته الاجتماعية التي تتصل بتحرير الإنسان، وتحقيق العدالة والمساواة

العلمي القديمة والحديثة، لتقديم قراءة صحيحة في هذه القراءة الغربية للقرآن الكريم، بما فيها من خير وبما فيها من سلبيات. ونحن لا نسمح لأنفسنا ـ لا على أساس الدين الإسلامي ولا على أساس ثقافي ـ بأن نقول لكم تعالوا في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وفي كلية الدعوة الإسلامية، وفي رابطة الجامعات الإسلامية؛ وادرسوا لنا القراءة الغربية للقرآن الكريم لتسفهوها ولتهاجموها، ولكن نقول لكم: أدرسوا ذلك الأمر دراسة علمية، لنستفيد بما في ذلك من إيجابيات، ولننبه إلى، ونوضح الرؤى التي تتصل بأية سلبيات إن وجدت. هذه هي الطريقة الصحيحة.

وأنتم تعلمون أن الحوار أساسي في الإسلام، والمحاور المسلم يعطي لذلك الآخر حقه في توضيح رأيه، ولا نذهب إلى التراث الإسلامي، ولا نذهب إلى أبي الحسن الأشعري أو غيره من تراثنا، ولكن نذهب إلى القرآن الكريم، حيث نجد أن الشيطان يعطى الفرصة ليقول الكلام الذي يعتقده في حوار القرآن معه، وكذلك الذين يناقضون الإسلام، والكافرين. وهذا تراثنا، وتراثنا ليس تراثاً عدوانياً، وإذا حدث ـ في مرحلة من مراحل تاريخنا ـ أن هناك من يكفّرون الناس، ومن يعتدون على الناس؛ فهؤلاء انطلقوا من لحظات معينة كان فيها الغبن والضعف، وفيها الجهل وعدم الفهم.

ونحن ننطلق من هذا القرآن العظيم، ومن معرفتنا بشخصية الرسول العظيمﷺ، ومن رؤيتنا الثقافية الواضحة، ننطلق من أجل الحق، ومن أجل الحديث الحق، والحوار الحق، للوصول ـ بإذن الله سبحانه تعالى ـ إلى الحق.

أشكركم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

❖ كلمة الأخ أمين الجمعية في الجلسة الإفتتاحية للندوة

والتنمية، وإن كان يشوبها - في بعض الأحيان - قدر من الخلط والتحيز واللاعلمية، مثل: (جاك بيرك) المستشرق وعالم الاجتماع الفرنسي، و(أوليفيه كاريه) أستاذ الدراسات الإسلامية العليا بالسوربون. وسوف نبدأ بالعرض ثم النقد والتقويم.

موقف ماكس فيبر


ماكس فيبر

يتضح موقف ماكس فيبر من الإسلام وتأكيده على أن الإسلام لا يسمح ولا يدعو إلى التنمية الاقتصادية، ولا إلى المشروع الرأسمالي ؛ لأنه دين يدعو إلى التمتع بمباهج الحياة الدنيا لدرجة أصبح معها هذا التمتع هدفًا في حد ذاته، واستدل على هذا بموقف الإسلام من النساء والملكية الخاصة، وذهب إلى أن هذا الدين لا يدعو إلى البيوريتانية أو التطهر والعفة، ولا يؤسس أخلاقًا تنسكية، ولا يفصل بين الأوامر الأخلاقية وبين الوجود والاستمتاع بمتع ومباهج الحياة الدنيا. وخرج من هذا بنتيجة مؤداها أن الإسلام لا يوفر لمعتنقيه الدافعية الكافية للعمل والجد والإنجاز وتحقيق التراكم الرأسمالي، كما لا يدعو إلى العقلانية والموضوعية. وهي أمور لابد منها لقيام المشروع الرأسمالي، ومن ثم التنمية والتقدم الاجتماعي الحقيقي أو النمو الحضاري المتميز في نظره.

ويشير فيبر إلى أنه قد ظهر نظام إقطاعي في الدول الإسلامية، إن الفلاحين كانوا يسددون الضرائب لصاحب الأرض، وأنه ظهر نظام بيروقراطي خلال بعض العصور الإسلامية كالعصر العباسي والمملوكي والعثماني، لكنه يرى أن الإقطاع الشرقي اتسم بالاستبداد، مما أدى إلى الركود الاقتصادي، ولم يتح الفرصة لظهور الرأسمالية كما حدث في الغرب. ويذهب فيبر إلى أن البيروقراطية التي ظهرت في الدول الإسلامية لم تتسم بالطابع العقلاني، الأمر الذي عوّق ظهور الرأسمالية في تلك الدول. وهو يرى أن النظام الإسلامي وطبيعة النظم الإقطاعية والبيروقراطية التي ظهرت في المجتمعات الإسلامية لم تؤد إلى نمو العقلانية والدافعية للإيجاز والإنتاج، ولم تدعم الدافع للعمل المنتج والادخار، وبالتالي لم تؤد إلى تراكم رأسمالي يسهم في ظهور النظام الرأسمالي، وهو شرط أساسي للنمو عند فيبر، وهو يرى أن هذا النظام بشكله المؤدي إلى النمو والتقدم لا يظهر إلا في ظل الحضارة الغربية، تحت تأثير البروتستانتية، وإن كانت جذورها ترجع إلى الفلسفة الإغريقية.

موقف ماكسيم رودنسون


ماكسيم رودنسون

وإذا ما انتقلنا إلى عالم الاجتماع الفرنسي (ماكسيم رودنسون M.Rodenson) نجد أنه نشر عام 1966 مسيحي دراسة بعنوان (الإسلام والرأسمالية)، كما نشر مجموعة مقالات عام 1970 مسيحي بعنوان (الماركسية والعالم الإسلامي). وقد ذهب إلى أن الإسلام لا يقبل الرأسمالية لأنه لا يحرص على العقلانية، وإلى أن الإسلام لم يوضح مسارًا اقتصاديا متميزًا ومحددًا لأتباعه، وهو بهذا يرى أنه لم يوقف انتشار الرأسمالية والاشتراكية في العالم الإسلامي، ويرى هذا المفكر أنه لا يوجد طريق ثالث، فالاقتصاد إما أن يكون رأسمالياً أو ماركسياً، فليس هناك في نظره اقتصاد إسلامي أو مسيحي أو عربي أو أوروبي.

وكرر رودنسون نفس هجوم فيبر على الإسلام بغير علم، حيث ذهب إلى أن الإسلام لا يحقق التعبئة الاقتصادية للجماهير، ولا يحفزها على العمل والإنتاج وتحقيق الإنجاز، وناقش موقف الإسلام من الربا مؤكدًا أن موقف الإسلام من الربا والفوائد وأرباح البنوك والودائع يعد معوقًا للنمو الاقتصادي. وهو يدعي أن العديد من صور النشاط الاقتصادي داخل العالم الإسلامي هي صور رأسمالية خضعت للاحتيال على تحريم الربا، وبهذا تطابقت - إلى حد كبير - مع النمط الآسيوي في الماركسية، وهو - في نظره - نمط إقطاعي.

وفي الفصل الثالث من دراسته الثانية التي أطلق عليها (الأيديولوجية الإسلامية) خرج بأن الإسلام لا يدعم النمو الاقتصادي، وكل ما يستطيعه هو التأثير العاطفي على الجماهير، لكنه لا يحقق التعبئة الاقتصادية ولا يحدد لهم طريقًا محددًا، ولا يقدم لهم توجيهات محددة، وأكد في نهاية دراسته أن الجماهير سوف تنصرف عن الإسلام إن عاجلاً أو آجلا. وقد عدل رودنسون هذه النظرية إلى حد ما في دراساته اللاحقة.

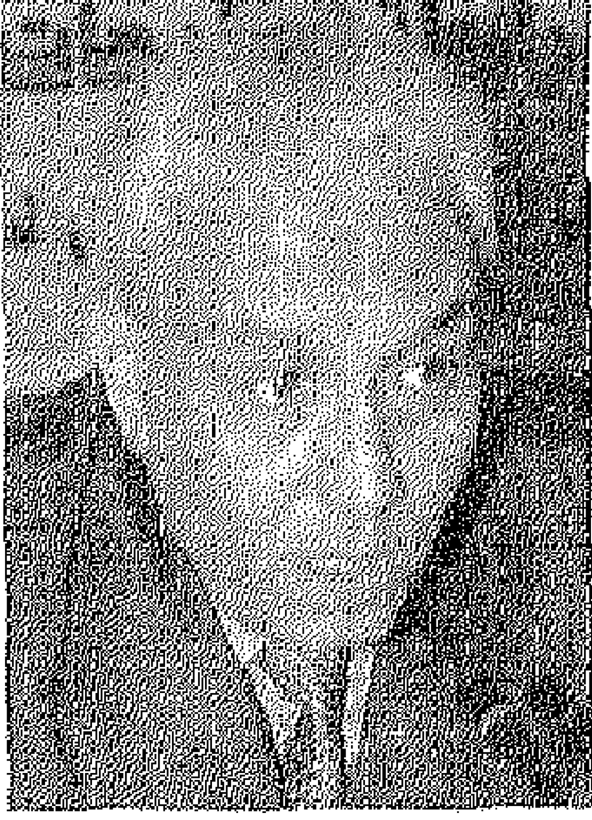
موقف فوكوياما


فرانسيس فوكوياما

وإذا ما انتقلنا إلى (فرانسيس فوكوياما F.Fukuyama) الذي يرى أن النظام الليبرالي الغربي هو نهاية التاريخ، وأنه هو الحل لكل تجارب التخلف للخروج من مستنقع التاريخ والتخلف، وذلك في كتابه بعنوان (نهاية التاريخ وخاتم البشر)، فإننا نجده يتساءل عن مدى وجود حركات ونظم ونماذج قادرة على منافسة النظام الليبرالي، وهو يرى أن هذا النموذج الأخير قضى على كل النماذج الهزيلة المناوئة له كالنازية والفاشية والماركسية. فقد تم القضاء على النماذج النازية والفاشية عن طريق الرفض الأخلاقي والتدمير العسكري لهذه النظم، أما النظام الماركسي فإن فشله الاقتصادي هو الذي قضى عليه، وعلى الرغم من المسيرة المستمرة والناجحة لنظام السوق ؛ فإن هناك مجموعة من التحديات التي تعترضه، أبرز أهمها في تحديين أساسيين هما :

الأول : القوميات والنزعات العرقية، وهذه ليست إلا شكلا من أشكال الارتباط الثقافي بالماضي، وهي سوف تزول مع مسيرة التاريخ.

الثاني : التيارات الدينية والصحوة الأصولية عند المسلمين والمسيحيين واليهود، وهذه التيارات تعكس ظاهرة الخواء الروحي أو القيمي، وعدم النجاح في إشباع الجوانب الروحية عند الإنسان، على الرغم من تزايد الإنتاج المادي، واتساع نطاق الاستهلاك في المجتمعات



عميد كلية الدعوة الإسلامية:

مخاطبة ذوي العقول السليمة في المجتمعات الغربية *

إنه لشرف عظيم لكلية الدعوة الإسلامية أن تحتضن هذه الندوة العلمية المهمة، والتي يتعلق موضوعها بأعز وأقدس نص عرفته البشرية ألا وهو القرآن الكريم، وإنه لشرف لهذه الكلية أيضا أن تستقبل هذه النخبة المتميزة من علماء الأمة ومثقفيها والمهتمين بالشأن الديني فيها، ولعل مشاركة هذا الحشد من العلماء من عدد من الجامعات العربية والإسلامية والأوربية، واستجابتهم لمناقشة هذا الموضوع المهم؛ يؤكد خطورة المرحلة التي نعيشها، وخطورة التوجهات التي بدأت تظهر في العالم الغربي تجاه القرآن الكريم، بعضها يستند إلى تراث أوربي كبير في التعامل مع النص القرآني، وبعضها يستند إلى آراء دينية متطرفة سيطرت على أفكار السياسيين في الغرب، وأفرزت جملة من التعاملات الغربية مع القرآن الكريم؛ تعتبر الأخطر في تاريخ اهتمام العالم الغربي بالعالم الإسلامي.

كلنا يعلم أن النص القرآني حظي بعناية أوروبية تفوق التصور، شاركت فيها أقلام من مختلف التخصصات وبمعظم اللغات الأوروبية، ترجمة ودراسة وتحليلا و إعجابا وقدحا، واستندت هذه العناية إلى دعم كنسي يأتي في إطار الرد على انتشار الإسلام السريع

الغربية. وهو يعترف بأن هذا الجانب يمثل نقطة ضعف في النظام الليبرالي، على الرغم من أن هذا النظام كان هو المخلص من الاستبداد الكنسي والديني في الغرب. وهو يرى أن هذه التيارات غير ذات بال، ولن تؤثر على مسيرة الليبرالية. وهو يركز بشكل خاص على الإسلام؛ لأنه الدين الوحيد الذي يقدم مشروعًا حضارياً ونموذجًا سياسياً متكاملاً يمكن إحلاله محل النظام الليبرالي، لكنه يطمئن نفسه بأن الإسلام ليس له جاذبية عند غير المسلمين، وبهذا لن يتحول إلى حركة عالمية، ولن يصبح - في نظره - بديلاً عن النظام الغربي، وهكذا سيسود النظام الثقافي والاقتصادي المتجانس عالميا. ولا شك في أن هذا التحليل يعكس مخاوف الغرب الشاذة من انتشار الإسلام في الغرب، وهو ما يمكن أن نطلق عليه (اسلاموفوبيا).

موقف هانتجتون

وإذا ما انتقلنا إلى (صمويل هانتجتون) أستاذ علم الحكومات بجامعة هارفارد، نجد أنه لا يقل تحاملاً وحقدًا على الإسلام من المفكرين السابقين، فقد تبنى نظرية أطلق عليها (نظرية الصدام الدموي بين الحضارات). وهي تتضمن فكرة لها جذورها القديمة في الفكر الثقافي والسياسي، وقد ذهب هانتجتون إلى أن القرن القادم يحمل احتمال صراع دموي بين الحضارات، وأن الحرب أو الشكل الأساسي للصراع القادم هو صراع الحضارات. وهو يرى أن هناك سبع مجموعات حضارية وهي: الحضارة الغربية، والإسلامية، والكونفوشيوسية الصينية، والسلافية، والأرثوذوكسية، والإفريقية، وأخيرًا حضارة أمريكا اللاتينية. وهو في تبنيه للحضارة الغربية والدفاع عنها يؤكد ضرورة تحقيق أقصى درجات التعاون بين الدول المنتمية لها على كل المستويات، ويؤكد ضرورة الحد من التوسع العسكري والاقتصادي والسياسي للحضارات الأخرى، خاصة تلك التي يمكن أن تكون خصمًا للحضارة الغربية، وهو يركز بشكل خاص على الحضارة الإسلامية، يرى أنها تمثل خطرًا على الحضارة الغربية، وتحمل عناصر الإرهاب والعنف؛ ولهذا يرى أنه يجب استغلال الخلافات بين الدول الإسلامية والعمل على تفاقمها لإضعاف هذه الدول، حتى يمكن وضع قدراتها باستمرار تحت سيطرة الغرب وتحكمه، وهذه الدعوة العنصرية في النظر إلى الحضارات، ورمي الإسلام بالعنف والإرهاب والخوف المرضي منه، والنظر إليه على أنه البديل للعدو السوفيتي الماركسي المنهار، فالإسلام هو الخطر الأخضر الذي حل محل الخطر الأحمر في تهديد الحضارة أو المشروع الحضاري الغربي في نظره.

لا شك أن هذه الدعوة دعوة عنصرية، وهي بطبيعتها غير حضارية، وهي دعوة يحاول بها كتاب الغرب وقف زحف الفكر الإسلامي على الغرب لتخليصهم من أسر حضارة العبودية للمادة والآلة. فليس تاريخ الثقافات والنظم والفلسفات إلا تاريخ الحوار والانتشار والتفاعل، فإذا حدث الصراع كان في بعض الجوانب، ولكن الأصل هو التفاعل الإيجابي، وتاريخ حضارات العالم يشهد بذلك.

موقف جاك بيرك


جاك بيرك

هو عالم اجتماع ومستشرق فرنسي يؤكد أن الإسلام دين الوسطية، مستدلاً بالآية 143 من سورة البقرة: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا﴾،

وهو يرى أن صورة الإسلام في الغرب صورة مشوهة عن عمد، فهم يصفونه بالأصولية.

وعلى الرغم من أن كل الأديان لها أصول، وهذا ينطبق على اليهود والمسيحيين والمسلمين، إلا أن الغرب حين يطلقها على الإسلام يقصد بها التطرف والعنف والانغلاق، وهي خصائص منافية تمامًا لحقيقة الإسلام.

وهو يرى أن خوف الغرب من الإسلام بالذات، ومحاولة تشويهه، ترجع إلى عدة أمور منها :

1 - أن العرب والمسلمين هم أكثر الشعوب قربًا من حيث الجوار الجغرافي من الغرب.

2 - أن المسلمين والغرب بينهم عداوة تاريخية بسبب الماضي الاستعماري.

3- أن المجتمعات الإسلامية والإسلام هي العقبة الكبرى أمام الغرب للسيطرة على العالم واستقطابه، فهذه المجتمعات الإسلامية تقف في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل في محاولة إخضاع كل مناطق العالم لسيطرتها ؛ ولأنها أمة لها رسالة تتصل بنشر الحق والعدل.

4- أن الإسلام له برنامجه الذي يتسم بالعالمية والدوام، ويتناقض مع برنامج الغرب، وهذا يضعنا أمام نموذجين اجتماعيين.

ويؤكد بيرك أن الإسلام مستهدف لحملات الدعاية المسمومة من الغرب، وقد ألف بيرك وترجم العديد من الكتب، منها: (العرب من الأمس إلى الغد)، و(الشرق ثانيا)، و(الإسلام أمام التحدي)، و(المغرب بين حربين)، و(مصر: الإمبريالية والثورة)، و(المغرب: التاريخ والمجتمع)، و(من الفرات إلى الأطلسي)، وفي عام 1987 مسيحي أصدر كتابًا بعنوان (عربيات)، وفي عام 1989 مسيحي أصدر كتابًا بعنوان : (مذكرات الضفتين)، وآخر كتاب له عام 1993 مسيحي كان بعنوان : (إعادة قراءة القرآن). وقد انقسم المفكرون المسلمون إزاء فكرة بيرك، فالبعض يرى أنه خدم الإسلام كما لم يخدمه أبناؤه ومعتنقوه، وكان صوته في السوربون وفي (الكوليج دي فرانس)، وفي كافة المعاهد والمحافل العلمية الدولية أعلى الأصوات دفاعًا عن المسلمين وصورة العرب في أوروبا، وهناك من يتهم هذا المفكر بالحقد والتجني على الإسلام، وهناك من يرى أن أعداء العرب والحاقدين على الإسلام وراء هذه الحملة ضد الرجل للإيقاع بينه وبين المسلمين، وما يزال الأمر محتاجًا لتحليل موضوعي لآراء الرجل.

موقف أوليفيه كاريه

هو مفكر فرنسي يشغل وظيفة كبير أساتذة جامعة السوربون للدراسات العليا والبحوث العربية والإسلامية. ينقسم الرأي إزاء فكره، فالبعض ينظر إليه كمستشرق، والبعض يرى أنه باحث موضوعي عرف بدفاعه عن الإسلام والالتزام بالتحليل العلمي في العالم، وتحول هذه العناية بعد ذلك لتستخدم في إطار توسيع المشروع الاستعماري للعالم الشرقي، بتقديم تفسيرات للنص القرآني تعتمد التشويه والتضليل المتعمدين، ثم جاءت المرحلة الجديدة التي نعيشها الآن، وهي التي بدأت بشكل جنوني بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والتي يشترك فيها الدينيون والسياسيون والاقتصاديون والإعلاميون وعلماء الاجتماع، والتي جعلت القرآن الكريم الهدف الأول للحملة المعاصرة، وذلك يتم في اتجاهات متعددة أبرزها:

1- العمل على إزالة القرآن كليا من حياة المسلمين، باستخدام ما سموه بـ (الفرقان الحق) بديلا للقرآن الكريم.

2- الضغط باتجاه نزع آيات محددة من النص القرآني، وخاصة تلك التي تدعو المسلمين إلى مقاومة العدوان والانتصار للحق ورفع الظلم عن المستضعفين في الأرض.

3- تسريب تفسيرات غريبة لنصوص القرآن الكريم لا تستند إلى منطق علمي من أجل تشويه القرآن الكريم من خارج نصه.

لقد كانت المرحلة الأولى للصدام المسيحي الإسلامي تتوجه نحو احتلال المقدسات، وجاءت المرحلة الثانية لتتوجه نحو السيطرة على المسلمين أرضا وشعوبا وثروات، وها نحن نعيش المرحلة الثالثة التي تستهدف الإسلام دينا وثقافة وحضارة، وهو ما جعلنا ندق ناقوس الخطر، لأن الإنسان لا يمكن أن يحيى دون عقيدة وهوية، ولكن.. مع كل ما في هذه الحملة من شراسة وعدوانية، ومع ما فيها من أخلاقيات تستهجنها الديانات الحقيقية والحضارات العظيمة؛ فإننا لا نرغب أن نجر إلى الوقوع في ردة الفعل، لأن ذلك منطق غير علمي، بل نرغب في مناقشة الأمور بعلمية مطلقة، بعيدا عن العواطف والتشنجات، وبروح تلتزم بحرية الرأي والرأي الآخر، وتقدر للآخر ضبابية الرؤية عنده أحيانا، ووقوعه فريسة المؤامرات الخارجية أحيانا أخرى.

الأكاديمي، على الرغم من أنه لم يعتنق الإسلام.

له مؤلفات عديدة أهمها: (التاريخ العظيم للإسلام)، (الإسلام والدولة في عالم اليوم)، (المفاهيم الفلسطينية للمقاومة الوطنية)، (الإخوان المسلمون 1928 ـ 1982)، (مصر اليوم). ويؤكد هذا المفكر أنه إذا كانت مبادئ الثورة الفرنسية تتلخص في الحرية والإخاء والمساواة؛ فقد سبق للإسلام أن أكد هذه المبادئ بوضوح وبأمانة منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، والإسلام أكثر الديانات انفتاحًا وتسامحًا تجاه غير المسلمين، ويجعل الصلة بالله مباشرة دون وساطة على عكس الحال في الديانات الأخرى، والإسلام دين عالمي لا يرتبط بجنسية محددة، فكل الشعوب الإسلامية تجتمع على الإيمان بالعقيدة. وإذا كان الإسلام واحدًا عقيدة وشريعة ومبادئ وقواعد؛ فإن هناك ممارسات دينية بعيدة عن المبادئ الأساسية للإسلام، تتأثر بما يطلق عليه بعض العادات العبادية أو الابتهالية المستمدة من التاريخ القديم. ويضرب أمثلة على هذا بأنه في اليابان والفلبين تضفي البوذية والهندوسية صبغة صوفية على الممارسات الدينية لبعض المسلمين، ونفس هذا الأمر أي وجود الفرق الصوفية البعيدة عن جوهر الإسلام في إفريقيا وبعض دول الشرق الأوسط. وهو يرى أنه إذا كان الإسلام دين السلام والعدل والإخاء والمساواة؛ فإن الجماعات التي تدعي انتمائها للإسلام وتمارس العنف ساهمت بشكل كبير في تشويه حقيقة هذا الدين لدى العقل الغربي، ذلك العقل الذي لا يعرف الإسلام إلا من خلال هذه الجماعات المنحرفة أصلاً عن الإسلام. وعلى الرغم من أن الإسلام في فرنسا هو الدين الثاني بعد الكاثوليكية، والمسلمين يصلون إلى 5, 6 مليون نسمة، ونسبة عددهم أكبر من البروتستانت واليهود؛ فقد رفض المسئولون دخول الوعاظ إلى فرنسا في رمضان 1993 مسيحي، ويرى كاريه أن هذا خطأ في الفهم والتقدير نجم عن أن بعض الذين ينتمون إلى الإسلام شكلاً دخلوا إلى فرنسا وعملوا لصالح جهات أجنبية بعيدًا عن جوهر الإسلام، ويضرب مثلاً على هذا بأحداث عام 1985 ـ 1986 مسيحي، الأمر الذي أدى إلى اتخاذ هذا القرار، لكنه يمثل تعميمًا وبعدًا عن الصواب، وهو يرى أن العديد من الأوروبيين لا يعرفون الإسلام إلا من خلال الجماعات المتطرفة البعيدة أساسًا عن روح الإسلام الحقيقية، تلك التي تتمثل في السلام والعدل والحرية والتقدم.

إذا كانت مبادئ الثورة الفرنسية تتلخص في الحرية والإخاء والمساواة؛ فقد سبق للإسلام أن أكد هذه المبادئ بوضوح وبأمانة منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان

علم الاجتماع والحاجة إلى الدين

على الرغم من أن أغلب علماء اجتماع الغرب (البرجوازي) وعلماء الاجتماع الماركسي يشتركون معًا في المقولة الزائفة التي تربط الفكر الديني بالتخلف، وتربط بين الموضوعية والتخلص من الأفكار المسبقة في مجال صياغة مضامين النظرية الاجتماعية القادرة على تلخيص الواقع وتفسيره، والربط بين متغيراته بعلاقات كلية أو جدلية أو وظيفية؛ إلا أن الواقع يفيد بأنه لا يمكن بناء نظرية اجتماعية دون الاستناد إلى الدين أو القيم، خاصة بالنسبة لما يطلق عليه النظريات الكبرى Macro-Sociology، وهذا ما يؤكده بعض علماء اجتماع الغرب أنفسهم، فهذا (جنرميردال) يؤكد أنه لا يوجد شكل آخر لدراسة الواقع الاجتماعي غير دراسته من وجهة نظر المثل الإنسانية، فالعلم الاجتماعي الخالي من المصلحة لم يوجد أبدًا ولا يمكن أن يوجد مطلقًا من الناحية المنطقية، فالتوجهات القيمية هي التي تحدد لنا قضايا الدراسة، وهي التي تمنحنا توجهات محددة للتفسير، ويؤكد (ميردال) أن العلم الاجتماعي الخالي من المصلحة هو هراء فارغ.

ولا يمكن لعلم الاجتماع أن يدرس الواقع دون إطار تصوري وتفسيري ومعياري، ولا يمكن أن يشتق هذا الإطار من الدراسات الواقعية، وعلم الاجتماع محتاج إلى نماذج معيارية تحدد صورة العلاقات والسلوكيات، وأساليب تحقيق التكامل، ومضامين العدالة والحق

والمساواة والإخاء المطلوب تحقيقه من خلال خطط التنمية أو من خلال الجهود الإصلاحية التي يبذلها المسئولون. كل هذا يعني أن فكرة الحياد العلمي ومحاولة تطبيق مفهوم الموضوعية المستخدم في العلوم الطبيعية عند دراسة المجتمع والعلوم الاجتماعية ؛ ينطوي على مغالطة وتزييف للحقائق. وهذا يعني أن عالم الاجتماع لا بد أن ينطلق من إطار تصوري وتفسيري. ومن أين يؤتى بهذا الإطار؟ إما من فلسفات وضعية، وهنا نلحظ الانحياز الإيديولوجي، وهذا هو الواقع في علم الاجتماع الغربي والشرقي على السواء، وإما أن يستمد هذا الإطار من الدين، وبهذا تتحقق الموضوعية بأرقى صورها. وإذا كان الدين الإسلامي هو خاتم الديانات، وهو الدين الحق، وهو الذي حفظه الله من التحريف إلى يوم الدين ؛ كان لزامًا أن ينطلق علم الاجتماع عند الباحث المسلم من المنطلقات الإسلامية، سواء من حيث البناء العقائدي والتشريعي والقيمي والأخلاقي الموجه لحياة المسلم وفكره وسلوكياته، أو من حيث نظرة الإسلام إلى الكون والحياة والإنسان والمجتمع، ورسالة كل منهما في الحياة، وأساليب تحقيق القوة بشقيها : الإيماني، والمادي ... إلخ.

وعلى الرغم من كل دعاوى علماء الغرب والشرق إلى علم اجتماع محايد أيديولوجيا وعقائديا، فإن الواقع الذي يشهد به نقاد هذا العلم يؤكد الانحيازالإيديولوجي ابتداء من تحديد المفاهيم وتحديد المصطلحات (مفهوم المجتمع والنظام والعلم والطبقة. . . إلخ)، وحتى تحديد المناهج وأساليب الدراسة (مناهج كيفية وكمية، مناهج علوم طبيعية، ومناهج علوم إنسانية، ومناهج وظيفية، وجدلية... إلخ) وتحديد الأطر المفسرة (الليبرالية أو الماركسية، التوازن أم الصراع، الفكر والقيم أم علاقات الإنتاج والواقع الاقتصادي...)، هذا فضلاً عن الصراع حول تصور طبيعة المجتمع المستهدف التخطيط لتحقيقه (يسوده الحرية المطلقة والليبرالية السياسية والاقتصادية والاجتماعية استنادًا إلى نظرية الحقوق الطبيعية، أم المجتمع الذي تختفي فيه كل مسببات التباين كالملكية والأسرة والطبقات والدولة والدين والتنوع العرقي... إلخ). ولا شك في أنه إذا كان لابد لعلم

ولذلك كله قامت كلية الدعوة الإسلامية بدعوتكم، بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية، مؤملين أن نخرج بقناعات ترسم في توصيات ننبه من خلالها إخواننا في جميع أنحاء العالم الإسلامي، رسميين وشعبيين، إلى خطورة هذه الهجمة، وضرورة الوعي بها، والحذر منها، والعمل على حفظ الأجيال القادمة من خطورتها.

وفي ذات الوقت نأمل في مخاطبة ذوي العقول السليمة في المجتمعات الغربية، كي يصححوا ما عندهم من أفكار خاطئة، وأن يعملوا معنا سويا على احترام الديانات والثقافات، والعيش سويا في عالم يسوده السلام والحب والاحترام.

أيها الإخوة العلماء والباحثون..

يشترك معنا في هذه الندوة ثلاثون باحثا يمثلون خمس عشرة جامعة ومؤسسة بحثية من الجامعات في البلاد العربية وأوربا، بالإضافة إلى طلبة الدراسات العليا في كلية الدعوة الإسلامية. وإنني باسم زملائي الأساتذة وأبنائي الطلبة بالكلية.. يسرني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى جميع الباحثين الذين استجابوا لدعوتنا، ونخص بالشكر رابطة الجامعات الإسلامية التي نتشرف بالتعاون معها في مجالات علمية متعددة، والتي نعتز بما تقدمه من خدمة للجامعات الإسلامية، كما نتقدم بجزيل الشكر للإخوة الضيوف على تفضلهم بقبول دعوتنا ومشاركتنا في هذا الحدث العلمي المهم.

وختاما فالشكر كل الشكر للأخ العزيز الأستاذ الدكتور محمد أحمد الشريف أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية على دعمه اللامحدود للكلية، وعلى تشجيعه لنا، خاصة في إقامة هذه الندوة. جزاه الله عنا جميعاً أحسن الجزاء.

❖ كلمة عميد الكلية في الجلسة الإفتتاحية للندوة

الاجتماع أن يستعين بإطار تصوري وتفسيري، وأن هذا الإطار إما أن يستمد من فلسفات وضعية أو دين سماوي؛ فإن الأولى أن يستمد من الأسس والمنطلقات الإسلامية التي تختلف جذريا عن الفلسفات الوضعية في أنها إلهية المنشأ، وصالحة لكل زمان ومكان، وتحقق التكامل بين الثوابت والمتغيرات، وتستهدف تحقيق أقصى درجات القوة الإيمانية بمعايير الإسلام، والمادية بمقاييس كل عصر، وتحقق العدالة والحرية والمساواة والإخاء من خلال التحديد الإلهي، وليس من خلال تحديدات وضعية عاجزة منحازة مقيدة بقيود محدودية العقل البشري وحدود الزمان والمكان والخلفيات الأيديولوجية والمصلحية، والظروف الشخصية لكل فيلسوف. ولا شك في أن العلوم الاجتماعية في حاجة إلى موجهات ومنطلقات دينية، وأنها في غيبة هذه المنطلقات تضل الطريق لاعتمادها على فلسفات بشرية.

فكرة الحياد العلمي ومحاولة تطبيق مفهوم الموضوعية المستخدم في العلوم الطبيعية عند دراسة المجتمع والعلوم الاجتماعية؛ ينطوي على مغالطة وتزييف للحقائق.

محاولة لتفسير العداء للدين في الفكر الغربي

نستطيع تفسير أسباب العداء السافر أو الخفي أو اللامبالاة إزاء الدين في الفكر الغربي بشكل عام، وللإسلام بشكل خاص، في ضوء عدة عوامل من أهمها ما يأتي:

أولاً: واقع التجربة الدينية الإغريقية التي تمثل العمق الاستراتيجي أو التاريخي للحضارة الغربية. فقد صور الإغريق آلهتهم بصورة مفزعة مقززة، فهم في صراع مستمر بينهم وبين بعضهم البعض، وبينهم وبين الإنسان، ودائماً تكون النتيجة ضد الإنسان ودماراً وعذاباً وشقاء بالنسبة له. فالآلهة لا تكترث بالإنسان ولا ترحمه ولا تساعده. ويمكننا أن نستنتج هذا الأمر من الأساطير الإغريقية أو (الميثالوجيا الإغريقية)، ونكتفي كمثال بعرض أسطورتين هما: (أسطورة زيزيف) و(أسطورة برومثييوس) وهناك العديد من الأساطير الأخرى، مثل: أسطورة (أوديب) و(إلكترا) اللتان استعان بهما فرويد في بعض استنتاجاته المنحرفة عن النفس الإنسانية.

وتصور أسطورة (زيزيف) تعنت الآلهة وظلمهم الفادح للإنسان، فقد ارتكب (زيزيف) وهو إنسان خطأ ما، فعاقبته الآلهة دون رحمة، حيث حكمت عليه بحمل صخرة ضخمة من سفح جبل حتى يصل بها إلى القمة، ثم تعيد الآلهة الصخرة إلى السفح، فيعيد الإنسان حملها، وهكذا الأمر في دورة من العذاب والانتقام الرهيب. وهذا يشير إلى بؤس الإنسان وقدره المحتوم في صراعه الأبدي مع الآلهة الأقوى والأكثر تجبراً.

أما أسطورة (بروميثيوس) فإنها تعكس الصراع الأبدي بين الآلهة والإنسان، فتروي أن (زيوس) كبير الآلهة خلق الإنسان من قبضة من طين، وسوّاه على النار المقدسة التي ترمز إلى العلم والمعرفة، وأنزل الإنسان بعد خلقه إلى الأرض وحيداً يعاني الظلمة والجهل، وهنا ظهر كائن أسطوري يدعي (برومثييوس) أشفق على الإنسان، وقدم إليه مساعدة عن طريق قيامه بسرقة النار المقدسة من الله، وأعطاها للإنسان، وهذا يرمز إلى منحة المعرفة والعلم. وغضب (زيوس) لذلك، ولكنه عجز عن أن يسترد النار المقدسة. (لاحظ التناقض هنا: إله يسرق، وإله يعجز، وإله ينتقم).

ولهذا عاقب (زيوس) (برومثييوس) بأن أرسل إليه نسراً مفترساً ينهش كبده طول النهار، وينمو كبد جديد مكانه خلال الليل، ويعود النسر ينهشه نهاراً، وهكذا في دورة أبدية من الشقاء. أما انتقام الإله الأكبر (زيوس) من الإنسان (إبيمثيوس) لأنه امتلك النار المقدسة، وبالتالي عرف الأسرار التي هي من شأن الإله وحده، فتمثل في أن أرسل له أنثى تدعى (باندورا) بحجة إيناس الإنسان في وحدته، وأرسل معها هدية للإنسان عبارة عن صندوق مليء بكل أنواع الشرور والآفات التي تطايرت وملأت الأرض فور فتحه. هكذا تصور الأسطورة انتقام الآلهة من الإنسان لأنه عرف أسرار الخلود والأسرار المتعلقة بالألوهية.

ويؤكد (جوليان هكسلي) الداروني الملحد أن هذه

الأسطورة بمضامينها التي تعكس علاقة البغض والحقد بين الآلهة والناس، وحرص الله على تملك المعرفة، وحصول الإنسان على هذه المعرفة، ومحاولة الآلهة إفساد نجاحاته العلمية. . هذه الأسطورة لا تزال حية مؤثرة في وجدان ما وراء الفكر الأوروبي المعاصر. ونستطيع على ضوئها أن نفسر التقابل الذي يضعه العديد من المفكرين الأوروبيين بين الدين والعلم، أو بين الروح والعقل، فالجهل والعجز وحدهما هما اللذان يخضعان الإنسان للإله، وكلما تقدم العلم ونمت المعلومات وفُكّت أسرار الكون والمجتمع والإنسان ؛ تراجع الدين، وقلّت حاجة الإنسان إليه حتى يحل الإنسان في النهاية مكان الإله. نلاحظ هذا التصور بارزًا في فكر (كونت) و(فيبر) و(ماركس) و(نيتشه) و(ديورانت) و(هكسلي)... إلخ.


تشارلز دارون

وفي مقابل هذه الرؤية الجاهلة الخبيثة الأسطورية، هناك الرؤية الإسلامية الصحيحة. فالإنسان محكوم بالقدر الإلهي، وقد اقتضت مشيئة الله أن يخلق الإنسان ويكرمه بالفطرة والعقل والوحي، ويتعهده بالهداية المستمرة وبالرحمة والعفو، فضله على كل المخلوقات، سخر له الكون، أسجد له الملائكة، علمه الأسماء كلها، ينزل عليه من السماء ما يشاء، يقبل منه التوبة. . كل هذه النعم من أجل أن يؤدي وظيفته كما أرادها الله من عبادة بمعناها الواسع، بما يتضمنه من فرائض ومعاملات وتعمير الأرض، وتعارف بين البشر، وإعلاء لكلمة الله، ونشر لدينه، ومحاربة أعدائه، وإرساء أسس العدالة والحرية والمساواة والحق بين البشر.

ثانيا : التجربة الدينية الرهيبة التي شهدتها أوروبا على مدى القرون الوسطى، والتي تمثلت في القهر والتسلط والظلم والاستبداد، الذي مارسته الكنيسة ومارسه رجال الدين المسحيين على جماهير الناس باسم الإله وباسم الدين. فقد زيف الدين لصالح آباء الكنيسة والإقطاعيين، وظهرت نظريات التفويض الإلهي المباشر، وغير المباشر، وطبقت محاكم التفتيش وظهرت أفكار



عبد الرحمن سعيدي

ناائب رئيس حركة مجتمع السلم بالجزائر:

تحصين الأمة ورد الشبهات والأباطيل عنها

لماذا يقرأوون؟ ولماذا يريدون إعادة قراءة القرآن؟ .

عندما نقول القرآن نقول الإسلام، فالقرآن هو المصدر الأساس والمرجع الأول للإسلام. إذن لماذا يركزون على إعادة قراءة القرآن من جديد؟ ونحن نعلم أنهم منذ زمن يحاولون النيل من كتاب الله العظيم والمس بقدسيته .

ولنتساءل أولا: لماذا وكيف صمدت هذه الأمة منذ قرون وإلى الآن؟ ولماذا وكيف استطاعت أن تسترجع أراضيها وما سُلبَ من أوطانها وتتحرر من الاستعمار؟ ولماذا وكيف استطاعت أن تصمد أمام العدوان والحصار والتجويع والترويع ... إلخ؟ .

لا بد من البحث عن مصدر القوة الأساس، والغرب يعرف مصدر قوة المسلمين، ونحن نعرف مصدر قوتنا .. إنه القرآن الكريم !! ودعني هنا أسوق هذا المثال: بعد مئة سنة من دخول المستعمر الفرنسي غازيا إلى الجزائر (1830 / 1930 مسيحي) أقيم حفل كبير في مدينة الجزائر وشربوا ما يسمونه (النخب) لأن الجزائر - في ظنهم - أصبحت فرنسية، وتتالت الكلمات والموسيقى والصخب وما إلى ذلك، وفي الأثناء قام أحد الجنرالات وأخرج من جيبه مصحفا وقال: ما دام هذا فيهم فلن ننعم ببقائنا في هذا البلد . وهي كلمة حق قيلت

صكوك الغفران. . كل هذا من أجل تسخير الناس عنوة - باسم الدين - لصالح تمتع وبذخ أصحاب الأملاك الإقطاعية، وإقناع الناس بعدم السعي لتحقيق مصالحهم المادية في الدنيا، وأن هذا يغضب الرب، وعلى قدر الإذلال والعنت والقهر في الدنيا يكون النعيم في الآخرة. ولم تسمح بأي قدر من الحرية للناس، ولا يحق إبداء الرأي، وكان مصير أي مفكر القتل أو الحرق. والنماذج على هذا كثيرة جدًا، فهناك (جاليليو) وهناك (برونو) وغيرهما. وهذا ما جعل العديد من المفكرين في الغرب يرون أن العلمانية هي الحل، وأنه يجب إقصاء الدين عن الدنيا والمجتمع والسلطة والفكر.

ومن الجدير بالذكر أن الإسلام والتاريخ الإسلامي لم يعرف شيئًا من هذه التجربة الأوروبية، وعلى العكس، فقد شجع الإسلام على العلم والتفكير والمعرفة، وجعل التفكير فريضة، وطلب العلم واجبا على كل مسلم ومسلمة، وبدأ الإسلام بـ (إقرأ)، وكرم الإسلامُ العلماء وجعلهم ورثة الأنبياء، وقد كان المسلمون هم الذين اكتشفوا المنهج العلمي التجريبي، وهم أول من بحثوا وأبدعوا في العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية. وكان العلماء يلقون كل تكريم من الحكام، وكفل الإسلام حقوق الإنسان بشكل لا يرقى إليه أي ميثاق وضعي ؛ ولهذا استقر في وجدان المسلم - على عكس الوجدان الأوروبي - أن العلم تابع للدين، وأن العلم ينمو ويتقدم وينجز بشكل أفضل في إطار المنطلقات الإيمانية : العقائدية والتشريعية والأخلاقية، وأن الفصل بين الدين والعلم أمر لا يقره الدين، وليس في صالح العلم. وبهذا الفهم أنتج المسلمون حضارة إيمانية وعلمية وفكرية، انطلقت منها الحضارة الغربية الحديثة آخذة الجوانب العلمية والفكرية تاركة الجوانب الإيمانية، وهو سر فشلتها في إسعاد الناس.

ثالثًا : النظرية الداروينية خلال القرن التاسع عشر، والتي أحدثت آثارًا هائلة على العلوم البيولوجية والاجتماعية والإنسانية، فالإنسان في التصور الداروني هو نهاية سلسلة تطور حيواني جذوره حيوانية، وقد سار التطور بطريقة آلية حتى وصل الأمر إلى الإنسان، وهذا يعني أن الظروف المادية والصدفة العمياء وقوانين التطور الآلية هي السبب في وجود الإنسان الذي لا يمكن له أن ينفصل عن أصوله الحيوانية. ومن هنا لا تكون هناك أهداف استراتيجية عليا يسعى لتحقيقها، ولا تكون هناك مبادئ عقدية أو أخلاقية ضابطة لمسيرته، لا يكون هناك التزام من الإنسان تجاه الإله الذي لا يعترف بوجوده، ولا إزاء غيره ؛ لأن ما يحكم الإنسان هو نفسه ما يحكم بقية الكائنات، وهو قانون البقاء للأقوى والأصلح بالمعيار المادي الخالص. وإذا كان (دارون) يؤكد أن الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق، ويؤكد الماديون «أن المادة أزلية أبدية متطورة»، وأن الإنسان هو أعلى تطور للمادة لأنها وصلت إلى مرحلة الوعي الذاتي، فلا مجال لإيمان بالله ولا بقيم أخلاقية. ويؤكد (جوليان هكسلي) في كتابه (الإنسان في العالم الحديث) على هذه المقولات المادية الحيوانية للإنسان حيث يقول: «لم يعد الإنسان بعد نظرية دارون يستطيع التغاضي عن أصوله الحيوانية، وبدا لنفسه على أنه حيوان غريب»، وفي ضوء هذه الرؤية الدارونية التي سيطرت على الفكر الغربي ولا تزال حتى اليوم، يكون من العبث أن نتحدث عن منطلقات عقائدية أو غيبية أو أخلاقية، فهذه كلها صناعة بشرية، إذا لم تكن نتاج عقل الإنسان الفرد وليس نتاج العقل الجمعي Group mind.

وفي ضوء هذه المنطلقات الدارونية أصبح الدين والأخلاق والمعاملات والقيم أمورا بشرية، يمكن تفسيرها في ضوء وظائفها وأدوارها في الحياة الاجتماعية. . وهكذا ظهرت نظرية (سمنر Sumner) في العادات الشعبية Folkway ونظرية (دوركيم) في (الصور الأولية للحياة الدينية)، التي يرجع فيها الدين والتصورات الدينية حول القداسة والتحريم إلى حاجات المجتمع التكاملية. . وهكذا تختفي الثوابت والمطلقات العقائدية والأخلاقية والقيمية، وتتحول كل الضوابط إلى متغيرات نسبية.

وقد كان للدارونية أثر مهم في تشكيل علم الاجتماع الغربي، ففضلاً عن نمو اتجاه الدارونية الاجتماعية، الذي تزعمه (سبنسر) و (إسبناس) فإن آثارها تتضح عند أنصار الاتجاهات المتصارعة في علم الاجتماع الغربي، فقد

تمسك بها أنصار الماركسية، كما تمسك بها أنصار الليبرالية، وقد تمسك كل منهما بفكرتي الصراع والمراحل التاريخية. فالصراع استخدمته الليبرالية لتمجيد الحرية الاقتصادية المطلقة وعدم تدخل الدولة، وطبقت فكرة المراحل التي تشير إلى أن المجتمعات تسير في مراحل تقدمية بشكل تلقائي، لدرجة القول بأن أي تدخل لحماية الفئات الضعيفة أو لتنظيم الاقتصاد لن يفيد، فضلاً عن أنها سوف تؤدي إلى أوخم العواقب، وأن المشكلات الاجتماعية، مثل: التفاوت الاجتماعي الضخم، والفقر المدقع، والبطالة، وارتفاع الأسعار، ومشكلات الأجور، والصراع بين العمال وأصحاب الأعمال... كلها أمور سوف تحل طبيعيا خلال مسيرة المجتمع وبشكل تلقائي.

أما أنصار الماركسية فاستندوا إلى فكرة الصراع الداروني من أجل تجميع الطبقة الكادحة وتنمية الصراع الطبقي حتى يصل إلى أقصى درجات العنف الثوري، واعتمدوا على فكرة المراحل لوضع سلسلة من المراحل التي ادعوا حتميتها وأنها ستنتهي إلى الشيوعية.

وقد استند (سبنسر) على الداروينية في تبرير النظام الرأسمالي بأزماته المتعددة، واستند (وليم جراهام سمنر) على مبدأ البقاء للأصلح ؛ لتبرير ما يتمتع به أبناء الطبقات العليا من ترف على حساب الطبقات المحرومة، ولسد الطريق أمام الحركات الإصلاحية.

وفي ظل هذه التأثيرات الدارونية المتعددة على الفكر الاجتماعي الغربي، نستطيع تفسير موقف هذا الفكر الرافض للمطلقات والثوابت، سواء تمثلت في معتقدات وأحكام أو أخلاقيات وقيم، كذلك نستطيع أن نفسر في ضوئها التوجهات الليبرالية، والبراجماتية، والنفعية، والوضعية، والماركسية أو المادية عمومًا، التي سيطرت عليه وما تزال حتى اليوم.

وفي مقابل هذه الأباطيل، نجد أن الإسلام يؤكد تفرد الخلق الإنساني، وأن الله خلقه من طين، ونفخ فيه من روحه، واستخلفه في الأرض، وأرسى له المنهج، وحدد له الغايات والوسائل، ووضع له الضوابط والمعايير، ومنحه العقل والحرية التي تمكنه من تحقيق التقدم والنمو في إطار البناء الأخلاقي والقيمي والمعياري، وأسجد له

في مجلس باطل وعدوان. وبطبيعة الحال فلن يقوم بتلك المهمة (إبعاد المسلمين عن القرآن) العسكري ولا السياسي ولا رجل الاقتصاد، وإن كان لكل منهم أثر في ذلك بلا ريب، وإنما يقوم بها المثقف والمفكر الغربي الذي له صلة بالدراسات الشرقية والإستشراقية، ويعمل على إثارة الشبهات، أو إثارة مزاعم لا يسندها أي دليل.

ومن هنا فإنني أرى أنه بغض النظر عن أسباب ودوافع القراءة الغربية للقرآن، قد تكون العولمة أو مواكبة العصر ... إلخ، وغيرها من الأسباب التي اختلقوها ليبرروا لأنفسهم ويجدوا أعذارا لقراءتهم؛ لكن المستهدف (من) و (بالقراءة) هو محاولة كسر المناعة لدى المسلمين، وتحطيم مصدر قوتهم، وبالتالي مصدر قوة الصمود في الأمة، لأننا الآن رغم ضعفنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس، ورغم الظروف الصعبة والتحديات التي تواجهنا، ورغم ما بيننا من خلافات وتفرق؛ فإن الجميع يعلم، مسلمين وغير مسلمين، أنه ما دام كتاب الله بيننا فسيجمعنا حتما ويوحدنا.

واسمح لي أن أشير إلى نقطة أخرى مهمة يثيرها الغربيون، وهي ما يسمونه (تعديل الإسلام) أو ما يُعرف بـ (تهذيب الإسلام)، حيث يريدون أن يدخلوا تصوراتهم وآراءهم التي تخدم توجهاتهم في صلب هذا الدين، ولعل أبرز وأقرب مثال على ذلك الذي يسمونه (الفرقان الحق). وأيضا دعوتهم لإعادة قراءة الحديث والسيرة النبوية، ودسّهم على الطرق الصوفية. وأذكر هنا مقولة قالها أحد الذين دخلوا الجزائر في بداية الغزو مع (المارشال بومو) وهو (الكاردينال لافيجري) قال: لا بد من هدم صلة الجزائريين بالقرآن وإعادة بنائها (أي الصلة) وفق رؤيتنا، وقد جئنا لنحضّر هذا الشعب.

معنى هذا أن القرآن ليس مصدر حضارة عندهم، وإنما هم مصدر الحضارة كما زعموا، فكيف يعيدون بناء تلك الصلة؟ بلا شك من خلال تحريف القرآن.

الملائكة، وخلق له كل ما على الأرض، فالاختلاف جوهري بين الإنسان الذي كرمه الله واستخلفه وسخر له كل ما في الكون وأسجد له الملائكة وخلقه على صورته، وبين الحيوان الذي سخره الله لخدمة الإنسان.

رابعًا : إن الديانة المسيحية ـ التي يدين بها أغلب الغربيين ـ ديانة محرفة، وفضلاً عن تحريفها فإنها تتصل بالبناءات العقائدية والأخلاقية والقيمية مجردة عن الواقع، فلا توجد شريعة مسيحية تفصل القول في المعاملات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية، وعلى العكس من ذلك فإن هناك من النصوص المنسوبة إلى الإنجيل تؤكد عدم تدخل الدين في تنظيم المعاملات الدنيوية مثل (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) ومثل (طوبي للفقراء لأنهم يعاينون الله) ومثل (ليست مملكتي على هذه الأرض ولكن مملكتي في السماء)، فقد جاء المسيح بجرعة روحية كبيرة لهداية خراف بني إسرائيل الضالة كما عبر عن هذا الإنجيل، وللحد من التطرف المادي، واقتصار كل الاهتمام بالحياة والمصالح الدنيوية. لهذا كانت رسالة السيد المسيح موغلة في الروحانية والأخلاقية والقيمية، ولم تول اهتمامًا تفصيليًا بحياة الإنسان في المجتمع.

وبغض النظر عن مدى صدق نسبة هذه الأقوال إلى المسيح ـ عليه السلام ـ فإنها تكريس للعلمانية وفصل الدين عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي المعاش للإنسان.

خامسًا: نقل صورة مشوهة للإسلام إلى الغربيين، سواء بقصد أم بغير قصد، وفي مقدمة الذين ساهموا في تشويه الإسلام مجموعة من المستشرقين الحاقدين على هذا الدين، وفي مقدمتهم (جولدتسيهر) خاصة في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي).

هذا إلى جانب الخوف المرضي من جانب الغربيين من سيادة الإسلام ؛ لأنه يحقق العدل والمساواة والأخوة الحقيقية في إطار ضوابط أخلاقية وقيمية، وفي هذا تهديد للمصالح الخاصة للشركات الغربية العملاقة والتكتلات الاقتصادية، والاحتكارات والأساليب الملتوية في المعاملات؛ لأن العديد منها يضحي بكل القيم والأخلاقيات في سبيل الربح وتحقيق التراكمات الرأسمالية المتوحشة، بما في ذلك الاتجار في المخدرات والأعراض والأسلحة وإلهاب نيران الحروب... إلخ.

وقد عرف العديد من مفكري الغرب الإسلام الحقيقي، لكنهم لم ينقلوا الصورة الصحيحة لشعوبهم، وهذا يرجع إلى محاولة وقف المد الإسلامي في الغرب، وهو ظاهرة ملاحظة وقوية. فأبنية القوة في الغرب لا تخشى على نفسها من انتفاضة المسلمين في العالم الإسلامي فحسب، ولكنها تخشى ـ وبشكل أكبر ـ من انتشار الإسلام بين الغربيين أنفسهم، كذلك فإن هناك تقصير أكيد من المسلمين في تعريف الغرب الإسلام الصحيح.

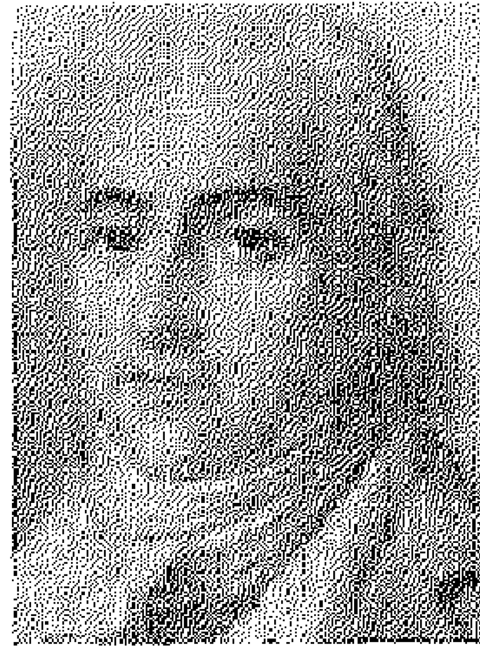
> الإسلام يؤكد تفرد الخلق الإنساني، وأن الله خلقه من طين، ونفخ فيه من روحه، واستخلفه في الأرض، وأرسى له المنهج، وحدد له الغايات والوسائل

سادسًا : الإعجاب المَرَضي والتمركز الشديد حول الحضارة الأوروبية أو الغربية بمنجزاتها، سواء الاجتماعية (الحريات المطلقة والأساليب في التخطيط والتنظيم والإدارة...) أو المادية (العملية والتطبيقات العلمية).

وعلماء الغرب بحكم تنشئتهم في المناخ الغربي يتحيزون للثقافة الغربية التي تحيل الدين إلى خيار شخصي. والواقع أن العديد من مفكري الغرب ـ حتى أشدهم قناعة بالعلمانية ـ يعترفون قبل نهاية حياتهم بأهمية الدين الذي تنكروا له طويلاً في كتاباتهم، وهذا يعني غلبة الفطرة السوية عليهم حين دنو الأجل، وبعد أن تزول الغشاوة التي تصنعها الثقافة أو الحضارة الزائفة. والدليل على هذا ما أكده زعيم العلمانية الفرنسية (سان سيمون) قبيل وفاته أو في لحظات احتضاره، حيث أكد :«أنه لا يهدف إلى إحلال العلم محل الدين، وإنما يهدف إلى التوفيق والتعاون بين العلم والدين، لأن كلا منهما لازم لسعادة الإنسان». كذلك فقد أكد (سبنسر) رائد الدارونية الاجتماعية الأول في علم الاجتماع؛ أكد في مؤلفاته الأخيرة «أن العلم لا يمكنه الزعم بأنه قد كشف الغموض الذي حاول الدين أن يتكلم باسمه، ولازالت

المعرفة ـ كل المعرفة ـ نسبية، والدين له مجاله، والعلم له مجاله، ويستطيعان من خلال التصالح بينهما أن يسهم كل منهما في تطور البشرية وارتقائها».

وينطبق نفس الأمر على (أجست كونت)، الذي ربط الدين بالتخلف والعلم بالتقدم، وأكد الاختلاف الجذري بين مناهج اللاهوت، ومناهج التفكير الوضعي في فلسفتها وضعية. فقد أكد في نهاية حياته «أن الإسلام كدين للتوحيد يتمشى مع الحالة الوضعية لخلوه من الغموض ومن العبث، وتميزه بالعلمية وبساطة شعائره». ونفس الأمر ينطبق على زعيم الإلحاد والمادية (كارل ماركس) الذي قال في مراسلاته مع البابا في نهاية حياته «إنه لم يكن أبداً الهاتف بموت الإله الذي لم يتنكر له ـ حسب زعمه ـ وإنما كان يسعى لتحرير الإنسان».


سان سيمون

وبغض النظر عن صدق ومضامين هذه الأقوال وأهدافها، فإنها تشير إلى حقيقة الفطرة الدينية وحقيقة التوجه الديني إلى الخالق، وإلى أثر المناخات الاجتماعية والثقافية والمصالح والأيديولوجيات الكاذبة في طمس هذه الحقيقة وذلك التوجه، وإنه يظهر حتى عند كبار الملحدين لحظة دنو الأجل.

سابعًا : اقتران الإسلام ـ في نظر الغرب ـ ببعض الاتجاهات التي تلتزم بالعنف والإرهاب، وهي اتجاهات تنتسب للإسلام اسمًا ولكنها منحرفة عن جوهر الإسلام الحقيقي، فمن أهم مناهج الإسلام في التغيير والإصلاح : التدرج والإقناع وليس العنف.

ثامنًا : العداء التاريخي بين الإسلام والغرب، فقد انتشر الإسلام في الغرب لاعتناق الناس عقيدته ومبادئه الأخلاقية عن قناعة وطيب نفس، ولكن الغرب المسيحي والكنيسة الغربية ظلوا يناصبون الإسلام عداءًا شديدًا، وما يزال الغرب حتى الآن يخشى التوسع الإسلامي الذي امتد تاريخيا إلى إسبانيا وكاد يتوغل في فرنسا، وقد عمقت الحروب الصليبية العداء بين الغرب والإسلام، خاصة وأن الإسلام له مشروع حضاري عقدي وشرعي

وإنني أعتبر ندوة (القراءة الغربية للقرآن) رائدة وسباقة في تناول هذا الموضوع، والفضل للسابق في هذه المواجهات، وفي العمل على تحصين الأمة ورد الشبهات والأباطيل عنها .

وهناك نقطة أخرى أود الإشارة إليها: فقد يصاب البعض بالذهول عندما يعرف أن الغرب أقام حوالي ألف موقع لمواجهة الإسلام والدسّ عليه، فضلا عن عدد كبير من الفضائيات التي تقوم بذات الدور، وهذه وتلك تنفق عشرات الملايين من الدولارات، وهنا يتضح مدى الفارق الكبير في الاهتمام بهذه الأجهزة والأدوات التي تحقق أسرع اتصال بالناس في كل مكان . وعلى ذلك فلا بد من توجيه عنايتنا واهتمامنا إلى هذا الميدان المهم واستثماره في تحقيق أهدافنا.

وهناك اليوم ما يسميه البعض (الدعوة الإلكترونية)، وقد أشار بعض الباحثين في الندوة إلى أن المشكلة الأولى التي تصادفنا تتمثل في أنه قد يبحث أحد أبنائنا ـ من خلال الانترنت ـ عن (آية قرآنية) في إحدى سور القرآن الكريم، فيقوده (محرك البحث) إلى تلك الأباطيل التي يروجون لها مثل (الفرقان الحق) وغيره، وهنا تكمن الخطورة !! فضلا عن أنه إذا كان يبحث في قضية فكرية أو عقدية أو فقهية في الإسلام فتخرج له ـ عبر المواقع المضللة ـ مفاهيمُ منحرفة، وهنا تكمن الخطورة، لأن (الانترنت) أهم وأسرع وسائل الاتصال في هذا العصر، وإذا لم نحسن التعامل معها فنحن أميون رغم أننا نقرأ ونكتب.

لذلك فإنه لا تخفى أهمية وضرورة تشجيع المواقع الموجودة والإكثار منها، وأن نعمل على غرس الثقافة الإسلامية الأصيلة لدى أبناء المسلمين، بأسلوب يتوخى البساطة والدقة في العرض والاستنتاج . والأمر المهم الآخر هو العمل بجد مع المخلصين وتوجيه ذوي الخير والمحسنين إلى الإنفاق في هذا السبيل .

وفيما يتعلق بالإعلام وأهميته فلا يخفى الدور الذي تؤديه الفضائيات، ولهذا فإنني أؤكد على

وأخلاقي واجتماعي وثقافي، يختلف جذريا من حيث المنطلقات والأساليب والأهداف عن المشروع الغربي، وما تزال الحروب الصليبية تمارس ضد المسلمين اليوم في مناطق عديدة من العالم، وما يزال الغرب مصرًا على اقتلاع الإسلام من أوروبا.

تاسعًا : النزعة العنصرية المسيطرة على الفكر الغربي والتي تعلي من قدر الإنسان الغربي، وتحط من قدر إنسان القارات القديمة. وقد ظهرت هذه النزعة العنصرية عند عالم الاجتماع الفرنسي (لوسيان ليفي بريل) في كتابه (العقلية السابقة على المنطق Pre-Logical Mentality)، كما ظهرت في النزعة الجوبينية نسبة إلى (أرتودي جوبينو A.De Gobuneau) صاحب دراسة بعنوان : (النظام الاجتماعي ودعائمه الطبيعية 1898) و (فاشي دي لابوج V.De la Pouge) في فرنسا صاحب دراسة بعنوان : (اصطفاءات اجتماعية). ويحاول هؤلاء العنصريون فهم قضايا التقدم والتخلف والتنمية في ضوء عوامل بيولوجية عرقية لا أساس لها من العلم أو الواقع.

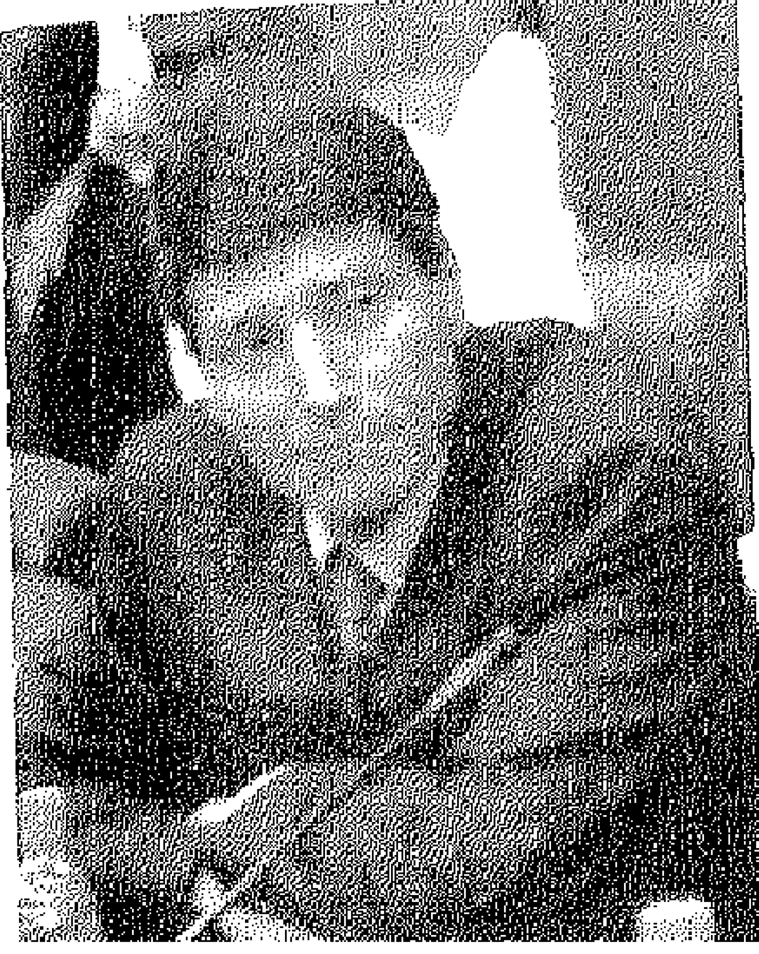
عاشرًا : ومن بين أهم عوامل العداء للدين في الفكر الغربي مجموعة قوى لعبت دورًا مهمًا في صياغة هذا الفكر وتشكيله، سواء على المستوى التاريخي أو المعاصر، فقد حرفت المسيحية في العالم الغربي، وامتزجت بعناصر وثنية وتحت تأثير عوامل عدة، منها الإمبراطور الروماني (قسطنطين) الذي فرض المسيحية على الإمبراطورية الرومانية. يقول (دوربيير) الباحث الأمريكي في كتابه (النزاع بين الدين والعلم): «دخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا مناصب عالية وخطيرة في الدولة الرومانية، والذين تظاهروا بالنصرانية، ولم يكونوا يحفلون بأمر الدين، ولم يخلصوا له يومًا من الأيام. وكذلك (قسطنطين) فقد قضى عمره في الظلم والفجور، ولم يتقيد بأوامر الكنيسة إلا قليلاً في أواخر عمره عام 237 مسيحي. ولقد ارتكبت كل المنكرات والمهازل من استغلال اقتصادي، وتسلط سياسي، وظلم اجتماعي، وانحراف أخلاقي، حتى داخل دور العبادة نفسها باسم الدين.

ولعل هذا هو أحد أسباب العداء الظاهر والباطن لدى العديد من مفكري الغرب للدين كدين دون تمييز. أما عن دور القوى الصهيونية، فقد استغلت سخط الناس على رجال الدين المسيحي من قساوسة وكهنة، واستطاعت أن تحول هذا السخط على ممثلي الدين المسيحي، خلال حقبة تاريخية محددة إلى سخط على الدين كدين. وقد استهدفت من وراء هذا تحطيم الأخلاق والولاءات الدينية والقيم العليا في حياة الإنسان، الأمر الذي ييسر لهم السيطرة على مقدرات العالم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية دون مقاومة تذكر. ونجد هذا واضحًا في أعمال كبار المفكرين الأوروبيين المعاصرين، مثل: ماركس، دوركيم، كونت، فرويد، دارون.. إلخ. فقد حاول ماركس إلغاء فكرة الغيب وقيادة حملة شرسة على الدين بوصفه أساس الظلم والطبقية ومدعم الاستغلال.. وحاول (كونت) إلغاء الدين بوصفه مدعما للتخلف ومضادا للعلم المادي، كما حاول إقامة دين وضعي يحل فيه الإنسان محل الإله، وهذا ما فعله (دوركيم)، الذي أرجع الدين والمفاهيم الدينية والأخلاقية إلى العقل الجمعي، وأنكر عالم الغيب، وحول الدين إلى ظاهرة اجتماعية، وهذا ما فعله (فرويد) الذي روج لفكرة إطلاق غرائز الإنسان ضمانًا لصحته النفسية، والابتعاد عن الكبت والصراعات والعقد النفسية، وهذا ما فعله (دارون) الذي حاول الترويج لفكرة أن الإنسان ليس إلا امتدادًا للمملكة الحيوانية، وأن ظهوره ليس إلا نتيجة صدفة عمياء، وأن وجوده ليس له هدف محدد. وتشير (بروتوكولات حكماء صهيون) إلى موقف الصهاينة إزاء الدين، فقد جاء فيها : «يجب أن نعمل على أن تنهار الأخلاق في كل مكان لتسهيل سيطرتنا. إن فرويد منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس، حتى لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر إرواء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار الأخلاق». كذلك فقد جاء في البروتوكولات : «لقد رتبنا نجاح (دارون وماركس ونيتشه) بالترويج لآرائهم، وإن الأثر الهدام للأخلاق الذي تنشئه علومهم في الفكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد».

حادي عشر: مهما قيل عن التعصب الديني المسيحي عند الغربيين، فالواقع أنه لا ينبثق عن انتماء عقدي وأخلاقي وقيمي، وعن قناعة بأهمية البعد الديني في حياة الإنسان، ولكنه أقرب إلى النعرات العرقية والقبلية والقومية من جهة، وإلى الدفاع عن مصالح اقتصادية ومادية وأوضاع قائمة من جهة أخرى. فالنمط الغربي للسلوك والعلاقات يخالف تماماً نمط الأخلاق والمعايير والقيم الدينية بما فيها الأخلاق المسيحية، فالإباحية والربا والاستغلال الاقتصادي والتسلط السياسي واستخدام الجنس والمخدرات وكل الأساليب الخبيثة في إدارة الأعمال. . كلها أمور لا تتفق مع النسق الأخلاقي لأي دين سماوي، ولا تحتل القيم الأخلاقية والواجبات الدينية هناك إلا ساعات خلال الأسبوع، يقضيها بعض الناس في الكنيسة يوم الأحد، والغالبية لا يذهبون إلى الكنيسة إطلاقاً. وقد مر معنا البحث الميداني الذي كشف عن أن نسبة كبيرة من المبحوثين لا يعترفون أصلاً بوجود إله، ولكن النعرة الدينية تستثار عندهم في مواجهة كل ما يهدد نمط الحياة والسلوك والمصالح المادية السائدة عندهم، وهذا ما جعلهم يخططون بكل الوسائل ضد الإسلام بالذات، لأنه يتضمن مشروعاً حضاريا يستند إلى الأخلاق والقيم التي تنبثق من العقيدة والشريعة الإسلامية، وهذا في نظري لا يعني الالتزام بالمسيحية عقيدة وأخلاقاً وقيماً، ولكن يعني الدفاع عن المصالح والخوف المرضي من الإسلام الذي يقضي على كل ضروب الاستغلال والانحراف المكرس لخدمة الصفوات الاقتصادية والسياسية والعسكرية المسيطرة في الغرب. فالتعصب المسيحي الغربي يؤدي وظيفة الحفاظ على نموذج الحياة والمصالح الغربي، في مواجهة محاولات تغييرها. ولما كان الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتضمن إقامة مجتمع تسوده العدالة والإخاء، ويؤسس على الأخلاق والقيم أو على المنهج الإلهي الذي يحول دون الانحرافات في صورها كافة، نجد أنه هو الدين الذي يتركز ضده التعصب والهجوم الغربي من كل جانب، وقد لاحظنا هذا في فكر ماركس، وكونت، وفيبر، وفوكوياما، وهنتجتون، والعديد من المستشرقين.

الاقتراح الذي تم التأكيد عليه في المؤتمر العام للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية، وفي هذه الندوة، حول ضرورة بعث قناة فضائية تحمل أطروحاتنا وأفكارنا وبرامج عملنا إلى العالم، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية جديرة بأن تقوم بهذه المهمة، وقد أصبح ذلك من الضرورة بمكان، خاصة وأن الجمعية تسير وفق منهج علمي سليم يتميز بالاعتدال والوسطية والاتزان في التعامل مع قضايا الأمة، وتعمل على نشر قيم الخير والتراحم والتعارف والتعاون بين الناس جميعا . وبما أنها تعمل على نشر الإسلام الصحيح فإنها بالنتيجة تحب الناس جميعا، ومعروف المثل الذي يقول (بدل أن تلعن الظلام أوقد شمعة) والجمعية لا يهمها أن تلعن الظلام، ولا تريد أن تدخل في صراعات من أي نوع، ولكن كل ما يهمها هو أن تنشر الخير الذي يعم كل الإنسانية، وتنشر كلمة الحق باعتدال ووسطية، وبمنهجية وموضوعية، وتجادل بالتي هي أحسن . وهذا المنهج الذي تسير عليه الجمعية كفيل بأن يحقق الخير الكثير لكل الناس . وعندما نقول إن الجمعية لا بد أن تلج عالم الإعلام الفضائي، لأن هذا الإعلام له أثره السريع والمباشر، والمهم بلا شك، ولديها هذه القاعدة العريضة والكبيرة من الباحثين والعلماء والدعاة والأساتذة، فضلا عن قيادات العمل الإسلامي في كل قارات العالم الذين يمكنهم أن يساهموا في هذا المجال، وبالتالي تستطيع أن تخاطب الجميع من خلال هذا الثراء البشري والتنوع الثقافي بكل اللغات الحية، وتصل إلى كل الأقوام والشعوب، وهذا ما لا يتوفر لباقي المؤسسات والفضائيات الموجودة على الساحة اليوم .

ولا شك في أن هذا الأسلوب وهذا النمط من العمل والتعاطي مع قضايا المسلمين الذي تنهجه الجمعية ـ خاصة في اللقاءات الفكرية ـ هو الذي يخلق زخما مستمرا لأعمالنا . فليس هناك فكرة مسبقة، وليس هناك مشاريع مسبقة، وليس هناك قرارات جاهزة، بمعنى أن نأتي ونناقش ونتفق ونقرر، ثم ننفذ ما نتفق عليه .



ست طبعات جديدة
من ترجمات القرآن إلى اللغة الإسبانية
1994 ـ 2002 مسيحي

بقلم: د. ميكيل دي إبالثا *

ترجمة وتقديم: د. عبدالله الزيات **

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد فإنني استسمح الإخوة الكرام عذرا في أنني لا أقدم شيئا هو من إبداعي أصالة، ذلك أنني أشترك في هذه الندوة بترجمة عمل قام به غيري، ولكنني أراه يمثل أنموذجاً مهما في قراءة الغربيين للقرآن الكريم، لأن هذا العمل يتناول ست ترجمات مختلفة من القرآن الكريم قام بها غربيون أصالة وثقافة، أو إقامة ومهجراً، وهم ينتمون إلى فترات زمنية مختلفة وشرائح اجتماعية وثقافية متنوعة؛ إذ منهم من كان ينتمي إلى القرن السابع عشر، وينتمي إلى شريحة مختلفة عن الغربيين المعروفين اليوم، ومنهم من هو مسلم ينتمي إلى الغرب أصالة وحضارة، ومنهم من هو مسلم يعيش في الغرب، ولكنه ينتمي إلى الشرق أصالة ومولداً، اضطرته ظروف ما أن يكون موجودا في الغرب، ومنهم من هو غربي صرف في الميلاد والحياة واللغة والثقافة والانتماء والمصير، ولعل هذا المزيج الموجود بين أصحاب هذه الترجمات ـ و هو مزيج غريب في بعض وجوهه ـ هو ما يجعل ترجمة هذا المقال طريفة ومفيدة في ندوة تهتم بالقراءة الغربية للقرآن الكريم.

إن هذا العمل الذي أترجمه جاء بحثا ضمن تكريم المستعرب الإسباني عميد الدراسات العربية الحديثة في إسبانيا الأستاذ الدكتور بدرو مار تينيث مونتابث، الذي أفرد له المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد مجلده الخامس والثلاثين من مجلته العريقة في الدراسات العربية والاستعرابية في إسبانيا.

أما كاتب هذا البحث في لغته الأصلية فهو المستعرب الإسباني الكبير الأستاذ الدكتور ميغيل دي إبالثا، وهو أستاذ جامعي بقسم اللغة العربية في جامعة أليكتني، أي القنت، بشرق إسبانيا، وهو صاحب واحدة من هذه الترجمات التي يتحدث عنها في بحثه هذا.

* أستاذ جامعي بقسم اللغة العربية في جامعة أليكانتي (القنت) شرق إسبانيا، وهو صاحب واحدة من الترجمات الست التي يتحدث عنها في هذا البحث.

** باحث و أستاذ جامعي / ليبيا

قال باحث قبل أكثر من ربع قرن: «وأما النمط الثاني (من ترجمة القرآن) فإنه نمط الترجمات إلى اللغات الأوروبية، ويختلف هذا النمط عن النمط السابق بأن الترجمات الأوربية لم تكن بأيدي المسلمين، ولم تكن بهدف تدبر أحكام القرآن، وبالتالي لم تكن روح التقديس والإجلال التي عرفناها في الترجمات الشرقية متوفرة هنا»[1] . وإذا تابعنا هذا البحث عن هذه الترجمات للقرآن فسنعرف أن الأمر اختلف جدا عما كان عليه الحال التي يصفها هذا الباحث الذي كان يصف ترجمة القرآن قبل ربع قرن.

وأترك التقديم والتوطيد لبحث المستعرب عن هذه الترجمات، لعلني أفلح في أن أجعل الحضور الكرام يقفون بأنفسهم على ما قاله هذا المستعرب عن هذه الترجمات التي أعتبر كل واحدة منها قراءة غربية متفردة للقرآن الكريم:


ميغيل دي إبالثا

الترجمة:

جرت العادة في نوع من التكريم كهذا الذي يقام للأستاذ بيدرو مارتينيث مونتابث أن العمل العلمي الذي يعرض لشخصية ثقافية يكون مرتبطا بسبب ما والأوساط التي يعمل بها صاحب الشخصية التي يقام تكريمها، وفي هذه الحال فإن موضوع هذا المقال هو كذلك أي ذو علاقة وطيدة بما يهتم به الأستاذ المكرم مارتينيث مونتابث؛ فترجمة معاني القرآن الكريم كانت تقع ضمن اهتمامات الأستاذ المكرم، خاصة بإشرافه على أطروحات ممتازة للدكتوراه ذات علاقة بموضوعات قرآنية؛ وذلك منذ أطروحة راجي ثامي لعجمي في عام 1971،

(1) محمود الربداوي، دراسات في اللغة والأدب والحضارة، ط1 مؤسسة الرسالة بيروت 1400 / 1980 ص91.

ومن الأسس التي ننطلق منها أننا ننبذ التطرف، ونرفض كل الأفكار الهدامة، ونتجه نحو الاعتدال والتوازن والوسطية، والتعامل مع كل القضايا وفق رؤية مستنيرة لا ترفض الآخر. فهذا النسق وذلك الأسلوب في العمل كفيل بأن يرفع الوعي لدى الناس في تعاملهم مع قضايا الأمة، وأيضا - وهذا مهم جدا - هو نبض الشارع، لأننا - في مؤتمراتنا وملتقياتنا وندواتنا - كثيرا ما نسمع ونستمع للخطاب الرسمي، وقليلا ما نسمع أو نستمع إلى نبض الشارع، وسوف يستمر العمل - إنشاء الله - وربما بوتيرة أسرع، لأننا نلاحظ أنه عمل نوعي يرتقي بخطواته، يخوض في قضايا عديدة تهم جميع المسلمين، ويعمل بهدوء، وبعلم وروية، وهذا سبب أساسي من أسباب النجاح، لأن الذين يعملون بصخب وارتجالية يتوقفون في منتصف الطريق، وربما قبل ذلك .

وما لاحظته أن الجمعية تعمل على أن يرتبط المسلمون بمؤسسات إسلامية فاعلة كبرى، ليتم التفكير في همّ المسلمين جميعا، أي الإحساس المشترك بين الجميع، والتداول في القضايا الكبرى بشكل جماعي، وكل مسلم يدافع عن دينه وذاته وهويته ومجتمعه الذي يعيش فيه ويساهم في تقدمه ورقيه، ويعمل على إثبات قدرته ومساهمة أمته في الحضارة الإنسانية .

كما أن الجمعية توفر الإطار الذي يعطي المسلمَ القدرة على أن يتفاعل مع قضاياه، وتعطيه ما يستجيب لحاجياته وما يريده من المسلمين في العالم، من خلال رؤى وتصورات ودعم مادي .

كما أنها تسعى إلى أن يرتبط المسلمون بالأفكار التي تخدم حاضرهم ومستقبلهم، بمعنى أنها تجسد الارتباط بالأمة بما يحقق الخير لجميع الناس، وهي تريد أن تحيي مفهوم الأمة في كل هذا المنظمات والهيئات والمؤسسات والشخصيات لتجدهم بالتالي يساهمون جميعا في نهضة الأمة وتأكيد مساهمتها في الحضارة الإنسانية، ولا يخفى عليكم أن هذا الموضوع من الأهمية بمكان.

حتى أطروحة الأستاذ المغربي محمد برادة، التي نوقشت بعد السابقة بثلاثين عاما، والأستاذ مونتابث نفسه كان قد قبل مني عملين صغيرين ذوي علاقة بالقرآن، لنشرهما في مجلته المنارة المتخصصة في العالم العربي الإسلامي المعاصر[2].

لقد كانت مجلة المنارة واحدة من البدايات الجماعية المشتركة في ميدان الاستعراب الإسباني للأستاذ مارتينيث مونتابث، وربما هي واحدة من أهم المطبوعات الطامحة إلى تجديد الدراسات العربية والإسلامية في إسبانيا، وهي دراسات كانت قد وجدت في النصف الثاني من القرن العشرين انطلاقا من المعاصرة في كل الميادين إذا ما أخذنا في اعتبارنا ما حدث في المنظر العام للعقود الثلاثة الماضية.

لقد أعاقت صعوبات اقتصادية وسياسية تلك المحاولة للتجديد الموسع الذي بوشر العمل فيه، و لكن ليشمل أيضا موضوعات أكثر قدما، قامت بها فرق أخرى من المستعربين في مجلة أوراق التي تصدرها وزارة الخارجية إلى مستقبل لم يعلم مداه.

إن موضوع القرآن مرتبط مع أعلى درجات المعاصرة التي أحبها دائما الدكتور مارتينيث مونتابث. القرآن في اللغة العربية -كما هو في تراجم معانيه التي جعلت رسالته الاجتماعية الدينية معروفة في لغات أخرى - هو ظاهرة اجتماعية ودينية، منذ ما يقرب من ألف ونصف الألف من السنين، ولكنها أيضا بمعاصرة متعددة وحيوية كبيرة.

مجلة المعهد المصري

للدراسات الإسلامية في مدريد

ولهذا فإنني كنت قد اخترت أن أقدم دراسة هي تحليل نصي للاختلافات بين هذه الطبعات الستة المعاصرة لمضامين القرآن الكريم، كما تعود المسلمون أن يسموا ترجمات القرآن (تراجم معاني القرآن) إلى اللغات الأخرى [3] ، إنه موضوع إسلامي مهم بشكل خاص؛ لأن القرآن نفسه يطرح مشكلة التوازن بين الرسالة السماوية الموجهة إلى كل واحد عبر لغته، وبين لغة خاصة بالنص الإلهي؛ اللغة العربية التي جاء فيها القرآن بطريقة معجزة وفي شكل فريد.

من جهة أخرى فإنه يوجد تأكيد عام على أن رسالة القرآن قد جاءت إلى كل الناس؛ الرجال والنساء؛ كل واحد في لغته، كما أراد الله :

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [4]
[سورة إبراهيم: الآية 4]

ولكن من ناحية أخرى فإن خصوصية رسالة محمد ﷺ كانت معلنة في الكتب المقدسة السابقة له، في لغة عربية واضحة :

(2) ميغيل دي إبالثا M. De Epalza «Una nueva traduccion castillana del Coràn» Dos Almenara Madrid 1973 239-242 y cuentos tunicinos de tematica socio-relegiosa , Las ventanas y la llamada a la oracion del alba, de Muhammad Tachuna , Almenara 5-6 /1974 ,240-268.

(3) انظر دراسة عن إعجاز القرآن - تبين ملخص هذا الموضوع الذي كثرت أدبياته في العربية وغيرها ، كما يؤمن به كل المسلمين - في الدراسة الثالثة من الدراسات التي أرفقت لطبعتنا القطلونية للقرآن ، التي تتناول إعجاز القرآن ، و قيمة الترجمة كما يرى علماء الدين المسلمون م. إبالثا L ' Alconà.. I cinc estudist . Barcelona 2001, 2002 pp.1047-1056 : إن العنوان الذي يضعه بعض المسلمين لترجمتهم للقرآن إلى لغات أخرى لذو معنى كبير ؛ ذلك لأنهم بهذا العنوان يتجنبون أن أحدا ما يستطيع أن يفكر أن تلك التراجم هي شيء من القرآن في نصه الأصلي في حين أنها شروحات، أو معاني ما فهمه بعضهم من القرآن ، أو هي بالأحرى ترجمة للمعاني فقط ، وإن كانوا في بعض الأحيان يضعون في العنوان المكمل «ترجمة» فإنهم يفعلون ذلك ليفهمه الإسباني المقصود بالترجمة ، انظر أمثلة وشروحات عند ميغيل دي إبالثا مرجع سابق ص1048.

(4) إبراهيم 4] وقد كتب المستعرب لفظ الآية في حروف لاتينية كما هو المصطلح الإسباني في النقل إلى العربية ولكنه أخطأ : إذ جعل اللفظ لِيُبَيِّنَ: لِيُبَيَّنَ، ولعله خطأ طباعي ، (المترجم).

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۞ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[سورة الشعراء: الآيات 192-196]

ولهذا فإن النص القرآني لا يمكن أن يكون مقلداً من أحد؛ لا في العربية، ولا في أي ترجمة إنسانية؛ إنه المعجزة الأولى من الله المؤيدة لمحمد ﷺ كما هو الاعتقاد عند المسلمين:

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[سورة يونس: الآيتان 37 و 38]

عندما ذهبت لأعمل في هذه الدراسة المقارنة بين الترجمات الإسبانية الستة الأكثر حداثة (أي في ذلك الوقت 2003) وهو عمل كان في البداية معنونا ب «دراسة قصيرة» بدأت أبعاده في الزيادة على ماكان يتوقعه الأفاضل المنظمون لهذا العدد (المخصص من صحيفة المعهد المصري) لتكريم بدرو مارتينيث مونتابث [5] ، و مع هذا جعلته مختصرا في ثلاث نقاط محددة:

1- تقديم مراجع ومصادر هذه الترجمات الستة ومعلومات موجزة عن أصحابها وعن دور النشر التي صدرت عنها، وعن بعض ظروف النشر الأخرى.

2- بعض الانطباعات عن القبول الاجتماعي، أو سيرورة هذه التراجم الإسبانية للقرآن، في المجتمع الإسباني، وهو مايشير إلى بعض التجديدات المهمة في المنظر العام المزدحم

(5) هن ثلاث أستاذات للغة العربية والإسلام بجامعة أوتونما في مدريد وهن الدكتورات: أورورا كانو، وروسا مارتينيث ليّو، وكارمن رويث برابو ، مع المدير الحالي للمعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، الدكتور محمد أبوالعطا ، بمناسبة مرور نصف قرن على هذه المجلة العلمية.



د . محمد عبد السلام لودوزا

باحث اسلامي وداعية/ فرنسا

نحو شكل جديد من البروتستانتية !!

توفي الشيخ عبد الواحد يحيى في السابع من شهر أي النار (يناير) سنة 1951 مسيحي، بعد مسيرة إيمانية وعمل دؤوب في سبيل الله استمرت ثلاثين سنة، استقر خلالها بأرض مصر ودفن في مقبرة القاهرة الكبرى.

ويعد الشيخ عبد الواحد يحيى، وهو فرنسي الجنسية، من كبار الدعاة، وقد ألف أكثر من عشرين كتابا موجها في الأساس إلى المثقفين الغربيين، بهدف إيقاظ من يمكن إيقاظه بعد أمد طويل من الانغماس في الحضارة المادية المعاصرة.

يعرض الشيخ في كتاب ألفه سنة 1927 مسيحي، مؤشرات ومعطيات لتقييم الحالة الراهنة للعالم وما وصلت إليه الحضارة الحديثة. ومن أهم ما شد انتباهه هو أن الفردية هي التي أودت بالغرب إلى السقوط الحضاري الذي تبدّت مظاهره بوضوح، فهو يعتبر أن الفردية ليست في حقيقتها إلا إنكارا لكل مبدإ مهيمن أوسابق للفرد. ومن هنا يختزل دعاة الفردية الحضارة الإنسانية بجميع وجوهها في العنصر البشري ولا شيء غيره.

وهو يرى أن الغاء أي مبدإ سام في نمو الحضارات يترك للنزعة الفردية الإستئثار بالتحكم في مسيرة الأحداث لتحقيق أسوأ النوازع البشرية المنغلقة عن كل قيد، لغياب أية

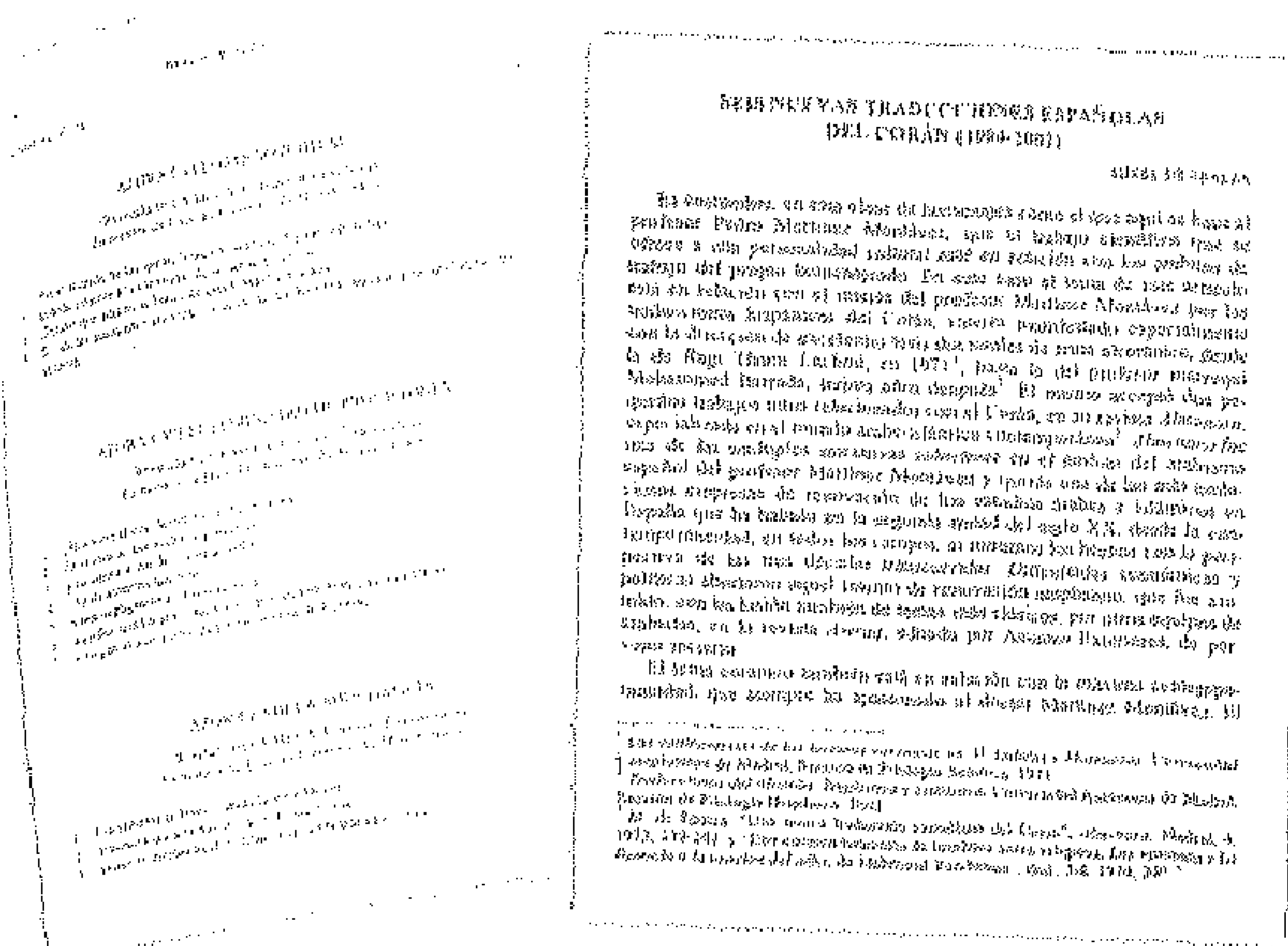
بالتراجم العديدة للقرآن إلى لغات شبه جزيرة إيبيريا (6).

3 ـ مقارنة نص قصير من القرآن وهو السورة الأقصر فيه؛ أي السورة ذات الرقم 108 وهي سورة الكوثر في هذه الطبعات الستة، يمكن أن يتاح عن طريقها الدراسة المقارنة لمعرفة كيف فعل في هذه الترجمات بمناهج متعددة استعملها كل من خ.ب أرياس Arias ومحمد برادة والمتحدث نفسه مع المساعدين لي من جامعة القنت Alicante وهم خوسيب فوركاديل Josep Forcadell وخوان م. بيروخو (7)

I ـ استعراض هذه الطبعات من ناحية المصادر ومن ناحية ظروف أخرى

استمرارا لما سبق نقدم المعلومات الأساسية في الوصف لهذه الترجمات الإسبانية للقرآن المطبوعة بين عامي 1994 و 2002، متخذين لها الأرقام من 1 ـ 6 لتحديدها والإشارة إليها بهذه الأرقام، وهي ترجمات إسبانية في اللغتين القشتالية أو الكتلونية، قام بها إسبان وطبعت في إسبانيا، إنها ترجمات مختلف بعضها عن البعض الآخر، وهي جميعا مختلفة عن الترجمات السابقة لها كما سنبين فيما بعد.

الترجمات الأربعة الأولى ترجمات مختصة



ترجمة سورة الكوثر

بالمسلمين؛ قام بها مسلمون وقصد بها المسلمون بالدرجة الأولى، والترجمتان الأخريان أكاديميتان جامعيتان، واحدة منهما تصحبها دراسات حديثة (وهي التي تحمل الرقم 5) والثانية يصحبها نص منقول مؤرخ ببدايات القرن السابع عشر (أي التي تحمل الرقم 6).

معلومات النقل يمكن أن يتوسع فيها أكثر بشكل واضح وهي أيضا مرتبطة بقيم جديدة كما يحدث بشكل خاص في كل بحث يقام حول المعاصرة، وخاصة عندما يكون المؤلفون والناشرون للترجمات لا يزالون على قيد الحياة، ولم يكونوا هدفا مباشرا للاستقصاء لصالح هذا البحث، وهو منهج سيعطي ـ بكل تأكيد ـ نتائج جد مهمة (8).

---

(6) إنها توسعة أو تطويل للدراسات السابقة لميغيل دي إبالثا

Traduccions hispaniques de l'Alcorà en4 L'Alcorà Traducci de Làrab al català .introducci a la lectura I cinc estudis alcoranics (con la colaboración de Josep Forcadell y Joan M.Perujo (Barcelona,2001,2002,1057-1083, Traducciones del Coràn al español. El Corân (Quràn, Al coràn) en sus traducciones españolas desde la Edad Media hasta el presente en Escritura, individuo y sociedad en Espaàa y Las Américas Simposio en homenaje a las hermanas Luce Lopez-Barralt y Mercedes Lopez- Barralt , 19-20 de Noviembre de 1998, Universidad de Puerto Rico, en prensa ,(Traducciones catalanas del Alcoràn z en Joyas escritas. Los fondos bibliogrƒficos àrabes de Cataluña , Barcelona, 2002, 101-113) también en los volumenes en catalàn e Inglés).

(7) انظر محمد برادة في عمله المذكور سابقاً، وخوان بابلو أرياس في عمله المعنون بـ « Traductor confeso y màrtir :ocho versiones del Coràn en español مترجم معترف بجنايته وشهيد ثمانية طبعات من القرآن في اللغة الإسبانية وذلك في Esther Morillas وانظر أيضاً خ. ب. أرياس Arias El papel del traductor, Salamanca 1997 371-386 وانظر أيضا ميغيل دي إبالثا Epalza traducciones del Coràn» al espanol» وهو عمل مشار إليه سابقا في الصحف السيارة ، وانظره خاصة في الطبعة الأولى من ترجمة القرآن وبصفة خاصة في ص 1083-1094.

(8) عليّ أن أذكر ملاحظات مهمة حول بعض المترجمين وبعض الترجمات الحديثة للقرآن يعود الفضل فيها إلى المستعرب والمختص في الدراسات الإسلامية المكون في جامعة الكمبلوتنسي بمدريد ريكاردو فيليبي البرت ريناس.

1 ـ القرآن: ترجمة أدبية وشروحات، بقلم آلبرو ما تشوردوم، مدريد 1980، وترجمة جزئية بلنسية 1995، وبلنسية 2000، 604 صفحات.

ولد المترجم في الماثورا بكاستيّون عام 1923 إنه مدير جمعية الجالية الإسلامية في إسبانيا، وهو تاجر وصحافي ومؤلف لعدة كتب ذات موضوعات دينية، وتاريخية إسلامية معاصرة، يمثل الجيل الأول من الجمهوريين المسلمين المبعدين (إلى أمريكا اللاتينية والاتحاد السوفييتي ومصر، مثل الكاتب توماس باريوس) مع مسلمين من أصل أجنبي (مغاربة وباكستانيين...) من المبشرين أوالكتاب في اللغة الإسبانية في عهد فرانكو.

2 ـ القرآن، ترجمة وتفسير بقلم عبدالغني (ميلارا نابيو)، غرناطة دار النشر الكُتُبية، 1994، 577ص .وبالما دي ميورقة، منشورات نور الدنى 1998، 599 ص المدينة المنورة، وزارة الشؤون الإسلامية 1417 هـ 1997 باللغتين (العربية والقشتالية).

ولد المترجم في بويرتو يّانو بثيوداد ريال]قلعة بني سعيد (عام 1957 وهو مقيم عادة في غرناطة، وهو عضو في جمعية الجالية الإسلامية في إسبانيا، وهي جمعية مرتبطة جداً بالمؤسسات الرسمية في المملكة العربية السعودية، حيث درس المعني بعد إنهاء دراسته في جامعة غرناطة، ولقد ساعدته هذه الجمعية (جمعية المرابطين) في أبحاثه ومطبوعاته التي نشرت، وخاصة هذه الترجمة للقرآن التي نحن بصدد الحديث عنها، والتي نجده يزجي فيها شكره إلى مسلمين إسبان من جيله؛ أستاذ اللغة الإسبانية في كليات فقه اللغة وعلوم المعلوماتية في جامعة القطر الباسكي الدكتور إنريكي عبدالبصير أُخمبارّينا غوثيريثلايا Inrique Abd Albasir Ojembarrena Goiricelaya وزوجته المتقنة للعربية والقرآن نعيمة القزويني، ورفيقه في المدينة سعيد ثيوداد إلخ.

الطبعة الثالثة من ترجمته المنقحة ـ كما هو الشأن في طبعاته السابقة في إسبانيا ـ طبعها في لغتين؛ النص القرآني في الحرف العربي، والترجمة الإسبانية، وقد

نية فوقية أخلاقية أوروحية، وبالنتيجة فإن النزعة العقلانية ذاتها التي لا تزدهر في الحضارات التي تحكمها النزعات الحيوانية الفردية.

ولأن الحضارة الغربية الحديثة أسست بالكامل على مبدإ (سلبي) في الأساس، أو بالأحرى على (غياب أي مبدأ حقيقي) ؛ فهي تشكل في السياق التاريخي للبشرية منذ آماد بعيدة ما يمكن وصفه بحالة كارثية، لا يمكن تفسيرها إلا بأنها الحلقة الأخيرة أو المفصلية لدورة تاريخية.

ويسهب الشيخ عبد الواحد يحيى في التدليل على أن الفردية هي النزعة التي تحكم جميع الظواهر التي تفرزها الحضارة المادية الحديثة، فهو يقول إن الفردية تلغي منذ البداية (الحس العقلاني) باعتبار أن الملكة العقلية هي في الحقيقة ملكة (فوق فردية) (Indiyiduelle Supra)، وذلك لأنها تتجاوز الحدود الفردية، ولها القدرة على التعامل مع الحقائق الذهنية والماورائية، وتمتلك ذاتياً معايير صدقيتها.

يقول (روني غينون) في هذا الشأن: إن الفكر الغربي لا يزال منذ نهاية القرون الوسطى ينحدر دون توقف، حتى ضاق الأفق العقلي العام، وانحبس الفكر الغربي في مجمله في بؤر معزولة ومظلمة، إن الرأي السائد عند المدافعين عن الحضارة الفردية هو أن الإنسان لا يستطيع استيعاب الحقائق الفوق إنسانية، وأن الإنسان هو أسمى ما يوجد في الكون، وهذه هي النزعة (الإنسانية) (Humanism) التي ميزت الفكر النهضوي الأوروبي.

ونتائج ظهور تلك الأفكار التبسيطية أثرت في كل مناحي الفكر الأوروبي، وخصوصاً في الفلسفة. فدعاة الحضارة الحديثة وضعوا ملكة التفكير العقلي المادي فوق جميع وسائل المعرفة، وأن ملكة الذكاء (الإدراك النظري للحقائق الكلية) لاوجود لها.

وهذا ما ذهب إليه (ديكارت) الفيلسوف والرياضي الفرنسي الذي أسس لنظرية (Rationalism) التي تعتمد على الاستدلال

أنجز هذه الطبعة مطبعة سعودية رسمية في المدينة، وتختص هذه الطبعة في طباعة ما يتعلق بنشر القرآن.

3 ـ رسالة القرآن، لمحمد أسد، وهي ترجمة وشروحات، وقد ترجمت عن اللغة الإنجليزية مع معرفة بالعربية والإسلام، قام بهذه الترجمة عبدالرزاق بيريث، المدوبر دلريو، قرطبة، المجلس الإسلامي، مركز التوثيق والمنشورات الإسلامية 2001، 28+975+50 ص ولكنه لم يوزع حتى عام 2002 ـ 2003.

المترجم الأصلي محمد أسد (ت 1992) مسلم من أصل نمساوي وقد درس الإسلام لوقت طويل في العربية السعودية، وضع هذه الترجمة إلى اللغة الإنجليزية مع هوامش غنية وشروحات عديدة للنص القرآني من منظور تاريخي ولغوي، وفوق ذلك توحيدي شرعي وروحي [9]، الترجمة الإسبانية لترجمته لمعاني القرآن قام بها المسلم الإسباني إميليو عبدالرزاق بيريث ضمن علاقة مع الجمعية الإسلامية أو المجلس الإسلامي الذي تتبعه أيضا مجلة الإسلام الأخضر (التي بدأت في عام 1995) سواء في شكلها المطبوع على الورق أم في نسختها على شبكة الانترنيت، حيث تنشر بعض المقاطع من ترجمة القرآن لمحمد أسد [10]، وهذه المنشورات تمثل جزءا من نشاط المركز الإسلامي في قرية (المدوبر دل ريو) (قرطبة).

الترجمة الإسبانية لترجمته لمعاني القرآن قام بها المسلم الإسباني إميليو عبدالرزاق بيريث

4 ـ القرآن: ترجمة وتفسير، لعبد الرحمن محمد معنان، إشبيلية مطبعة الجمعية الثقافية زاوية 2002، 114+128+125+139ص.

صاحب هذا العمل مسلم إسباني أصله من مدينة امليلية، وهو مقيم بشكل اعتيادي في إشبيلية، و له علاقة شبه حميمة مع الجمعية الإسلامية المدعوة بـ «الجماعة الإسلامية» في إشبيلية، وهذه الطبعة مجزأة إلى أربعة أسفار هي ترجمة لمعاني السور القصار أو الأخيرة من القرآن حيث تشمل الجزء الأخير من القرآن فقط؛ أي جزء عم.

والمترجم معنان هو أستاذ للدين الإسلامي، ولترجمته أوتفسيره تقديم تربوي مع بساطة في العلم، ولعل ذلك لسبب كونه يمارس النشاط التعليمي الذي يضطر أحيانا إلى الاختصار والإيجاز، رغم أن هذا النشاط مؤسس على المصادر الأولية المعتادة في علوم القرآن، كانت لهذا المترجم أيضا علاقة بما هو أيديولوجي وسياسي، مع الكاتب الإسباني، السياسي وصاحب الاتجاه الأندلسي أنتونيو عبدالرحمن مدينة، و مع مفسر القرآن في اللغة الإسبانية عبدالمؤمن آية، الذي يتفق معه في بعض ما يعرضه في تفسير القرآن، يمثل محمد معنان في إسبانيا فريقا نوعيا مهما يكونه مسلمون إسبان من أصل مغربي، وإن لم يكن يتمتع بمستوى جامعي نجده عند كتاب إسبان آخرين من أصل مغربي يتحدثون لغتين العربية والإسبانية، مثل محمد شكور أو عبدالرحمن شريف الترغي [11].

5 ـ القرآن: ترجمة إلى اللغة الكتلونية، مدخل إلى قراءة القرآن مع خمس دراسات قرآنية، بقلم ميكيل دي إبالثا، بالتعاون مع خوسيب فورّا كارّيل

---

(9) لقد ترجمت أعمال أخرى لهذا العالم المسلم الأوربي إلى اللغة القشتالية، ومن بينها روح الإسلام، الجمعية الإسلامية في إسبانيا، مدريد 1983، والإسلام على مفترق الطرق، فوينخيرولة 1995.

(10) وياللعجب، فقد نشر في عام 2002 ترجمة وشرح للسورة رقم 108] التي ستحلل ترجمتها أسفله[من عمل محمد أسد (ت 1992)]كذا[مترجمة من قبل بيريث ومشروحة من قبل مترجم آخر للقرآن إلى اللغة الإسبانية عبدالرحمن محمد معنان، انظر سورة الكوثر 108، تفسير... الإسلام الأخضر المدوبر 6/18 2000 76–82.

(11) هو دكتور في علوم التربية ومترجم، وهو أيضا كاتب في الدراسات القرآنية وموضوع أطروحته للدكتوراه: الأيديولوجية الإسلامية، البعد التربوي النفسي، طباعة المعهد العربي الإسباني للثقافة، مدريد 1977.

وخوان.م.بيروخو، دار بروسا Prosa برشلونة 2001 ـ 2002، 277ص.

ميكيل دي إبالثا فيرير مولود في مدينة باو بفرنسا، وهو إسباني الجنسية، لقد كتب ونشر دراسات عديدة حول موضوعات دينية مسيحية وإسلامية وحول العلاقات الإسلامية المسيحية التاريخية والمذهبية كما يبين ذلك في كتابه (الدراسة الأولى مصادر ومراجع إسبانية عن الجزيرة العربية ومحمد والقرآن (الذي جاء في994 ص).

هو أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة أليكانتي أي القنت (في شرق إسبانيا) وقد ذكر أنه عمل هذه الترجمة بمساعدة أستاذين للغة الكتلونية مختصين في الترجمة، موجودين بالجامعة نفسها وهما خوسيب فورّكاريّل (مجاز في التاريخ واللغة الكتلونية) وموظف كبير في الشؤون الثقافية بمقاطعة بلنسية، وخوان م بيروخو مجاز في اللغة الكتلونية وأستاذ للترجمة الأدبية إلى هذه اللغة وينجز أطروحة للدكتوراه فيها.

لقد حملت الترجمة ـ في فريق لمدة حوالي خمس سنوات ـ هؤلاء الثلاثة على أن يعدوا منشورا يشرح طريقتهم في العمل معا، لقد أرادوا أن تكون هذه الترجمة من العربية إلى الكتلونية مباشرة، وأن تكون أدبية ودينية،كاملة وواضحة، ميسرة على القراء الكتلان، ولكنها متجنبة للتمسيح الطبيعي لترجمة في لغة «ممسحة» جداً تُستعمل عند الحديث عن موضوعات دينية.

ويبرر هؤلاء المترجمون منهجهم في الترجمة في الدراسة الخامسة من الدراسات التي تصحب الترجمة للقرآن، لقد استحق عملهم هذا (أي ترجمتهم هذه للقرآن) جائزة أحسن كتاب مترجم إلى اللغة الكتلونية (وهي جائزة منحتها بلدية برشلونة عام 2002) كما استحق هذا العمل الجائزة الوطنية لأحسن كتاب مترجم إلى لغة من لغات إسبانيا لعام 2002 الممنوحة من وزارة الثقافة.

تمثل هذه الترجمة الاهتمام الجامعي التقليدي بالمنطق الرياضي. ومن نتائج الفكر المادي النهضوي إشاعة الوهم بأن الحقيقة في الطبيعة الملموسة، وأن الإنسان لا يستطيع استيعاب ما يخرج عن نطاق حواسه، ولاطائل من محاولة البحث عن الحقيقة خارج حدود الطبيعة. يقول الشيخ عبد الواحد يحيى: إن دعاة الحضارة الفردية الحديثة يلغون قدرة الإنسان على امتلاك (الحس العقلاني) أوالقدرة على إستيعاب الحقيقة (الماورائية) التي سادت الحضارات السابقة، وهم بذلك يُلغون جميع ما ترتب عن المعتقدات الدينية والروحية، والنتيجة المنطقية لهذا النمط من التفكير هي أنه حتى كلمة الحقيقة لم تعد تعني شيئاً في رأيهم، وأن كل ما يمكن إثباته يسمى (الواقع الحالي) الذي يثبت وجوده بالمدارك الحسية، أما الحقيقة المطلقة فلم يعد لها مكان في العالم الحسي الذي لا عالم سواه، فلا شئ ثابت ولاشئ مطلق.

ونتج عن ذلك كلّه تراجع كبير في العقائد التي لم تصمد أمام هجمة النظريات المادية، وتجمّد الفكر الديني، وتقدم إلى الواجهة الفكر الأخلاقي كبديل لاخيار فيه للأديان الأوروبية، إذا أرادت أن يبقى لها ذكر في المجتمعات، وحصل تشوه، إذ تحول الدين إلى مجموعة من المبادئ الأخلاقية لا أساس عقائدي قوي لها، وأكبر مثل لذلك (البروتستانتية الحديثة).

إن اندثار الأساس العقائدي، وغياب العوامل الإيمانية المؤسسة في مبدئها على الضرورة العقلية لوجود حقائق أولية ؛ أدى إلى ظهور تصورات عاطفية أو نسبية، مثل القول بأن وجود إله محدود القدرة، أو مبدإ نسبي ملهم ؛ أمر غير مستبعد. ويمكن العثور على مثل هذه التصورات الغامضة في الأدب مثل أدب (وليم جيمس)، وهي سفاسف لا تسمن ولا تغني من جوع. ويقول الشيخ (حسب رواية روني غينون): إن (البروتستانتية) هي الدين الذي تشكل وفقاً للتيار الفردي الذي شكل الحضارة الحديثة في الغرب، فهي نتاجه في المجال الديني.

بمعرفة ما دعاه المسلم الجزائري مالك بن نبي بـ «الظاهرة القرآنية» كما تمثل التعريف بها، مع بعض التجديدات المنهجية المهمة.

6 ـ القرآن: مخطوط موريسكي ينتمي إلى العام 1606، وهو ترجمة للقرآن لموريسكي مجهول بمدخل لخوان بيرنيت خينيس، نقله إلى الحرف اللاتيني لويس روكي فيغولس، برشلونة، طباعة الأكاديمية الملكية للفنون الجميلة ببرشلونة والجامعة الوطنية للدراسة على بعد (سيريس مايور) 2001، 22+ 413ص.

النص المخطوط في اللغة القشتالية وفي الحروف اللاتينية مؤرخ بعام 1606 كان محتفظا به في مكتبة محافظة طليطلة، وقد درسه بعض الباحثين وخاصة الهولندي خيرارد ويـــخيرس Gerard Wiegers والأمريكية كونسويلو لوبث موريياس Consuelo Lopez Morillas المختصة في ترجمات المدجنين والموريسك للقرآن، وهم المسلمون الذين كانوا يعيشون في المجتمعات المسيحية في شبه جزيرة إيبيريا، وتعد هذه الباحثة الأمريكية طبعة علمية لغوية لهذا المخطوط الطليطلي منذ سنوات، الطبعة الحالية هي نقل حرفي كامل للمخطوط قام به لويس روكي فيغولس Lluis Roque Figuls مع مدخل موجز لخوان بيرنيت أستاذ اللغة العربية المتقاعد في جامعة برشلونة، وواضع عدة تراجم للقرآن إلى اللغة القشتالية، وهي تراجم ذات انتشار كبير منذ عام 1953، وهو مشرف على أعمال جامعية كثيرة في ترجمة القرآن قام بها المدجنون والموريسكيون، الفرق الكبير والرئيس بين هذا النص والأجزاء الأخرى التي درست من قبل أن هذا ليس مجزأ وإنما هو النص القرآني كاملا كتب في اللغة القشتالية بحروف لاتينية وليس مزدوج اللغة بحرف عربي وهو الخاميادو كما هو الشأن في المخطوطات التي درستها كونسويلو لوبث موريياس، كما أن أصل هذا المخطوط يعرض أشياء شبيهة بالرموز والشفرات وذلك من حيث عدم معرفة كاتبه والموجه إليه أو المخصص باسمه، وقد حاول الباحثان غير الإسبانيين اللذين أشرنا إليهما سابقا أن يحلا هذه الرموز والشفرات، لكن دون نجاح نهائي حتى الآن.

هذه التراجم الخمس التي قام بها مسلمون إسبان تمثل جوانب مختلفة جدا بين المؤمنين بالإسلام في المجتمع الإسباني

إن المجهول الذي وضع هذه الترجمة ليعد ـ لمجهوده اللغوي الذي اتضح فيها ـ واحدا من أكثر الكتاب أهمية، إذ هو من الكتاب الذين يمثلون المسلمين الإسبان في تلك المجتمعات الإسبانية القروسطية والحديثة، وقد كان هؤلاء الكتاب منحدرين من الأندلسيين المتحدثين بالعربية ولكنهم كانوا يندمجون لغويا وخلال طرق عديدة بالمجتمعات المتحدثة بالإسبانية.

تمثل هذه الطبعة أيضا مجهود بعض الباحثين المتخصصين ـ سواء أكانوا إسبانا أم غيرهم ـ منذ القرن التاسع عشر، لدراستهم هذا الجانب المختص بالآداب الإسبانية والترجمات الإسلامية[12].

2 ـ بعض الانعكاسات حول الانتشار الاجتماعي لهذه الطبعات من الترجمات الإسبانية للقرآن

هذه الطبعات الست من ترجمات القرآن من العربية إلى اللغات الإسبانية المختلفة (قشتالية القرن العشرين / الواحد والعشرين، وقشتالية بدايات القرن السادس عشر، إذا كانت الترجمة حقا تنتمي إلى عام 1606 كما يذكر في المخطوط الطليطلي، وليست قبل هذا التاريخ، وإلى اللغة الكتلونية الحديثة) فهي تكمل السلسلة الواسعة للترجمات المعروفة إلى اللغات الإسبانية منذ القرن الثاني عشر حتى القرن الواحد

(12) انظر لويس فرناندو بيرنابي Luis Fernando Bernabé Pons , Bibliografia de la Literatura aljamiada-morisca, Alicante (1992, 2ed, muy ampliada en preparaciòn مصادر ومراجع الأدب الخاميادو الموريسكي .

والعشرين، ولكنها تمثل بعض التجديدات مقارنة بالمشهد السابق للتراجم الإسبانية للنص المقدس في الإسلام.

1 ـ أول هذه التجديدات أن الخمسة تراجم الإسبانية المرقمة من 1 ـ 4، 6 واضح أنه قام بها مسلمون إسبان، فقبلا كان المسلمون يمثلون متعاونين أو معاونين للمترجمين الأساسيين حينما قام بذلك بعض المسلمين من أمريكا (الأرجنتين، المكسيك، الولايات المتحدة) والمملكة المتحدة من المنضوين في بعض الأحيان تحت لواء مجتمعات ينتشر فيها القرآن مثل باكستان[13]، وبالنسبة للبرتغالية يعطى جزء أكثر تنويعا بين مسلمين برتغاليين ومسلمين من البرازيل وموزمبيق [14].

الترجمة الوحيدة المحتفظ بها في اللغة الكتلونية والمطبوعة مجزأة هي الترجمة عن االغة الإنجليزية، وهي ترجمة عملتها فرقة الأحمدية وهي جمعية تعتبر نفسها مسلمة وإن لم يعترف بها المسلمون[15]. ففي إسبانيا لم يوجد قبل ذاك بكل تأكيد تراجم للقرآن الكريم عملها مسلمون أصالة أومعتنقون جددا للإسلام، أو مسلمون من أصل غير إسباني، وذلك بسبب قلة عدد المسلمين في البلاد.

لكن الآن فإن هذه التراجم الخمس التي قام بها مسلمون إسبان تمثل جوانب مختلفة جدا بين المؤمنين بالإسلام في المجتمع الإسباني: فواحد منهم هو جمهوري بلنسي عاش في المنفى وهو صحفي وكاتب [1]، وواحد مسلم جامعي؛ حصل دراساته الجامعية في غرناطة والعربية السعودية [2] وآخر ذو ظروف

(13) انظر ترجمات رحال بيرالتا (1945) في بوينس أيرس وهي إلى اللغة القشتالية لواضعها عبود (1953) أيضا في بوينس أيرس الفريق الذي يقوده فاروقي (1986) في المكسيك ولاهو في الباكستان، كاريّو عطاء الله (1988) ف يتلفورغ بالمملكة المتحدة هلاك أو حلاك (1998) في الولايات المتحدة، وطبقا للمعلومات المجموعة في الموضوع لدى ميغيل إبالثا: القرآن وخمس دراسات ص 1080-1081.

(14) انظر المرجع السابق ص 1075-1076.

(15) انظر المرجع السابق ص 1072-1073.

إن تطبيق مبدأ الفردية في المجال الديني أدى إلى ثورة على الكاثوليكية وظهور البروتستانتية، التي يمكن اعتبارها النتيجة المنطقية لتطبيق مبدإ رفض وجود المبدإ الأول السامي لصالح الفرد الإنساني بإعتباره (القيمة الأولى والأخيرة). لذلك نرى البروتستانتية تترك مسائل العقيدة الأساسية جانباً، وتهتم بالأمور البشرية الصرفة، بالتكيف مع الواقع، ومسايرة الإتجاهات الفردية، الأمر الذي أدى إلى المزيد من الفوضى والسقوط الديني والاجتماعي.

وهذا أمر طبيعي، لأن الدعوة إلى الفردية هي في الواقع دعوة إلى رفض كل مرجعية عليا، أي رفض مرجعية ذات قدرة معرفية أعلى من قدرات الأفراد، وهاتان الصفتان متلازمتان لايمكن فصلهما، لذلك فإن الفكر الغربي المعاصر لا يقبل أية سلطة روحية ذات مرجعية عليا، وتبعاً لذلك لا يقبل أية مؤسسة روحية تستند إلى تلك المرجعية.

لذلك جاءت البروتستانية لتحل محل المرجعية العليا بعد أن الغت محتواها كمصدر للعقيدة، وأسست بدلا عنه مبدأ (الاختيار الحر) أي: لكل أن يعتقد ما يشاء حسب إمكانياته العقيلة وقناعاته الشخصية، وأن كل شيء يمكن أن يخضع للنقاش والنظر العقلي، وهذا يعني أن كل الانحرافات والاختلافات والتناقضات متاحة ومباحة. وهذا هو سبب ظهور الطوائف والبدع الدينية الكثيرة، والتشتت والضياع الذي تعاني منه المجتمعات الغربية المعاصرة.

ومع ذلك تظل البروتستانتية تحمل تناقضاً أساسياً، فهي بالرغم من إعطائها قدراً كبيراً من الحرية في الإختيار للفرد، فيما يتعلق بالعقيدة؛ إلا أنها لا تستطيع أن تتنازل ـ على الأقل نظرياً ـ عن المبدأ (فوق الإنساني) المتمثل في مصدر الوحي.

ولكن البروتستانت يتفادون هذه المشكلة بإخراجها من حيز النقاش والتفكير، وصرف الناس إلى الأمور الإنسانية المادية، حتى أفرغوا عملياً دينهم من محتواه الأصلي الذي

مشابهة لظروف السابقين، غير أن تكوينه الثقافي لم يستمر لفترة طويلة، وهو يترجم عن ترجمة مسلم أوربي آخر أي نمساوي، هو نموذج في العلوم الأوربية والعربية [3] ورابع هو من مدينة امليلة، وهو مسلم منذ الولادة، ذو أصل مغربي [4]، وخامس هو موريسكي مدجن أندلسي مندمج (اضطرارياً) في المجتمع المسيحي، مجتمع عصر النهضة الأوربية، ومجتمع العصر الذهبي في الأدب الإسباني [6]، وكل هذه الأصول الاجتماعية لهؤلاء المترجمين هي أصول جديدة إلى حد كبير في المنظر العام للترجمات الإسبانية للقرآن وإن كانت توجد لها نظائرها أو ما يوازيها في أقطار أخرى وعلاقات علمية وثقافية كثيرة مع زملائهم المترجمين غير المسلمين.

الترجمة إلى اللغة الكتلونية [5] تكتسب أصالتها من الترجمة الجامعية التي يقوم بها المستعربون المترجمون للقرآن، ليسوا فقط لأنهم يقومون بالترجمة إلى لغة «جديدة» أي الكتلونية التي لم يحتفظ فيها بمحاولات الترجمة السابقة التي عرفتها القرون الوسطى والحديثة، وإنما لأنهم قاموا بها ضمن فريق من الاختصاصيين، عملها كما تقتضي ممارسة اختصاصه [16].

إنها طريقة جديدة في العمل في المشهد العام لترجمات القرآن إلى اللغات الإسبانية، كما كان جديدا في هذه اللغات أن يترك المترجمون عنها في منتصف القرن العشرين اعتمادهم بشكل عام على لغة واسطة للترجمة إلى هذه اللغات، كما فُعل في القرون الوسطى في شبه جزيرة إيبيريا (من اللاتينية والفرنسية والإنجليزية) وقد كان واضحا أن الذين يترجمون من

النص المخطوط في اللغة القشتالية وفي الحروف اللاتينية مؤرخ بعام 1606 كان محتفظا به في مكتبة محافظة طليطلة، وقد درسه بعض الباحثين وخاصة الهولندي خيرارد ويخيرس Gerard Wiegers والأمريكية كونسويلو لوبث موريلاس Consuelo Lopez Morillas المختصة في ترجمات المدجنين والموريسك للقرآن،

العربية مباشرة لم يتخلوا عن استعمال الترجمات التي توجد في لغات أخرى، و يرون أن تلك الترجمات هي الأحسن، فكانوا يستعملون لغة ثالثة أو ترجمة ثالثة أداة مساعدة على العمل، مثلها في ذلك مثل المعاجم والتفاسير والموسوعات العربية؛ الحديثة والقديمة.

يوجد أيضا وضع اجتماعي آخر جديد يمثل مطالب جديدة في بعض ترجمات القرآن، إنه الحاجة إلى التكوين الديني الإسلامي للمسلمين من متكلمي اللغة الإسبانية؛ أي المعتنقون الجدد للإسلام، وأن تقدم الترجمة في شكل تعليمي صحافي[1]، بطريقة مدرسية [4] وبطريقة حضارية مهذبة [2] وبطريقة تنمو عن علم غزير [3] بتبسيط وإغناء الأدوات الإعلامية التي يمتلكها متحدثو الإسبانية ـ سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين ـ لمعرفة القرآن والإسلام [17]؛ إذ يعترضهم بعض المشاكل الخاصة الناجمة عن الترجمة بين الاجتهاد في المحافظة على المعاني الأصلية لعربية القرآن (مبدعين ألفاظا عربية في اللغة

(16) نعد نحن الثلاثة بعض المنشورات التي تشرح كيف كان عملنا في النص وكيف وجدنا نحن مجتمعين أحسن المناهج التي تجعل قارئ اللغة الكتلونية يستطيع أن يفهم القرآن فهما أحسن على مستويات عديدة (صرفية نحوية ، وأسلوبية ، وكتابية وخطية ، وعلى مستوى أسماء الأعلام ، وتولتر الرواية).

(17) انظر هذه المظاهر في الانتاج المتنوع لدور طباعة الكتب والمنشورات الإسبانية ذات الموضوعات الإسلامية خاصة دور الطباعة الإسلامية في كتاب ميغيل دي إبالثا « A Bibliografa Hisphica » هو مرجع مذكور سابقاً ص 986-1013 وانظرها أيضا في كتاب ماريبيل فييرو وماريا خيسوس كانيثيرو "Las publicaciones de los musulmanes en Espana" منشورات المسلمين في إسبانيا «وفي بحث م .خ . كارنيثيرو باث وفرناندث م. فييرو « Bibliogra'a sobre los musulmanes espanoles y europeos » الذي جاء في مجلة أوراق ، في عددها 28 ، الصادر بمدريد عام 1997 ص ص 106 ـ 150 ، 207 ـ 229 .

الإسبانية أو محيين استعمال ألفاظ خمسة قرون مضت) وبين التعبير بطريقة يتفاهمون بها مع مواطنيهم الإسبان غير المسلمين مستعملين مصطلحات دينية مسيحية تقليدية في هذه اللغات المترجم إليها، وقد كان هذا الموضوع أيضا واحدا من التحديات التي واجهت الترجمة إلى اللغة الكتلونية [5]، ففي اجتهادها أو حماستها للتوضيح اللغوي والدقة الدينية (فزعت بوجه خاص إلى ترجمة صريحة أو كاشفة للنص الأصلي).

فالنجاح الحالي لإعادة الطبعات والنشرات لترجمات القرآن الأقل حداثة ـ حتى أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ـ ذو دلالات كثيرة؛ من بينها الاهتمام الواسع الذي يبديه المجتمع الإسباني بنص المسلمين المقدس، الذي هو أيضا ثروة متاح للإنسانية جمعاء أن تستفيد منها، لكن يجب أن يقال بإنه فيما عدا دار النشر الكتلونية بروا Proa[5] النشطة في مجالها فإن دور النشر الخمسة الباقية التي قامت بنشر هذه الترجمات ذات بناء ضعيف إلى حد ما، وهي ذات قنوات توزيعية محدودة، وذلك مقارنة بالنشرات أو الطبعات المعادة سابقا (مجموعة دور الطباعة والنشر: أوسترال، بلانيتا، إيردر).

دور الطباعة عامة هي جمعيات دينية إسلامية [2]، [3]، [4] و [1] وهي تقريبا ممولة من الخارج، أو هي ممولة من قبل الكاتب نفسه الذي ينشر فيها [1] والمؤسسة الكتلونية المغمورة التي تكفلت بطباعة المخطوط الموريسكي [6] مع الجامعة الوطنية للدراسة عن بعد، ليس لها ذكر في مجال النشر الجيد، لكن يذكر لها نجاحات في مجال طباعة كتب الجيب، وهي نجاحات لا تذكر في مجال ما نتحدث عنه، إضافة إلى ذلك فإن الموضوع يتعلق بكتاب تاريخي لم يكن في أسلوب موجه لمتحدث بالإسبانية يعيش في القرن الواحد والعشرين.

وبإيجاز: يمكن أن يقال إن النصوص الستة الممثلة لمستويات مختلفة من ترجمة القرآن وتفسيره ودراسته

حلت محله التأويلات والنظريات التي يستأنس لها، كل حسب هواه...

إن خطورة (مبدأ الفردية) و(الفلسفة الإنسانية) التي نشأت عنه، والتي جعلت من الإنسان القيمة الأولى في هذا الكون ؛ تظهر في تعميم منهج قابلية النقاش والنقد على كل مناحي الفكر والحضارة، فكل شيء خاضع للإنسان، ولاشئ فوق الإنسان، ولاعلم فوق علمه.

ولونظرنا مليّا في هذا الإدعاء لوجدنا أن الإنسان باعتماده هذه المقولة إنما يعزف عن الصعود بهمته على الحقيقة العليا، ويدعي أنه ينزلها إلى مستواه، وهو لايدرك أنه يفسد بذلك كل شيء.

يمكن للبشر أن يجادلوا بعضهم بعضا في المسائل الحياتية بوسائل التفكير المنطقي المادي، وبإمكانهم طرح الادلة والأدلة العكسية. وبإمكانهم الاستمرار في النقاش دون الوصول إلى رأي مشترك، مثل ما يحدث في المناظرات الفلسفية، وفي هذه الحالة يُعزَى عدم التوصل إلى رأي يقبل به الجميع إلى عيوب في طرح أوتناول القضايا الفلسفية. فالنقاش في هذه الأمور يكون عادة السبب في تعميق الخلاف وتعقيد المسائل مهما بدت منطقية.

ومرد ذلك أن المتجادلين الذين لا يتفقون على مرجعية مشتركة يُخضِعون تفكيرهم، وبالتالي نقاشهم، إلى وختياراتهم، ويرفضون الانهزام، فيكون جدالهم ترسيخاً لاختلافاتهم.

السبب الأول في ذلك هو افتقادهم للرغبة في الوصول إلى (المعرفة الحقيقية) فلا أحد منهم يؤمن بوجود تلك (الحقيقة) المطلقة..

فما من فيلسوف من فلاسفة الغرب يهتم بمثل تلك الحقيقة المطلقة، وهمهم الأول هو وضع نظام فكري فلسفي يرتبط بأسمائهم أو يكون لهم فيه باع، وكلهم يسعون إلى طرح أفكار جديدة تجلب لهم الشهرة والصيت..

فمبدأهم هو أن طرح فكرة جديدة خاطئة خير من الدفاع عن فكرة قديمة راجحة !.

ـ وهي ما يمكن أن تتجاوب مع اهتمامات القراء المختلفة سواء أكان هؤلاء القراء مسلمين أم غيرهم ممن يهتم بمعرفة النص المقدس للإسلام ـ تتلخص مستوياتها أو ملامحها الرئيسة في الشكل التالي:

ماتشوردوم Machordom: ترجمة موجهة إلى جمهور عام للتعريف العام بالنص القرآني مع وضوح وبساطة.

ميلارا Melara: ترجمة القرآن (الطبعة الثالثة في لغتين: النص الأصلي في العربية) وهي واضحة ومشروحة بشكل مبسط لبيان المضامين الرئيسة للنص وأبعاده الدينية عند المسلمين مع مستوى ثقافي عال وميسر جداً.

أسد ـ بيريث Asad -Pérez: ترجمة القرآن مع تفسيرات كلامية وعلمية غزيرة، قديمة و حديثة، مع مستوى ثقافي عال وواضح إلى حد ما.

معنان Maanan: ترجمة ما زالت جزئية مع نقل صوتي للنص العربي في حرف لاتيني، وهو مشروح شرحاً ميسراً ومختصراً، حتى ليعد الكتاب الترجمة مدخلا للنص القرآني.

إبالثا Epalza: ترجمة أدبية تشتمل على تعريفات وشروحات لئلا تنقطع القراءة بهوامش تصرف القارئ عن متن الكتاب، وقد ختمت هذه الترجمة بخمس دراسات تحليلية.

المخطوط الموريسكي الذي ينتمي إلى العام 1606: ترجمة عملت قبل حوالي 400 سنة في لغة ذلك العصر، وهي أيضا مع تعليقات شارحة مضمنة في الترجمة الحرفية.

هذا هو التوصيف الجدولي لهذه السلسلة من الإنتاج القرآني الذي تعرضه هذه الكتب التي صدرت حديثا، ولعلها تلبي اهتمامات القراء المتعددة، فهذه الطبعات تضيف بعض التجديدات إلى الطبعات السابقة لترجمات القرآن في اللغات الإيبيرية (أي القشتالية والقتلونية والغاليسية والبرتغالية).

اهتمامات قراء هذه التراجم تعتمد أو تنطلق أساسا من الطابع الثقافي للجماعات الاجتماعية الاسلامية المتعددة في إسبانيا (كما بينا ذلك في عمل سابق) وخاصة غير المسلمين من المترجمين وهم الذين لهم الجزء الأكثر من القراء لتراجم القرآن الكريم، وإنه من غير الممكن أن يكون استقبال هذه الطبعات الست من الترجمات في مستوى واحد، إلا ترجمة ماتشوردوم وميلارا وإيبالثا، ولكننا لا نبحث عن الجدارة المنهجية في هذه الترجمة الأخيرة.

وعلى كل حال فإن ترجمة القرآن القشتالية الأكثر قبولا بين المسلمين الإسبان والأمريكان وحتى الشيعية الإيرانيين والمسلمين المهاجرين (أو اليهود) هي ترجمة خوليو كورتيس طبقاً لاتصالاتي الشخصية المحدودة، أو انطلاقا من متابعاتي لإحالاتهم التي يحيلون بها في بحوثهم أو أحاديثهم إلى هذه الترجمة.

اهتمامات قراء هذه التراجم تعتمد أو تنطلق أساساً من الطابع الثقافي للجماعات الاجتماعية الاسلامية المتعددة في إسبانيا

3 ـ مقارنة بين طرق الترجمة في هذه الترجمات الست:

يمكن أن يحلل الطابع العام للترجمات الإسبانية الست الأخيرة للقرآن الكريم، ويقارن في مثال واحد وهو السورة رقم 108 من القرآن، أي سورة الكوثر ، وربما ليس هو النص الأكثر تمثيلا للأسلوب القرآني ولكنه يمثل السورة الأقصر، و هو واحد من أكثر السور أو الآيات التي تساق لهذا الغرض، لاستعماله في ميدان التدليل على أسلوب القرآن المعجز في أقصر سورة منه، ونحن نسوقه أيضا لأنه سهل الحفظ حتى على غير العرب (80٪ من المسلمين اليوم من غير العرب فهم ناطقون بالهوسا والكردية والفارسية والتركية والأردية والوولف والقشتالية والكتلونية والغاليسية والبرتغالية).

فبعد تقديم النص العربي المكتوب في الحروف اللاتينية حسب اللغة الإسبانية سنضع عقبه نصوص الترجمة الستة[18].

لم تقصد هذه المقارنات أن تبين بالدرجة الأولى أي هذه التراجم أفضل، وإنما قصدت إلى بيان كيف حاول كل مترجم أن يحل المشاكل العامة التي تواجه مترجم النص العربي الأصلي للقرآن، والمشاكل الخاصة التي تعترض عند ترجمة هذه السورة، ومن الواضح أن هذا المنهج من الدراسة يتعلق أو يتناسب كثيرا مع قيمة الترجمات أمام النص الأصلي، لكنه يسمح بتثمين تكملة هذه الترجمات لبعضها، وأهمية أن تعطى أسبقية أو أولوية للمضمون، تمت بصلة معنوية أو نحوية إلى النص القرآني، أو تضيف إلى الحرفية أو التقليد النحوي والصرفي.

(وقد كتبت سورة الكوثر في حروف لاتينية وعلى الطريقة الإسبانية وذكر أعلاها (أي عنواناً لها ولترجمتها):

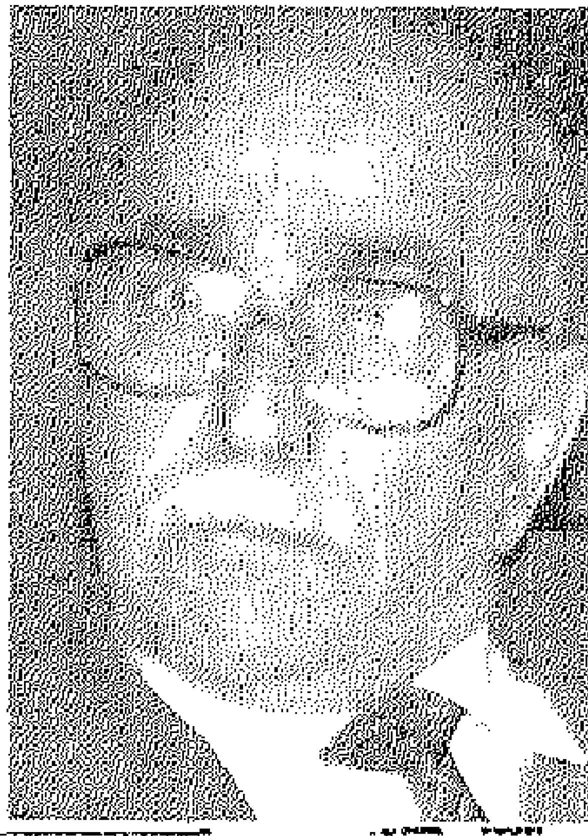
1 ـ في ترجمة ماتشوردوم الصادرة في 1995 (ص451): سورة رقم 108 الكوثر (ترجمة:الكوثر).

2 ـ في ترجمة ميلارا الصادرة عام 1998 (ص 562): 108 سورة الكوثر (ترجمة الكوثر).

3 ـ في ترجمة أسد وبيريث الصادرة عام 2002 (ص967) سورة 108 الكوثر (كتبت الكلمة العربية بالحرف اللاتيني وترجم معناها إلى الإسبانية).

4 ـ في ترجمة معنان الصادرة عام 2002 (ص 81) سورة 108]وترجم كل من كلمتي الكوثر والسورة وكتبا في لفظهما العربي بالحرف اللاتيني أيضا؛ حيث ترجمت كلمة سورة إلى مصطلح توراتي أو إنجيلي capistulo.

(18) انظر هذه الطريقة من المقارنة بين التراجم القشتالية المتعددة لسورة الكوثر (كانسينوس Cansinos ، بيرنيت Vernet كورتيس Cortes ، كاريُّو عطا الله Crrillo ata allah ميلارا Melara ماتشوردوم Machordom) وبعض النتائج التي يمكن أن تستخرج من هذه التحليلات المقارنة عند ميكيل دي إبالثا Mekel de Epalza Traducciones espanols del Coràn y estudis alcoranics 1083-1093.



د. السائح علي حسين
كلية الدعوة الإسلامية/ طرابلس

نحاسب أنفسنا قبل الآخرين ونصحح أخطاءنا!!

من خلال متابعتي للمناقشات والمداولات على مدى يومين لاحظت أن نسبة ما تحدّث به المتحدثون عن أعمال الأوروبيين أنها كانت أعمالاً تاريخية، ولأنها كانت أعمالاً تاريخية فإن ذلك لم يخطر ببالي، بل إنني دُهشت لذلك، لكنني أستطيع أن أقول وبيقين : إنني أتابع كل ما يُنشر حول ما يقوله المستشرقون، والمبشرون، وما يكتبه الأوروبيون، وما يترجمه المترجمون ؛ أتابعه يكاد يكون شهرا بشهر أو يوما بيوم، وبالتالي فإن كل ما قيل في هذه الندوة لا أحسب أن فيه واحدا على ألف لم أسمعه أو لم أقرأه، بل هذا ما أدرسه لطلابي في هذه الكلية، ونشرته في كتبي ودراساتي مذيلا بالمراجع والمصادر، ولم آت بشيء من عندي، وهذا ما جعلني لا اكتب بحثا أو ورقة للندوة، لأنني كنت أظن أن الأساتذة والباحثين المشاركين سيتناولون ما يُكتب الآن، أي ما هو حديث في هذا الجانب، وإذا بي أتابع معلوماتي ومحفوظاتي. وما دام الأمر كذلك فدعونا ـ إذن ـ نحاسب أنفسنا بوصفنا مسلمين مسئولين أمام الله ورسوله.. ماذا عملنا للدعوة ؟

الرسالة خُتمت بمحمد ﷺ لكن البلاغ مستمر، ورقابنا في الحق، ونحن مسئولون أمام الله.. ماذا عملنا لهذا الدين ؟

الرسول محمد ﷺ وضع أمامنا النموذج عندما كلف حسّانا بأن يتعلم لغة (السريان) حتى يستطيع أن يرد على الرسائل أو يكتب رسائل، وكان يبعث بالرسائل إلى الملوك في عصره، ويبعث من الصحابة من يترجم هذه الرسائل، وليبلغ ما يريد الرسول إبلاغه.. وعلى فترة من الزمن نسينا هذا

5 ـ في ترجمة إبالثا الصادرة عام 2002 (ص969): سورة 108 الكوثر (وكتبت كلمة الكوثر في النطق العربي والحرف اللاتيني على الطريقة الكتلونية مضافا إليها ترجمتها).

6 ـ في المخطوط الموريسكي الذي ينتمي إلى العام 1606 المنشور عام 2001 (ص405): سورة الكوثر (وكتبت في اللفظ العربي المحرف، والحرف اللاتيني القريب من ذلك العصر؛ أي ما يمكن نطقه اليوم: أثورا، أما الكوثر فكتبت كما تنطق في العربية في الحرف اللاتيني أيضاً».

بعض المقارنات

وإن تركنا هنا جانباً التحليل المقارن للترجمات الستة في كل نقاطها ـ رغم أن هذا التحليل أمر يمكن لنا أن نثبته للبداية ولدعوة القارئ إلى هذا العمل الفكري المفيد ـ فإنه يمكن أن ندرس أموراً مثل الخط أو الوضع الكتابي وعلامات الترقيم التي هي أدوات تعبير كتابية حديثة تسمح للصوت الإنساني بأن يؤدي دوره بطرق مختلفة تبينها هذه العلامات التي لم تكن موجودة ـ كما هي اليوم ـ في الكتابة العربية التقليدية التي كانت مستعملة في القرن السابع (المسيحي).

ترقيم الآيات ـ وهو أداة كتابية مهمة، لتيسير إثبات نص محدد ومضبوط، وهو نظام حديث جدا (القرن التاسع عشر متابعة للتوراة، وفي القرن العشرين في الطباعة العربية) ـ له أيضا أهميته، وكذلك الوقف والوصل ـ كل في وقته ـ لهما أهميتهما التي قد يختلف المترجمون في فهمها أو تقديرها، وكذلك ربط جمل مجزأة بين عدة آيات أو ترك هذا الربط هما من الأهمية بمكان.

وأيضا من الأهمية بمكان مراعاة سياق النص بين موضوع وآخر (مثال على ذلك كلمة ذات معنيين، أو كلمة أخرى قد ترى مقحمة على النص، أو يتفهم منها ما بين السطور كما يقال حتى مع علامتي الاقتباس، أو مع جملة تشير إلى المادة التي يتحدث فيها أو يبحث فيها، بين علامتي اعتراض) في نصوص أطول من سورة الكوثر، مع أنه في هذه الأخيرة يمكن أن توضح الفروق الموضوعية، أو العلاقة المتبادلة بين موضوعات هذه الآيات الثلاثة، (أسد [3]فقط هو الذي تجرأ أن يجمع بين موضوع الآيتين؛ الأولى والثانية، ليفهم معناهما بدقة ووضوح) أما إبالثا [5] فقد وضع الترقيم في نهايات الآيات مثل الطبعة العربية التي خرجت عام 1923 للإشارة إلى طابعها أو شكلها الثانوي في النص الذي ليس في حاجة إلى الوقف والوصل إذا لم يتطلبهما معنى النص.

النص الموريسكي الذي ينتمي إلى العام 1606 [6] ليس به ترقيم الآيات؛ لأن هذا الترقيم نظام مساعد ظهر في الكتابة متأخراً قليلاً.

هذا المنهج من الدراسة يتعلق أو يتناسب كثيرا مع قيمة الترجمات أمام النص الأصلي، لكنه يسمح بتثمين تكملة هذه الترجمات لبعضها، وأهمية أن تعطى أسبقية أو أولية للمضمون.

في نصوص أخرى أكثر طولا يمكن أيضا أن يدرس شكل الكتابة للتعبير عن الفروق بين الموجه إليهم الخطاب القرآني، انطلاقا من المتكلم الأول الذي هو في العادة الله ـ معبراً عنه ظاهراً أو مضمراً ـ عندما يتحدث إلى النبي محمد ﷺ، أو إلى مخاطبين آخرين، أو يقول له الذي قد قيل لمن قبله، أو يكون المتحدثون آخرين طبقا لما يقوله (الله سبحانه وتعالى).

التعبير عن الفاعلين في الأفعال، أو التعبير عما تشير إليه دوال الملكية أمر يختاره المترجم، ويعتمد على لباقته، خصوصا عندما لا يقوله النص بشكل واضح، إنه اختيار يستضيء كثيراً بالنص العربي الأصلي، وهو يزيل في بعض الأحيان بعض غموض قد يبدو لأول وهلة في النص القرآني نفسه.

أسماء الأعلام (أمكنة وأشخاصا وجماعات وغيرها) يمكن أن يعبر عنها بتعبيرات مختلفة في اللغة القشتالية، والمثال الواضح على ذلك الكلمة العربية كوثر؛ فإذا أريد بها أمراً معنوياً فهو

(abundancia) طبقا لاشتقاقها الأكثر سيرورة (وسيكون دون علامة العلم؛ وهي أن يكتب الحرف الأول فيه بحجم كبير، ولكن إذا أريد منها أنها شيء خاص أو مكان خاص فسيكون بالحرف الأول مكبراً، نعم إنه يحتمل في المقابل أن يكون علما على نهر في الجنة، وعندها سيوضع مثله مثل اسم العلم الخاص للنهر الكوثر]أي في نطقه العربي وحروف لاتينية لكنه صار علما في القشتالية أيضا بعد أن انتقل إليها من العربية، ولم تعد الحاجة إلى ترجمة هذا العلم بـ abundancia قائمة، مثلما هو في التراجم 2]، 5، 6 أو يجب أن توضع المعاني الثلاثة (غزارة، نهر، جنة) في متن الترجمة وفي الهامش أيضا (كما هو الحال في الترجمة رقم 2) أو توضع الثلاثة مجتمعة في المتن فقط (كما هو الحال في الترجمة رقم 5).

سورة الكوثر تسمح أيضا بتحليل الفروق في الأشكال الفعلية بين اللغة الأصلية وهي العربية، واللغات المستقبلة أو المترجم إليها، وهي الرومانثية (لاتينيات عصر قبيل النهضة وبداياتها).

الأمر نفسه يمكن تأكيده في استعمال الأشكال والأدوات اللغوية العربية مثل نوع الفعل، أو حروف الجر، أو أدوات ربط، ونستشهد هنا بالمنهج المقارن الذي نجده في أعمال برادة وأرياس وإبالثا المذكورة قبلا (19).

وعلى سبيل المثال فإن فعل الأمر العربي «وَانْحَر» يمكن أن يترجم بترجمات عديدة:

- ❖ ofrece sacrificios كما هو الحال في التراجم التي تحمل الأرقام 1، 2، 3.
- ❖ sólo a Él sacrifica كما هو الحال في الترجمة التي تحمل الرقم 4.
- ❖ haz sacrificios de ofrendads santas كما جاء في الترجمة التي تحمل الرقم 5.

(19) انظر تحليل هذه الموضوعات أو المشكلات عند ميكيل دي إبالثا 1201/1095، لمعرفة الأمور النحوية والصرفية بوجه خاص انظر ص 1128-1145.

بل ربما وضعناه جانبا، وجاء عصر ازدهر فيه التبادل الثقافي، وجاء عهد المأمون، وجاء عهد الأمويين في الأندلس، حيث قمنا بدور عظيم جدا من خلال نقل كثير من العلوم والمعارف إلى العربية، واستعنّا بتراجمة من النصارى، ثم جاء زمن سيطر فيه الأتراك العثمانيون الذين كبلوا العقل وجففوا منابع الإبداع والعطاء الفكري، وربطوا على رؤوس (الشيوخ) من الداخل والخارج، وأصبح بيع المصحف للمشرك حرام، وأخذُ المصحف إلى بلاد الحرب حرام لا يجوز، وترجمة القرآن أمر لا يجوز، بل وقفنا عند وجهة نظر لأحد الفقهاء تتمحور حول هل يجوز للفارسي أن يصلي بالفارسية أم لا ؟ وقد دار حولها جدل كثير !!..
وفي سنة 1925 مسيحي ظهرت القديانية وقامت بذلك الدور المشهور والمشبوه في باكستان والهند، وقام محمد علي القادياني بترجمة القرآن الكريم، أو ترجمة معانيه، وأضاف له حواشي وذيولا طويلة، وطلع به على الإسلام، ووصلت نسخة من ذلك المصحف المترجم إلى مصر، وأقصى ما استطاع أن يفعله دعاة الإسلام ومن يدّعون المحافظة عليه أنهم قاموا بإحراق تلك النسخة، دون أن يكون هناك تفكير في البديل، فتلك الترجمة يتم تداولها في الباكستان والهند، وفي كثير من البلاد الأخرى، فهل تم إعداد ونشر ترجمة بديلة ؟؟ الجواب : لا، لم يتم ذلك.
وظهر رجل باكستاني مسلم جريء وشجاع وهو (عبد الله يوسف علي) فأخرج للناس في العام 1934 مسيحي ترجمته لمعاني القرآن الكريم نُشرت في لاهور. وهذا الرجل العملاق لعل بعضكم يعرف كيف انتهت حياته والبعض الآخر لا يعرف. لقد مات في دار للعجزة تتبع جمعية خيرية بريطانية !! ولا أريد أن أشير هنا إلى تلك المعاناة التي عاناها نتيجة الترجمة، والحرب الشعواء التي شنّت عليه بسببها.... إلخ.
قدم الشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر مذكرة إلى مجلس الوزراء في مصر يطلب فيها تشكيل لجنة من الأزهر ووزارة المعارف، والخبراء وبعض المستشرقين، ومهمة هذه اللجنة إعداد ترجمات لمعاني القرآن الكريم توزع على المسلمين غير الناطقين بالعربية. وقد تمت المصادقة على المذكرة بشروط ومواصفات. ولكن هذه اللجنة إلى اليوم لم تجلس ولم تكتب سطرا واحدا !!
وأتساءل : ما الذي قدمته الجامعات العربية

❖ acuera tu alcurbén كما هو الحال في الترجمة التي تحمل الرقم 6، مع ملاحظة الكلمة العربية التي دخلت الإسبانية، وهي كلمة القربان alcurbén التي استعملتها القشتالية في الضحية من الضأن فقط، التي يذبحها المسلمون في عيد الأضحى.

والمشكلة هي مشكلة مصطلحات دينية، قد لا يصلح بعضها الذي يعبر به في دين لبعضها الذي يبدو مشابها في الدين الآخر، مثلما هو الأمر هنا في قضية التضحية أو الضحية والنحر التي لها مفاهيم في المسيحية غيرها في الإسلام، فالتضحية في المسيحية يمكن أن تشمل أنواعا كثيرة مختلفة عما هو في الإسلام، أو بالأحرى مختلفة عما هو مقصود من الفعل «انحر» في الآية.

المشكلة هي مشكلة مصطلحات دينية، قد لا يصلح بعضها الذي يعبر به في دين لبعضها الذي يبدو مشابها في الدين الآخر، مثلما هو الأمر هنا في قضية التضحية أو الضحية والنحر

النص الإسلامي (أي النص الموريسكي الذي ينتمي إلى العام 1606) رقم 6 لم يشك في التحديد والتعيين في ترجمته وتوظيفه لفعل الأمر السابق؛ حيث نجد الإشارة إلى التضحية الدينية الوحيدة في الإسلام؛ أي عيد الأضحى فيترجم (فصل لربك وانحر) بقوله: «Y haz aççala! الصلاة / ! a tu Senor ! / el aççala de la Pascua / ! Y acuera tu alcurbén !»

وفي الترجمة إلى الكتلونية؛ التي قام بها إبالثا [5] أراد المترجم أن يحدد نوع التضحية ويميزها عن التضحية المسيحية ولكن يظل ذلك محدودا بحدود؛ أولا حتى لا تفهم التضحية التي في الآية بأنها تضحية عامة، وحتى تميز عن التضحية اليهودية والمسيحية كما تفهم التضحية في الحضارة المسيحية الأوربية، وثانيا بدون التحديد بشكل واضح للمفهوم الحضاري للضحية في العيد الإسلامي المعاصر، حتى لا يُقوَّل النص افتراضيا مالم يقله واقعياً.

لقد عمل على ترجمة العبارة «وانحر» بما يضمن نقل المعتقدات الثقافية الإسلامية الرسمية المتعلقة بهذا الشأن.

أسماء العلم الخاصة تطرح مشاكل تمييز العلم المشار إليه؛ والمثال على ذلك العلم كوثر؛ وأما أسماء الأعلام الشخصية التوراتية التي جاءت في القرآن فإنها تفرض تعريفين أو توضيحين؛ ففي عربية القرآن Ibrahim (إبراهيم) وفي لغة مسيحية الدين؛ كما هو الحال في القشتالية والكتلونية (Abrahamأبرآم) فيجب أن يوضع العلم - بطريقة أو أخرى - في شكليه المختلفين؛ لأنهما يمثلان شخصيتين مختلفتين؛ لكل منهما دور مختلف في المفهوم الديني في كلا النصين، أي النص القرآني العربي، والنص الإسباني المترجم إليه [20].

أيضا فإن الآية الثالثة تفرض أو تقتضي سياقا تاريخيا لغويا لم يبينه المترجمون إلا فيما يتعلق بعدم إنجاب محمد ﷺ الأولاد، أو انقطاع نسله منهم[21] كما جاء في ترجمة ميلارا [2] ومعنان [4]، أما ترجمة إبالثا [5] فتثبت أيضا هذا المعنى المحدد لكنها دون أن تبين بيانا كافيا الظروف المحيطة بالنص، أو تذكر أسباب النزول ذكراً كافياً، وتكتفي بإعطاء المعنى العام، فيترجم معنى الآية بقوله: «هذه المشكلة المتمثلة في عدم إنجاب الأولاد، ليست هي مشكلة بالنسبة لك؛ إنما هي مشكلة من استحق اللعنة[22]».

---

(20) انظر السابق ص 1123-1127.

(21) هي ادعاءات وتخرصات الكفار ذكرت في أسباب النزول (المترجم).

(22) السابق ص 1123-1127.

رؤية تاريخية لمنهجية التعامل الغربي مع القرآن الكريم



د. فوزية العشماوي *

بدأ اهتمام العالم بالرسول محمد ﷺ وبالدين الجديد الذي يدعو إليه منذ بداية ظهور الإسلام في القرن السابع في الجزيرة العربية، ثم انتشاره في الدول المجاورة مع الفتوحات الإسلامية السريعة التي بهرت الشعوب والأباطرة، الذين لم يصدقوا في بداية الأمر أن يتمكن رجل بدوي من الصحراء من تنظيم جيش وقيادته لفتح البلاد المجاورة له والانتصار عليها، بالرغم من أنها ذات سيادة وسلطان وتاريخ عسكري طويل. ولم يكن اهتمام قادة هذه الدول ولا شعوبها منصباً على مضمون هذا الدين الجديد ولا على الكتاب المقدس الذي يحتوي على أسس هذا الدين، بل كان الاهتمام كله منصبا على شخصية ذلك القائد العسكري العربي الذي نجح في الانتصار عليهم والقضاء على جيوشهم. وظل اهتمام البلاد المفتوحة إسلاميا اهتماما بالعبقرية العسكرية للرسول محمد ﷺ، ولقادته

* باحثة وأستاذة جامعية ـ سويسرا

والإسلامية في هذا الجانب ؟ أقول هذا، وأشير باستغراب إلى أولئك الذين ينتقدون ـ مثلا ـ جورج بوش الجد الذي مات عام 1859 مسيحي لأنه لم يرجع في كتابه عن محمد نبي الإسلام إلى مصادر إسلامية معتمدة وموثوقة !! فهل قمنا نحن المسلمين بترجمة معاني القرآن الكريم، أو ترجمة أي من الكتب المهمة وقدمناها للباحثين والقراء والدارسين ليستقوا منها معلوماتهم ؟؟ الجواب تعرفونه جميعاً.

نقطة أخرى جديرة بالتوقف عندها وهي أن عددا من المفسرين أساؤوا للقرآن الكريم، وداخلت كتاباتهم الكثير من الدخيل والموضوع والإسرائيليات ما الله به عليم. قصة (الغرانيق) مثلاً التي صاغ عليها سلمان رشدي آياته الشيطانية، هذه القصة موجودة في تفسير القرطبي، فالواجب إذن أن نحاسب أنفسنا أولاً قبل الآخرين، وأن نصحح أخطاءنا. أما أن تبقى كتب التراث في وضع شبه مقدس وبعد ذلك نلوم الآخرين فذلك أمر لا يستقيم مع المنطق ولغة العلم.

وسؤال آخر: كيف نلقي بالمسئولية ـ نحن المسلمين ـ على المستشرقين ونريد منهم تولي مسئولية الدعوة إلى الإسلام بدلاً عنا ؟ في حين لا نقوم بالترجمة، ولا نكتب بلغات أخرى، ولا نتابع ونوجه من يكتبون... الخ، وعندما يخطئون نسفه وننسف كل محاولاتهم.

والأمر الذي أعتقده أننا أجرمنا في حق الإسلام ولم نقم بواجبنا كما يجب.

لقد أشارت إحدى الأخوات المشاركات إلى أنه لو اعترف هؤلاء بأن القرآن كتاب سماوي فمعنى هذا أن أديانهم نُسخت، ولذلك لا يفعلون !! ونحن قرأنا في الأزهر، وما زالت جامعاتنا تدرس أن (القرآن ناسخ لما قبله) وهي العبارة التي يردده الفقهاء، فهل القرآن ناسخ لما قبله ؟. إننا نقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى :

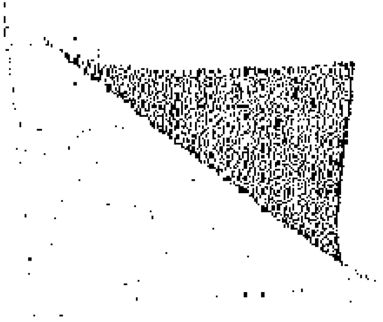
﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾

[سورة النساء: الآية 163]

العسكريين الذين نجحوا في الانتصار على أقوى وأعتى الإمبراطوريات في ذلك العهد وهما الإمبراطورية الرومانية البيزنطية والإمبراطورية الفارسية.

وبالرغم من أن المسلمين الأوائل كانوا يحرصون على نشر الدين الإسلامي في كل بلد يفتحونه، لأن ذلك كان الهدف الأول لهذه الفتوحات؛ إلا أن القرآن الكريم لم يكن قد تم جمعه بعد في كتاب موحد فيسهل نشره وتوزيعه على شعوب تلك البلاد، بل كان القرآن محفوظا في قلوب الصحابة والمؤمنين، يرتلونه في صلواتهم واجتماعاتهم، ويتعاملون بمبادئه ومفاهيمه في جميع أوجه حياتهم. وقد بدأت أول محاولة لترجمة بعض سور القرآن الكريم إلى لغة أعجمية في عهد الرسول محمد ﷺ، فطبقا لعبد العزيز البخاري فقد كتب بعض الفرس الذين يقطنون في شرق وجنوب الجزيرة العربية خطابا إلى سلمان الفارسي يطلبون منه ترجمة سورة الفاتحة إلى الفارسية، فرجع سلمان الفارسي إلى الرسولﷺ الذي وافق على ذلك، فقام سلمان الفارسي بترجمة الفاتحة إلى الفارسية وأرسلها لهم ليصلوا بها (1).

«الترجمة التي أنجزت في طليطلة لم تكن أبدا ترجمة مخلصة وصادقة وكاملة للنص القرآني».



وعندما بدأ المسلمون يستقرون في بعض البلاد المجاورة، وخاصة في بلاد الشام وفلسطين ومصر وبلاد فارس، ثم بعد ذلك في قلب أوروبا في الأندلس، بدأ الاهتمام يتزايد بما جاء به هؤلاء العرب من مفاهيم دينية جديدة تغاير المفاهيم اليهودية والمسيحية المنتشرة في تلك البلاد حتى ذلك الحين. وأول محاولة لترجمة سور القرآن الكريم في أوروبا كانت في طليطلة، حيث قام دون إبراهيم من طليطلة، بناء على طلب الملك ألفونس العاشر (1284ــ 1252) بترجمة سورة المعارج إلى الإسبانية. وقد أخذت الكنيسة الكاثوليكية - وهي أكبر وأعظم الكنائس في ذلك الوقت التي كانت تسيطر على أفئدة وعقول الشعوب في تلك البلاد - تهتم بمضمون الدين الإسلامي لتتمكن من مواجهته ومحاربته، فأخذ رجال الدين الكاثوليك يهتمون بأهم المفاهيم الجديدة التي جاء بها الإسلام، ليس بهدف التعرف على هذا الدين الجديد ودراسته موضوعياً، ولكن بغرض دحض هذا الدين الجديد، ومحاربة أفكاره وقيمه ومفاهيمه، وإقناع الناس بأن الرسول محمداً ﷺ الذي جاء بهذا الدين الجديد ليس نبياً، وأنه كذاب، قام بتأليف القرآن بعد أن عاشر بعض الرهبان والأحبار المسيحيين، وتتلمذ على أيديهم، وأخذ عنهم كل ما جاء في كتابه القرآن الذي ساعده على تأليفه راهب نصراني خبير بفحوى الإنجيل والتوراة.

وهكذا انحصرت مهمة الكنيسة في تكليف رهبانها بتأليف الكتب لمحاربة محمد ودينه الجديد، واثبات كذبه وتزييفه للكتب المقدسة. فشحذت همة هؤلاء الرهبان، وأخذوا يصورون الرسول ﷺ على أنه المسيح الدجال Antechrist، ويركزون على بعض الموضوعات التي رأوا فيها نقاط ضعف حسب تقديرهم، فاهتموا أكثر ما اهتموا بالاختلافات بين المفاهيم الإسلامية والمفاهيم المسيحية، فأخذوا يفندون بعض المفاهيم الإسلامية وبعض خصائص الدين الإسلامي التي تتعارض مع معتقداتهم ليدحضوها.

أولاً: الترجمات الأولى للقرآن الكريم من مترجمين غير مسلمين إلى اللغات الأجنبية.

طبقا للمستشرق الفرنسي ريجس بلشار Regis Blachere (1900 - 1973)، الخبير في ترجمات القرآن الكريم في أوروبا، في كتابه الذي يحمل عنوان (القرآن)(2)، ويسرد فيه تاريخ القرآن الكريم وترجماته إلى اللغات الأوروبية: «منذ بداية القرن الثامن الميلادي اهتم المؤلفون البيزنطيون في نقدهم للإسلام بعدة نقاط

1) انظر محمد حميد الله / ترجمة القرآن إلى الفرنسية حيث يذكر ذلك عن عبد العزيز البخاري / ج 3 / ص 188.

2) Regis Blachere / le Coran / Presses University de France / collection que sais-je / Paris / 1969

أساسية، مثل الرؤية الإسلامية للمسيحية، وللسيدة مريم العذراء، ولنظرة الإسلام للحياة الجنسية (وخاصة حياة النبي محمد الجنسية) وغياب أية معجزات للنبي محمد». ولعل أول الكتابات التاريخية عن القرآن وعن الرسول محمد ترجع للقرن التاسع المسيحي، وهي للراهب نيسيتاس البيزنطي Nicetas، والراهب برتليمي دي داس Barthelemy d'Edesse. وقد ركز الإثنان في كتاباتهما على النقاط الضعيفة، حسب رؤيتهما، وهي بالطبع المقولة بأن الرسول ﷺ إنما هو المسيح الدجال الذي يدعي النبوة، وأنه نقل القرآن عن الكتب المسيحية واليهودية، وأنه مزواج ويحب الملذات والنساء.

وترجع أول ترجمة شبه كاملة للقرآن الكريم إلى القرن الحادي عشر المسيحي، وهي ترجمة إلى اللغة اللاتينية، وكانت هي اللغة الرسمية للدولة الرومانية ولجميع مقاطعاتها في أوروبا، وقام بهذه الترجمة في مدينة طليطلة بالأندلس Tolede روبير دي ريتين Robert de Retines بناء على طلب رسمي من بابا الكنيسة الكاثوليكية في روما «Pierre le Venerable» بيير الموقر، وذلك خلال زيارة البابا للأندلس مابين 1141 و1143 مسيحي. وقد أرسل البابا هذه النسخة الأولى لترجمة معاني القرآن الكريم باللغة اللاتينية، المعروفة باسم (ترجمة طليطلة 1143)، إلى القديس سان برنارد، مرفقة بخطاب يحدد فيه أن الهدف الأول لهذه الترجمة هو إعلاء كلمة المسيحية، ونصرة الصليبيين، ومساعدة الناس الذين ارتدوا عن الدين الإسلامي بعد عودة طليطلة إلى المسيحية عام 1085، على إزالة ومسح كل ما علق بأذهانهم عن الدين الإسلامي.

وطبقا للخبير الفرنسي في ترجمات القرآن ريجيسر بلشار، فإن «هذه الترجمة التي أنجزت في طليطلة لم تكن أبدا ترجمة مخلصة وصادقة وكاملة للنص القرآني». وبالطبع كانت هذه الترجمة غير متوفرة، حيث لم تكن المطبعة قد اكتشفت بعد، ولم تكن في متناول إلا قلة قليلة من الرهبان. وبالرغم من ذلك فقد ظلت هذه الترجمة الوحيدة في الغرب حتى القرن الرابع عشر المسيحي، عندما قام ريمون ليل (المتوفى عام 1315 في Bougie) بترجمة أخرى للقرآن باللغة اللاتينية أيضاً، ثم عثر على ترجمة في

وفي آية أخرى يقول سبحانه:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾

فالقرآن ليس ناسخا فالقرآن يصف محمداً ﷺ بأنه رسول مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه، فهو مصدق لما قبله، وشاهد على ما في الكتب السابقة، وهو ناسخ لما لحقها من فساد وليس ناسخا للرسالة في حدّ ذاتها، فالدين عند الله واحد (الإسلام) والشرائع والرسالات تنوعت وتعددت.



الدكتور مسعود عبد الله الوازني
كلية الدعوة الإسلامية

الغرب يركز على معرفة تراثنا وحضارتنا

أرى أنه ينبغي علينا أن نركز - في جامعاتنا - على تدريس مادة (الأديان المقارنة) خاصة أن الغرب يركز على معرفة تراثنا وحضارتنا، ومعرفة قرآننا، في حين نرى أن كثيرا من الجامعات الإسلامية لا تدرس هذه المادة (الأديان المقارنة). وأؤكد على ضرورة تدريس هذه المادة حتى يتمكن طلابنا من معرفة ذلك التناقض الكبير في تراثهم (غير المسلمين) الذي لا أعده رسائل سماوية بالنظر إلى ما فيها الآن من تحريف ووضع.

ألا تعلمون أن (التلمود) وهو أخطر كتاب يعتمده اليهود لا توجد منه نسخة واحدة -

اسطنبول القديمة Canstantinopole عام 1543 في مكتبة القديسين المبشرين بالمسيحية، بعنوان (القرآني ابيتوم) Alcorani Epitome، ولكن على ما يبدو ظل الجهل بالإسلام وبالقرآن منتشراً في بعض الدول الأوروبية، حتى إن المصلح الألماني مارتن لوثر كتب عام 1542 في مقدمة إحدى الترجمات الأولى إلى اللغة الألمانية في القرن السادس عشر يقول: «كنت أود قراءة القرآن بنفسي، وإنني أتعجب كيف لم تتم ترجمة القرآن إلى اللاتينية قبل ذلك، وبالرغم من أن محمداً يسيطر على العالم منذ 900 سنة، وأحدث به أضراراً جسيمة ؛ إلا أن أحداً لم يهتم بمعرفة ما هي معتقدات محمد، ولكن الجميع اكتفوا بالتأكيد على أن محمداً هو عدو العقيدة المسيحية. ولكن كيف؟ وأين؟ موضوعياً فإن ذلك لم يقم به أحد، ومن الضروري جدًا القيام به» (3).

«أن التناغم والأسلوب الثري للنص الأصلي للقرآن لا يمكن أن يصلا إلى أذن الأوروبي غير المؤمن.

وازدادت الترجمات في عدة مدن أوروبية مهمة، وفي الأوساط العلمية في إيطاليا وفرنسا وهولندا وسويسرا: وهكذا ظهرت في فينيسيا عام 1530 ترجمة Paganini، ثم ظهرت أول ترجمة مطبوعة باللغة اللاتينية في مدينة بازل عام 1543 في سويسرا لدى الناشر Biliander للمترجم Pierre de Clony. وجاءت أول ترجمة للقرآن الكريم باللغة الإيطالية في فينيسيا لمؤلفها Arrivabene Andrea عام 1547 بعنوان (قرآن محمد) والتي نسبت تأليف القرآن إلى محمد، وقدمت تفسيرا لبعض الآيات والسور مستعينة بأحداث من حياته.

وظهرت ترجمات أخرى نقلاً عن الترجمة اللاتينية المعروفة باسم ترجمة طليطلة 1143 مسيحي التي ذكرناها، ومن هذه الترجمات التي احتفظت بروح العداء للإسلام وللقرآن نذكر ترجمة لاتينية أخرى للقس الفرانسيسكاني Germain de Silesie المنشورة بين 1650 و1665 مسيحي. ومنذ منتصف القرن السابع عشر بدأ بعض الدبلوماسيين الأوربيين الذين عاشوا في البلاد الإسلامية يهتمون بدراسة اللغة العربة، وبدراسة كتاب المسلمين في بلاد الشرق (القرآن). وهكذا نشأت الدراسات الشرقية، وبدأت تظهر مؤلفات جديدة، وأخذت تبرز ظاهرة أدبية أطلق عليها فيما بعد (الاستشراق) Orientalizme ومعظم تلك الدراسات بقلم قناصل الدول الأوروبية في بلاد الشرق، وكانت معظم مؤلفاتهم عن خواطرهم ورحلاتهم التجوالية لوصف بلاد الشرق، وبعضهم تعمق في دراسة اللغة العربية واهتم بترجمة كتاب المسلمين: القرآن.

وهكذا ظهرت عدة ترجمات للقرآن الكريم باللغة الفرنسية، ولعل أولها هي ترجمة دي رييه Du Ryer عام 1647 مسيحي، وقد كان قنصل فرنسا منذ عام 1630 في القاهرة، وتعتبر ترجمة دي رييه أول ترجمه كاملة من اللغة العربية رأسا إلى اللغة الفرنسية دون المرور باللغة اللاتينية. وقد تم إصدار عدة ترجمات نقلاً عن هذه الترجمة الفرنسية إلى اللغات الإنجليزية والهولندية والألمانية، وأعيدت طباعتها أكثر من 18 مرة خلال قرن كامل، وحظيت باهتمام بالغ في الأوساط العلمية، خاصة أن مؤلفها ادعى أن هدفه من وراء هذه الترجمة هو «تعريف القارئ بكل أمانة بالإسلام» ولكنه في الواقع كان بعيداً كل البعد عن الأمانة، حيث إنه نسب تأليف القرآن إلى محمد، حيث إنه أعطى لترجمته عنوان (قرآن محمد) L`alcoran de Mahomet وكتب يقول: «لقد قسم محمد كتابه إلى فصول أطلق عليها سورات (سور) وأعطاها أسماء على مزاجه، ثم قسمها إلى آيات تحتوي على تعليماته وحكاياته» وبالرغم من ذلك فإنه لم يراع في ترجمته هذه التقسيمات التي يدعي أن محمدا أجراها بنفسه، بل جعل الترجمة بدون فواصل ولا تقسيمات، ففقدت نظامها ورونقها، وبدت كأنها كلام مرصوص بلا ضوابط.

---

3) انظر: د. فوزية العشماوي / أحوال المسلمين في سويسرا ص ـ La Condition des Musulmanes en Suisse / Cera / Geneve 16.

وبعد ذلك ظهرت الترجمة اللاتينية المصحوبة بالنص العربي للقرآن والمنشورة في بادو Padoue عام 1698 للمؤلف Ludovico Marracci. وقد ادعى ماراتشي في مقدمة ترجمته للقرآن أن الرسول محمداً ﷺ كان مصاباً بمرض الصرع، وكان يصاب بنوبات شديدة من الصرع، ويهذي أثناء هذه النوبات بكلام وحكايات وروايات جمعها أصحابه في هذا الكتاب الذي أطلقوا عليه اسم (القرآن). وظلت ترجمة ماراتشي وادعاءاته الكاذبة وافتراءاته على الرسول هي التي يستعملها المصنرون المسيحيون لنشر المسيحية في بلاد الشرق، وتقديم الترجمة المشوهة للقرآن التي لم يكن بها فواصل ولا شروحات، بل سرد غير منتظم، وكلام بلا ضوابط، ليبدو النص القرآني وكأنه كلام بلا معنى ولا عمق، بل كلام مرصوص وغر موزون، والهدف من وراء ذلك هو دحض الدين الإسلامي وتقديم كتابه المقدس (القرآن) على أنه كتاب لا يستحق القراءة.

وحسب الكاتب الإنجليزي Eduard Gibbon في تحليلاته لترجمات القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية: «إن التناغم والأسلوب الثري للنص الأصلي للقرآن لا يمكن أن يصلا (من خلال ترجمات القرآن إلى اللغات الأوروبية) إلى أذن الأوروبي غير المؤمن، فالأوروبي يقرأ ترجمة القرآن ولا يجد فيها إلا مجموعة من الحكايات لا تنتهي دون ترابط بينها، فلا توحي إليه بأي أحاسيس أو أفكار».

وفي القرن الثامن عشر ظهرت في فرنسا واحدة من أكثر الترجمات الفرنسية انتشاراً وشهرة وهي ترجمة الكونت دي بولنفيلييه Le Comte Henri de Boulainviers والتي صدرت عام 1730 مسيحي، وظلت طوال قرنين من الزمان هي الترجمة الأكثر تداولاً وانتشاراً في فرنسا وأوروبا، بل إنها ترجمت إلى معظم اللغات الأوروبية، بالرغم من رداءتها وعدم الدقة والأمانة العلمية التي اتسمت بها، والتي ندد بها علماء عصر التنوير في أوروبا، خاصة في انجلترا، حيث بدأ ينتشر تيار علمي جديد، ونظرة أكثر حيادية للإسلام، وللقرآن، فظهرت في لندن عام 1734 مسيحي الترجمة الإنجليزية الأولى عن العربية تحت عنوان The Koran لمؤلفها George Sale، والتي

وأتحدى - في أي جامعة من جامعاتنا، وهو الكتاب الذي تكلم عنه (سلمون شختر) ووصفه بقوله : لا تقل ما هو التلمود بل قل ما ليس هو التلمود. فهذا الكتاب الشديد التنوع الذي فيه مادة في كل جوانب الحياة لا توجد منه نسخة في جامعاتنا. وفي العهد الجديد نعرف أن هناك ما يسمى بالأسفار الخفية، وهذه الأسفار الخفية عند اليهود غير تلك التي عند المسيحيين.



الدكتور محمد مسعود جبران
كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس :

تقريب فهم القرآن لغير الناطقين بالعربية

قيمة القرآن الكريم محفوظة عبر العصور والدهور بين أتباعه وعارفيه، وأعدائه وشانئيه على حد سواء. ولا يمكن لمن ألمّ بإعجازه في نظمه البياني أو مجموع أحكامه أن يشكك في شيء من معانيه ومبانيه. عندما دخل المسلمون الأندلس تحسس القوط والنصارى أحوال الفاتحين المسلمين، وأرسلوا العيون لمعرفة سر القوة فيهم، فجاءتهم التقارير تترى بأنهم (فرسان بالنهار رهبان بالليل) وأن مساجدهم عامرة بقراءة القرآن، وأنها مثل خلية النحل بالتلاوة وتدارس الآيات. ثم في القرن المسيحي الخامس عشر الذي انتهى بسقوط الأندلس سنة 1492 مسيحي؛ بلغت طبوع فن الموشحات أربعة وعشرين طبعا، صحيح أننا نستمتع بها ونطرب لها، وهي من موروثنا أو من تراثنا، لكنها لا يمكن أن تبني حضارة، فالذي بنى حضارة الأندلس إنما هو دخول المسلمين بالقرآن الذي جعلوا به مساجدهم أشبه بخلية من خلايا النحل. وهنا أود أن أشير إلى أنه في

يمكن أن يقال إنها أول ترجمة إلى اللغة الإنجليزية تحترم النص الأصلي وتهتم بالفواصل وبتقسيمات السور والآيات، وإن كانت لا تخلو بالطبع من المغالطات، ولكنها غلطات غير مسيئة للإسلام ولا للرسول محمد ﷺ، حيث روح النص لا يتسم بالعداء ولا بالحرب على الدين الإسلامي. وظلت هذه الترجمة هي الترجمة الإنجليزية المعتمدة في معظم الأوساط العلمية والجامعية والأكاديمية لمدة قرنين من الزمان، عرفت خلالهما حوالي أربعين طبعة في انجلترا وفي الولايات المتحدة الأمريكية.

أما في فرنسا فقد صدرت ترجمة مهمة بالفرنسية لكلود سافاري Claude Savary عام 1783 مسيحي، الذي عاش خمس سنوات في مصر ليتعلم اللغة العربية ويترجم القرآن، وكان سافاري أول من نفى ادعاءات ماراتشي بأن الرسول محمداً ﷺ كان يعاني من مرض الصرع، ويملي على أصحابه القرآن أثناء نوبات المرض. وحسب تقدير المحللين الفرنسيين في القاموس العالمي [4]: «فإن ترجمة سفاري هي الوحيدة التي نقلت عبقرية الأسلوب والصيغة النبوية للنص الأصلي».

وجهة النظر الغربية غير الإسلامية للقرآن الكريم كانت ولا تزال نظرة تشكيك في كونه كتاباً منزلاً، وأنه وحي من السماء

وفي القرن العشرين ظهرت كثير من الترجمات للقرآن الكريم باللغات الأوروبية، واتسم أغلبها بالجدية والحيادية، وتخلص المترجمون الأوروبيون من عقدة دحض ومحاربة الدين الإسلامي، وتشويه صورة الرسول محمد ﷺ، بل حاول أغلبهم نقل النص القرآني بأمانة وصدق مع كثير من الشروحات الجانبية لمزيد من التوضيح. كما ظهرت عدة محاولات لإعادة فهرسة القرآن الكريم، أي لإعادة ترتيب السور القرآنية حسب ترتيب النزول وليست كما جاءت في الترتيب المعروف في المصحف الشريف. ونذكر من هذه المحاولات، محاولة المترجم المستشرق الفرنسي ريجيسر بلاشار الذي أصدر عام 1947 ترجمة للقرآن الكريم من ثلاثة أجزاء حسب ترتيب نزول الآيات بعنوان (القرآن.. ترجمة طبقا لمحاولة لإعادة ترتيب السور)، ولقد بذل فيها مجهوداً جباراً، واستشهد بكبار المفسرين وبأمهات كتب التفسير والسيرة النبوية للوصول إلى الترتيب الزمني لنزول الآيات والسور القرآنية، وهذا جهد محمود يشكر عليه.

ونذكر هنا أحدث الترجمات التي ظهرت في فرنسا في نهاية القرن العشرين، وهي ترجمة المستشرق الفرنسي المشهور جاك بيرك عام 1990، وترجمة الكاتب اليهودي اندريه شوراكي1990 في نفس العام.

وقد أحدثت كل منهما ضجة في العالم العربي والإسلامي، خاصة في القاهرة، حيث أمر شيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق بتشكيل لجنة علمية عام 1995 لمراجعة ترجمة جاك بيرك، وقد خلصت اللجنة إلى إدانة هذه الترجمة واعتبارها ترجمة محرفة، واتهمت جاك بيرك بعدم الأمانة العلمية وبالجهل باللغة العربية، بالرغم من أنه كان عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة لمدة عشرين عاماً.

ثانيا: ترجمات القرآن الكريم من مترجمين مسلمين إلى اللغات الأجنبية

ظلت ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية مرفوضة في البلاد الإسلامية حتى بداية القرن العشرين، وطبقا للدكتور محمد إبراهيم مهنا في كتابه (ترجمة القرآن الكريم) فإن قضية ترجمة القرآن الكريم في العالم الإسلامي مرت بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة الرفض القاطع، عندما منعت مشيخة الأزهر إدخال نسخة من ترجمة القرآن

---

4) Edward Gibbon / Historie de la decadence et de la chute de l'empire romain, (Traduit de l'anglais) par M. F. Guizot Paris l Maradan/ 1812.

الكريم باللغة الإنجليزية إلى مصر وطلبت من مصلحة الجمارك إحراقها.

المرحلة الثانية: مرحلة الموافقة التركية، عندما قررت حكومة كمال أتاتورك ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية.

المرحلة الثالثة: مرحلة الموافقة الرسمية في عام 1936 مسيحي، عندما أصدر مجلس الوزراء المصري قراراً رسمياً بموافقته على ترجمة معاني القرآن الكريم ترجمة رسمية تقوم بها مشيخة الجامع الأزهر، بمساعدة وزارة المعارف العمومية، وذلك وفقاً لفتوى جماعة كبار العلماء وأساتذة كلية الشريعة.

وكانت مشيخة الأزهر برئاسة الشيخ محمد مصطفى المراغي الذي كان أيضا رئيسا لجماعة كبار العلماء قد أصدرت قرارها بموافقتها على مبدأ ترجمة معاني القرآن الكريم.

وهكذا بدأ العلماء المسلمون في ترجمة معاني القرآن الكريم من العربية إلى اللغات الأجنبية، وخاصة إلى اللغة الإنجليزية، ثم إلى اللغات الألمانية والإسبانية والفرنسية والإيطالية، وفيما بعد إلى معظم لغات العالم. كان معظم هؤلاء الخبراء المسلمين من العارفين بأمور الدين الإسلامي، والذين درسوا اللغات الأجنبية وأجادوها بعض الشيء، فقاموا بترجمة معاني القرآن الكريم إلى هذه اللغات الأجنبية، بعد أن كانت الترجمة من العربية إلى اللغات الأجنبية حكرا على بعض المستشرقين من غير المسلمين من الخبراء أو المهتمين بالدراسات الشرقية أو الدراسات العربية والإسلامية. وجاءت ترجمات هؤلاء المسلمين أكثر دقة لمعاني القرآن الكريم، ولكنها أقل جودة من ناحية اللغة الأجنبية، حيث إنه من المعروف عالمياً أن المترجم يترجم إلى لغته الأم وليس العكس (أي أن المترجم العربي يترجم من اللغة الأجنبية إلى لغته الأم العربية، والمترجم الإنجليزي أو الفرنسي يترجم من اللغة الأجنبية عليه - أي العربية - إلى لغته الأم الإنجليزية أو الفرنسية)، ومن ثم جاءت ترجمات المسلمين العرب بنتيجة عكسية، لأن الأجانب الذين يقرؤونها بلغتهم الأجنبية يجدون فيها

العصر الحديث، بينما كان البرلمان البريطاني يناقش ويتدارس في أحوال المسلمين وكيفية التغلب عليهم؛ قام أحد الأعضاء ومسك المصحف بيده وخاطب الحضور قائلاً: إنه لا يمكنكم التغلب على المسلمين والقضاء عليهم إلا إذا قضيتم على هذا القرآن.

وإذن فقيمة القرآن الكريم محفوظة في القديم وفي الحديث، وبين عارفيه وبين شانئيه.

والأصح والأصوب أن يتجه المسلمون الآن إلى عمل إيجابي نحو هذا القرآن، وذلك عبر عدة سبل ووسائل، تتمثل في أمرين:

الأمر الأول: تفعيل مقولة والد الفيلسوف المسلم محمد إقبال حينما نصحه بقوله: (يا بني.. إقرأ القرآن وكأنه أنزل عليك). فإذا أحسن المسلمون تمثل هذا القرآن، وفهم ما يدعو إليه، وتجسيده في واقعهم المعيش؛ ضاقت الهوة بذلك بين المعتقد والسلوك، وصار كل مسلم قرآنا يمشي على الأرض.

الأمر الثاني: يتمثل في دور القدرات العلمية والجامعات القادرة على وضع تفاسير للقرآن الكريم سهلة ودقيقة، تخاطب العقل الأوروبي والنفسية الغربية بيسر، وتخرج من طور التفاسير الموجهة للعرب، فلكل مقام من مقامات المُخاطَبين أسلوبه في الخطاب الذي يقنعه.

نحن لدينا مدارس كثيرة في علم التفسير عبر تاريخنا، فهل نعمل على التوصل إلى مدارس مماثلة تقرب فهم القرآن لغير الناطقين بالعربية ؟؟

نقطة أخرى أحب أن أشير إليها وهي أنني قرأت قبل حوالي عشر سنوات لعالم الذرة الباكستاني محمد عبد السلام أن لدينا ثلاثمائة وستين مركز بحث، وواحدة وسبعين جامعة، في حين ليس عند إسرائيل سوى جامعة واحدة (جامعة تل أبيب) ومبلغ البحوث الذي وصلت إليه هذه الجامعة بلغ ضعف ما أنتجته كل جامعاتنا ومراكزنا البحثية.

ومَرد هذا كله - فيما أرى - إلى نقطتين:

الأولى: أن أعضاء هيئة التدريس والباحثين في إسرائيل لهم وضع مميز، بمعنى أنه رجل دولة، وليس متسولا على الجامعات يستجدي الحصص والمحاضرات... إلخ.

الثانية: أنهم يسمحون للعالم بالهجرة ولكن بشرط أن يكون متزوجا من إسرائيلية، لأن ذلك سيكون كفيلا بعودته إلى إسرائيل.

أغلاطا لغوية كثيرة، فيعتقدون بالخطأ أن هذه الأغلاط موجودة في القرآن نفسه، وليست من صنع المترجمين المسلمين الذين كانوا على الأغلب لا يجيدون اللغة الأجنبية إجادة تامة، بل كان اهتمامهم منصباً على المعنى والمغزى للآيات، فأهملوا الناحية اللغوية على حساب المعنى. ونحن نعيب على كثير من المترجمين العرب المسلمين الذين ترجموا القرآن الكريم إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية وغيرها تحاملهم الشديد على المترجمين الأوروبيين غير المسلمين، وكيلهم الاتهامات العنيفة لكل الذين قاموا قبلهم بنفس المجهود المضني لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية، خاصة في القرن العشرين، حيث صدرت عدة ترجمات جيدة للقرآن الكريم باللغات الإنجليزية والألمانية والفرنسية، قام بها علماء متخصصون في علوم اللاهوت وفي العلوم الإسلامية، مع إجادتهم للغة العربية، واتسمت أعمالهم بالحيادية والموضوعية والدقة والحرص الشديد على تقديم المعنى مع شرح أسباب نزول الآيات. فكل من قام من هؤلاء العلماء بهذه المهمة الشاقة الصعبة لهم منا كل التقدير والاحترام، ولكل منهم أجر على جهده ومجهوده، حتى وإن أخطأ ولم يوفق في بعض الأحيان، عملا بالمبدأ الإسلامي المعروف (من اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد).

ونحن نأخذ على المترجمين من المسلمين العرب أسلوبهم في ذم المترجمين غير المسلمين ودحض ترجمتهم لإعلاء قدر وقيمة الترجمة التي قام المسلمون بإعدادها، بالرغم من أنهم استعانوا جميعا في ترجمتهم بترجمة هؤلاء المستشرقين. وهذا أسلوب في النقد لا يليق بأي باحث أو عالم، وهذا الأسلوب في النقد أسلوب غير متحضر يجب أن نبتعد عنه، وحين ننتقد ترجمة الآخرين يكفي أن نقول إننا وجدنا لديهم بعض الأخطاء، أو كثيرا من الأخطاء، وبدلاً من توجيه الاتهامات والتأكيد على سوء نيتهم وتعمدهم تشويه القرآن الكريم فمن الأجدر بنا أن نقول إن المستشرقين لم يراعوا الدقة العلمية، وإنه من الضروري إعادة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية من قبل خبراء مسلمين متخصصين في العلوم الإسلامية، مع الاستعانة في مراجعة ترجماتهم بخبراء لغويين في اللغة الأجنبية التي تنقل إليها معاني القرآن الكريم، لتكون أقرب إلى المفهوم الإسلامي، ولتكون أكثر دقة من الترجمات السابقة. ونحن نشيد هنا بالترجمة الفرنسية التي أنجزها الدكتور محمد حميد الله الأستاذ بجامعة اسطنبول، الصادرة عام 1959 مسيحي. كذلك نشيد بالترجمة الفرنسية بعنوان Le Coran Inimitable التي قامت بها المستشرقة الفرنسية السيدة دونيز ماسون عام 1967 مسيحي، والتي حصلت على إجازة طبعها من مشيخة الأزهر الشريف بالقاهرة، والتي طبعتها أيضا جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس في طبعة جديدة بعد مراجعة الدكتور صبحي الصالح نائب رئيس المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى بلبنان. وتعتبر الترجمة الأخيرة من أفضل الترجمات الغربية للقرآن الكريم، وقد تم اختيارها لتصدر في السلسة المختارة لأمهات الكتب الفرنسية La Pleiade التي تصدرها دار النشر جاليمار، وقد جاءت هذه الترجمة أقرب ما تكون للنص الأصلي العربي، حيث تمت المحافظة على المعنى واللغة الأجنبية في نفس الوقت.

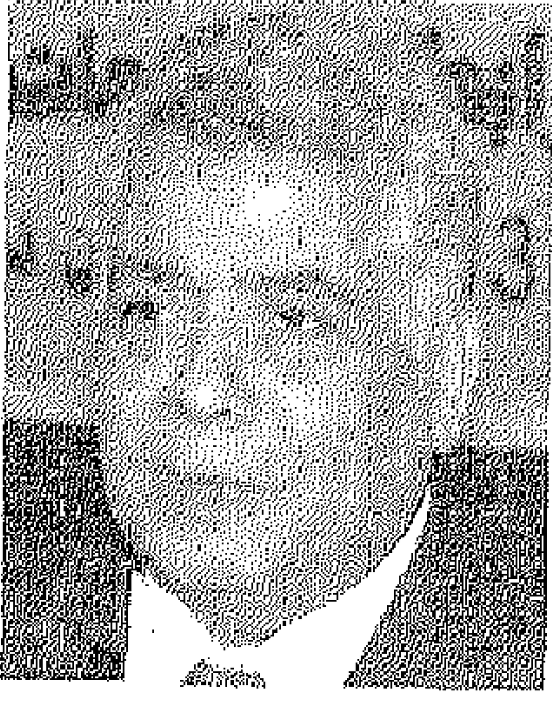
من الضروري إعادة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية من قبل خبراء مسلمين متخصصين في العلوم الإسلامية، مع الاستعانة في مراجعة ترجماتهم بخبراء لغويين في اللغة الأجنبية

وبالرغم من أننا نتفهم الغيرة الشديدة على كتاب الله، والرغبة الأكيدة للمترجمين المسلمين في نقل معاني القرآن الكريم نقلاً صادقا وأمينا إلى اللغة الأجنبية، ولكن كان من الأجدر بهم احترام قواعد اللغة الأجنبية التي ينقلون إليها. بالطبع بالنسبة للإنسان المسلم فإن تشويه اللغة الأجنبية المنقول إليها معاني القرآن الكريم أقل ضرراً من تشويه معاني القرآن

الكريم، ولكن الرد على ذلك أنه يمكن الحفاظ على معاني القرآن الكريم، وفي نفس الوقت مراجعة اللغة الأجنبية بمعرفة عالم لغويات خبير بهذه اللغة الأجنبية، أي أن تكون هذه اللغة الأجنبية هي لغته الأم.

مما لاشك فيه أن وجهة النظر الغربية غير الإسلامية للقرآن الكريم كانت ولا تزال نظرة تشكيك في كونه كتاباً منزلاً، وأنه وحي من السماء أنزله الروح الأمين على خاتم الأنبياء والمرسلين الرسول محمد ﷺ، لذا نجد أن الترجمات الأولى للقرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية كانت كلها منصبة على دحض الدين الإسلامي، وتفريغ القرآن من مضمونه الروحي، وتشويه تكامله وانسياقه ونظمه وتقاسيمه، وإظهاره بمظهر الكلام المرصوص بلا أدنى ترتيب أو تنسيق، لنطبق عليه مقولتهم بأنه مجموعة من الأقاويل والحكايات لا رابط بينها، اقتبسها محمد من الكتب المقدسة المسيحية واليهودية دون أن يستطيع تنسيقها. ومنذ الترجمات الأولى للقرآن نسب الأوروبيون تأليف القرآن إلى الرسول محمد ﷺ، واتهموه بأنه المسيح الدجال، وأن كتابه منقول عن التوراة والإنجيل. وبالرغم من التقدم المحرز في ترجمات القرآن الكريم في القرن العشرين، حيث ظهرت عدة ترجمات احترم مؤلفوها النص القرآني، وبذلوا مجهودا كبيرا للحفاظ على دقة معانيه وتناسق فقراته؛ إلا أن العلماء المسلمين الذين أنجزوا بعض الترجمات من العربية إلى اللغات الأوروبية اتهموا المستشرقين والعلماء من غير المسلمين الذين ترجموا القرآن قبلهم بالجهل وعدم الأمانة العلمية وعدم الدقة والموضوعية. ونحن ندين ونندد بهذه الاتهامات غير المبررة، خاصة أن بعض الترجمات التي قام بها غير المسلمين إلى اللغات الأجنبية تعتبر أكثر دقة وأمانة وقرباً من المعنى الأصلي من بعض الترجمات التي قام بها العلماء المسلمون، وربما يرجع ذلك إلى أن الأوروبيين ينقلون النص العربي إلى لغتهم الأصلية (اللغة الأم) بينما العلماء العرب المسلمون ينقلون إلى لغة أجنبية عنهم.

وفي رأينا أن أفضل ترجمة للقرآن الكريم إلى لغة أجنبية هي التي يقوم بها عالم عربي مسلم، ويقوم بمراجعتها خبير لغوي في اللغة الأجنبية المترجَم إليها.



الدكتور جعفر عبد السلام

أمين عام رابطة الجامعات الإسلامية:

مضامين وأبعاد ندوة القراءة الغربية للقرآن الكريم

هناك الكثير من الأفكار التي تراودني وأنا أشارك في هذه الندوة العلمية القيمة، وأيضا هناك بعض ما أريد الحديث عنه في - وحول - هذه الندوة المهمة، فهي ندوة تأتي في موعدها المطلوب تماما، والمطلوب منا كمسلمين ومفكرين لهذه الأمة وللشئون التي نهتم بها.

القراءة الغربية للقرآن الكريم نظمت ضدنا حملات الآن شديدة تحتاج إلى التآزر والتوحد، وتحتاج إلى وضع استراتيجية بين المؤسسات الإسلامية وبين الدول الإسلامية لمواجهة هذه الهجمة الشرسة.

ولا يخفى عليك يا أخي أننا الآن في مرحلة تاريخية صعبة، لا أريد أن أقول هزيمة !! لكن.. عندما ننظر في تاريخنا نجد - مثلا - أنه بعد هزيمة (أحد) نجد أن القرآن الكريم تحدث إلى المسلمين لكي لا تروعهم أي هزيمة، لكي يعتادوا على حكم الحياة، ولكي يدركوا أن الحياة دائما فيها نصر وفيها هزيمة، يقول الله تعالى:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: الآيات 139، 140، 141]



القراءات الجديدة للقرآن الكريم:

عرض للإصدارات والأطروحات

محمد صلاح الدين المستاوي*

تعددت في الآونة الأخيرة الإصدارات الجديدة حول الإسلام والمسلمين بصفة عامة والقرآن الكريم بصفة خاصّة، إذ يكاد لا يمر شهر إلا وتصل إلى أيدي الناس ترجمة جديدة للقرآن، أو إعادة إصدار لترجمة من الترجمات القديمة، يضاف إلى ذلك كمّ كبير جدّاً من الكتب من مختلف الأحجام موجّهة إلى مختلف فئات القرّاء المتخصصين منهم وغير المتخصصين.

ويتولى تأليف وإصدار هذه المادة حول الإسلام والقرآن كُتّابٌ فيهم المختصّ ممن اشتغل بالدراسات الإسلامية، وفيهم الساسة والإعلاميون، وفيهم ومنهم المغمورون، وحتى من تكتب لهم هذه المادة زيادة في التعتيم وإلقاء الشبه التي تتخذ من بعض الأوضاع والتصرفات تجعله ذريعة للنيل من الإسلام، ووصمه بكلّ ما يخطر وما لا يخطر على البال من الإفتراءات والترهات، وينطلق في إلقاء المزيد من الأباطيل من وقائع وأحداث تاريخية تورد مجتثة من سياقها ومشوّهة في أفهامها، تنم عن جهل مركب لتنتهي إلى أحكام خاطئة.

ومما يدعو إلى التنبه إلى مخاطر هذه الحركة تركيزها في الآونة الأخيرة على القرآن الكريم باعتباره آخر ما بقي مما يجمع المسلمين على اختلاف شعوبهم ولغاتهم ومذاهبهم ومما يجمعون عليه ولا يختلفون حوله.

وهذا الإجماع بين المسلمين على كتاب واحد (القرآن الكريم) الذي هو كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، المنقول إلينا بالتواتر، والموجود بين دفتي المصحف، والمتعبد بتلاوته؛ غاض بعض الدوائر والجهات التي ساءها أن يختلف غير المسلمين على كتبهم المقدسة فتتعدد رواياتها إلى حدّ التعارض والتناقض في نصوصها ونسخها، في حين يظل المسلمون مجتمعين ومنذ أن نزل القرآن على نصّه الموحّد، فهو لم يتغير ولم يتبدل ولم تستطع أيدي التحريف والتزييف أن تنال منه، إنه كتاب واحد في

* عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية / تونس

نصّه بسوره وآياته وكلماته وحروفه.

ولا تقبل عقول المشككين إمكانية بقاء القرآن كما نزل، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بأن وراء ذلك وعد إلهي سابق يحفظ كتابه حيث يقول جل من قائل :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [سورة الحجر: الآية 9]

جاعلاً لذلك أسباباً مساعدة لتحقيق هذا الهدف الذي هو الحفظ للقرآن والمحافظة عليه، منها ذلك السبر وتلك البلاغة التي يتميز بها النص القرآني بلغتهم، فقد اشتهروا بسرعة الحفظ، فكان ولا يزال الكثير منهم يحفظ من سماع واحد.

وليست هذه هي العوامل الوحيدة التي جعلت القرآن يبقى كما أنزل من عند الله، بل أضيفت إليها جهود كبيرة بذلت منذ بداية تنزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ، وتواصلت طيلة بعثته، وعلى إثر انتقاله إلى الرفيق الأعلى، حيث بدأ جمع القرآن في عهد الخليفة الأوّل، واستمرّ بعد ذلك ليكمل على يدي الخليفة الثالث، مما هو مفصّل ومدقق في أمهات المراجع والكتب التي أرخت لمراحل جمع القرآن مثل الإتقان للسيوطي والبرهان للزركشي وغيرهما.

ولقد انطلق هذا الجمع للقرآن من كل ما تهيأ من الأسباب والعوامل التي ساهمت في تحقيق الإجماع على النص القرآني واحداً في سوره وآياته وكلماته، والتي منها وجود عدد كبير من الحفاظ للقرآن الكريم من الصحابة الذين لازموا رسول الله ﷺ، وواكبوا تنزل القرآن الكريم عليه في حله وترحاله إلى أن التحق بالرفيق الأعلى، يضاف إلى ذلك تلك الصحف المكتوبة التي كان رسول الله ﷺ يأمر بتدوينها ناهيا أن يكتب عنه غير القرآن خشية أن يختلط بالقرآن غير القرآن بما فيه أحاديثه الشريفة عليه الصلاة والسلام (من كتب عني غير القرآن فليمحه).

وما كانت هذه الوسائل العملية: الحفظ والكتابة، ولا ذلك العهد الإلهي بحفظ القرآن من كل تحريف لتقنع الجهات المشككة في سلامة النص القرآني، فهناك حوالي (28) ثمان وعشرون آية جاءت في أواخر سورة آل عمران تحدثنا عن دورات الحياة في النصر والهزيمة، وأنك لا يمكن أن تنحي الأسباب جانبا، ولابد من أن تنظر نتيجة ما تفعله، إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

وكما يقولون فالأيام دول، والحضارات ترتفع وتنتكس، وهكذا فلا ينبغي أن نستسلم لما نحن فيه الآن، وإنما يجب علينا أن نعمل من أجل وفي سبيل الخروج من هذه المحنة، ومن هذا الوضع الذي نحن فيه، بالوسائل والسبل التي تجعلنا ننتصر، ونفكر ونعمل دائما ونرسخ القيم التي ترتفع بالإنسان المسلم، والشأن الإسلامي بشكل عام.

وأود هنا أن أشير، وبإيجاز، إلى أنه خلال السنوات الأخيرة من القرن المسيحي الماضي، خاصة (من 95 إلى 2000) أعدت ونُشرت العديد من الدراسات تمحورت حول موضوع أو مسألة (التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل) أي في هذا القرن الذي نحن فيه الآن، كنا نودع قرنا ونستقبل قرنا جديدا، ومن الطبيعي أن الشعوب الحية والمتيقظة والواعية تفكر في ماضيها، وتتخذ العبر والدروس المستفادة منه، حتى يقودها ذلك إلى النجاح وإلى التقدم. وكنا أعددنا دراسات علمية عن هذه التحديات استغرقت منا حوالي خمس سنوات، ملخصها يملأ 800 صفحة من الحجم الكبير، وملخصها تمت صياغته في ما عُرفَ بـ (إعلان عمان) في سنة 1999 مسيحي، حيث شخّصنا الأزمة، وقدّمنا وجهة نظرنا - كعلماء ومفكرين - فيما يمكن أن نتجاوز به هذه الأزمة.

وأنا أجلس في جلسات طويلة مع الكتابات الغربية عن القرآن الكريم، وقد رأيت أننا وفي آخر كتاب خرج وأثيرت حوله الكثير من المناقشات الآن، وهو كتاب بوش الجد، ولأنني أعتقد أن تأثيره ضخم جدا على المؤسسة الحاكمة الآن، وعلى التنظيرات التي جاءت بعد ذلك وتحدثت عن الإسلام والمسلمين، وخاصة عن الأصولية الإسلامية، وعن التخلف الإسلامي، كما تحدثت عن ضرورة إيقاظ هؤلاء الناس - كما قال برنارد لويس - ولو

فانطلقت تحت عناوين البحث العلمي والأمانة التاريخية والمنهجية والتجرد تثير كل ما يتصور وما لا يتصور من الشكوك، مستندة على أقوال شاذة وأحداث لم تثبت في دعوتها إلى إعادة النظر في النص القرآني الموجود بين أيدي المسلمين، ودراسته على ضوء ما يمكن العثور عليه مما لم تصله يد الإتلاف والإحراق التي وقعت على إثر الجمع النهائي للقرآن في عهد الخليفة الثالث.

ووجد هؤلاء الباحثون والدارسون للقرآن الكريم في كتب التاريخ والسيرة وفي التفاسير ما يستندون عليه وينطلقون منه، لإثارة شبهة عدم سلامة وصحة النص القرآني الموجود بين أيدي المسلمين، فأوردوا في بحوثهم نصوصا مبتورة وأقوالا شاذة وروايات وإسرائيليات لم تغب عن علم العلماء المحققين الذين اشتغلوا بعلوم القرآن قديما وحديثا، والذين أوردوها من باب الأمانة، يقيناً منهم أنها لن تصمد أمام ما انتهوا إليه وأجمعوا عليه من سلامة ووحدة النص القرآني.

ولعل استعراض بعض هذه الأعمال يعطي فكرة لما يخطط له ويراد الوصول إليه، مما يستوجب مواكبة ومتابعة تدفع الشبهات وتحول بينها وبين أن تصبح مسلمات أو قناعات، خصوصا عندما يتأخر الجواب المقنع والحجة القوية.

والأعمال التي سأستعرض عيّنات منها انطلقت من دراسات وبحوث أعدّها مستشرقون ورجال لاهوت، وظلت لعقود طويلة محدودة التأثير والانتشار، تصدى لها البعض من العلماء والباحثين ممن تهيّأ لهم الإطلاع عليها في لغاتها التي كتبت بها، وبقي الكثير منها يكتسب على مرّ الأيام الشرعية، ويتخذ اليوم منطلقا لأعمال دخلت حيّز التنفيذ الفعلي، متمثلا في نشر القرآن منتحلاً تحت عنوان (الفرقان المبين أو الفرقان الحق)، هو اليوم نص ينسخ من مواقع الإنترنت، ويعمم توزيعه على المسلمين في ديار الإسلام وخارجها، وبالخصوص على تلك الأجيال المتعاقبة من أبناء المسلمين في ديار الغرب التي تفتقر إلى أبسط المعارف الدينية الصحيحة.

كما أن طبعات عديدة للقرآن مرتبا ترتيبا زمنيا يخالف الترتيب الذي عليه سور وآيات القرآن الكريم، هي اليوم في واجهات كل المكتبات المنتشرة في الأماكن العامة، يضاف إلى ذلك تسارع وتتابع ملفت للانتباه في إصدار الترجمات الجديدة للقرآن، تعد لها المقدمات المتضمنة لكل الآراء والأفكار التي انتهى إليها وأوردها الدارسون الغربيون من المستشرقين وعلماء اللاهوت، كما تضاف إليها تعليقات وهوامش تقدم على أنها مسلمات تنقض كل إجماع حول القرآن.

وبالموازاة لذلك تصدر ولا تزال كتب تتفاوت في أحجامها ومنهجياتها باختلاف من توجه إليهم من القراء والمهتمين بموضوع القرآن خصوصا والإسلام عموما، والذين ازدادت أعدادهم في صفوف المسلمين وغير المسلمين في السنوات الأخيرة، وهذه عينات للإصدارات الجديدة حول القرآن:

❖ الدليل الصغير للقرآن: تأليف لوران لغراتم

Petit guide du Coran: Laurent Lagartempe

يقع هذا الكتاب في ثلاثمائة صفحة توزعت حول: مسارات وتاريخية وكلمات ومواضيع ومصادر القرآن الكريم، بالإضافة إلى ملحق يحشر فيه مؤلف هذا الكتاب كل ما توصل إليه واطلع عليه من شبهات المستشرقين وعلماء اللاهوت الذين اشتغلوا بالقرآن، ويقدمها على أنها مسلمات، ويوردها خالية من كل توثيق، معتبرا أنها كل ما يجب أن يعلمه القارئ مما تتضمنه حقيقة القرآن، فهو مثلا في فصل حقائق تاريخية (صفحة 199 ـ 209) يعرف بأعمال اعتبرها مستقلة وعلمية وموضوعية ينبغي العودة والاعتماد عليها:

❖ نولدكه وسكوللي في الجزء الأول والجزء الثاني من كتاب تاريخ القرآن ج 1 1909 وج 2 1919 Noldeke et Schwally

❖ الأب قبريال تبرري 1881-1959 Pere Gabriel Thery

❖ من موسى إلى محمد De Moise a Mohamed

❖ الأب جوزيف برتيال Pere Joseph Bertuel

❖ الإسلام والنقد التاريخي L'islam et la critique historique

❖ الأستاذة باتريسيا كرون Professeur Patrica Crone

❖ التأسيس للعالم الإسلامي The making of Islamic world

❖ الأب أنطوان موصولي Père Antoine Moussali

❖ الصليب والهلال La croix et la croissant

❖ اليهودية المسيحية والإسلام Judaime Christinaisme et Islam

❖ دراسات مقارنة Etude comperee

❖ إتيان كوفار Etienne Couvert

❖ أصول الإسلام Origines de l'islam

❖ قرقوار فليكس Gregoire Felix

❖ دور الناصرية في الإسلام
Nazareens et le rôle quelle a joue dans l'avenement de l'islam

❖ تأسيس الإسلام La creation de l'islam

❖ الفرد لوي دي برمار Alfred Louis de Premare

❖ أصول الإسلام es fo ndations deislam

ويمكن أن ندرج في هذا السياق الكتاب الذي أصدره فريد إسحاق:

❖ القرآن دليل استعمال:

(Farid Esak: Mode d'emploi Albin Michel)

وتتجاوز صفحات هذا الكتاب الثلاثمائة، متضمنة لمقدمة وفصولا تحمل عناوين: القرآن في حياة المسلمين - القرآن يدخل العالم - القرآن ككلام مكتوب - جمع القرآن - الرسول والقرآن - القدم والخلق - فهم تفسير القرآن - الإيمان بالقرآن - السلوك القويم حسب القرآن.

❖ مقدمة لقراءة القرآن لمراد فاهر: (Morad Faher: Introduction a la lecture du Coran).

❖ تاريخ آيات القرآن تقديم برونو إتيان preface du

بالقوة، فلا بد - في رأيهم وتوجههم الفكري - أن نُضرب حتى نستيقظ، وأن الأصولية الإسلامية لن تستكين إلا إذا خضعت لقوة. وأعتقد أن هذا ينفذ الآن بشكل أو بآخر.

ومن هنا فإننا لا بد أن نقرا هذه الأفكار جيدا، وأن نحللها ونرد عليها، خاصة وأن الباب مفتوح والمجال فسيح أمامنا للرد، بعد الشبكة الدولية للمعلومات، وبعد أن صار الكثير من الغربيين يتطلعون إلى استقبال ما لدينا من فكر.

لقد اخترت أن أقدم قراءة تحليلية نقدية لكتاب (بوش الجد)، لأهميته من الزاوية التي تهتم بها هذه الندوة، وأعني زاوية القراءة الغربية للقرآن الكريم، فالكاتب قام بدراسة القرآن الكريم، لكنه - للأسف - لم يعتمد على قراءة نصوص القرآن أو التفسيرات الصحيحة له، بل إنه اعتمد على بعض المصادر والرؤى الغربية المغرضة، التي أولاها المستشرقون عنايتهم. وهذه القضية في غاية الأهمية، من حيث أنها تُظهر عجزنا عن إيصال التفسيرات والقراءات الصحيحة لكتابنا المقدس (القرآن الكريم) إلى الآخر، في الغرب وفي غير الغرب.

وقد حاولت أن أركز على بعض أفكار الكتاب التي تتصل بالقراءة الغربية للقرآن الكريم، خاصة وأن هذه القراءة جاءت من أحد الكهنة المرموقين، فقد تربى (بوش الجد) في إحدى الكنائس، ولعله من غرائب الأمور أن يصل ابنه، ثم حفيده، إلى أعلى المناصب في الولايات المتحدة الأمريكية. ولا شك في أن أي إنسان عادي لا بد أن يتأثر بوالده بشكل أو بآخر، خاصة إذا كان الجد له تأثير ديني على من حوله.

والواقع أن جورج بوش (حاكم الولايات المتحدة الأمريكية الحالي)، قد أخذ الكثير من أفكار جده، خاصة تلك الأفكار التي تعادي الإسلام ونبي الإسلام محمد ﷺ، لقد أعلنها حربًا صليبية ضد الإسلام والمسلمين بعد أحداث 11 سبتمبر، وإن قدم تبريرات تعطي لهذه الكلمة مدلولاً آخر.

وقد ركزت بالذات على جملة من المسائل التي تتصل بالقراءة الشاذة لكثير من آيات القرآن الكريم. فهذا الكاتب اعتمد - لأنه لم يقرأ العربية - على بعض ترجمات للقرآن الكريم،

professeur Bruno Etienne يرتب مراد فاهر القرآن ترتيبا جديدا في مائتين وخمسين صفحة، ويتبع ذلك بملاحظات واستنتاجات يحشر فيها نصوصا أوردها من كتب السيرة والتاريخ، ومن كتب التفسير.

❖ لم نقرأ قط القرآن؟ ليوسف الصديق: (Youssef Seddik: Nous n'avons jamais lu le Coran)، حيث يعرض المؤلف فيما يقارب الثلاثمائة صفحة لكل ما يعتبره أساسيا، مما ظل - حسب رأيه - مستبعدا من المعطيات التاريخية والاجتماعية داخل الجزيرة العربية وخارجها، والظروف التي واكبت جمع القرآن وتفسيره.

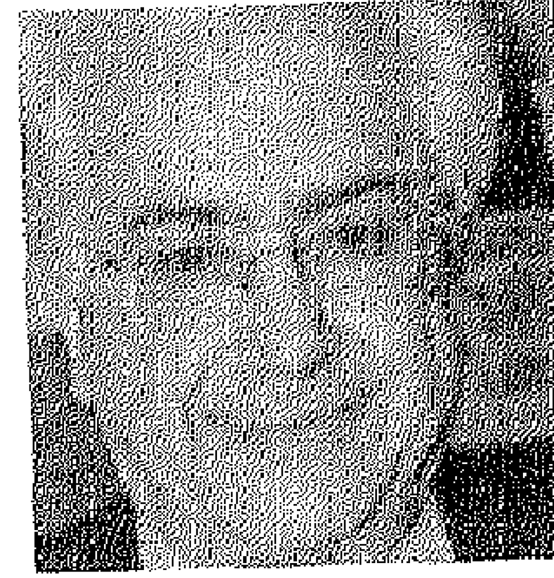
تضاف إلى هذه العينات مجموعة من الإصدارات التي تسير على هذا النهج الجديد في التعامل مع القرآن وتدوينه، والبعض الآخر يتعلق بالقراءة الجديدة للقرآن، ومما صدر في هذا السياق:

لمحمد أركون:

1 ـ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني.

2 ـ الفكر الإسلامي قراءة علمية.

3 ـ نقد العقل الإسلامي.


محمد أركون

ولنصر حامد أبو زيد:

1 ـ مفهوم النص.


نصر حامد أبو زيد

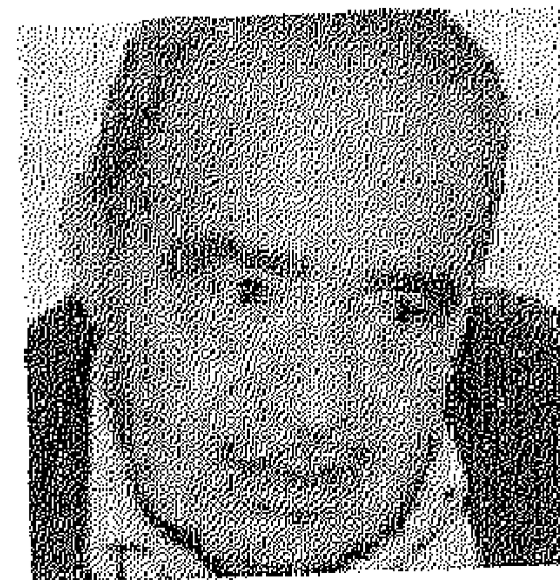
ولمحمد شحرور:

1 ـ الكتاب والقرآن «قراءة معاصرة».

ولعبد المجيد الشرفي:

1 ـ الإسلام بين الرسالة والتاريخ.

2 ـ الإسلام والحداثة.


محمد شحرور

ولوحيد السعفي:

1 ـ العجيب والغريب في كتب التفسير «ابن كثير».

وللصادق بالعيد:

1 ـ القرآن والتشريع.

ولألفة يوسف:

1 ـ القرآن وتعدد المعنى.

ولمحمد الشرفي:

1 ـ الإسلام والحرية «الالتباس التاريخي».

وللتهامي العبدولي:

1 ـ النبي إبراهيم في الثقافة العربية الإسلامية.

وقد أعدت ونوقشت في السنوات الأخيرة أطروحات جامعية حول القرآن الكريم وعلومه وتفسيره ونذكر منها:

1 ـ صورة القيامة في التفسير، أعدها حسن مرزوقي.

2 ـ الزمان والمكان في قصص القرآن، أعدها محمد محمد الخربي.

3 ـ الفاتحة من خلال أعمال المفسرين القدامى والمحدثين، أعدها فوزي البدوي.

4 ـ أسباب النزول علماً من علوم القرآن، أعدها بسام الجمل.

5 ـ دراسات في إعجاز البيانية في العصر الحديث، أعدها السلامي العماري.

6 ـ تقاطع مبحثي النقد وإعجاز القرآن، أعدتها نوره هذلي.

7 ـ توظيف القرآن والسنة في معالجة مسألة الحكم، أعدها عمر الهمامي.

كل هذه الأعمال ما هي إلا مجرد عينات لما يزال يصدر تباعاً من مؤلفات وما يعد من أطروحات تتصل كلها بالقرآن جمعاً وتبويباً ودراسة وتحليلاً وإعادة قراءة باللغات الأجنبية وباللغة العربية، وأقل ما ينبغي القيام به إزاءها هو المواكبة والمتابعة التي تبدأ بالإطلاع عليها، وتنتهي بتقويمها وتصحيح ما ينبغي أن يصحح منها، ولا يمكن أن يقوم بهذا الجهد فرد ولا مجموعة، بل لا بد أن تتولاه هيئات ومؤسسات علمية تجعلها أولوية من أولويات عملها.

البيان الختامي وتوصيات الندوة العلمية

حول القراءة الغربية للقرآن الكريم

كلية الدعوة الإسلامية ـ طرابلس
3 ـ 4 الكانون 1373 من وفاة الرسول محمد ﷺ / الموافق ديسمبر 2005 مسيحي

في إطار التعاون المستمر بين كلية الدعوة الإسلامية ورابطة الجامعات الإسلامية، واستشعاراً للمهمة الملقاة على عاتق المثقفين والباحثين في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ومواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، انتظمت بكلية الدعوة الإسلامية بطرابلس في الفترة 3 ـ 4 الكانون 2005 مسيحي ندوة علمية حول (القراءة الغربية للقرآن الكريم) افتتحت بآيات من الذكر الحكيم، أعقبتها كلمة الدكتور محمد فتح الله الزيادي عميد الكلية الذي رحب بالمشاركين الذين يمثلون خمس عشرة جامعة ومؤسسة بحثية من العالم العربي وأوروبا، وأكد على أهمية هذا الموضوع الذي يأتي في ذروة الهَجْمَة على الإسلام ديناً وثقافةً وحضارة، وهي الهجمة التي يجب مواجهتها بالبحث العلمي الموضوعي بعيداً عن التشنج والميل إلى العواطف، مستهدفين تنبيه العالم الإسلامي إلى خطورتها والحذر منها، وفي الوقت ذاته تنبيه ذوي العقول المنصفة في المجتمع الغربي للعمل في اتجاه الموضوعية العلمية المؤدية إلى احترام الديانات والثقافات والخصوصيات العقدية والحضارية.

وتحدث بعد ذلك الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، شاكراً لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية وكلية الدعوة

والمترجم إذا نقل وتأثر بآراء مغرضة فلا يمكن أن يأتي بالحقيقة. ولذلك فإنني حاولت أن أستدل على الصورة الذهنية لتفكير هذا الرجل كما تتضح من كتابه وسيرته ؛ لنعرف كيف يفكر الغرب الأمريكي في الإسلام ونبيه.

فهو يردد الفرية الكبرى التي سمعناها ونسمعها في كل الملتقيات الفكرية في الغرب، والتي مَفادها أن القرآن كُتب بيد محمد ﷺ. بمعنى أن الإسلام ليس رسالة من عند الله، والقرآن ليس منزلاً من عند الله سبحانه وتعالى.

وقد أوضحت ذلك الارتباك والتناقض في كثير مما كتبه هذا الرجل، فهو لا يعرف كيف وصل النبي (إلى هذه الثروة الضخمة من الهدى والعلم ونور الدعوة.... إلخ، ثم إن لديه ما يُعرف بالازدواج في التفكير، الذي يدل على العمى الذي عاش فيه هذا الرجل (بوش الجد)، والذي يعيش فيه من خلفه في هذا الفكر الشاذ حتى الآن.

كما أوضحت في البحث القراءات الخاطئة والمغرضة لكثير من نصوص القرآن الكريم، خاصة في (حديث الإفك)، وفي زواج ﷺ، وفي قتل بعض الأسرى، وإن كان التروي أيضًا في هذه المفاهيم واضح؛ لأنه يمتدح الرسول كثيراً في خُلُقه وفي تعامله مع عدوه، وفي تأثيره على طائفة واضحة من الناس الذين التفوا حوله وآمنوا به، وتحملوا المشاق والصعاب لنُصرته.

وكما ذكرت في البحث فإن قناعتي بعد قراءة هذا الكتاب هي أننا يجب أن نبذل جهداً كبيراً لترجمة أصول ديننا بشكل واضح وجلي إلى اللغات الأخرى، ويجب أن تكون المكتبة الإسلامية باللغات الحية ثرية وواضحة. كما أن الدول والمنظمات والجامعات المنتشرة في العالم الإسلامي يجب أن تنهض بقوة لسد هذا الفراغ. إننا مدعوون جميعا إلى أن نكتب ونحلل و نرد على ما وُجّهَ إلينا.

نحن في عالم يحتاج إلى مواجهة الفكرة بفكرة، والحجة بحجة. لذلك فإنني أقول ببساطة : إننا لا بد أن نفكر في وضع استراتيجية لمواجهة هذه الكتابات وهذه الآراء التي تأتي كل يوم حاملة ما يسئ إلينا، ودون ردود سريعة و كافية من جانبنا.



الجلسة الختامية

الإسلامية جهودهما في خدمة الإسلام والمسلمين، مشيراً إلى التوقيت الجيد للندوة والموضوع المهم الذي تتناوله، ومؤكداً على ضرورة اتحاد المؤسسات الأكاديمية والبحثية والهيئات الدعوية والثقافية الإسلامية لمواجهة التحديات التي تواجه المسلمين في العالم المعاصر، والتي يجب أن تهتم أولا بإنتاج خطاب إسلامي معاصر يوجه إلى الآخر بلغته وبما يناسب ثقافته، لقطع خط الرجعة على كل المحاولات لتشويه الإسلام أو الاستخفاف بالقرآن الكريم.

واختتم حفل الافتتاح بكلمة الدكتور محمد أحمد الشريف أمين عام جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، التي رحب في بدايتها بالمشاركين، وأكد أهمية هذه الندوة، مشيرا إلى أن الأخ العقيد معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية نبه قبل ثلث قرن إلى أهمية القرآن الكريم وشخصية الرسول ﷺ باعتبار أن القرآن الكريم مصدر الثوابت في الإسلام، وأن شخصية الرسول ﷺ هي الأساس الثاني للثوابت، وأن وفاته ﷺ هي الفيصل بين الدين والتراث، وأنّ غض النظر عن الثوابت يوقعنا في محاذير خطيرة، ولعل التطرف الذي عانينا ونعاني منه الآن قد أدى إلى نتائج خطيرة بسبب الاعتماد على رؤى ضيقة بعيدة عن الفهم الحقيقي للإسلام.

وقال الأخ الأمين: إننا نلتقي اليوم لنناقش موضوعاً مهما على الجانب الآخر وهو رؤى الآخرين للقرآن الكريم دراسة وبحثا، وهي قديمة جدا، وتتصف إجمالاً بالعدائية للقرآن الكريم وشخصية الرسول ﷺ، وهو أمر وثقته دراسات المستشرقين وغيرهم دينياً وسياسياً وعسكريا، وفي مقابل ذلك برزت دراسات غربية جادة وإيجابية ومعتدلة علميا، ولكن المزعج أنه بعد سقوط المعسكر الشرقي أصبح الإسلام هو العدو المعلن غربياً ورسمياً عند كل المسئولين السياسيين وذوي الشأن الثقافي في العالم الغربي، وهذا العداء المتحكم في العقل الأوربي تمثل في مراحل ثلاث :

الأولى: الحروب الصليبية.

الثانية: الاستعمار الحديث للعالم الإسلامي.

الثالثة: ما بعد 11 سبتمبر وهي مرحلة العداء الصريح للإسلام.

وختم الأخ الأمين كلمته بالإشارة إلى أنه إذا كان الغرب يبرر هذه العدائية بمواجهة التطرف ؛ فإن النتيجة ستكون ميلاد تطرف أشد وأعنف لدى كافة المسلمين المعتدلين الذين لا يرضون ولا يمكن أن يسكتوا على التطاول على كتابهم المقدس أو نبيهم المرسل ﷺ.

ولذلك تأتي هذه الندوة لمساعدة كل الناس على التخلص من الجهل بالإسلام، ولنقول لكل المؤسسات العلمية الغربية : تعالوا إلى الدراسة العلمية والمنهجية والموضوعية الخالصة لمعرفة الحقيقة وليس للسب أو الشتم. وهذا اقتداء بالقرآن الكريم الذي فتح المجال لمحاورة الآخر مهما كانت حقيقته، حتى ولو كان الشيطان ذاته.

بدأت بعد ذلك الندوة في استعراض محاورها، حيث تم على مدى يومين استعراض عدد من البحوث ناقشت محاور الندوة الستة وهي:

1 ـ القراءة الغربية للقرآن الكريم (رؤية تاريخية).
2 ـ القراءة الغربية للقرآن الكريم (رؤية واقعية).
3 ـ منهجية القراءة الغربية للقرآن الكريم.
4 ـ السياسي والديني في التعامل مع القرآن الكريم.
5 ـ آثار التعامل الغربي مع القرآن الكريم على علاقة المسلمين بالغرب.
6 ـ دور الجامعات الإسلامية في تصحيح المفهوم الغربي عن القرآن الكريم.

وخلصت الندوة من خلال عروضها ومناقشاتها إلى إقرار ما يلي :

1 ـ الدعوة إلى التوسع في دعم برامج حفظ القرآن الكريم وتقرير أجزاء مناسبة منه يتم تدريسها وتحفيظها للناشئة في مختلف مراحل الدراسة، في مدارس الدول الإسلامية، مع إحياء دور المؤسسات التي كانت تهتم بتحفيظ القرآن الكريم (الكتاتيب) في مختلف الدول الإسلامية.

2 ـ دعوة الجامعات الإسلامية إلى التعاون من أجل إقامة هيئة إسلامية عالمية متخصصة في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات العالمية، ويكون من مهامها مراجعة الترجمات الموجودة حاليا.

3 ـ تشجيع الدراسات والأبحاث الجادة كافة، التي تعنى بإعطاء التفسيرات العميقة للقرآن في الكليات والمؤسسات العلمية المتخصصة في هذا الشأن.

4 ـ إنشاء مرصد إسلامي عالمي للأبحاث والدراسات كافة التي تظهر على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) والتي تتناول القرآن الكريم خاصة والإسلام عموما، وتبويبها وتحديد اتجاهاتها والرد عليها رداً علميا هادفا، وإظهار الدراسات الغربية الايجابية للقرآن والإسلام، وذلك باللغات العالمية.

5 ـ إعداد برامج إعلامية جادة (مرئية ومسموعة) تثبِّت في العقل المسلم القرآنَ الكريمَ وتوضّحُ علومَهُ وأسسَ تفسيره.

6 ـ متابعة وكشف الدراسات التي تظهر في العالم الإسلامي والتي تدعو إلى قراءة جديدة للقرآن الكريم بغير ضوابط، الأمر الذي يؤدي إلى تفريغ المحتوى الإيماني للقرآن الكريم وجعله نصا تراثيا يمكن التحكم في تأويله، والعمل على تنبيه المؤسسات البحثية والأكاديمية إلى خطورة تأثيراتها.

7 ـ دعم برامج تعليم اللغة العربية، و تعميق القراءة باللسان العربي لتأصيل الفهم السليم للقرآن الكريم.

8 ـ توجيه الباحثين و الدارسين، وخاصة في أقسام الدراسات العليا في الجامعات الإسلامية، إلى الاهتمام بنقد و دراسة الأبحاث كافة التي تصدر عن المستشرقين والمتغربين على السواء، والتي تحاول التشكيك بالقرآن والإسلام، أو تشويههما.



9 ـ دعوة المؤسسات الأكاديمية إلى التواصل مع الفضائيات في أنحاء العالم لعرض الأخطار والمحاذير التي يحملها كتاب (الفرقان الحق) وغيره من الأبحاث التي تتناغم معه.

10ـ الدعوة إلى عقد ندوة لمراكز طباعة القرآن الكريم في العالم لبحث حصانة خاصة بالقرآن الكريم على الشبكة الدولية، حتى يمكن التمييز فيها بين المصاحف السليمة، والمصاحف التي تحمل الأخطاء أو التحريفات.

11 ـ اقتراح إنشاء جائزة دولية للباحثين الغربيين المنصفين تجاه الإسلام والقرآن الكريم.

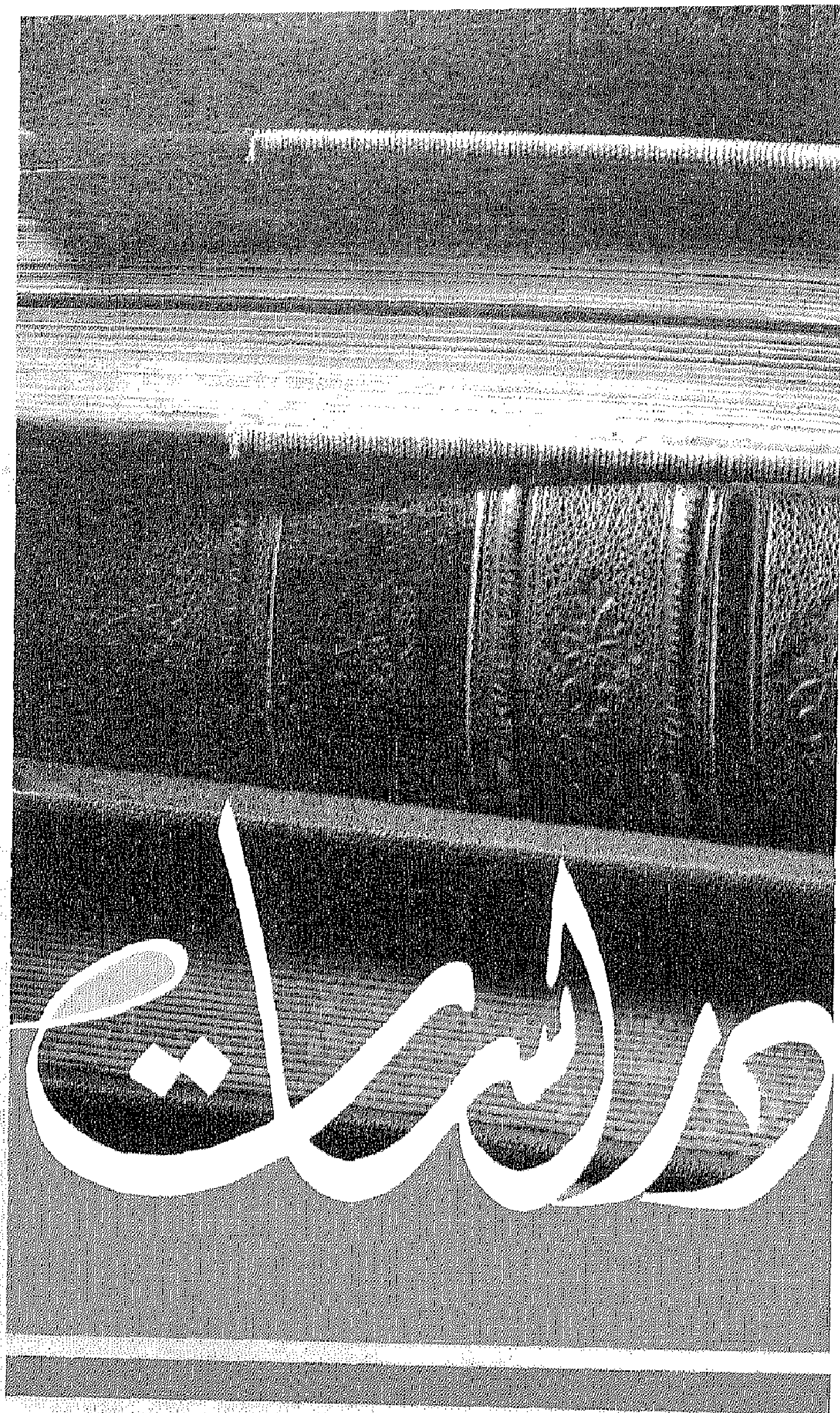
12 ـ التأكيد على دعم التواصل بين الجامعات الإسلامية من أجل توحيد الرؤى والمواقف والجهود للوقوف أمام كل خطر يهدد الإسلام ويمس ثوابته.

13 ـ إنشاء مؤسسة ترجمة ونشر تعمل على الترجمة الدقيقة للكتب الجيدة التي تُعرّف بالإسلام وثقافته قديماً وحديثاً، باللغات الأوربية الكبرى.

14 ـ فتح تخصص الإعلام وإنشاء مراكز تدريب إعلامي عملي في الكليات الشرعية الأكاديمية، وذلك لجميع التخصصات الإعلامية.

ختاماً: يتقدم المشاركون في الندوة بالشكر الجزيل إلى جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وكلية الدعوة الإسلامية والقائمين عليهما على عقد الندوة، وحسن تنظيمها، وحفاوة الاستقبال، مشيدين بالجماهيرية العظمى ودورها الرائد في الدفاع عن القرآن الكريم والفكر الإسلامي.

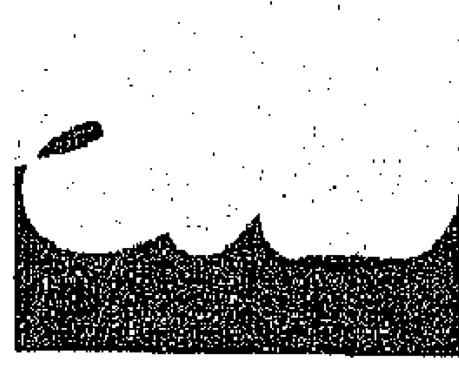
المشاركون في الندوة العلمية
(القراءة الغربية للقرآن الكريم)
مساء يوم الأحد الموافق 4/الكانون / 1373
من وفاة الرسول محمد ﷺ
4 ديسمبر/ 2005 مسيحي



❖ أوروبا والإسلام واقع ثقافي

❖ مذهب شيداوتانغ والتطبيق الفعلي لنموذج الأمة المسلمة المثالية في الصين

❖ إسهام الأفارقة في الثقافة العربية ـ الإسلامية (غرب إفريقيا انموذجاً)



أوروبا والإسلام.. واقع ثقافي

د . صلاح الدين الجعفراوي *



في ظل تلك الأحداث المتسارعة.. والتي أودت بحياة العديد من الأشخاص.. فأودت بالعديد من القيم التي كانت تتمسك بها أوروبا.. وأصبحت الأقلية المسلمة في أوروبا تتلاطمها أمواج الشك والتهميش تارة.. والظلم والاقصاء تارة أخرى.. وبات الإسلام متهمًا.. وسهام الظلم والتلفيق تترى عليه موجات إثر موجات، وأصوات المدافعين عنه من أبنائه مرتجفة ومن أصدقائه خافتة.. وكان الناس في صمت وقد عقدت لسانهم المصيبة.. وأصبح لا بد من حشد طاقات المنصفين والمعتدلين من أصدقائنا فضلاً عن طاقات كل من ينتمي إلى هذا الدين العظيم.

نظرة تاريخية مختصرة:

الإسلام في أوروبا لا يعتبر ضيفًا عابرًا أو مجرد استقرار مهاجر، لقد وصل الإسلام إلى شرق أوروبا منذ مئات السنين بل قبل وصول الفاتحين بكثير وهناك العديد من الشواهد منها:

1- قومية البوماك في بلغاريا. هم مسلمون أسلموا قبل الفتوحات بكثير ويبلغ تعدادهم الآن مئات الآلاف (نحو ثمانمائة ألف)، وكلمة البوماك باللغة البلغارية معناها «الأنصار» حيث إن هؤلاء

* كاتب وباحث، عضو المجلس العالمي للدعوة الإسلامية / ألمانيا

المسلمين الذين كانوا وجدوا في بلغاريا قبل الفتح قاموا بنصرة إخوانهم الفاتحين الأتراك، وبالتالي أطلق عليهم هذا الوصف.

2 ـ توجد عدة قبور للمسلمين في بلغاريا كتب عليها تاريخ من القرن الثالث الهجري.

3 ـ وجدت أيضًا قبور في إقليم السنجق بين صربيا والجبل الأسود منذ أكثر من سبعمائة عام وقد نشر صورها في كتابه الأستاذ الدكتور راسم داليتش.

4 ـ تزيد نسبة المسلمين في كل من جمهورية البوسنة والهرسك عن النصف وأكثر من ذلك بكثير في إقليمي السنجق وكوسوفو وكذلك جمهورية ألبانيا، بالإضافة إلى نسب كبيرة في مقدونيا وتراقيا الغربية وبلغاريا وكذا تركيز في شرق رومانيا بكونستانسا وما جاورها.

5 ـ هناك العديد من القوميات والأعراق الإسلامية التي هي من أصل تلك المناطق كالبشناق والألبان والتتر والتركمان والطربش والعجر.

6 ـ كتائب الفرسان التي كان يقودها القائد المسلم إسكندر رومانوفيتش في بولندا وتعد بعشرات الآلاف والتي استردت سيادة بولندا وأعادت حدودها الأصلية مرتين من أيدي الغزاة من الألمان وروسيا البيضاء وكان ثمة تعاون وثيق وود بين شيخ الإسلام والكنيسة، إلى أن جاء المد الشيوعي فتم التخلص من قادة هذه الكتائب في ظروف غامضة كما اختفى شيخ الإسلام وتبعثر المسلمون بين المدن ولم تبق بعد انهيار الشيوعية إلا بضعة آلاف من المسلمين في مناطق الشمال في بياوستوك وغدانسك وثمانية مساجد خشبية صغيرة.

7 ـ لتوانيا التي احتفلت منذ عدة سنوات بمرور ستمائة عام على وصول الإسلام إليها.

كما أن الإسلام وصل واستقر في الأندلس غرب القارة الأوروبية إلى أن انحسر وجاءت محاكم التفتيش لتكمل على البقية، ولم يتبق إلا الأثر.

أما الوجود الإسلامي الحالي في غرب القارة فلا نستطيع الآن وصفه بالوجود الطارئ أو الزائر الغريب كما يحلو للبعض أن يصفه.

فقد كانت النماذج التي تأتي إلى غرب القارة بعد الحرب العالمية الثانية تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي :

1 ـ عمال يأتون لبناء أوروبا المدمرة لتحسين الوضع المادي لهم.

2 ـ طلبة علم يتلقون العلوم للحصول على درجاتهم العلمية العالية.

3 ـ لاجئون هاربون من أوضاع سياسية مضطربة في بعض الدول العربية والإسلامية.

الوجود الإسلامي الحالي في غرب القارة لا نستطيع الآن وصفه بالوجود الطارئ أو الزائر الغريب كما يحلو للبعض أن يصفه.

وهنا أود التأكيد على أن الوجود الإسلامي في غرب القارة لم يبدأ بعد الحرب العالمية الثانية كما يحاول البعض إشاعته، فهذا محض افتراء بسبب:

1 ـ أقر أحمد بن خلان في كتاباته بدخول المئات من أبناء الشمال (الفاكينجار) من الدول الاسكندنافية في الدين الإسلامي.

2 ـ وجود العديد من العملات الإسلامية التي اكتشفت في هذه البلاد أثناء التنقيب على الآثار.

3 ـ آلاف المسلمين الذين قضوا للدفاع عن أوروبا وإعادة الحرية إليها، ففي فرنسا على سبيل المثال لا الحصر أعطت الحكومة قطعة أرض مساحتها 73 ألف متر لبناء المسجد بباريس عرفانًا منهم باستشهاد 73 ألف مسلم في حرب التحرير ضد النازية.

4 ـ المسجد الأحمر وبعض أماكن الصلاة كانت موجودة وقت حكم القياصرة في ألمانيا.

5 ـ أكثر من ألفي جندي مسلم مغربي (2250) سقطوا

قتلى من ضمن آلاف الجنود المغاربة الذين تصدوا للجيوش النازية في معركة «جانملو» للدفاع عن بلجيكا، وقد أقيم احتفال حضره السيد أندريه فلاوت وزير الدفاع البلجيكي الذي أشاد بجهود الجنود المغاربة في مقاومة الزحف النازي.

وقد دعت جمعية «الشهداء المغاربة» إلى هذا الاحتفال الذي يذكر ببسالة الجنود المغاربة الذين شاركوا في تدمير أكثر من 300 دبابة وإسقاط عشرات الطائرات الهجومية والاستطلاعية الألمانية على مدى ثلاثة أيام هي عمر المعركة (14، 15، 16 مايو 1940).

6 - وجود المسلمين في ألمانيا خلال العلاقة التي ربطت بين أمير المؤمنين هارون الرشيد والامبراطور شارلمان.

وإذا افترضنا جدلاً ما قالوه فلا ينطبق الآن بعد ازدياد الجيل الثاني والثالث، بل بدأت بوادر الجيل الرابع الآن.

الوضع الحالي:

أ - ما قبل 2001/9/11 مسيحي:

في شرق أوروبا انهارت الأيديولوجيا الشيوعية وكان من حظ الكيانات المسلمة أن تتحرك، وإن بدأت متأنية خوفًا من عدم صدقية تلك الحرية. فلم تؤسس الأحزاب ولم تهتم بامتلاك كيانات إعلامية أو تعمل على استعادة الأوقاف التي سلبت، ولم يستثن من ذلك إلا البوسنة والهرسك التي كان لها السبق لما يوجد بها من كم كبير من المثقفين والعلماء مع نمو الوعي ووجود قيادات استطاعت أن تمسك بزمام الأمور.

وفي الغرب كادت الكيانات الإسلامية الوافدة أن تتعافى من المرض الذي انتقل إليها من صراعات فكرية لجماعات وفدت إليها، أو سياسية لحكومات أرادت أن تصفي حساباتها على أرض مفتوحة آنذاك. وتوقف مسلسل الصراعات وبدأت تستوعب القيادات الإسلامية الموجودة على الساحة ضرورة التعاون والتنسيق فضلاً عن الانفتاح على الساحة التي تعيش فيها ومد الجسور مع المؤسسات الرسمية، وتوثيق الروابط مع الدول العربية والإسلامية، ووضع استراتيجيات تتناسب وعودة الوعي ويقظة الضمير، وأصبح الاهتمام ببناء الجيل الذي نشأ على هذه الأرض وتأكيد انتمائه مع الاحتفاظ بهويته.

ب - ما بعد 11 سبتمبر:

وكان الزلزال الذي أوجد مناخًا لا نحسد عليه، وأصاب الزلزال كافة الجوانب التي تلمسها الأقلية المسلمة المسالمة في الغرب، وازداد نمو السلوك العنصري ضد كل ما هو آت من الشرق وإن لم يكن مسلمًا، أما إذا كان مسلمًا فيزداد الكيل ويفيض.

في الغرب كادت الكيانات الإسلامية الوافدة أن تتعافى من المرض الذي انتقل إليها من صراعات فكرية لجماعات وفدت إليها.

وتتوالى بعض العمليات الإرهابية، الأحداث التي زادت الأمور تعقيداً والعلاقات اضطراباً:

1 - تفجيرات 11 مارس 2004 التي أودت بالعشرات في مدريد ونسبت إلى بعض الشباب المغاربة، وما لحق بها من مداهمات وتضييق وردود أفعال قد يغيب العقل عن ضبطها أو يغيّب.

2 - مقتل المخرج فان غوغ الهولندي على يد الشاب المغربي كرد فعل لإهانته كتاب الله الكريم والإسلام، وإن كنت هنا لا ألتمس له العذر فهذا العمل مرفوض شكلاً ومضمونًا، ونحن نعيش في بلاد تحترم العقل والقانون، وهناك العديد من الوسائل القانونية والمشروعة التي نستطيع بها أن نوقف كل مسيء، أو نتجاهله حتى لا نعلي من شأنه حيث إن الكثيرين من هؤلاء لا وزن لهم ولا قيمة علمية أو انسانية.

- فهولندا التي كانت ساحة للاندماج والانفتاح والتعايش انقلب فيها الأمر رأسًا على عقب، فعدد

المسلمين فيها يقارب المليون من أصل ستة عشر مليونًا هم عدد سكانها، ويوجد فيها سبعة نواب مسلمين في البرلمان وأكثر من 50 مستشارًا في المجالس البلدية وأكثر من ألف منظمة اجتماعية وثقافية و400 مسجد، بالإضافة إلى 42 مدرسة ابتدائية إسلامية رسمية، ومدرستين ثانويتين معترف بهما، وجامعتين إسلاميتين في طريق الاعتراف الرسمي بهما.

ـ كانت ردود الأفعال عنيفة فحرق العديد من المدارس والمساجد (أكثر من ثلاثين) وبدأت حملة عنيفة ضد الأئمة والدعاة.

3 ـ تفجيرات لندن الأولى 2005/7/7 التي أودت بحياة العديد من الأبرياء، ورغم أن الأصابع بدأت تشير إلى بعض من ينتمون إلى الإسلام كانت ردود الأفعال الرسمية متزنة، مستفيدة مما حدث في مدريد وامستردام، فذهب العديد من رجال الأمن إلى المسلمين في المساجد يطمئنونهم ويعلنون أن الإرهاب لا دين له، ولكن سرعان ما لحقت بها الموجة الثانية من التفجيرات 2005/7/21 التي زادت من الضغط والتضييق على الأقلية المسلمة التي كانت ترغب في أن يفي رئيس الوزراء البريطاني بتعهده في الحملة الانتخابية بتمرير قانون تجريم التمييز على أساس ديني، حيث إن حكومة العمال قد سحبت قبل ذلك هذا القانون الذي يستفيد منه المسلمون بشكل أساسي.

«كنا لسنوات نواجه الإسلام محليًا وعالميًا كتحد لوجودنا ويهددنا، ولذلك يجب أن نعيد النظر في هذا الموقف بجدية».

الفصل الثاني:

ـ يتناول هذا الفصل صورًا من الاجراءات والممارسات السلبية وردود الأفعال التي كان لها أثر سيئ في أوضاع المسلمين في أوروبا.

ـ كما يتناول بعض المشاهد الإيجابية والتحركات المتزنة لبعض العاقلين والمنصفين سواءً كانوا ينتمون إلى مؤسسات رسمية أو لهم مواقع سياسية مهمة أو جهات شعبية، كما يلقي الضوء بشكل سريع على نتائج بعض الانتخابات التي زاد فيها تأثير وتمثيل المسلمين.

أولاً ـ المظاهر السلبية خلال المرحلة الماضية:

1 ـ التركيز على دور الأئمة، وأن عدم تأهيلهم التأهيل المناسب هو الذي أوصل بعض الأفكار المتطرفة والإرهابية على حد زعمهم إلى عقول بعض الشباب من أبناء الأقلية، كما ذكر أن العديد منهم يحرض على الكراهية ويدعو إلى العنف، وضربوا أمثلة لقلة لم يعترف بهم أصلاً الشارع المسلم في أوروبا وبدأوا في إجراءات عديدة منها:

أ ـ طرد الأئمة، كما فعلت بعض الدول منها: ألمانيا، فرنسا، النمسا، سويسرا، الدانمارك وإيطاليا، بالحجج السالفة الذكر.

ب ـ بعض الدول منعت دخول الأئمة من البلاد العربية، كمفتي أو إمام.

ج ـ سويسرا والدانمارك قامتا بسن قوانين للحد من دخول أئمة وافدين إلى البلاد، ويجرى الحديث الآن حول «هل يجب مراقبة أماكن العبادة؟».

د ـ أشرفت الداخلية الفرنسية على تعيين لجنة خبراء لوضع خطة لتأسيس معهد للأئمة.

هـ ـ دعت بعض الدول المسلمين إلى تدريب الأئمة الموجودين في الجامعات الأوروبية.

وهذا الأمر بدوره له إيجابيات وسلبيات.. فإن ترك الأمر للمتخصصين من الأوروبيين الذين لا يعرفون عن الإسلام إلا الصورة السلبية فسيكون

الناتج مشوهًا، والنتائج أسوأ مما نراه الآن.

2 ـ أرسلت هيئة الاستعلامات الحكومية التابعة لمنطقة أوتريخت تحذيرًا من تزايد الممارسات العنصرية للشباب الهولندي ذوي «الرؤوس الحليقة»، واعتبرته أكبر خطر على أمن البلاد، مقارنة بالتطرف الإسلامي كما ذكرت، ونشر هذا التحذير في 2005/4/4 مسيحي، بعد قيام هؤلاء الشباب بالاعتداء على مساجد ومدارس للأقلية المسلمة.

3 ـ أصدر المركز الأوروبي لرصد النزاعات العنصرية وكراهية الأجانب تقريرًا مفاده أن 15 دولة عضوًا بالاتحاد الأوروبي فشلت في التصدي للعنف والتمييز المتصاعدين ضد الأقليات العرقية وخاصة المسلمين منذ أحداث 11 سبتمبر، وهذه الدول هي: ألمانيا، ايرلندا، اسبانيا، إيطاليا، البرتغال، بلجيكا، الدانمارك، السويد، فرنسا، فنلندا، لوكسمبرغ، بريطانيا، النمسا، هولندا، واليونان، وقد نشر هذا التقرير في صحيفة «الإندبندنت» في 2005/4/14 مسيحي.

خمس عشرة دولة عضوًا بالاتحاد الأوروبي فشلت في التصدي للعنف والتمييز المتصاعدين ضد الأقليات العرقية وخاصة المسلمين.

4 ـ أصدرت اللجنة الوطنية الاستشارية لحقوق الإنسان في فرنسا تقريرًا أكدت فيه تضاعف الأعمال العنصرية ضد رموز الإسلام في فرنسا بنسبة 251 في المئة خلال عام 2004 مسيحي، مقارنة بالعام السابق، ودعت اللجنة في نهاية التقرير رئيس الوزراء الفرنسي إلى ضرورة سرعة التحرك لمحاصرة هذه الظاهرة التي تشكل خطورة على أمن البلاد.

5 ـ ذكر وزير داخلية ألمانيا الاتحادية السيد أوتو شيلي في حديثه الصحافي يوم 2005/5/17 مسيحي، أن الخطر الأكبر الذي يحيق بألمانيا والعالم أجمع يتمثل في نشاطات «الإرهابيين الإسلاميين»، وأشار إلى تراجع خطر الجماعات الألمانية اليمينية المتطرفة، كما خص بالذكر جماعة (مللي جوروش) على أنها أكثر المنظمات الإسلامية العاملة في ألمانيا رفضًا للواقع الغربي.

6 ـ لم تقم الحكومة النروجية بتعديل مناسب للقانون الذي يفرض تدريس الدين المسيحي في المدارس الحكومية حتى على أتباع الديانات الأخرى، ولكنها قامت بتعديله تعديلاً جزئيًا بشكل لا يمس المضمون حيث ذكر التعديل لفت نظر المهتمين إلى أخذ عدد المسلمين في الاعتبار دون أن يلزم المدارس بإلغاء المادة أو تغييرها، وتعتبر النرويج الدولة الأوروبية الوحيدة التي تجبر الطلبة على دراسة مادة الدين، رغم الانتقادات الشديدة التي وجهتها مفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان.

7 ـ ذكر السيد غونتر بيكاشتاين وزير داخلية بافاريا جنوب ألمانيا أن «الإرهاب الإسلامي» (على حد تعبيره) يمثل التهديد الأكبر للأمن الداخلي في ألمانيا، وقد نقلت صحيفة «فرانكفورتر نويه بريسه» هذا التصريح.

8 ـ كشف آخر تقرير حول الحقوق المدنية لمسلمي أميركا ارتفاع معدل جرائم الكراهية ضدهم بنسبة 50 في المئة عن العام الذي سبقه، كما زادت حوادث التمييز خلال هذه الفترة على 49 في المئة.

9 ـ طالب السيد جيرت وايلدرز السياسي الهولندي بوقف منح حق اللجوء السياسي، وإغلاق باب الهجرة أمام المسلمين، ومنع العاملات في

الحكومة من ارتداء الحجاب، وإيقاف إقامة المدارس الإسلامية التي تبث ثقافة متخلفة على حد تعبيره.

10 ـ نشرت صحيفة «برلينر مورغين بوست» تقريراً بعنوان: «مآذن جديدة في سماء برلين» بتاريخ 2005/4/16 مسيحي، إن أعمال البناء تعطلت في عدد من المساجد التي تتبع مؤسسات إسلامية نظراً للعراقيل التي وضعت، وضربت عدة أمثلة (نحو خمسة مساجد للاتحاد الإسلامي والرابطة الإسلامية الخيرية وجماعة أهل البيت).

11 ـ رفض معهد أتال في مدينة أنتويرب الذي يقدم برامج لإعادة تأهيل العاملين العاطلين عن العمل قبول طالبات يرتدين الحجاب لمتابعة دراستهن في المعهد على لسان صحيفة «غازين» البلجيكية بتاريخ 2005/5/4 مسيحي.

ثانيًا ـ المشاهد الإيجابية رغم صعوبة الوضع وتكالب الأعداء:

1 ـ قامت الحكومة الهولندية بوضع برنامج للإندماج بين الأعراق والثقافات المكونة للنسيج الهولندي، وبدأت هذا البرنامج في روتردام كنموذج، إن نجح فسوف يعمم على بقية أنحاء هولندا، بل سيكون نموذجًا للتطبيق في بقية الدول الأوروبية، وتم اختيار روتردام بالذات للكثافة السكانية للأجانب حيث يوجد فيها 165 جنسية.

وقد استغرق البرنامج أكثر من عامين شاركت فيه جهات رسمية وشعبية إسلامية وهولندية، وتوج بمؤتمر جامع يوم 2005/4/6 مسيحي، حضره السيد يان بيتر بالكوندا رئيس وزراء هولندا، وقد صوت معظم المشاركين لمصلحة اتفاق المواطنة الروتردامية الذي يعطي أولوية للتعايش بين المواطنين، بغض النظر عن الانتماء الديني أو العرقي، كما ينص على مقاومة العنصرية والإبلاغ عنها وخاصة في أماكن العمل.

وطالب المشاركون بلدية روتردام بوضع اتفاق بين البلدية ورجال الأعمال لقبول المسلمين في مؤسساتهم وكذلك تنظيم مناسبات للتواصل بين المواطنين.

وقد تأثر هذا البرنامج قليلاً بعد أحداث مقتل المخرج الهولندي ولكنه سرعان ما تعافى بحكمة المسؤولين في بلدية روتردام الذين سعوا بشكل جاد لإنجاح هذا المشروع.

2 ـ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة المائدة: الآية 8]

عمدة امستردام العاصمة التجارية لهولندا السيد جوب كوهين اليهودي ذكر «الإسلام موجود هنا كي يبقى في هذا البلد، وفي هذه المدينة، وعلينا أن نتعامل مع الإسلام كحقيقة لا أن يكون موضعًا نحبه أو لا نحبه، لذلك فالسؤال الجاد هو: كيف يمكن التعايش وقبول بعضنا البعض؟».

كشف آخر تقرير حول الحقوق المدنية لمسلمي أميركا ارتفاع معدل جرائم الكراهية ضدهم بنسبة ٥٠ في المئة عن العام الذي سبقه.

كما يفتخر بأنه لم تحدث أي حادثة عنف ضد المسلمين في مدينته كرد فعل على مقتل المخرج الهولندي فان غوغ على يد أحد أبناء الأقلية المسلمة.

3 ـ لأول مرة في ألمانيا قام مستشفى «بيترا» في هانوفر بإنشاء قسم خاص بالمسلمين، وقامت بتعيين طاقم من أطباء وممرضين مسلمين، وقد ذكر الدكتور «اكسيل دوسينبرغ» أنهم يسعون من خلال هذا القسم إلى مراعاة القيم الثقافية الخاصة بالمسلمين.

4 ـ اختيار وزير آخر مسلم في الحكومة الفرنسية الجديدة السيد عزوز بقاق وزير التأهيل وتساوي

الفرص بعد حملاوي مكاشيرا وزيرًا مفوضًا لشؤون المحاربين القدامى.

5 ـ تضاعف عدد المسلمين في مجلس العموم البريطاني، ورغم أن العدد لا يتناسب مع نسبة المسلمين حيث يحق أن يكون لهم 18 عضوًا، ولكنها خطوة إلى حد ما إيجابية حيث مثلوا بأربعة نواب بدلاً من اثنين في الدورة الماضية.

6 ـ ذكرت الملكة مارغريت ملكة الدانمارك في كتابها الجديد «أننا كنا لوقت طويل لم ننظر إلى الإسلام بجدية، بل كنا كسالى وغير معنيين بالأمر، ولا نريد أن نفتح علاقة معهم، إننا كنا لسنوات نواجه الإسلام محليًا وعالميًا كتحد لوجودنا ويهددنا، ولذلك يجب أن نعيد النظر في هذا الموقف بجدية».

7 ـ تأسس اتحاد الصحافيين المحايدين في أوروبا من بعض الصحافيين السويسريين ويجرى التنسيق مع بعض الجنسيات الأوروبية الأخرى لتوسيع الاتحاد، وهذه تعتبر خطة كبيرة حيث تمت بمباركتنا ودعمنا لهم وقد دفعهم إلى هذا التوجه ما لمسوه من ظلم وتغييب للحقائق عندما يتم تناول أي قضية لها علاقة بالإسلام، ونحن نعد لهم الآن جولة لبعض الدول العربية كأول زيارة لهم للاحتكاك المباشر مع الشعوب الإسلامية، وقد نشروا بالفعل العديد من كتابات منصفة ومتزنة.

8 ـ استقبال عمدة مدينة ليل (شمال فرنسا) وفد المؤتمر الإسلامي الأوروبي والمجلس العالمي للدعوة الإسلامية وكلية الدعوة الإسلامية، في مقر المحافظة، ووعدها بتيسير كافة الإجراءات لإنشاء الجامعة الإسلامية تحت إشراف المؤتمر الإسلامي الأوروبي.

الفصل الثالث: عوائق ومقترحات:

نتناول في هذا الفصل صورًا من المعوقات التي تزيد من تفاقم وضع المسلمين وهي تنقسم إلى قسمين: داخلية وخارجية، كما سنضع بعض المقترحات العملية للخروج من هذا الواقع الشاذ الذي بدد الكثير من جهود البناء لبذلها في دفع الشبهات، وردود أفعال لأحداث تطرأ على الساحة.

أولاً ـ المعوّقات :

يوجد العديد من الأمور التي تعوق النهوض بمستوى النشاط الإسلامي، سيتم تناول بعضها في ما يلي:

1 ـ المعوقات الداخلية: وتلك هي التي توجد داخل الجسد الإسلامي وبأيدي أبنائه، وتحدث بجهل بعض منتسبيه:

أ ـ انحدار مستوى التعليم لدى العديد من أبناء الأقلية المسلمة، خاصة في أوروبا الغربية، وهذا نتيجة أن قطاعًا عريضًا منهم من العمال الذين أتوا إلى تلك البلاد لتحسين الوضع المالي، وبالتالي لم يهتموا بتحسين مستواهم العلمي، أو الاهتمام بتعليم أبنائهم إلى مستويات علمية معقولة، وهذا له مردود سلبي في التعامل مع غير المسلمين، وفي استيعاب الأحداث التي تطرأ على الساحة.

ب ـ عدم وجود العدد الكافي من الأئمة والدعاة المؤهلين للقيام بدور الوعظ والإرشاد، وبالتالي تضطر إدارات بعض المؤسسات والمساجد إلى الاستعانة بمن له قدرة على الحديث لاعتلاء المنبر دون النظر إلى ما قد يسببه من نقل مفاهيم خاطئة أو تحليل الأمور بشيء من الإفراط أو التفريط.

وهذا ما أدى بدوره إلى الحملة الكبيرة التي تقودها بعض المؤسسات الأوروبية كما ـ ذكرنا سالفًا ـ لطلب تأهيل الأئمة بما يتناسب والإسلام الأوروبي كما يطلقون عليه، وهذا الأمر إن لم توضع ضوابطه يكون الناتج أئمة ممسوخي الفكر، كما سيكون له الأثر السلبي، وظهور ردود الأفعال التي قد يكون وبالها أكثر مما نراه الآن.

ج - عدم الاهتمام بالتشديد على روح الإسلام وتعاليمه في العديد من المساجد والمراكز والمؤسسات، كالانضباط في الوقت، والنظافة والحفاظ على البيئة، وحسن الجوار مع المسلمين وغير المسلمين، وأن نخالق الناس بخلق حسن، ومراعاة مشاعر الجيران، واحترام القوانين التي تنظم حياتنا.. الخ.

وهذا ما أعطى بدوره صورة مشوهة، وأوحى للعديد من المحتكين بنا أن الإسلام دين إهمال وقذارة وتجهم وتسيب ولا مبالاة وتخلف.

هذه القضية وإن تبدو هينة ولكنها ذات أثر كبير خاصة وأنها ملاحظة مباشرة من رجل الشارع الأوروبي الذي يشحن إعلامياً، للأسف يجد ما يسمعه أو يقرأه مطبقاً على أيدي من يجهل حقيقة هذا الدين عن أبنائه.

د - التنسيق بين المؤسسات الإسلامية على الساحة لا يزال دون المستوى، ولا يتناسب مع تطور الأحداث التي تشهدها المنطقة.

هـ - عدم وجود استراتيجية محددة المعالم للمرور من هذا المنعطف الخطير الذي يمر به الوجود الإسلامي في أوروبا، وبالتالي نجد أن معظم تحركات الأقلية المسلمة عبارة عن ردود أفعال متخبطة لا تتناسب وعظم الحدث.

و - لا يزال دور المرأة داخل مؤسساتنا الإسلامية محدوداً مع تعاظم دورها على المستوى الأوروبي، وبالتالي نظهر بمظهر المتخلف عن الركب.

ز - عدم الاهتمام بتأسيس مؤسسات إعلامية تستطيع مواكبة الأحداث، والتعاطي والتخاطب مع الإعلام الأوروبي الذي استطاع أن يسلب الكثيرين عقولهم فأصبحوا يرددون ما يسمعون دون البحث والتدقيق.

ح - الواقع السياسي المؤلم للدول العربية والإسلامية الذي ينعكس بدوره سلباً على وضع الأقلية، ونظرة المجتمع الأوروبي لها.

ط - عدم التعاطي مع الواقع السياسي الذي تعيشه الشعوب الأوروبية، وعدم الاهتمام بالانخراط فيه، ما يجعل هذا القطاع العريض من المسلمين في أوروبا مهمشاً، ليس له تأثير يذكر في الانتخابات البرلمانية وغيرها.

2 - المعوّقات الخارجية:

وهي تلك التي يخطط لها من أجل إبعادنا عن مجرى الأحداث لنظل نتخبط حتى يسير الركب ويتركنا في ذاكرة التاريخ «إنهم كانوا هنا، ورحلوا» أو نحفظ في متحف الذكريات والآلام.

العديد من وسائل الإعلام العربية والإسلامية لا ترقى إلى المستوى المطلوب، بل إن البعض أصبح يردد تلقائياً ما تذكره وسائل الإعلام الأخرى دون التدقيق في المصدر، أو معرفة أبعاد نشر التقرير أو الخبر.

وبعض هذه العراقيل هي:

أ - الحملة الإعلامية المتنامية للنيل من الإسلام ومنتسبيه، وإظهار أن الإسلام دين القتل والإرهاب وقد ساعد في تأكيد هذه الصورة ما تتناوله وكالات الإعلام والانترنت لبعض الحوادث التي تقع على الساحة العراقية وغيرها، دون الإشارة إلى أسباب ودوافع الأحداث وكيفية تجنبها، كما أن العديد من وسائل الإعلام العربية والإسلامية لا ترقى إلى المستوى المطلوب، بل إن البعض أصبح يردد تلقائياً ما تذكره وسائل الإعلام الأخرى دون التدقيق في المصدر، أو معرفة أبعاد نشر التقرير أو الخبر.

ب - السيل العارم من كتابات لبعض المنتسبين للإسلام بالإضافة إلى الكثير من كتابات غير المسلمين، وتنشر شهرياً عشرات الكتب التي توزع على نطاق واسع عبر دور النشر المختلفة، وهنا أريد أن أعلق على أمرين مهمين، هما:

أولاً ـ دعم بعض دور النشر عددًا من المسلمين الذين ينتسبون إلى الإسلام لإصدار العديد من الكتب التي تطعن في الإسلام وسيرة الرسول ﷺ وذلك حتى يظهر الأمر وكأنه قضية داخلية، وصراعات بين المسلمين، وبالتالي فقد كفاهم هؤلاء الكتاب عناء الطعن والمواجهة، وكما لو كان الإسلام يتآكل من الداخل.

ثانيًا ـ من تتبع الكتابات التي نشرت في العامين الماضيين نجد أن نسبة من 60 في المئة إلى 70 في المئة تنال من المرأة المسلمة، وكم هي مضطهدة، وتعيش تحت ضغوط تتجاذبها، وحالها أقرب إلى الرق والعبودية منه إلى أي شيء آخر.

وبالتالي فإن السلعة الرائجة الآن للطعن في الإسلام من قبل المغرضين هي قضية المرأة التي لم تعط الاهتمام الكافي لإظهار الوضع النموذجي الذي تشهده المرأة في ظل الإسلام.

ج ـ القيود المتنامية على إنشاء المؤسسات الإسلامية كالمدارس وبناء المساجد، وهذه بالطبع تساعد في انحسار التعليم الإسلامي، فبعض المدارس الموجودة بالفعل مهددة بالإغلاق، وبعض المدارس توقف نموها فلا تزيد عدد الفصول رغم الحاجة الماسة، بالإضافة إلى أن تصاريح إنشاء المدارس الرسمية الخاصة أسوة بالعديد من المذاهب والأعراق التي تملك العديد من المدارس أصبح من الصعوبة بمكان بالنسبة للمسلمين.

د ـ الحملات الأمنية المتتالية على المؤسسات الإسلامية بحق أو بغير حق، أوجد وضعًا من القلق والاضطراب، فعندما يقتحم المسجد وتصادر أجهزة الحاسوب وكتب المكتبة ويروع الناس، وبعد عدة شهور قد يأتي الاعتذار أو لا يأتي، ليوجِدَ مناخًا غير مناسب للتربية والبناء.

هـ ـ التضييق على المسلمين عبر القوانين التي سنت حديثًا، وتحد من حريتهم الشخصية وأحوالهم الاجتماعية كمنع الحجاب في بعض الدول وقوانين الزواج.. إلخ.

و ـ تجفيف منابع الدعم للنشاط الثقافي والاجتماعي والخيري للمؤسسات الإسلامية، بحجة تجفيف منابع الإرهاب، ولم يفرق الداعون إلى ذلك بين ما هو نافع وما هو ضار.

بعد هذا العرض لبعض المعوقات التي تحول دون نمو وازدهار المسلمين في أوروبا حتى يصبحوا عوامل بناءة بشكل حضاري في مجتمعاتهم الأوروبية نضع هنا بعض المقترحات العملية التي قد تساعد في تجاوز هذه المرحلة إن أحسن تطبيقها:

معظم تحركات الأقلية المسلمة عبارة عن ردود فعل منفعلة لا تتناسب وحجم الحدث.

1ـ الاهتمام بدعم المؤسسات التعليمية، والعمل على زيادة الوعي لدى أبناء الأقلية للاهتمام بتعليم الأبناء.

2ـ السعي لدى المؤسسات التعليمية الأوروبية لتصحيح ما ينشر عن الإسلام في المناهج الدراسية الرسمية.

3ـ الاهتمام بتأهيل الدعاة والأئمة بوضع برامج خاصة مع ضرورة التعاون في ذلك مع الجهات الرسمية الأوروبية لإتمام البرنامج على أكمل وجه دون وضع العراقيل والمعوقات.

4 ـ الاهتمام بشكل كبير بتطوير المؤسسات النسائية وإشراك المرأة في نشاط المؤسسات الإسلامية بما يتناسب وطبيعتها وحجم وجودها، كما أنه لا بد من الكتابة بشكل واف عن المرأة كما أرادها الإسلام وترجمته والعمل على نشره.

5ـ التأكيد على روح التعاون والتنسيق بين المؤسسات الإسلامية.

6 ـ الاهتمام بالإعلام بشتى وسائله، والعمل على



دعم المؤسسات الإعلامية الإسلامية الموجودة على الساحة الأوروبية، الخاص منها والعام، وأقترح إقامة ندوة أو ورشة عمل يدعى لها بعض الإعلاميين المسلمين في أوروبا، للخروج بتصور يساعد في تطوير مؤسساتنا الإعلامية، وزيادة صلاتها بالمؤسسات الأخرى التي قد يكون فيها من المنصفين الذين يدعمون قضايا الحق والعدل.

7 ـ دعم اتحاد الصحافيين المحايدين في أوروبا ومد الصحفيين بالمواد الإعلامية التي يستقون منها رؤيتهم، واستقبالهم في العديد من الدول الإسلامية للاحتكاك المباشر والكتابة بشكل إيجابي عن المجتمعات الإسلامية، وكذلك تزويدهم بما يكتب بشكل سلبي عن الإسلام في الصحف الأوروبية حتى يقوموا بالرد عليه، وقد قاموا بالفعل بالعديد من هذه الردود، كما نرى تشجيع كل كاتب يكتب بشكل متزن وحيادي عن الإسلام وقضايا المسلمين.

8 ـ توعية المسلمين بالانخراط في العمل السياسي ونشاط الأحزاب المختلفة، حتى يكون للمسلمين تمثيل يتناسب وحجم وجودهم على الساحة الأوروبية.

9 ـ العمل على إيجاد أوقاف تغطي حاجة المؤسسات الإسلامية، فلا تقع فريسة لأي عارض أو رد فعل لأي أمر غير محسوب.

مما سبق نستطيع أن نقول إن الصورة ليست قاتمة على الإطلاق، ولكن هناك بعض المؤشرات الايجابية، فبمزيد من العمل والصبر والحكمة نستطيع أن نتخطى تلك المرحلة التي بددت الكثير من طاقات البشر، في صراعات أوجدها لهم أعداء الإنسانية.

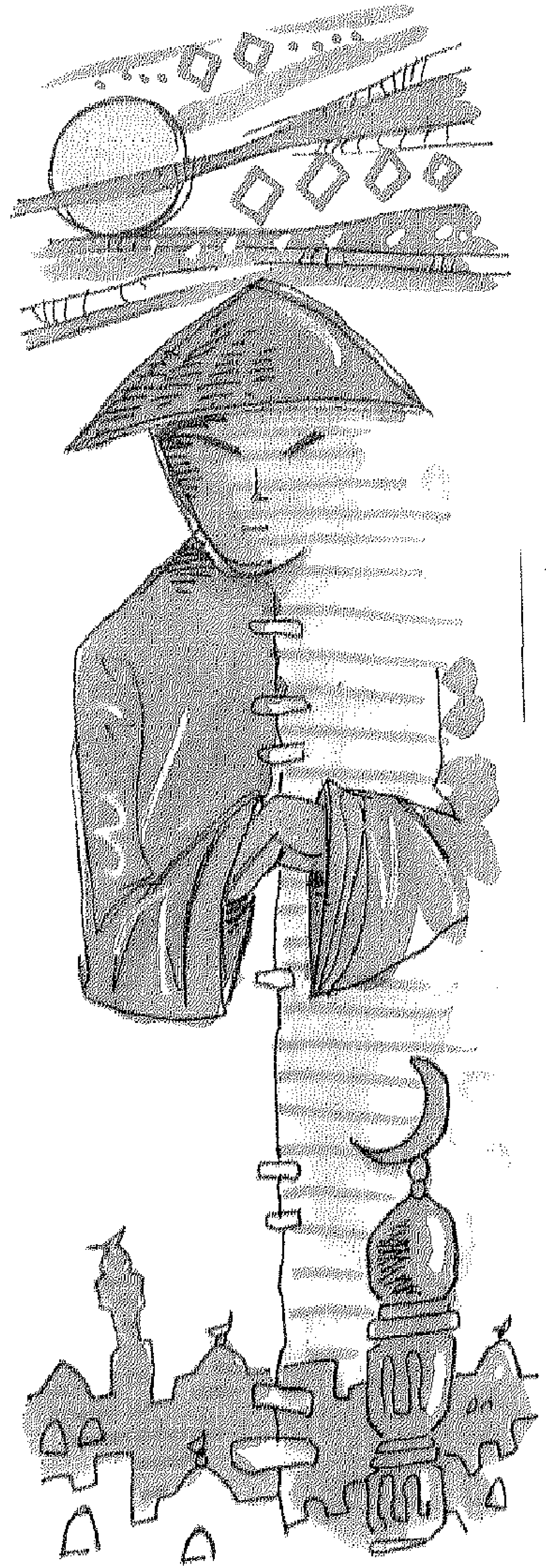
مذهب شيداوتانغ*

والتطبيق الفعلي لنموذج الأمة المسلمة المثالية في الصين

إعداد: عبد الله مافنغ جون **

دخل الإسلام إلى الصين منذ أكثر من 1300 سنة، وقد تكونت 10 قوميات مسلمة من بين 56 قومية صينية، وهذه القوميات المسلمة العشر هي قوميات: هوي والويغور والكازاك والطاجيك والقرغيز والأوزبك والتتار وسالار ودونغشيانغ وباوآن. وهناك بعض الناس من القوميات الأخرى من أمثال قوميات المغول والتبت وداي وباي قد اهتدوا إلى الإسلام أيضاً.

إن تاريخ دخول الإسلام إلى الصين مرتبط بتاريخ عشر قوميات مسلمة في الصين (أما المقولة التي يرددها المؤرخون الصينيون في هذه المسألة فلا تنطبق إلا على أحوال المسلمين من أبناء قومية هوي المنتشرين في مختلف أنحاء الصين. ومن ثم توهم البعض أن تاريخ قومية هوي هو تاريخ الإسلام في الصين حتى يقال عن الإسلام هو «دين هوي هوي» نسبةً إلى قومية هوي). والواقع أن تاريخ قومية هوي لا يعني تاريخ إسلام الأقليات القومية الصينية الأخرى، فإن تاريخ أقليات شينغيانغ (تركستان الشرقية) القومية المتمثلة في قوميات الويغور والكازاك والطاجيك والقرغيز والأوزبك والتتار هو جزء مهم



* شيداوتانغك تعني «الطريق إلى مكة

** باحث / الصين

من تاريخ الإسلام في الصين كلها. إلا أنه منحصر في منطقة شينغيانغ غالباً، ولا يمثل تاريخ إسلام الغالبية العظمى، لذلك سنمرّ عليه مرّ الكرام، ثم نركز على تاريخ الإسلام في الصين (بقية أجزاء الصين غير شينغيانغ).

1 ـ دخول الإسلام إلى شينغيانغ:

في أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر مسيحي، دخل الإسلام إلى منطقة كاشغر أول ما دخل، ثم انتشر إلى يارقند وخوديان، وفي القرنين الثالث عشر والرابع عشر مسيحي ظهر عدد كبير من المسلمين المحليين في بعض مناطق شينغيانغ، وفي القرن الخامس عشر اهتدى بعض حكام المغول إلى الإسلام في هامي، وكان لإسلام هؤلاء الحكام تأثير في اعتناق الويغوريين المحليين الإسلام، وفي أوائل عهد أسرة تشينغ أصبحت شينجيانغ الجنوبية بلداً إسلامياً. وفي أوائل القرن العشرين صارت معظم أجزاء شينغيانغ الشمالية مأهولة بالمسلمين أيضاً. صفوة القول إن انتشار الإسلام وتطوره في شينغيانغ قد استغرق 7 ـ 8 قرون من القرن العاشر إلى القرن الثامن عشر مسيحي، ولقد تم هذا الانتشار بطريقتين، سلمية وعسكرية، وغالباً ما كان يجري ذلك مع تأجج نيران الحرب الدينية بين المسلمين والصينيين، لا سيما في بداية الأمر، أما في المناطق الصينية الأخرى غير شينغيانغ فقد كان انتشار الإسلام بشكل سلمي، ولم يسبق للمسلمين الصينيين في البداية أن قاموا بتبليغ الإسلام إلى غير المسلمين، وأنهم لم يكونوا يتنافسون مع سائر الديانات، ولا يهاجمون الكونفوشيوسية بصورة خاصة، لذلك فإن الكونفوشيوسيين والطاويين والبوذيين في الصين ما كانوا يعرفون ماهية الإسلام ولا يحقدون عليه أيضاً، لذلك كان تطور الإسلام في الصين بطيئاً، وكان دخوله إليها براً وبحراً، وإلى

إمرأة من التبت

شينجيانغ براً فقط، ولم يكن دخوله دفعة واحدة في شينغيانغ أو في غيرها، بل استغرق ذلك قروناً عدة.

بعد هذا الاختصار الشديد لتاريخ الإسلام في شينجيانغ سنركز على تاريخ دخول الإسلام في المناطق الأخرى من الصين.

2 - دخول الإسلام إلى الصين:

اختلفت الآراء والروايات حول تاريخ دخول الإسلام إلى الصين، ولكن أقرب الآراء إلى الصواب أن ذلك كان بعد عام 757 مسيحي، باعتبار ظهور المسلمين الصينيين الأصليين في الصين بعد هذا التاريخ، لأنه لا يمكن أن يكون الإسلام دخل الصين بمجرد وصول المبعوثين إليها للغرض السياسي. ولكنه دخل الصين على أيدي التجار العرب وليس على أيدي القوات الإسلامية. وكان تطور الإسلام في الصين بطيئاً غاية البطء، إذ لم تثبت أقدامه فيها إلا بعد مضى 700 - 800 سنة مما يشير إلى أن نشاط المسلمين في نشر الدعوة كان ضعيفاً، لذلك نجد الإسلام في الصين قد مر بأحوال مختلفة خلال أطواره التاريخية المختلفة.

المراحل التي مر بها الإسلام في الصين:

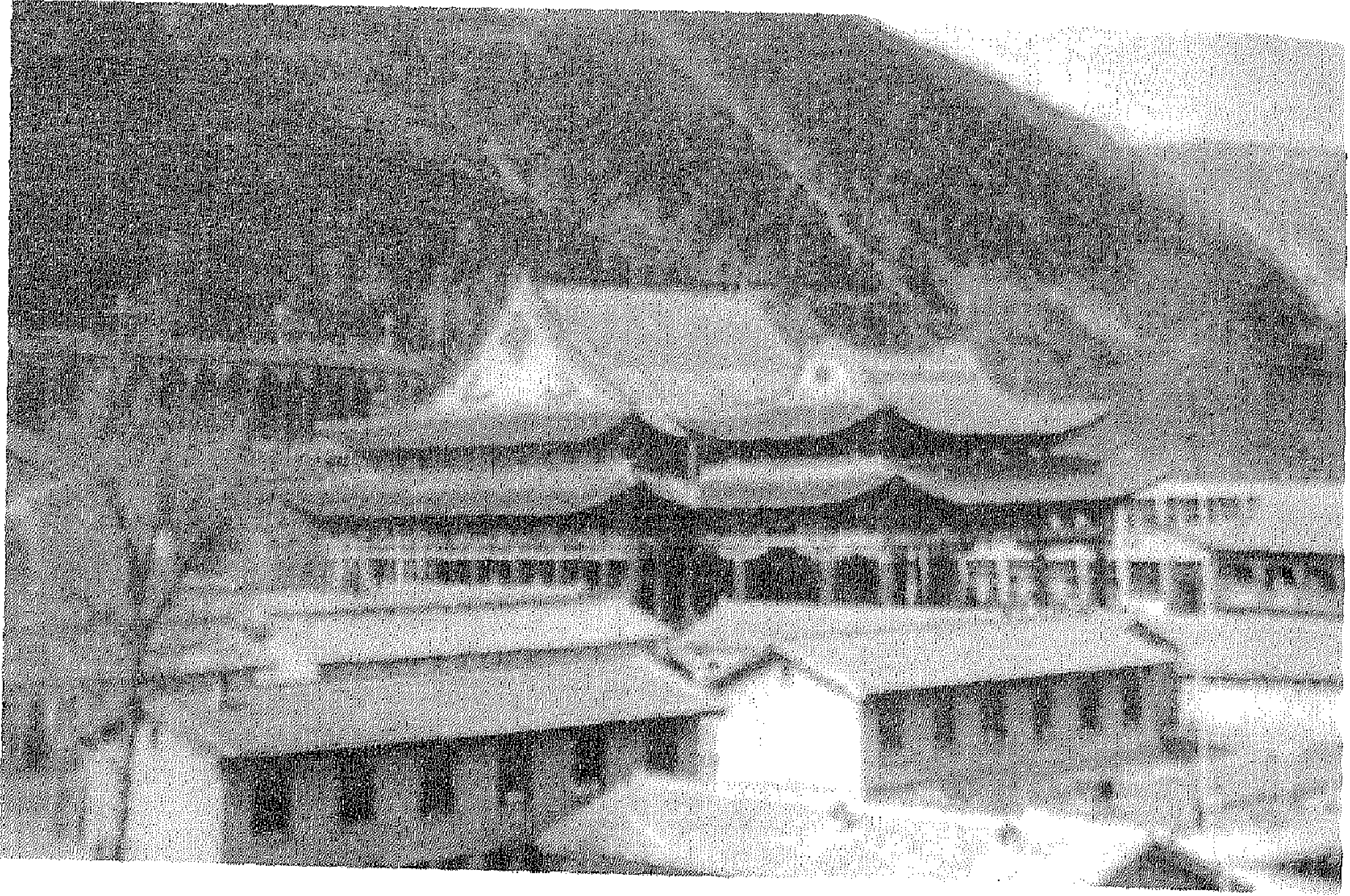
❖ **المرحلة الأولى: في عهد أسرتي تانغ (618 - 907 مسيحي) وسونغ (960 - 1279 مسيحي):**

العلاقة بين العرب والصين تعود إلى تاريخ ما قبل الميلاد، حيث كانت العلاقة بينهما علاقة تجارية ودية. واستمرت الاتصالات التجارية الودية حتى في العصر الإسلامي، إذ كان مبعوث من الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وصل إلى تشانغآن - عاصمة أسرة تانغ -، ولقد أرسلت الدولة الإسلامية مبعوثيها إلى الصين 36 مرة خلال147 سنة امتدت من سنة 651 إلى سنة 798 مسيحي.

وبفضل ازدياد الاتصالات التجارية



أسرة من التبت



المسجد الجامع بمحافظة لينتان

بين الصين والدولة الإسلامية وتطور العلاقات الدبلوماسية والسياسية بينهما باتجاه السلام والصداقة، هاجرت أعداد كبيرة من المسلمين العرب والفرس إلى الصين واستوطنوها، وتزوج بعضهم من النساء الصينيات.



تاريخ أسرة سونغ ينقسم إلى عهدين وهما: أسرة سونغ الشمالية (960 ـ 1127 مسيحي) وأسرة سونغ الجنوبية (1127 ـ 1279 مسيحي).

في عهد أسرة سونغ الشمالية ظهر في الصين أناس يدعون «الغرباء المولودون محلياً للجيل الخامس». فقد وضعت الحكومة الصينية قانون وراثة خاصاً بهم. وكانت الأماكن المأهولة بالجاليات تدعى «فانفانغ» (مناطق الجاليات)، كان «فانفانغ» عبارة عن شكل تنظيمي للمسلمين في الصين في أيامهم الأولى من دخول الإسلام إليها في عهد أسرتي تانغ وسونغ. كان هذا النظام يقوم على الجمع بين السياسة والدين، ولكنه خاضع لحكم البلاط الإمبراطوري الصيني. إذ كان لكل «فانفانغ» شيخ مسؤول عن شؤونه الدينية والدنيوية داخل «فانفانغ» واستمالة التجار الأجانب إلى الصين لغرض التجارة بتوصية من الحكومة، وأن قضاء الشيخ يتفق مع مبادئ الإسلام وأحكامه. وكان لكل «فانفانغ» دار لليتامى وسوق ومقبرة عامة إلى جانب مسجد مفتوح ليل نهار ضماناً لممارسة المسلمين عباداتهم. وكان شيخ «فانفانغ» يعد زعيماً وقاضياً للمسلمين ويؤمهم في الصلاة ويشرح لهم أحكام الإسلام، ويعالج المشاكل والنزاعات فيما بينهم.

في عهد أسرة سونغ الجنوبية، كانت هناك بعض الأسر المسلمة تتمتع بالنفوذ التجاري الواسع تمكنت من التأثير في سياسة الحكومة، فوضعت الحكومة قانوناً خاصاً بالمدن الجنوبية المطلة على البحر تشجيعاً للتجارة المتبادلة بين البلاد الإسلامية



شعب هان

والصين لما أعادت التجارة إليها من الدخل المالي الهائل. كما برزت أسرة مسلمة وهي أسرة بوشيوقان التي لعبت دوراً مهماً في إسقاط أسرة سونغ الجنوبية، حيث ساعد المغول على إسقاطها بما في يديها من النفوذ التجاري والإمكانيات المالية الضخمة، وبما كانت تملكه من أسطول تجاري.

ولكن يجب أن نشير هنا إلى أن المسلمين في الصين في عهد أسرتي تانغ وسونغ تجاراً كانوا أم غيرهم كانت نشاطاتهم مقصورة على العاصمة والمدن الجنوبية المطلة على البحر، حتى لا يتوهم البعض أن المسلمين قد انتشروا في كافة أنحاء الصين في ذلك الوقت.



المرحلة الثانية: في عهد أسرة يوان (1206 ـ 1368 مسيحي):

وهو العهد الذهبي لانتشار الإسلام وتوزع المسلمين في كافة أنحاء الصين، بعد أن سحقت قوات المغول البلاد الإسلامية في الغرب، توجهت إلى جنوب الصين قاصدةً إزالة أسرة سونغ الجنوبية، والسيطرة على الصين كلها. لقد تدفق عدد كبير من المسلمين العرب والفرس وسائر القوميات المسلمة في آسيا الوسطى إلى الصين مع قوات المغول. وقد أسهم هؤلاء المسلمون في سيطرة قوات المغول على الصين كلها. وانتهى الأمر بهم إلى أن توزعوا هنا وهناك لحماية الأمن العام أو لاستصلاح الأراضي البور في نظام عسكري. وهذا هو السر في انتشار المسلمين في كافة أنحاء الصين في عهد أسرة يوان. وبفضل هذا الانتشار بث الإسلام أشعته على الصين كلها في نهاية الأمر. فمنذ هذا العهد لم يعتبر هؤلاء المسلمون القادمون أجانب في الصين، ولم يعد الإسلام غريباً لدى الصينيين كما كان الحال في عهد أسرتي تانغ وسونغ، وقد أصبح موضع الاهتمام من قبل الحكام المغول، فتأسست دار القضاء الإسلامي في الحكومة المركزية لأول مرة، على الرغم من أن القضاء الإسلامي كان ساري المفعول في عهد أسرتي تانغ وسونغ، إلا أنه كان ينفذ في منطقة الجاليات الإسلامية فقط، أما في عهد أسرة يوان فقد طبق على



مشايخ (مذهب شيداوتانغ) يتلون القرآن الكريم جماعياً

جميع المسلمين في مختلف أنحاء الصين، كذلك كانت المساجد قليلة ومنحصرة في الأماكن المأهولة بالجاليات الإسلامية في العاصمة والمدن الساحلية في عهد أسرتي تانغ وسونغ، ولكنها انتشرت في كافة أنحاء الصين بانتشار المسلمين فيها. في عهد أسرة يوان كان المغول قد قسموا المجتمع الصيني إلى أربع طبقات، والمسلمون كانوا في الطبقة الثانية بعد المغول مباشرة في المكانة السياسية، وأعلى من الأبناء الصينيين الشماليين والجنوبيين، وكان هناك عدد من المسلمين قد تولوا مقاليد الحكم المركزي والمحلي. كما كانت تخصص بعض المناصب للمسلمين، فلمعت أسماء بعض المسلمين من أمثال السيد شمس الدين واختيار الدين أحمد وماس الدين وبدر الدين وغيرهم كثر، فقد كانوا من الساسة المعروفين آنذاك.

ولم تقتصر نشاطات المسلمين على السياسة فقط، بل عمت المجالات الثقافية والعسكرية والاقتصادية وغيرها، وبرع عدد كبير من المسلمين في جميع هذه المجالات، والبعض الذين لهم تراجم خاصة بهم في تاريخ أسرة يوان كانوا أكثر من ثلاثين شخصاً، والذين ليست لهم تراجم خاصة بهم أكثر من أربعين شخصاً، من أمثال هؤلاء: جمال الدين الفلكي المشهور، اختيار الدين مصمم دادو - عاصمة أسرة يوان (بكين اليوم) - والمشرف على بنائها، وما جيو قاو الشاعر والخطّاط المرموق، وقاو كهقونغ الرسّام المبدع، وغيرهم كثير.



المرحلة الثالثة: عهد أسرتي مينغ (1368/ 1644 مسيحي) وتشينغ (1616/1911 مسيحي).

ظهر بعض الشخصيات البارزة من قومية هوي في هذا العهد، كالبحار تشنغ خه (1371/1435 مسيحي) الذي يتمتع بشهرة عالمية، وهو الذي قام بالإبحار إلى المحيط الهادي والمحيط الهندي سبع مرات على

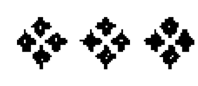
رأس أسطوله الضخم، وزار أكثر من 30 بلداً، وحج بيت الله الحرام.

وهناك لي تشي المفكر الصيني الكبير الذي هاجم سلبيات الكونفوشيوسية بجرأة لا يتمتع بها غيره.

مع ذلك فقد تشدد الحكام على المسلمين في عهد أسرة مينغ، ولم تعد لهم تلك المكانة المرموقة كما هي الحال في عهد أسرة يوان. فمنع الحكام المسلمين من التزاوج فيما بينهم، بل فرضوا عليهم التزاوج مع الصينيات، وكذلك منعوهم من ملابسهم التقليدية ولغاتهم الأصلية وأسمائهم الأجنبية، مما يؤدي إلى إخفائهم لهويتهم المسلمة. لكن ذلك ساعد في عملية التكوين لقومية هوي المسلمة على صورتها الأخيرة. كذلك أغلقت الحكومة بابها على الدول الأخرى خوفاً من مشاغبتها، لذلك تقلصت الاتصالات التجارية والسياسية بين الصين والدول الأخرى على وجه العموم، وبينها وبين البلاد الإسلامية على وجه الخصوص.

لقد حقق مذهب شيداوتانغ في زاوية من شمال غربي الصين المجتمع المثالي الذي كان بغية كونفوشيوس ومنغ تسي.

وانتهى الأمر في نهاية المطاف إلى تصيّن المسلمين، وزوال لغاتهم الأصلية، فصارت اللغة الصينية لغتهم المشتركة ما أدى إلى انقطاع صلتهم بعلومهم الدينية، فالقرآن يتلى ولا يفهم معناه، لقد أثارت هذه الحالة المؤسفة انتباه العلماء المسلمين وآلمتهم وأفزعتهم، ولكنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي، بل شمروا عن سواعدهم وقاموا بالدعوة إلى إحياء العلوم الدينية، فظهرت حركة التأليف والترجمة في العلوم الدينية، وتوالت هذه الحركة لمدة قرن حتى وصلت إلى أوجها في بداية عهد أسرة تشنغ، فظهر عدد من العلماء الكبار، من أمثال وانغ داي يوي، وما جو، وتشانغ جي موي، وليو جي، وما دأ شين وغيرهم. لقد ترك هؤلاء العلماء بصماتهم الخالدة في إحياء تراث المسلمين بعد أن كان على وشك الانقراض، وأعادوا للمسلمين ثقتهم بأنفسهم وبقدرتهم على الوجود والتطور، ولم يكتفوا بالترجمة المجردة، بل قاموا في نفس الوقت بحركة تصيين الإسلام، أي جعله منسجماً مع الثقافة الصينية، كي لا يصطدم مع الثقافة السائدة، بذلك يمكن تجنب الخروج من مسرح الصين كما حدث لبعض الأديان الأخرى بعد أن فشلت في الانسجام مع الثقافة الصينية. هذه الحركة هي حركة شرح تعاليم الإسلام بالثقافة الصينية التي كان عمودها الفقري الثقافة الكونفوشيوسية. لقد وضعت هذه الحركة الأسس النظرية لمذهب شيداوتانغ الذي قام بالتطبيق الفعلي لنموذج الأمة المسلمة المثالية في الصين في نهاية القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين مسيحي، أي في المرحلة الرابعة من تاريخ دخول الإسلام في الصين.



المرحلة الرابعة: العصر الحديث (من 1912 مسيحي إلى الآن).

قام د. سون يي شيان بالثورة على أسرة تشينغ الإمبراطورية التي عانى المسلمون منها، والتي أخمدت ثورات المسلمين بقسوة بعد أن ثاروا عليها بسبب معاملة الحكومة العنصرية. فقد نال المسلمون من قبل الحكومة الجديدة المعاملة الحسنة والمساواة حتى تعد قومية هوي من القوميات الرئيسية الخمس، وهي قوميات هان ومنتسو والمغول وهوي والتبت. ثم قامت جمهورية الصين الشعبية التي رفعت راية حرية الاعتقاد والمساواة بين القوميات في سنة 1949 مسيحي. إلا أنه لم يُطبق ما دعت إليه بأسباب تاريخية في بادئ الأمر حتى تولى الحكم دنغ شيو بينغ الذي قام بالإصلاح والانفتاح في الصين، فنالت جميع القوميات حقوقها.

هذا موجز تاريخ الإسلام في الصين.

مذهب شيداوتانغ

أما مذهب شيداوتانغ وتطبيقه الفعلي لنموذج الأمة المسلمة، فكان في فترة ما بين عام 1891 وعام 1957 مسيحي، أي ابتدأ مع نهاية عهد أسرة تشينغ ومر بعهد حكم حزب الصين الوطني حتى أوائل عهد حكم حزب الصين الشيوعي، لقد أنشأ مجتمعاً إسلامياً في الصين، وطبق فيه شريعة الإسلام لمدة 66 سنة، فلنبدأ الآن بتعريف هذا المذهب.

نشأة مذهب شيداوتانغ

في أواخر القرن التاسع عشر اقتبس ما تسي شي (1857ـ1914 مسيحي) من نور حكمة الرسول ﷺ فأسس به مذهب شيداوتانغ، وشاد صرح الأمة الإسلامية في الصين.

أسس مذهب شيداوتانغ في لينتان (محافظة في مقاطعة قانسو) في سنة 1891 مسيحي في عصر قوانغ شيوي من أسرة تشينغ، وما زال المذهب قائماً حتى اليوم. لقد مضى على تأسيسه أكثر من مئة سنة. أتباع هذا المذهب معظمهم من قومية هوي، والبعض من قوميات سالا ودونغ شيانغ، والبعض الآخر الذين اهتدوا إلى الإسلام من قوميات هان والتبت.



امرأة من شعب باي

لم يكن هذا المذهب مجرد جماعة دينية تقليدية، بل كان مضرب المثل للأمة المسلمة المثالية التي تقوم على أسس العقيدة الإسلامية والجمع بين القوميات المتعددة تحت راية الإسلام، وتجعل منها أمة واحدة بعد أن أزالت ما بينها من الحدود والتعصب والقبلية، وتشيع بينها روح الأخوة والمساواة والتعاون والانسجام وصولاً إلى وحدة لا مثيل لها: وحدة عقدية ووحدة اجتماعية ووحدة اقتصادية، الكل يعمل لمصلحة الأمة ويسعى إلى خدمتها، الكسب جماعي، الاستهلاك جماعي كل بالمساواة بين الأفراد مستهدفين الاهتداء إلى المثل الذي صاغه الرسول ﷺ في المدينة المنورة.

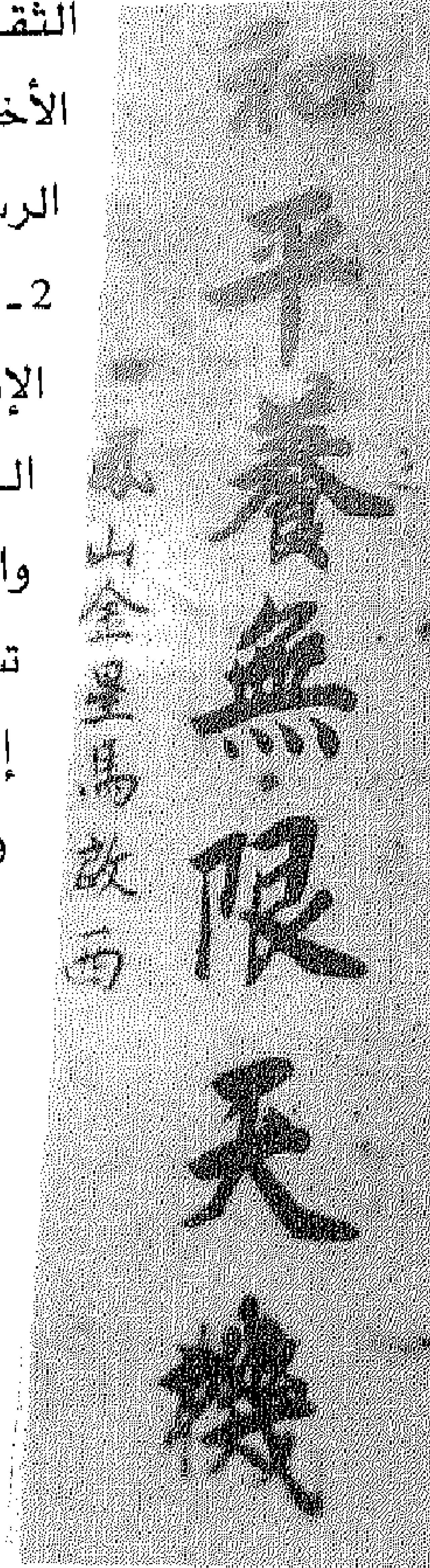
كان بعض أتباع مذهب شيداوتانغ يعيشون بشكل جماعي في مقر المذهب قبل الحكم الشيوعي، كان عددهم أكثر من ألف شخص، ينتسبون إلى أربعمائة أسرة، والبعض يتوزع في بضع عشرة قرية من المحافظة نفسها، وهم كذلك يعيشون بشكل جماعي مطبقين نظام أمة الرسول الذي تمثل في كيان الدولة الإسلامية في عصر النبي ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين. أما معظم أتباعه فكانوا ينتشرون في مقاطعات أخرى كتشينهاي وسيتشوان وشينغانغ ونينشيان، وهم يعيشون بشكل فردي وأسري.

اهتمام العلماء بمذهب شيداوتانغ:

تأثر هذا المذهب بالواقع التاريخي والظروف الاجتماعية والمبادئ الفكرية المحيطة به في بداية تأسيسه، لذا فقد استدعى انتباه الناس بما يتميز به من الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية، بالإضافة إلى ما اتفق به مع المذاهب الإسلامية الأخرى من الالتزام بمبادئ الإسلام وتعاليمه. فقد سارع كثير من العلماء إلى هذا المكان

البعيد وبادروا إلى البحث في حقيقته مكابدين مشقة السفر متجاوزين الجبال والأنهار، وذلك بعدما زاره المؤرخ الكبير قو شيأ قانغ والصحافي المعروف فان تشانغ جيانغ الذي خصص بعض الصفحات من كتابه (الركن الشمالي الغربي من الصين) للتعريف بهذا المذهب حيث قال: «إن هذا المذهب جدير بأن يستأثر ببالغ الاهتمام فلسفياً ودينياً واجتماعياً»، وذلك لأنه «يشدد على أهمية الثقافة» و«يقوم بنشر التعاليم الإسلامية معتمداً على الثقافة الصينية».

عقد المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي في الصين الذي وضع الحد للتيارات اليسارية المتطرفة والذي وضع سياسة معينة في التعامل مع القوميات والأديان المختلفة في الصين في سنة 1978 مسيحي، فتزايد الباحثون وأقبلوا على البحث في هذا المذهب بعد أن كان الحديث عن العقائد الدينية تحت المراقبة والملاحقة. ونتيجة الدراسة والبحث في ارتفاع صيت مذهب شيداوتانغ في الآفاق، وفتح المجال الجديد للبحث العلمي عن الإسلام في الصين، والعمل على البحث عن نموذج يحل المشاكل التي واجهت الأديان في عملية التكيف بينها وبين النظام الاشتراكي في الصين. قال الكاتب المسلم المرموق تشانغ تشنغ تشي عن هذا المذهب في كتابه (هضبات قومية هوي الصفراء): «لقد حقق مذهب شيداوتانغ في زاوية من شمال غربي الصين المجتمع المثالي الذي كان بغية كونفوشيوس ومنغ تسي، من منا يسعى إلى المجتمع المثالي، فإن مذهب شيداو تانغ هو منبع الإلهام في ذلك إلى الأبد».



افسح المجال الواسع لنفسك بإخلاص وتسامح

أهم الأسباب التي استمالت الناس إلى بحثه:

1 ـ نشأة هذا المذهب في الصين، وتركيزه على ضرورة الانسجام بين التعاليم الإسلامية وبين الثقافة الصينية التقليدية، وعمله على ترقية الأخلاق وإحياء الضمائر وتوجيهها إلى هدي الرسولﷺ الذي كان خلقه القرآن.

2 ـ تطبيقه الفعلي في الصين نموذج الأمة الإسلامية المثالية التي شادها النبيﷺ في المدينة المنورة، والتي جمعت الأجناس والقوميات المختلفة، وصاغ منها أمة واحدة تستظل براية الإسلام. وإنشاؤه مجتمعاً إسلامياً ذا طابع صيني يطبق تعاليم الإسلام وقوانينه وأنظمته وآدابه، وهو بذلك يحاول أن يقدم نموذجاً حياً للمجتمع المسلم والأمة الإسلامية .

3 ـ دعوته إلى المساواة بين القوميات المختلفة، وبناء جسور التعاون في ما بينها، والابتعاد عن التعصب والانحياز لشعب دون آخر.

4 ـ قدرته على حل مشكلات أتباعه في ذلك العصر العصيب، فكان أتباعه يعيشون في أمن وسلام وسعادة، لذلك تطورت هذه الأسرة الكبيرة التي تحوي قوميات مختلفة بتأييد أتباعها المخلصين لها وبحماستهم المرتفعة في توسيع دائرتها.

5 ـ قيامه على مبدأ الاقتصاد الجماعي، فالجميع يعملون، ويشتركون في الإنتاج، ويشارك بعضهم بعضاً في السراء والضراء.

6 ـ نشأته في الوقت الذي كان فيه المسلمون يعانون الاضطهاد والتشريد ولا يجدون من يحميهم ويؤمن

لهم سبل العيش الكريم، هذا العصر هو أواخر عهد أسرة تشينغ. يعتبر بعض الباحثين هذا المذهب بمنزلة منظمة اجتماعية اقتصادية دينية، ويرى البعض أنه مذهب ذو طابع جديد، أو هو المجتمع المسلم، أو هو مذهب إسلامي صيني إلخ. وبالنظر إلى هؤلاء وهؤلاء نجد أن كل واحد منهم نظر في هذا المذهب من جانب وأهمل الجوانب الأخرى، فالبعض نظر إليه من الناحية الدينية، والبعض من الناحية الاجتماعية والآخرون من الناحية الاقتصادية، لذلك لم يتمكن أحد من وصفه بجميع جوانبه، وذلك على سبيل المثال: أهل هذا المذهب مخلصون في عملهم، وهذا الإخلاص والاجتهاد ليس دافعهم الإلزام الاجتماعي فحسب وليس مما تفرض عليهم الظروف الاقتصادية، بل هو امتثال لأمر الله تعالى، وتمسك بطاعته أيضاً.

مذهب شيداوتانغ والثقافة الصينية:

لقد دخلت بعض الديانات في الصين، وبقيت فترة قصيرة ثم بادت بعد تصادمها مع الثقافة الصينية التقليدية، وكانت غير قادرة على التفاعل مع البيئة الصينية، كما أنها عارضت حاجة الناس الروحية، فابتعد الناس عنها.

دخل الإسلام الصين، وكان دخوله فيها سبباً مباشراً في نشأة قومية هوي، وبعد نشأتها واجهتها قضية الانتشار والتطور، وهذه القضية لا تحل إلا بالانسجام مع الثقافة الصينية، والاستفادة منها، حتى يتيسر لها القبول والانتشار، ومن ثم تُعدّ له الأرض الخصبة والجوّ المناسب لتطبيق نظام الأمة الإسلامية في الصين.

الاستعداد النظري لتأسيس المذهب:

قبل ثلاثمائة سنة، أي في نهاية عهد أسرة مينغ وبداية عهد أسرة تشينغ، تيقن علماء قومية هوي في الصين بعد معاناة كبيرة بوجوب انسجام الإسلام مع الثقافة الصينية، ليتم له البقاء ويتسنى له الانتشار، فعملوا على إخراج الإسلام من المواقف الحرجة والصعبة. لذلك نشطت حركة الترجمة التي سبق ذكرها. وظهر عدد من أقطاب العلم والفكر في هذه الحركة، وهم تركوا للمسلمين الصينيين كنزاً فكرياً لا ينفد، ومن بينهم العلامة ليو تشي (1664 ـ 1730 مسيحي)، لقد كان لكتبه أثر كبير جداً في قومية هوي، منها: (سيرة سيد الأنبياء) و(الأحكام النبوية) و(روح الإسلام) و(أحكام فرائض الإسلام). هذه الكتب بما حوته من مبادئ الإسلام وروح الدين، أعطت الأمل للمسلمين الذين كانوا يئنون تحت وطأة الحروب ومشاق العيش.

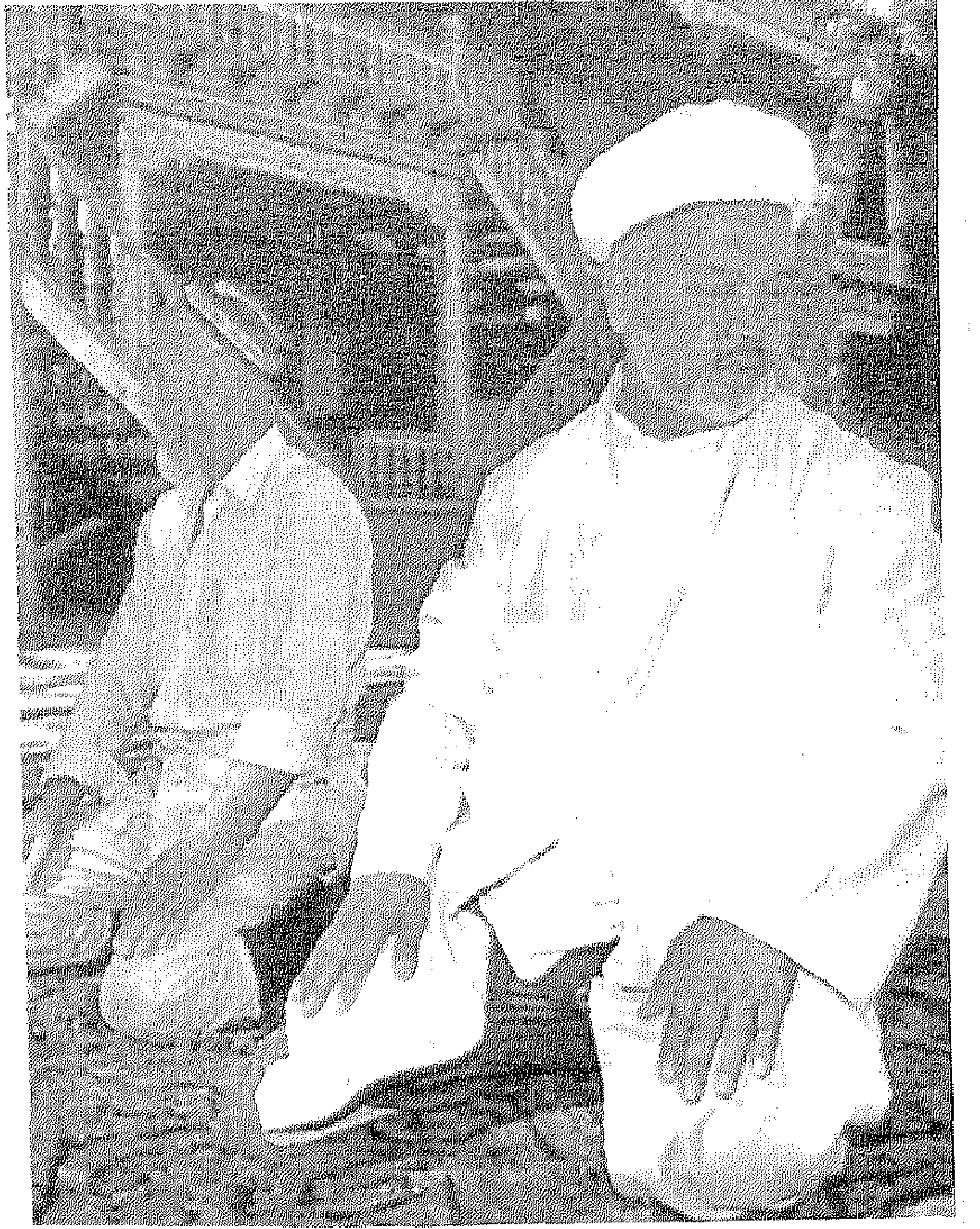


نم موهبتك الكاملة في نفسك بسلام ولطف

دعوة ما تسي شي (1857 ـ 1914مسيحي) مؤسس مذهب شيداو تانغ إلى شرح تعاليم الإسلام ونشرها باللغة الصينية:

بعد أن درس تعاليم الإسلام بالاعتماد على كتب ليو تشي، قال ما تسي شي: «العلم من طريق القراءة موافق لروح القرآن، الأخلاق من طريق التزكية موصلة إلى رب العالمين، ففتح مجلساً في سنة 1891 مسيحي، سماه «جينشينغ» بمعنى النجم الذهبي، بدأ يدرّس كتب ليو تشي.

ألمّ ما تسي شي بالثقافة الصينية على الرغم من كثرة مناهلها ومذاهبها، وبعد بحث عميق توصل إلى أن الفكرة الكونفوشيوسية تتضمن تعاليم



مسلمون من الأوزبك

أخلاقية سامية، إلا أنها تفتقر إلى معرفة الحقيقة الإلهية، وأن فكرة لو تسي أقرب إلى الخيال، أما الدين الإسلامي فهو دين التوحيد، وهو أسمى وأعظم وأشرف. كما أدرك ما تعانيه قومية هوي من البعد عن الثقافة، وخاصة في محافظة لينتان ـ مسقط رأسه، على الرغم من وجود بعض المثقفين فيها فإنهم كانوا يمثلون الطبقة الارستقراطية، ولا يمتّون إلى الجماهير بأية صلة. لذلك أصبحت الدعوة والتعليم أمراً صعباً جداً.

نشأ ما تسي شي في البيئة التي سادت فيها الثقافة الصينية، وتأثر بها كثيراً، هذا يشبه سابقه ليو تشي إلى حد كبير. إنّ فكرة ما تسي شي توافق فكرة ليو تشي موافقة تامة حيث إن كلاً منهما يحتوي فكرة دينية شاملة، ويرتكز على نشر الإسلام وشرح تعاليمه باللغة الصينية، وذلك مع التمسك التام بأساسيات الإسلام من غير أي تعديل أو تغيير.

إن كل عمل عظيم لا بد أن يواجه بمعارضة واضطهاد، فهذه سُنّة الله في الكون. يقول ليو تشي في كتابه (سيرة سيد الأنبياء): «النار مستعرة لاستخلاص الذهب، الافتراء موجود لاستكمال الأخلاق، كلما ازدادت الافتراءات التهاباً ازدادت الأخلاق تألقاً، وإنما وجد المبطلون من أجل رفع شأن أصحاب المبادئ السامية، وعدم وجود الاعتداء على الداعية أو الافتراء عليه يعتبر من نقصان أخلاقه».

قال الشاعر:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت

أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت

ما كان يعرف طيب عرف العود

قال ما تسي شي: «الفضيلة مصحوبة بالافتراء، والشهرة متبوعة بالإفساد، وما زال إلا ليتميز الحق من الباطل». وعندما اشتدت المضايقات عليه وعلى أتباعه، قال لهم: «لقد مر كونفوشيوس بمملكة سونغ متنكراً، وخرج لو تسي من بوابة هانقو راكباً حماره، وسأيمم وجهي شطر مكة لاجتناب هذه المشاغبات». وخرج فعلاً مع بعض أتباعه متوجهين إلى مكة، وذلك في سنة 1905 مسيحي، ولما وصلوا إلى سمرقند، أوقفت مسيرتهم الحروب التي نشبت في آسيا الوسطى، وفي نفس الوقت توفي أحد أتباعه مما اضطرهم إلى الإقامة في سمرقند، فاعتكف ما تسي شي في جبل شيواندو لمدة سنة. كان يفكر أثناء الاعتكاف في ما مضى من الزمن وما مرت عليه من الأحداث، وقام بالتحليل والمقارنة، وانتهى به التفكير إلى أن الطريق الحق هو الطريق الذي سلكه النبيﷺ في دعوته. لما طالت الحروب، رجع من سمرقند، وغير اسم المذهب من «جينشينغ تانغ» إلى «شيداوتانغ» أي «الطريق إلى مكة».

إنشاء ما تسي شي الفعلي للأمة المسلمة الصينية

دعا ما تسي شي في أسرته الكبيرة التي أنشأها إلى العدل، وطاعة الله، والتمسك بسنة النبي ﷺ.

في هذه الأسرة الكبيرة كل واحد يتجه إلى عمله المخصص له، بعد أدائه الصلوات المكتوبة، ويبذل كل جهده من أجل تطوير هذه الأسرة.

كل أفراد الأسرة متمسكون بتعاليم الإسلام في جميع مجالات عملهم، في الزراعة أو الصناعة أو التعليم أو في العلاقة الأسرية بين الأب والابن، وبين الزوج والزوجة، إلخ.

بلغ هذا المذهب في زمن مرشده الثالث ما مينغ ران (1894 ـ 1946 مسيحي) أوج نشاطه، هذا المرشد درس أفكار المؤسس فلخص تجاربه واستقرأ أهداف المذهب وتعاليمه وتنظيماته، يقول «رحمه الله»: «طبقاً للمعتقدات الإسلامية يعمل مذهبنا (شيداوتانغ) على إيضاح أصالة الإسلام، ونشر تعاليم السيد جيه ليان (أي ليو تشي، من مواليد جينلينغ)، ولشريعة الإسلام بثقافة بلادنا. والهدف من ذلك هو إحاطة المواطنين الصينيين علماً بشريعة الإسلام». وليس في الصين مذهب آخر أعلن نشر التعاليم الإسلامية بالثقافة الصينية بوضوح ما عدا مذهب شيداوتانغ، فهو مذهب واقعي، يدعو إلى مواجهة الواقع، ويهتم بالتطبيق والتجريب، قال المؤسس ما تسي شي: «يجب على الإنسان أن يعمل للحياة الخالدة في حياته المحددة، ويعمل على إنجاز الأعمال المحمودة، فالحياة ليست واهية على الرغم من أنها مجرد مزرعة للآخرة، لذلك لا بد من أن نطلب وسائل الحياة باليد والعقل عاملين على إسعاد أنفسنا والناس أجمعين، وأن نستعد ليوم اليقين، راغبين في النعيم المقيم». يعتبر مذهب شيداوتانغ كمنظمة كاملة تقوم بإدارة كل شؤونها الداخلية كالتربية وعقد الزواج والجنازة والإعالة والتكافل، وفي الوقت نفسه أن كل ما تملكه المنظمة هو لكل واحد منها، وهو يصرف في بناء المنظمة وتطويرها، وفي كل الأعمال المتعلقة بالمجتمع.

في عام 1905 مسيحي أنشأ شيداوتانغ التجارة الثابتة والقوافل التجارية المتنقلة، وفتح مركزاً تجارياً في لينتان سماه «تيان شينلونغ» بمعنى «توفيق الله»، وفتح له فروعاً كثيرة خارج لينتان، كما أن قوافله التجارية كانت تجوب مناطق الصين قاطبة، وخاصة المناطق التبتية، لقد وصل رأسمال هذه التجارة إلى مليون «لانغ» فضةً، إلا أنه نهب من قبل أحد العسكريين، وبنى به مجده بعد أن أراق من دماء المسلمين ما أراق، وحدث هذا بعد استشهاد مرشد المذهب الثاني دينغ تشيان قونغ ـ رحمه الله ـ في سنة 1917 مسيحي، وقد مضى على استشهاد المؤسس ما تسي شي ـ رحمه الله ـ ثلاث سنوات.

نشاطات مذهب شيداوتانغ في عهد المرشد الثالث ما مينغ ران (1894 ـ 1946 مسيحي)

وفي بداية عهد المرشد الثالث ما مينغ ران الذي بلغ المذهب في عهده أوج نشاطه كان شيداوتانغ في أصعب الحال، تواجهه مشاكل كثيرة، فعليه أن يستعيد الوضع الاقتصادي السابق، ويطوره، وكان ذلك من طريق تنمية الزراعة، والتحريج، وتربية المواشي، ومن طريق التجارة والتعليم، ليجمع أكبر قدر ممكن من الإمكانات المادية، ولقد كان له ما أراد، فساهم شيداو تانغ في تطوير اقتصاد منطقة قان نان وازدهاره.

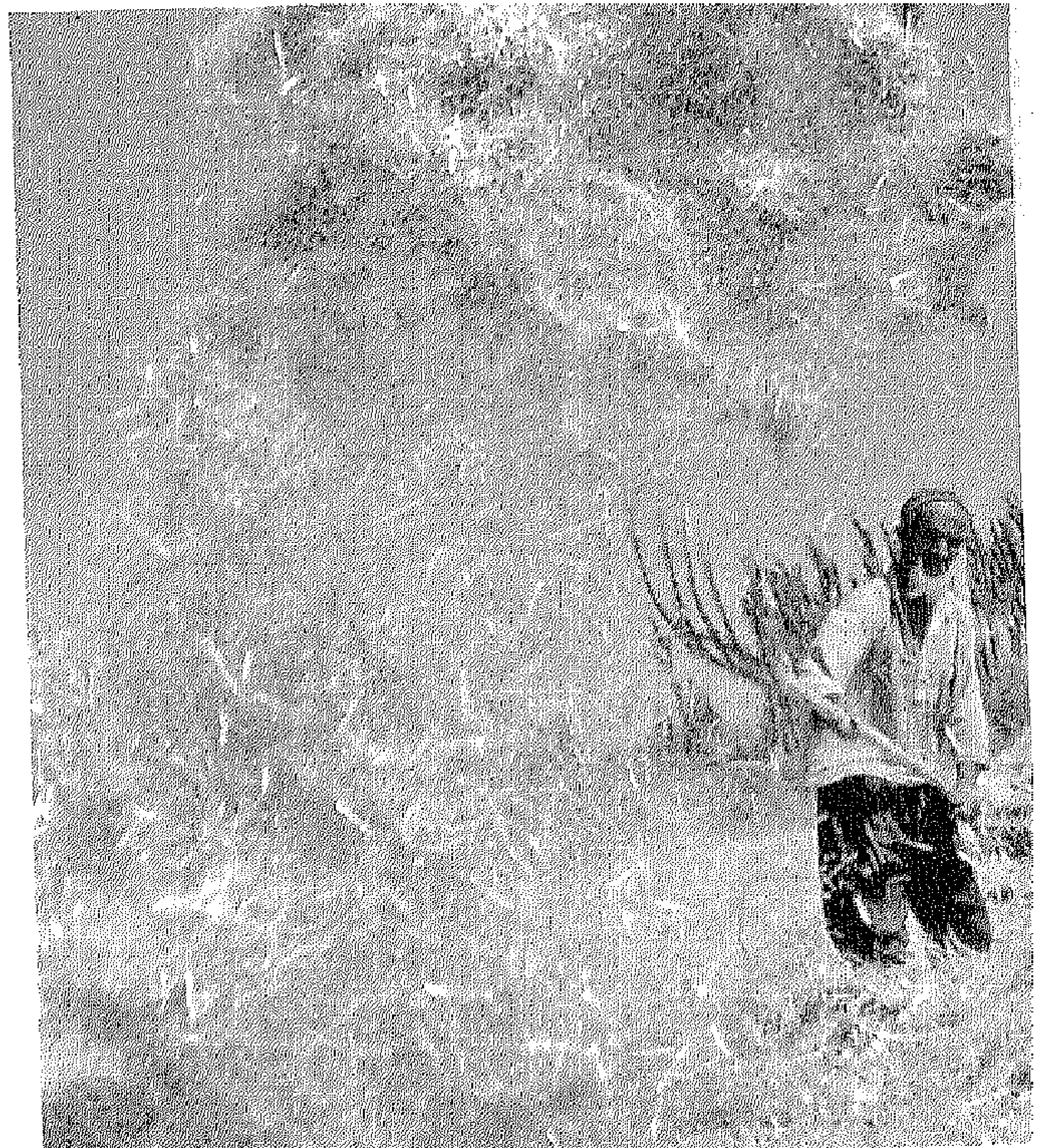
لقد نجح شيداوتانغ في التجارة نجاحاً باهراً، حتى أصبحت مصدر اقتصاده الرئيسي. ويعود نجاحه هذا إلى موقع محافظة لينتان الاستراتيجي، فهي تقع بين ثلاث مقاطعات: قانسو وتشنغهاي وسيتشوانغ، وهي تمثل إحدى الأسواق الأربعة الشهيرة في عهد أسرة مينغ.

لقد كان كل فرد من أفراد قومية هوي تاجراً كما كان فلاحاً في نفس الوقت، هذه الميزة ساعدت شيداوتانغ على توسيع نطاق التجارة لتشمل المناطق المجاورة له.

كما أن معاملة تجاره الحسنة وأمانتهم وصدقهم أدت إلى ازدياد عدد القوافل التجارية حتى وصلت إلى عشرين قافلة بعد وفاة المرشد الثالث،كما بلغ عدد الأبقار 1700 بقرة، وعدد الخيول 200 رأس، ورأسمال 160 ألف يوان فضة .

يقول الصحافي فان تشانغ جيانغ السالف الذكر في كتابه (الركن الشمال الغربي من الصين): «إن نفوذ شيداو تانغ التجاري قد وصل إلى التبت غرباً وسيتشوانغ جنوباً، وتشنغهاي شمالاً، وتشاهار شرقاً، ولا نكون مبالغين إذا قلنا إنه سيطر على التجارة في كل هذه المناطق».

وإلى جانب اهتمام شيداو تانغ بالتجارة، يهتم



فلاح من شعب الويغور

بالزراعة اهتماماً كبيراً، فأنشأ ثلاث عشرة مزرعة، وبلغ عدد الفلاحين ألف شخص، وبلغت مساحة الأراضي الزراعية 7711مو (514 هكتاراً)، وعدد الأبقار 4969، وعدد الخيول 72، وعدد البغال 75، وعدد الحمير 68، وعدد الأبقار الحلوبة 143، وعدد الخراف 2212، وكان ينتج سنوياً مليون كيلوغرام من الزيت. ومما يجدر ذكره هنا أن هذه الأراضي الزراعية هي من أملاك أهل شيداو تانغ الموروثة، وحين انضموا إلى الحياة الجماعية ضموا أملاكهم إلى الجماعة ليشترك الجميع في الزراعة والإنتاج على طريقة جماعية. وتعتبر الحصيلة الزراعية جزءاً من الميزانية الاقتصادية العامة للمذهب بعد أن يترك منها ما يكفي حاجات عمال المزارع سنوياً، وما خسر فيه فهو على حساب الميزانية العامة.

لقد ساهم تطور الزراعة في ازدهار التجارة، كما أن أرباح التجارة شاركت في توسيع المزارع وتطوير الزراعة.

وساعد موقع شيداو تانغ الجغرافي على استصلاح الغابات الكثيفة المتوزعة بين الجبال الشامخة على ضفتي نهر«تو»، وهذه الغابات المتواصلة تغطي محافظات عدة، ومنها جوأني ولينتان وشياخة ولوتسو، وكذلك كفاءة العمال وهمتهم العالية التي سعوا بها إلى خدمة الجماعة من أهم أسباب نجاحه في هذا المجال.

لقد قسمت الأراضي الحرجية المستصلحة إلى مناطق، كل منطقة تختلف عن الأخرى في المساحة وعدد الأشجار. ومن هذه المناطق: منطقة ياجي التي تقع في محافظة لوتسو، وهي تضم جبلاً واحداً فقط، أما منطقة الآليتشي التي تقع في نفس المحافظة فضمت سبعة جبال، ومنطقة باتشو تضم تسعة جبال، ومنطقة لورق وهي إحدى المناطق الكبرى التي تحوي عدداً كبيراً من الأشجار، إلا أن هذه المناطق أصبحت ملكاً للحكومة بعد قيام



نساء من الأوزبك يقمن بإعداد مأكولات شعبية

جمهورية الصين الشعبية، وحاول شيداو تانغ استرجاعها في عهد الإصلاح والانفتاح، إلا أنه لم يتمكن من ذلك حتى الآن.

الثقافة والتعليم في مذهب شيداوتانغ:

لقد ساهمت قومية هوي في بناء الثقافة الصينية مساهمة بالغة في عهد أسرتي يوان ومينغ (1206 ـ 1644 مسيحي)، غير أن أثرها تضاءل يوماً بعد يوم في عهد أسرة تشينغ (1616 ـ 1911 مسيحي) وضعف مستواها الثقافي وأصبحت مكانتها السياسية والاجتماعية في تراجع. لقد أحس علماء قومية هوي بهذه الأزمة، فسارعوا إلى إصلاح العملية التربوية والتعليمية، وأنشأوا مدارس تدرس فيها اللغة الصينية والعربية معاً، وكان ذلك في نهاية أسرة تشينغ. وكان شيداوتانغ في مقدمة هذه الحركة التثقيفية، حتى إن الاهتمام بالتربية والتعليم صار خاصية من خصائص شيداوتانغ، واعتبر أن رفع مستوى قومية هوي الثقافية هو أساس وجودها في المجتمع. فقد أنفق في سبيل ذلك أموالاً وجهوداً كبيرة، وأنشأ مدارس مختلفة المستوى، مثل المدارس القروية والمدرسة الكاملة والمدرسة الثانوية، كما أنشأ مدرسة للطالبات لتخريج نساء صالحات يساعدن في النشاطات الاجتماعية وتربية الأولاد، وإلى جانب اهتمام شيداوتانغ بترقية مستوى ثقافة أهله لم يكن مهملاً لتزكية الروح الدينية، ولم يكن بعيداً من الساحة الإسلامية، بل كان يعيش في وسطها، يشاركها أفراحها وأتراحها، وكان يمد لها يده كلما احتاجت إلى مساعدته، ومن المساعدات التي قدمها المذهب للمسلمين بناء مدرسة لقومية هوي في لانجو عاصمة مقاطعة قانسو.

في عهد المرشد الثالث ما مينغ ران والمرشد الرابع مين جي داو (1882 ـ 1957 مسيحي)، أنشئت مدرسة «بو تسي» في لينتان،كانت هذه المدرسة تقبل



شعب الداي

الأطفال من كل القوميات دون أي تمييز، وتسمح لأطفال العائلات الفقيرة بالدراسة مجاناً، وتدرس فيها المواد المقررة من وزارة التعليم في ذلك العصر، بالإضافة إلى اللغة العربية. ثم يختار بعض الطلبة الممتازين ليدرسوا العلوم الدينية في المسجد الجامع بلينتان والبعض الآخر يلتحقون بالمدارس أو المعاهد الحكومية ثم الجامعات. وفي عام 1943 مسيحي أنشأ ما مينغ ران مدرسة ابتدائية للبنات باعتبار أن تربية المرأة بمنزلة تربية العائلة كلها، تقبل الطالبات من كل القوميات مجاناً، وكل المصاريف على حساب شيداوتانغ. وبإنشاء هذه المدرسة كسرت القيود التي كانت تحظر التعليم على النساء، وأزيحت الأفكار التي كانت تدعو إلى بقاء النساء في بيوتهن والتي تعتبر المرأة الجاهلة هي صاحبة الفضيلة. لقد تحمل شيداوتانغ الأعباء الثقيلة في سبيل النهوض بقومية هوي والمسلمين، ولكنه مع ذلك تعرض لكثير من اللوم من بعض الناس الذين اعتبروا قراءة المرأة للكتب الصينية تجاوزاً للحدود المسموح بها، وخروج المرأة من البيت مخالفاً لتعاليم الإسلام، وذهاب المرأة إلى الدراسة مخالفًا للشرع والأخلاق. ولكن شيداوتانغ لم يُصغِ إليهم وأصر على أن المرأة لها الحق كالرجل في التعلم، وصرح ما مينغ ران بأن مجتمع المستقبل مجتمع تتساوى فيه المرأة مع الرجل، وأن هذا ليس خروجًا عن تعاليم الإسلام، بل هو من صلب تعاليمه، وقال كذلك: «إننا ندعو إلى الإسلام متمسكين بتعاليم القرآن كلها متخذين الكتب الدينية المترجمة واسطة للدراسة والفهم، هذا هو أقرب الطرق».

كان المنهج الدراسي منهجاً تجديدياً يتماشى مع متطلبات العصر، متجاوزاً المنهج القديم الذي يكتفي بتعليم الأولاد القراءة فقط. وكان رفع مستوى الثقافة في قومية هوي متمشيًا مع تطورات الحياة الاجتماعية، ومرتبطاً بتطور الدولة، هذا الارتباط دليل على الوعي العميق لدى المربين، وهو ربط مصير قومية هوي بمصير الدولة، فهو محاولة واعية لإزالة التعصب القومي الذي دعا الإسلام إلى إماطته.

إن ما قام به مذهب شيداوتانغ في سبيل نهضة التعليم وما حققه من إنجازات كبيرة جدير بأن يكون مثالاً يحتذى به لمن أتى بعده حتى يومنا هذا.

أخيراً نتساءل: ما هو السر في نجاح مذهب شيداوتانغ في نشر الثقافة والتعليم؟

الجواب: إن ذلك راجع إلى توكله على الله أولاً،

ثم الإمكانات الاقتصادية الجيدة، والأهم من هذا: روح الأمة الإسلامية التي كانت تغمر أبناء هذا المذهب. وهم كثيراً ما يستدلون في ذلك بالحديث الشريف الذي رواه معاوية - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله عز وجل يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) «البخاري».

مصير مذهب شيداوتانغ في عهد الشيوعية (1958 - 1978 مسيحي):

بعد سنة 1958 مسيحي تعرض شيداوتانغ لما تعرض له المسلمون خاصة، وأصحاب جميع الأديان عامة، من اضطهاد التيارات اليسارية المتطرفة وتدميرها باعتبار الأديان أفيون الشعب، وهي مجرد خرافات، فلا قيمة لوجودها. فصودرت جميع ممتلكات شيداوتانغ بعد وفاة المرشد الرابع للمذهب، وشُرد أهله الذين كانوا يعيشون جماعياً، فصاروا لاجئين مشردين لا يملكون كسرة الخبز بين ليلة وضحاها.

نشاطات مذهب شيداوتانغ في عصر الإصلاح والانفتاح (1978 مسيحي إلى الآن):

هكذا مضى شيداوتانغ لمدة عشرين سنة، حتى تولى حكم الصين دنغ شيو بينغ في سنة 1978 مسيحي، فبدأ يعدل ويقوّم التيارات اليسارية المتطرفة ونجح في ما أراد، فسارت المياه في مجاريها. فتنفس شيداوتانغ الصعداء، وتحمل مرشده الخامس مين شنغ قوانغ على عاتقه مهمة النهضة بالمذهب، فسعى أولا إلى استرجاع الممتلكات المصادرة، واستطاع أن يستعيد البعض منها، ثم يجمع أتباعه حوله، وبدأ ينظم المراكز والقوافل التجارية من جديد، فتخلص أتباعه من الفقر في سنوات قلائل.

ولم تعد الحياة الجماعية موجودة الآن، إلا أن أهل شيداوتانغ يلتفون حول مرشدهم، يتعاونون في ما بينهم، وأعادوا سيرتهم الأولى، حينما تيسرت لهم الظروف الاقتصادية، بادروا إلى إعادة بناء المسجد والمدرسة وبنوا روضة للأطفال حاملة اسم روضة الهلال الأحمر ومستشفى سمي مستشفى الهلال الأحمر.

كما استضاف شيداوتانغ الوفود الكثيرة من الباحثين والعلماء، وهم كذلك أنجزوا إنجازات كثيرة في حقل بحوثهم، مما أثار حماسة الناس في استزادة المعرفة عن مذهب شيداوتانغ، حتى زاره بعض العلماء من أميركا، وكتب بلغتهم عنه، ولكنه لا يزال مجهولاً بالنسبة إلى الأوساط العربية، وقد حاولت أن ألقي لمحة عن هذا المذهب الذي طبق نموذج الأمة الإسلامية في الصين بالفعل، لعل الاهتمام به من الجوانب المتعددة يساعده على إعادته إلى سيرته الماضية المشرقة.

«ان نفوذ شيداوتانغ التجاري قد وصل الى التبت غرباً وسيتشوانغ جنوباً، وتشنغهاي شمالاً، وتشاهار شرقاً»

المصادر والمراجع:

1 - «الإسلام في الصين» المؤلف: إبراهيم فنغ جين يوان، المترجم: محمود يوسف لي هواين.

2 - «تأثير الأمة الإسلامية في مذهب شيداوتانغ في التاريخ» المؤلف: محمد نور الدين مينشانغ قوانغ.

3 - «المذاهب الإسلامية في الصين» ما تونغ.

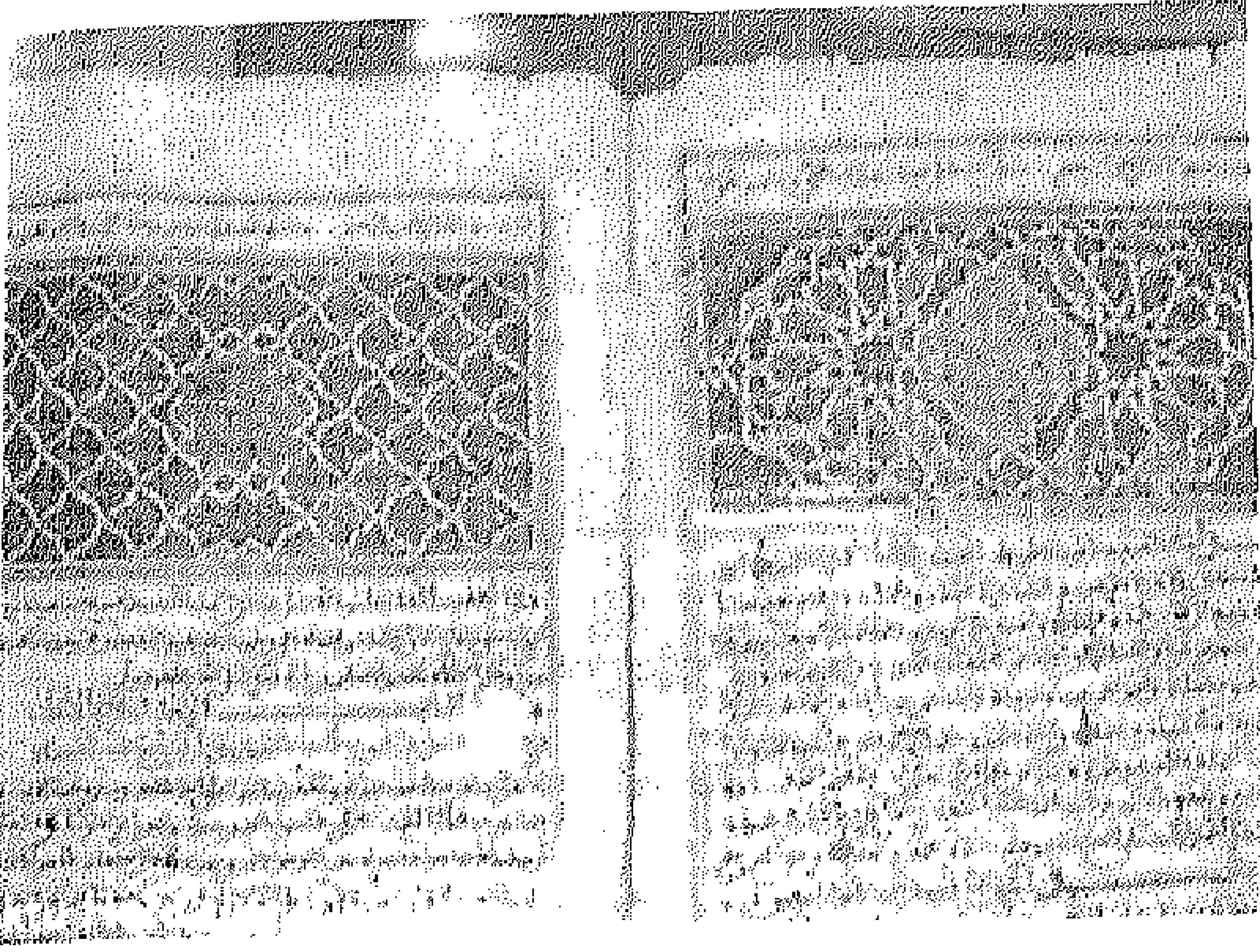
إسهام الأفارقة في الثقافة العربية ـ الإسلامية

(غرب إفريقيا نموذجًا)

إعداد : علي يعقوب *

ليس من الصعب أن نحدد متى بدأت اللغة العربية تنتشر في افريقيا، وبخاصة في غربها، وتذكر بعض المصادر أن تجار المغرب ومصر كانوا يترددون على الأسواق الرئيسية في افريقيا، وذلك في العقود الأخيرة للقرن السابع مسيحي، الموافق القرن الأول الهجري، ومن الطبيعي أن ينقل هؤلاء التجار لغتهم إلى القارة، وهذا ما كان في غربها، وأما شرقها وبخاصة الحبشة وما جاورها من البلدان مثل جيبوتي والصومال فقد عرف سكان تلك البلدان اللغة العربية منذ قرون قبل البعثة المحمدية، لصلتهم بأرض الحجاز واليمن، ولكن الذي نستطيع أن نؤكده أن انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية في افريقيا واكب انتشار الإسلام، فهما متلازمان حيثما دخل الإسلام تدخل معه اللغة العربية، ولا يكاد الإسلام يستقر في مدينة أو قرية حتى يفتح الدعاة أو التجار مدرسة لتعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين واللغة العربية التي لا يُفهم الإسلام فهمًا صحيحًا من دونها.

وكذلك كان للحج دور كبير في نقل اللغة العربية



والثقافة الإسلامية إلى القارة، وذلك من طريق جلب الكتب، وكان بعض الحجاج يبقى في الحجاز بعد الحج للدراسة، وتحصيل المعرفة والعلم، ثم يرجع إلى بلده لنشر العلم الذي حصل عليه في الحجاز، وكان بعض الأمراء والملوك عندما يحج يدعوا إلى بلده علماء لتعليم الإسلام واللغة العربية، وهؤلاء كانوا يجلبون معهم كتبًا في الفنون الإسلامية والعربية، وبهذا التواصل وصلت كتب كثيرة إلى أرض إفريقيا، وبخاصة غربها، مما ساعد على انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وأصبحت اللغة العربية هي لغة

* أستاذ جامعي / النيجر



الدين والثقافة والحياة الإدارية، وأصبح الحرف العربي هو الحرف الذي يكتب به أشهر اللغات الإفريقية؛ مثل الهوسا والفلانية والسواحلية والولفية، وأصبحت المنطقة مع انتشار الإسلام ولغته عظيمة الحضارة والتقدم، «وسرعان ما شكّل الإسلام عادات السكان وطور أحوالهم، حتى صار مستوى التفكير والثقافة يقارن بنظائره أو يفوقه في الدول المعاصرة لها في تلك الفترة في أوروبا»[1].

إسهام الأفارقة في الثقافة العربية والإسلامية :

وقد كان للممالك والعواصم والمراكز العلمية التي ذاع صيتها في غرب افريقيا مثل: تمبكتو وجني وأغاديس وكانو وكاتشنا، الفضل العظيم في نشر الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة، وقد وصلت الثقافة العربية الإسلامية إلى ذروة ازدهارها في القرنين الخامس عشر والسادس عشر مسيحي، وذلك في عهد امبراطورية سنغي الإسلامية، التي اشتهرت بكثرة علمائها، وإنتاجاتهم العلمية التي ساهمت مساهمة فعالة في نشر الثقافة الإسلامية في غرب القارة وخارجها، وقد عرفت مدينة تمبكتو ـ العاصمة الثقافية لإمبراطورية سنغي ـ بالعديد من مشاهير العلماء الذين ألفوا في شتى الفنون الدينية واللغوية والتاريخية، ومن أشهر علمائها الشيخ أحمد بابا التمبكتي. ولم يحظ عالم في تمبكتو بمثل سعة علمه وشهرته، وكان عالما موسوعيًا، مؤرخًا، عالمًا في الشريعة، كما كان من المتبحرين في اللغة العربية وآدابها. ويذكر مترجموه أنه ألّف ما يزيد على أربعين كتابًا[2]، وقد درّس في دولة سنغي وخارجها، وذلك في مدينة مراكش المغربية لَمّا نُفي إليها. وحضر دروسه مئات من طلاب العلم في مراكش وخارجها.

1ـ إبراهيم طرخان، الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، مجلة أم درمان، العدد الثاني، عام 1968 مسيحي، ص: 19.

2 ـ انظر «فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور»، للولاتي، ص: 36، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1991 مسيحي.



من مخطوطات التراث العربي

ومن أشهر مؤلفاته: كتاب «نيل الابتهاج بتطريز الديباج»، الذي ذيّل به كتاب ابن فرحون المالكي (الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب)، وله شرح على مختصر خليل، و«كفاية المحتاج»، و«معراج الصعود» وغيرها من الكتب.

ومن العلماء الذين ساهموا في نشر الثقافة العربية في السودان الغربي في عهد إمبراطورية سنغي المؤرخ المشهور الشيخ محمود بن كعت الكرمني صاحب كتاب «تاريخ الفتاش»، وهو كتاب يؤرخ لدولة سنغي والدول التي قبلها مثل دولة مالي، وكان المؤلف من وزراء الحاج أسكيا محمد توري، ومن الذين صاحبوه في رحلته المشهورة إلى الحج. ويُذكر أيضًا الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله السعدي صاحب «تاريخ السودان».

وقد امتدت دولة سنغي في أوج اتساعها إلى منطقة آير في النيجر، ومن أشهر مدن آير في تلك الفترة مدينة أغاديس وتيجدا، وقد أسهمتا في ازدهار الثقافة العربية الإسلامية في منطقة آير وخارجها إسهامًا بارزًا، وذلك بكثرة علمائها، وإنتاجاتهم العلمية، وقد بدأت النهضة العلمية في آير بمجيء الشيخ عبدالكريم المغيلي إليها عام 1479 مسيحي، وافتتاحه مدرسة قرآنية للصغار، وأخرى للكبار لتعليم علوم الدين والعربية، وبقي فيها فترة قبل مواصلة رحلته إلى كاتشنا وكانو، وقد تتلمذ على يديه كثيرون، ومن أشهر طلابه الذين برزوا وساهموا في نشر الثقافة العربية الإسلامية، الشيخ العاقب بن عبدالله الأنسمني الأغدسي، وقد ترجم له الشيخ أحمد بابا التمبكتي في «نيل الابتهاج» فقال: «فقيه نبيه ذكي الفهم حاد الذهن وقّاد الخاطر، مشتغل بالعلم، في لسانه حدة، له تعاليق من أحسنها تعليقه على قول خليل «وخصصت نية الحالف»[3]. وقد اختصر الشيخ أحمد بابا هذا التعليق وسماه «تنبيه الواقف على تحرير وخصصت نية الحالف»، وله جزء بعنوان: «وجوب الجمعة بقرية أنوسامان»[4]، وألفه في الرد على الذين يرون أن قرية أنوماسان لا تصح إقامة الجمعة فيها مع العدد الموجود في القرية، وقال الشيخ أحمد بابا: «فأرسلوه - أي الكتاب - إلى علماء مصر فصوبوه»[5] أي صوبوا الشيخ العاقب في ما ذهب إليه في جواز إقامة الجمعة في قرية أنوسامان. ومن إنتاجاته العلمية أيضًا: «الجواب المحدود عن أسئلة القاضي محمود»، وله أيضًا «أجوبة الفقير عن أسئلة الأمير»، وقد أجاب فيها عن أسئلة السلطان الحاج أسكيا محمد ، وهذه المعلومات القليلة عن شخص العاقب تشهد له بالمكانة التي كانت له لدى العلماء ورجال السياسة في عصره. ومن علماء آير الذين ساهموا مساهمة فعالة في نشر الثقافة العربية

3 - انظر «نيل الابتهاج بهامش الديباج المذهب»، ص:217، دار الكتب العلمية - أغاديس.

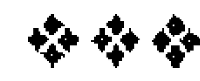
4 - وهي قرية تقع بالقرب من مدينة تيجدا في شمال غربي مدينة أغاديس.

5 - أحمد بابا، «نيل الابتهاج» ص: 218.

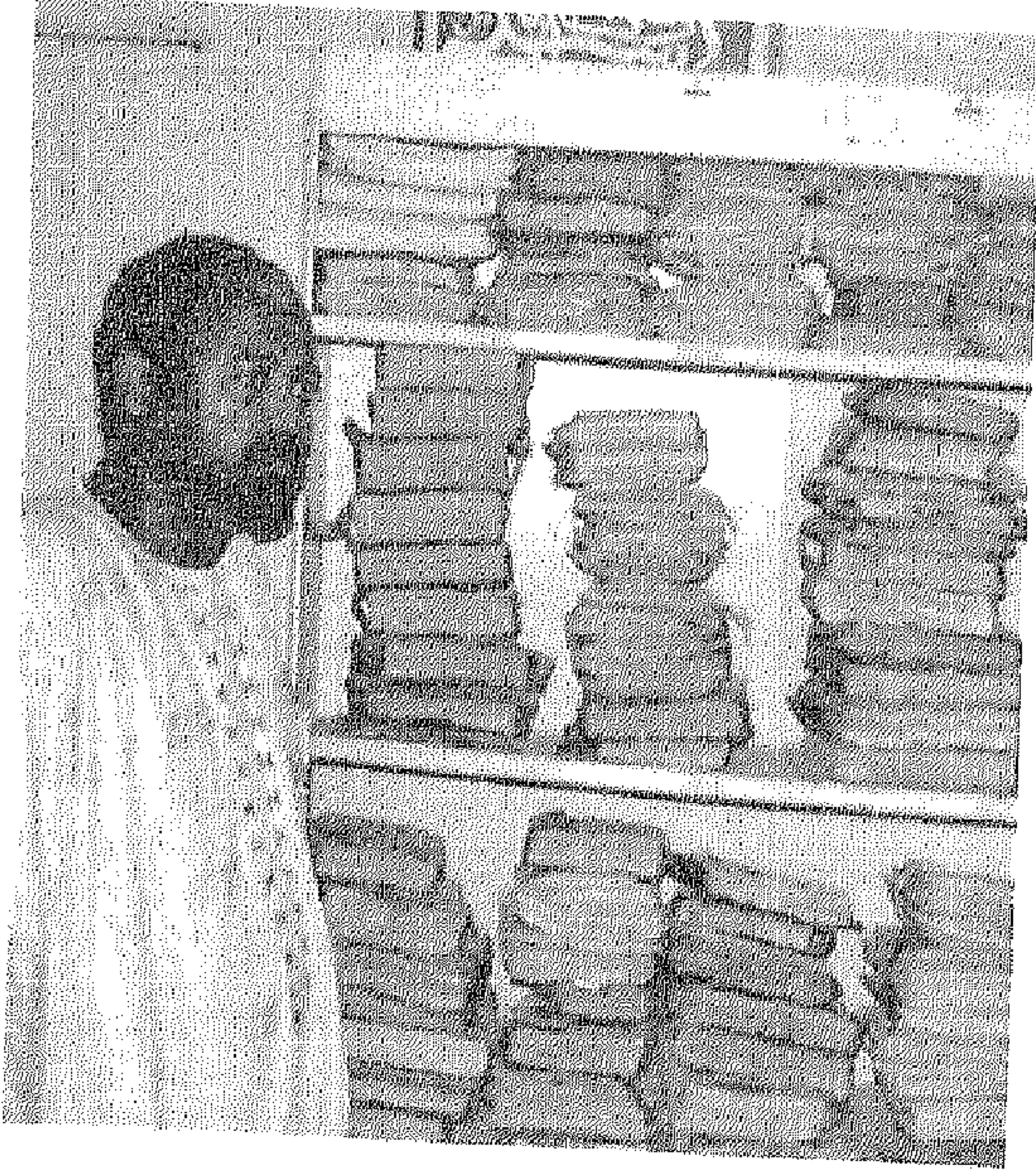
والإسلامية في تلك الفترة الشيخ شمس الدين النجيب ابن محمد التيجداواي، وقال أحمد بابا التمبكتي عنه: «أحد شيوخ العصر، معه فقه وصلاح، شرح مختصر خليل بشرحين: كبير في أربعة أسفار، وصغير في سفرين»[6]، وله تعليق على كتاب (المعجزات الكبرى) للإمام السيوطي، وشرح العشرينيات للفازازي، وله أيضًا «الطريقة المثلى إلى الوسيلة العظمى».



ومن العلماء الأفارقة الذين لهم إسهامات في الثقافة العربية الإسلامية: الشيخ أحمد فرتو البرنوي، الذي كان معاصرًا للسلطان إدريس ألوما سلطان إمبراطورية البرنو من عام 1570 ـ 1603 مسيحي، وكان الشيخ أحمد فرتو حافظ سره وإمامه في الصلاة، وله كتاب في تاريخ البرنو، وكتاب آخر في حروب سلطان إدريس ألوما وسيرته والكتابان يعتبران مصدرين مهمين عن إمبراطورية كانم برنو في القرن السادس عشر المسيحي، وقد تُرجِم الكتابان إلى الإنجليزية من جانب رتشمون بالمر R.M. PALMER ونشر عام 1926 مسيحي[7].



ومن أشهر علماء السودان الغربي في القرن الثامن عشر المسيحي على الصعيد العالمي الشيخ محمد الكنساوي المتوفى بالقاهرة عام 1742 مسيحي. وقد اشتهر هذا العالم عند علماء الشرق بفضل السيرة التي كتبها عنه عبدالرحمن الجبرتي في كتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار»، «وحج سنة 1142/1729 مسيحي، وجاور مكة، وابتدأ هناك بتأليف «الدر المنظوم وخلاصة السر المكتوم في علم الطلاسم



والنجوم»، وهو كتاب حافل.. ومن كتبه: «بهجة الرفاق وإيضاح اللبس والإغلاق في علم الحروف والأوفاق»، وله منظومة في علم المنطق سماها (منح القدوس)، وشرحها شرحًا عظيمًا أسماه «إزالة العبوس عن وجه منح القدوس»، ومنها ـ أي مؤلفاته ـ «بلوغ الأرب من كلام العرب» في علم النحو، وله غير ذلك»[8]، وقد تلقى حسن الجبرتي علومًا مختلفة من محمد الكسناوي، وترجمة ابنه للشيخ محمد الكسناوي تعكس لنا جليًا مكانة هذا العالم الجليل.



وإذا انتقلنا إلى دولة الشيخ عثمان بن فودي في القرن التاسع عشر المسيحي في شمال نيجيريا والدول المجاورة، نجد أن إسهام الأفارقة قد بلغ ذروته من حيث التأليف والتدريس، والجهاد لإعلاء كلمة الله، ففي مجال التأليف نجد أن مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي قد تصل إلى مائة مؤلف، ما بين كتاب ومقالة، ومن أشهرها كتاب: «إحياء السنة وإخماد البدعة».

6 ـ أحمد بابا، المصدر السابق، ص: 348.

7 ـ «الحضارة الإسلامية في النيجر»، من منشورات الإيسسكو عام 1994 مسيحي، ص:105.

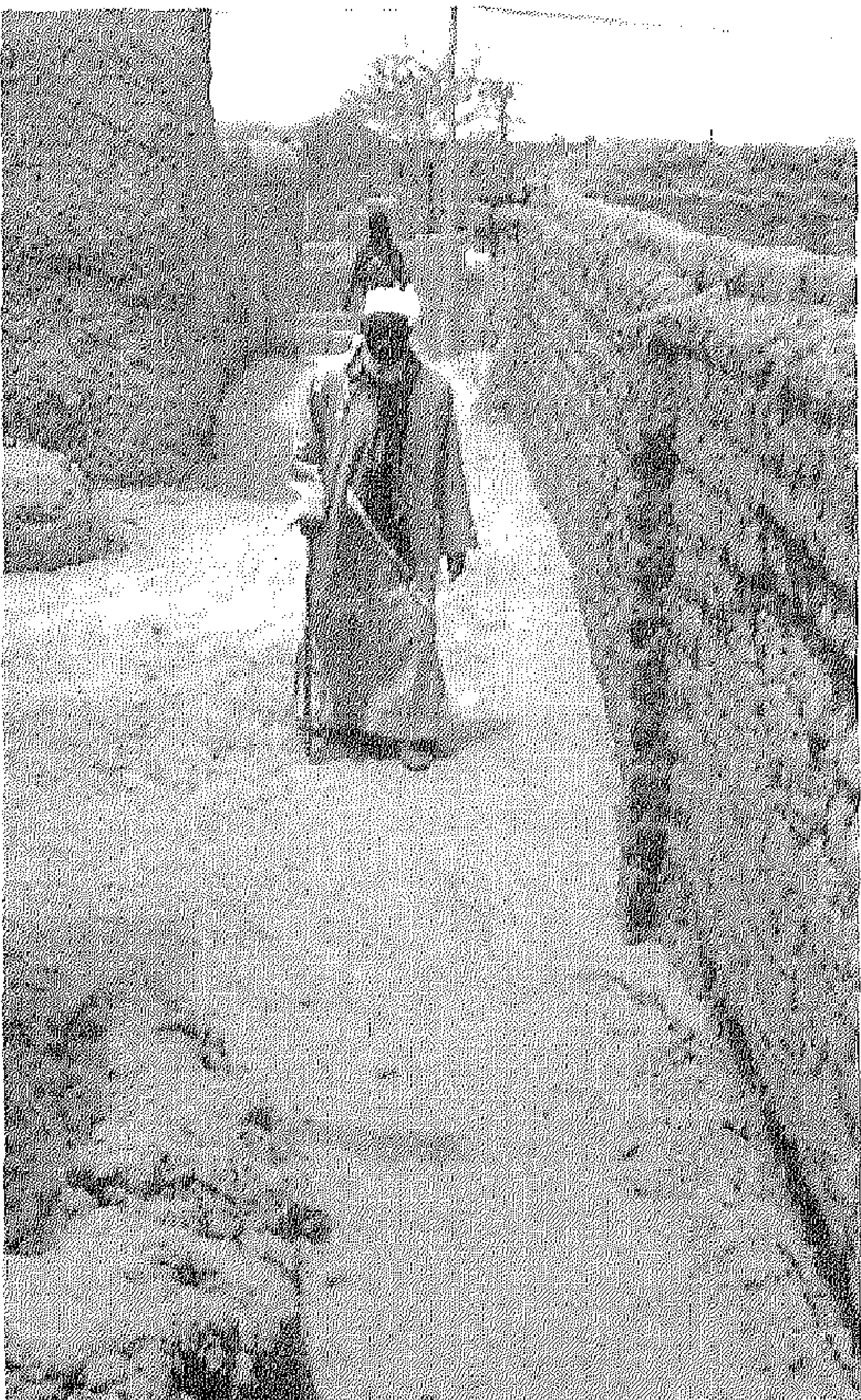
8 ـ انظر «تاريخ الجبرتي»، ص: 160.

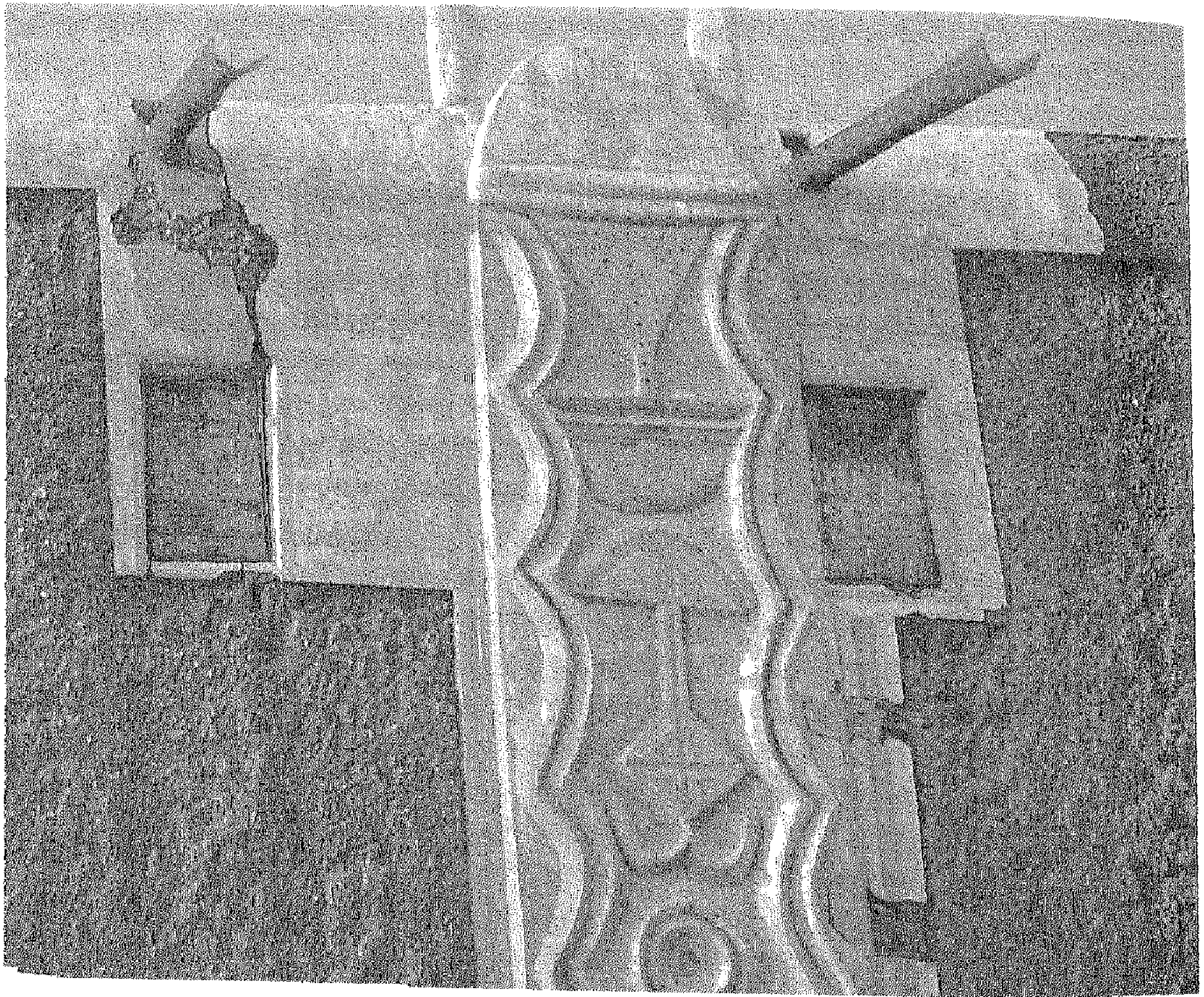
وإذا نظرنا إلى علامة السودان، أو عربي السودان، أو نادرة السودان الشيخ عبدالله بن فودي شقيق الشيخ عثمان بن فودي، نجد له مؤلفات عدة في المجال الشرعي والأدبي ومنها: (ضياء التأويل في معاني التنزيل) وهو كتاب في تفسير القرآن الكريم، وله أيضًا: (مفتاح التفسير) وهو منظومة تزيد على سبعمائة بيت نظم فيها علوم القرآن من كتابي (الاتقان في علوم القرآن والنقاية للسيوطي، وله في مجال النحو: (البحر المحيط) وهو منظومة في أربعة آلاف وأربعمائة بيت، نظم فيها (جمع الجوامع وهمع الهوامع) للسيوطي، وفي الصرف له: (الحصن الرصين) وهو منظومة في ألف بيت، وله ديوان شعري مشهور وهو: تزيين الورقات لما لي من الأبيات.

وكذلك الشيخ محمد بلو بن عثمان بن فودي له مؤلفات عدة، ومن أشهرها «إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور»، الذي يعتبر من المراجع الأساسية لتاريخ الوجود العثماني، وأهم علماء تلك الفترة وما قبلها.



ومن الذين ساهموا في الثقافة العربية الإسلامية في منتصف القرن التاسع عشر مسيحي الشيخ عمر بن سعيد تال الفوتي (ت 1865 مسيحي)، وقد ولد الشيخ عمر تال في قرية حَلْوار بالقرب من بودور (PODOR) على الحدود السنغالية ـ الموريتانية في عام 1797 مسيحي، ودرس اللغة العربية وعلوم الدين عند والده، فحفظ القرآن الكريم، ودرس صحيح مسلم وصحيح البخاري، ثم ترك حَلْوار لطلب العلم في فُوتَاتُورُو ثم فُوتَاجَلُون. وفي عام 1826 مسيحي قام الحاج عمر برحلة إلى بيت الله الحرام ومر في طريقه إلى الحج بمدينة (حمدالله) عاصمة دولة ماسينا الإسلامية، ثم واصل إلى سكت عاصمة دولة عثمان بن فودي، وقضى فيها سبعة أشهر ثم غادرها إلى فزان في ليبيا، ثم مصر، ثم أخيرًا وصل إلى مكة المكرمة عام 1828 مسيحي، وقد مكث عند عودته من الحج في القاهرة بعض الوقت للدراسة في الأزهر، وفي طريق عودته عرّج على برنو ومكث فيها مدة للتدريس، ثم ذهب إلى سكت، ثم إلى ماسينا بعد وفاة الخليفة محمد بلو عام 1838 مسيحي، وقد لعب الشيخ عمر بن سعيد الفوتي دورًا مهمًا في نشر الطريقة التيجانية في السودان الغربي، واستطاع بعد عودته إلى فوتاجلون أن يقيم دولة إسلامية مترامية الأطراف، تحكمها الشريعة الإسلامية، ولغتها الرسمية اللغة العربية، وللشيخ عمر بن سعيد تال الفوتي مؤلفات عدة ومن أشهرها كتاب (الرماح حزب الرحيم في نحور حزب الرجيم) ويعتبر مرجعًا مهمًا لمريد الطريقة التجانية، وله أيضًا: (منظومة في إصلاح ذات البين)، و(منظومة سفينة السعادة)، وغير ذلك من الكتب.





ومنهم - أي العلماء - الشيخ أحمد حمد لَبّو الماسني، مؤسس الدولة الإسلامية في ماسينا - مالي - وكانت له جهود في نشر المدارس القرآنية في منطقة ماسينا وما جاورها، حيث جعل تعليم القرآن الكريم واجبًا إلزاميًا على كل صبي بلغ السابعة من عمره، وارتفعت بسبب ذلك نسبة الحفاظ وعلماء الفقه واللغة العربية وآدابها بين مختلف طبقات المجتمع، وكان للشيخ أحمد نفسه حلقة تفسير في المسجد الجامع.

وتقدر بعض المصادر التاريخية عدد العلماء والفقهاء المشهورين في دولة ماسينا بنيف وثلاثمائة عالم»[9]، ولكن وللأسف الشديد فإن إنتاجاتهم العلمية والأدبية قد اندثرت بفعل الحرب الأهلية التي نشبت بين حفيد أحمد لبو الشيخ أحمد أحمد أحمد لبو، والشيخ عمر تال والبكائي الكنتي.

ومنهم الشيخ عبدالقادر كُنْ (1728- 1810مسيحي) مؤسس الدولة الإمامية في حوض السنغال، وكان للشيخ عبدالقادر كن دور كبير في إنعاش الثقافة الإسلامية ونشرها في منطقة فوتاتورو «وكان أول عمل قام به لإصلاح وإنعاش الحركة الثقافية أن أقدم على بناء أربعين مسجدًا جامعًا في طول البلاد وعرضها، وعين في كل مسجد إمامًا راتبًا، ويتولى القضاء في الوقت نفسه، وفي كل مسجد حلقات لدراسة القرآن الكريم والدين واللغويات.. ولقد شجع العلماء، وأولي العلم بالاهتمام»[10]، وتعهد بنمو الحركة الثقافية في منطقة فوتاتورو وما جاورها حتى وصل بلد فوتا في

9- عثمان بريما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإسلامي، ط1، 2001 مسيحي، ص: 118.

10- عمر باه، الثقافة العربية والإسلامية في القرن الإفريقي، ط1، 1993مسيحي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص: 139.



عهده إلى مستوى انتزع قيادة الحركة الثقافية الإسلامية من حوض النيجر، وقد استمرت الدولة الإمامية في عطائها الثقافي حتى جاء الاستعمار الفرنسي وقضى عليها.



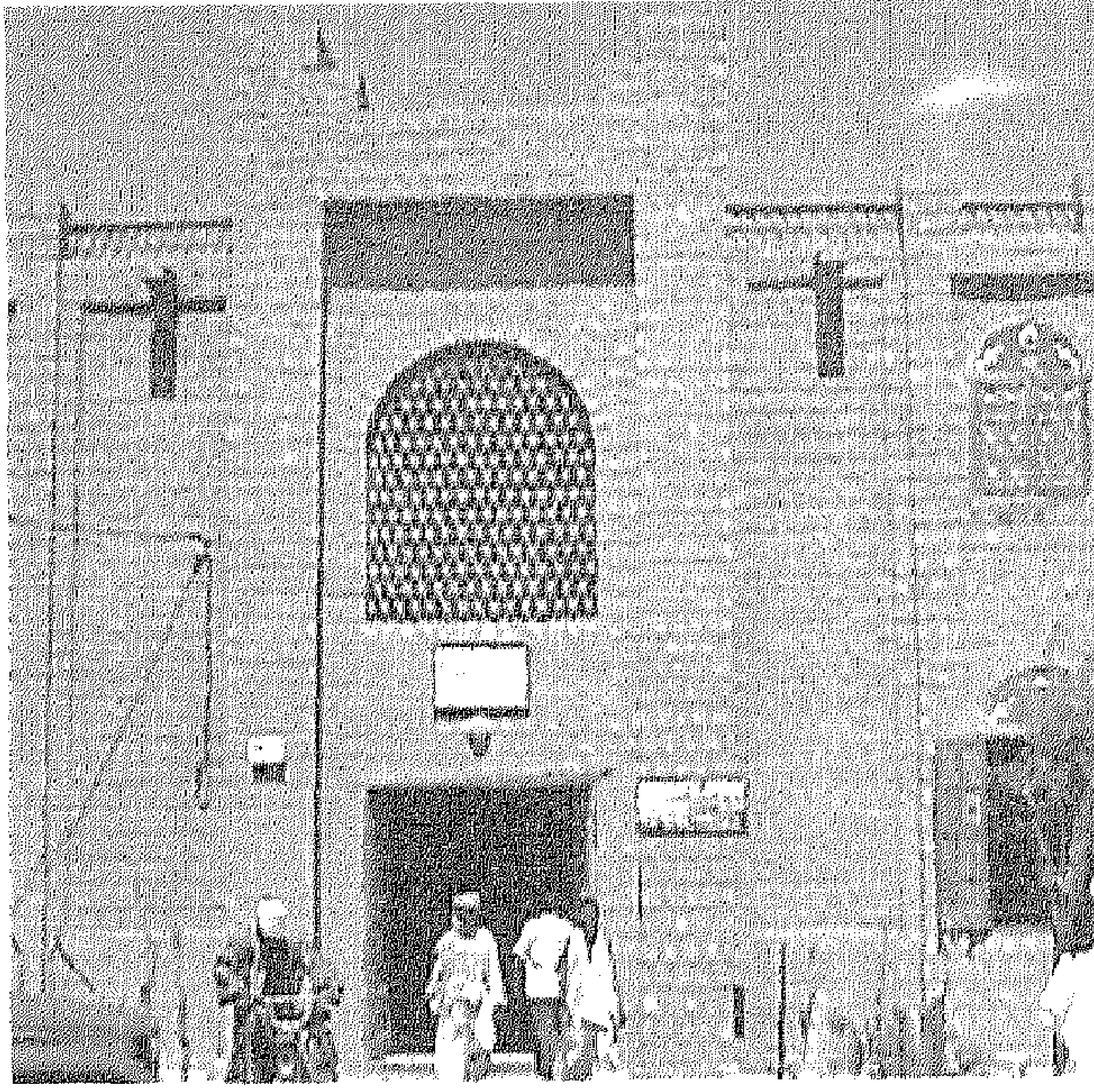
وكذلك لعبت قبائل كنته العربية في صحراء مالي والنيجر دوراً مهماً في نشر الثقافة العربية الإسلامية في الصحراء وما جاورها، وذلك على يدي الشيخ سيدي المختار الكبير (1729ـ 1811 مسيحي) وذريته من بعده، وكذلك كان له دور في نشر الطريقة القادرية في الصحراء والبلدان المجاورة، وكانت خيام الشيخ المتنقلة في الصحراء قبلة طلاب العلم، يتوافدون عليها من جميع أنحاء الصحراء لينهلوا من معينه الذي لا ينضب. وللشيخ سيدي المختار الكبير نتاجات علمية كثيرة في الفنون الشرعية واللغوية، حتى قال البعض إنه ألف من الكتب عدداً يساوي سني حياته أربع وثمانين سنة، في حين ينسب له آخرون 312 مؤلفاً[11]، ومن مؤلفاته: تفسير البسملة، وهداية الطالب، فتح الودود في شرح المقصود والمدود لابن مالك، وغير ذلك من المؤلفات.

ومنهم الشيخ المحدث الحافظ صالح بن محمد الفلاني، وهو من العلماء الأفارقة الذين اشتهروا في خارج القارة، لأن مساهماتهم الثقافية كانت في خارج القارة، وقد ولد الشيخ صالح الفلاني بإقليم فوتا جلون ـ غينيا ـ عام 1166 مسيحي، ونشأ بها وأخذ العلم عن علمائها، ثم ارتحل لطلب المزيد من العلم وعمره اثنا عشر عاماً، فدخل مدينة تمبكتو ومكث فيها فترة ثم ارتحل إلى الصحراء فمكث عند الشيخ محمد بن سنة عالم الصحراء في وقته، ومكث عنده ست سنوات، ثم ارتحل إلى المغرب، ودخل مراكش، ومكث فيها ستة أشهر، ثم ارتحل إلى تونس وأخذ عن علمائها، ثم

11 ـ بول مارتي، من عرب مالي والنيجر كنته الشرقيون، تعريب محمد محمود ولد دادا، طبع بدمشق، بدون تاريخ، ص: 53.

ارتحل إلى مصر، وبقي فيها مدة يدرس على شيخ من شيوخها يسمى الشيخ علي الصعيدي أبو الحسن، وكذلك درس على الشيخ الحافظ مرتضى الزبيدي صاحب (تاج العروس)، ثم ارتحل إلى المدينة المنورة التي استقر فيها بعد أداء فريضة الحج إلى وفاته عام 1218 مسيحي، وعقد الشيخ صالح حلقة علمية في المسجد النبوي الشريف، وتوافد عليه طلاب العلم، وبخاصة طلاب الحديث النبوي وعلومه، وحصل على شهرة في عصره حتى عده بعض العلماء من مجددي القرن الثالث عشر الهجري[12]، وقل أن تخلو بلدة من بلاد الإسلام في وقته إلا وله فيها عدد من الطلاب، وبخاصة من لهم الاعتناء بعلم الحديث، ومن أشهر تلاميذه في الهند - باكستان - الشيخ محمد عابد السندي، وفي مصر الشيخ علي بن عبدالبر الوناني، وفي بلاد شنقيط الشيخ عبدالرحمن بن أحمد الشنقيطي، وفي الشام أحمد بن عبداللطيف، وفي تركيا الشيخ محمد الكردي، وغيرهم[13]. ومن أهم مؤلفاته: (إيقاظ همم أولي الأبصار) [14]، وهو كتاب في ذم التقليد والتعصب للمذاهب الفقهية السائدة في عصره، ومن كتبه المشهورة عند المحدثين: (الثمار اليانع في رفع طرق المسلسلات والمسانيد والأجزاء والجوامع وذكر طرق التصوف وما لها من التوابع) واختصره في (قطف الثمار) وله أيضًا (الأحاديث القدسية)، وكل كتبه مطبوعة ومتداولة بين المتخصصين في الحديث وعلومه.





ومن السلاطين الذين قاموا بنشر الإسلام والثقافة العربية في شمال جمهورية غانا في القرن التاسع عشر الميلادي السلطان محمد باباتو الذي ولد في قرية اندونغا (Indonga) في جمهورية النيجر، وبعد دراسته في قريته هاجر إلى شمال غانا للتجارة، وكانت هناك جماعات من قبيلته (زَبَرْمَا) قد هاجرت قبله إلى تلك المنطقة لنفس الغرض، وقد تمكنت هذه الجماعة من فرض سيطرتها ونفوذها على المنطقة، وفي عام 1880 مسيحي، قتل زعيم زبرما المجاهد لنشر الإسلام الشيخ ألفا غزاري في إحدى المعارك، وخلفه محمد باباتو الذي واصل ما بدأه سلفه، وانضمت إليه جماعات من قبائل الفلاني والهوسا الموجودة في المنطقة، وقد شهدت مناطق شمال غانا في عهد محمد باباتو تشييد المساجد والمدارس الإسلامية، واستقدام الفقهاء والعلماء من شمال نيجيريا ومالي الذين

---

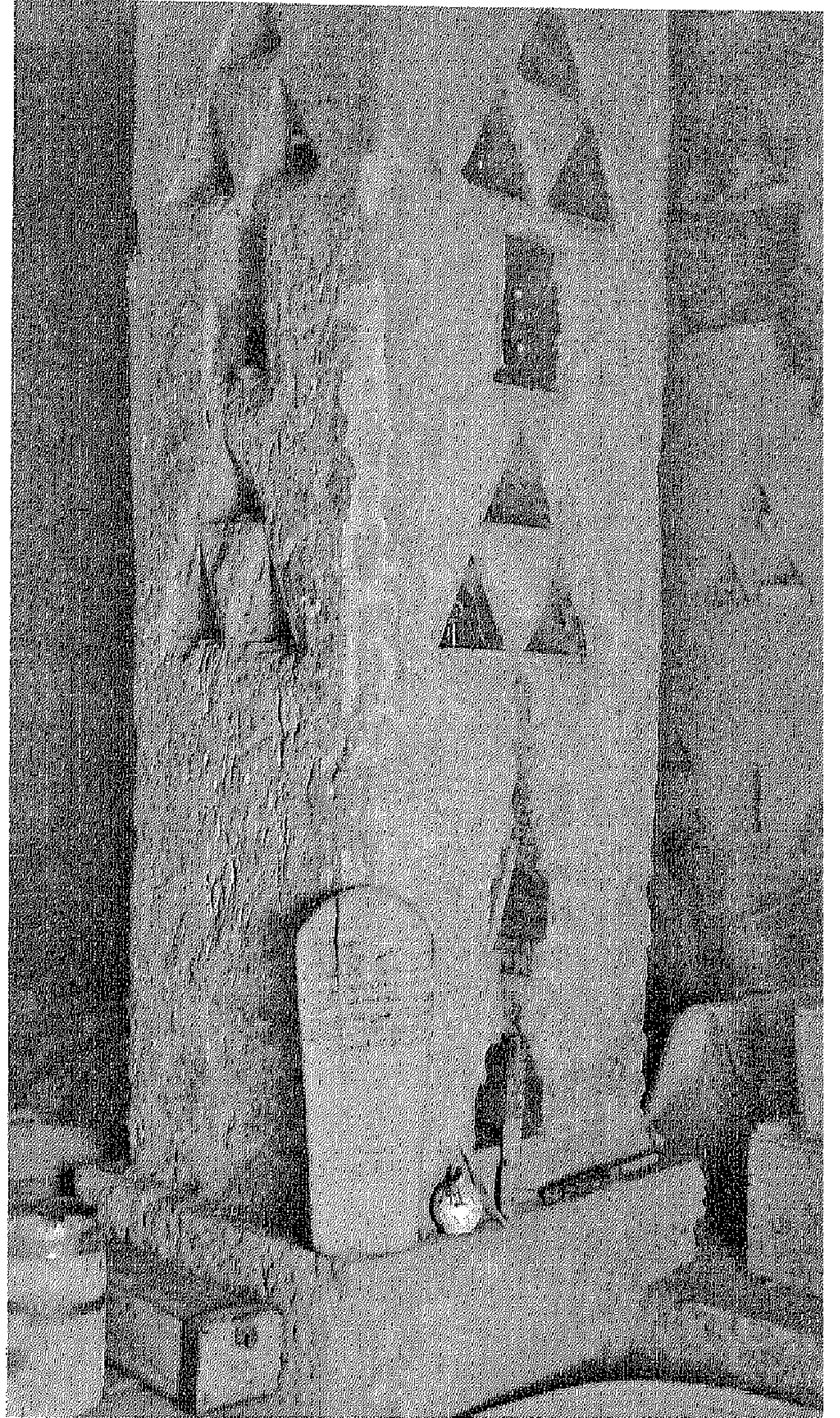
12 - الشيخ عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني، فهرس الفهارس، 2/901، دار الغرب الإسلامي، بيروت - بلا تاريخ.

13 - المصدر السابق 2/902.

14 - اسم الكتاب كاملاً هو: إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار وتحذيرهم من الابتداع في القرى والأمصار ومن تقليد المذاهب مع الحمية والعصبية بين فقهاء الأمصار) وقد طبع الكتاب أكثر من مرة، الطبعة الأولى 1354 مسيحي، بمصر، والطبعة الثانية بباكستان 1395 مسيحي، والثالثة بالطائف عام 1397 مسيحي، ثم اختصره الشيخ سليم الهلالي وطبع بالمكتبة الإسلامية بالأردن.

ساهموا في نشر الثقافة الإسلامية والعربية في شمال غانا[15] ومنها انتشرت إلى بعض الدول المجاورة مثل شمال توغو وجنوب بوركينا فاسو، وقد تغلبت قوات بريطانيا الغازية والفرنسية على محمد باباتو في عام 1890 مسيحي، وقسموا دولته بين توغو وغانا وبوركينا فاسو.



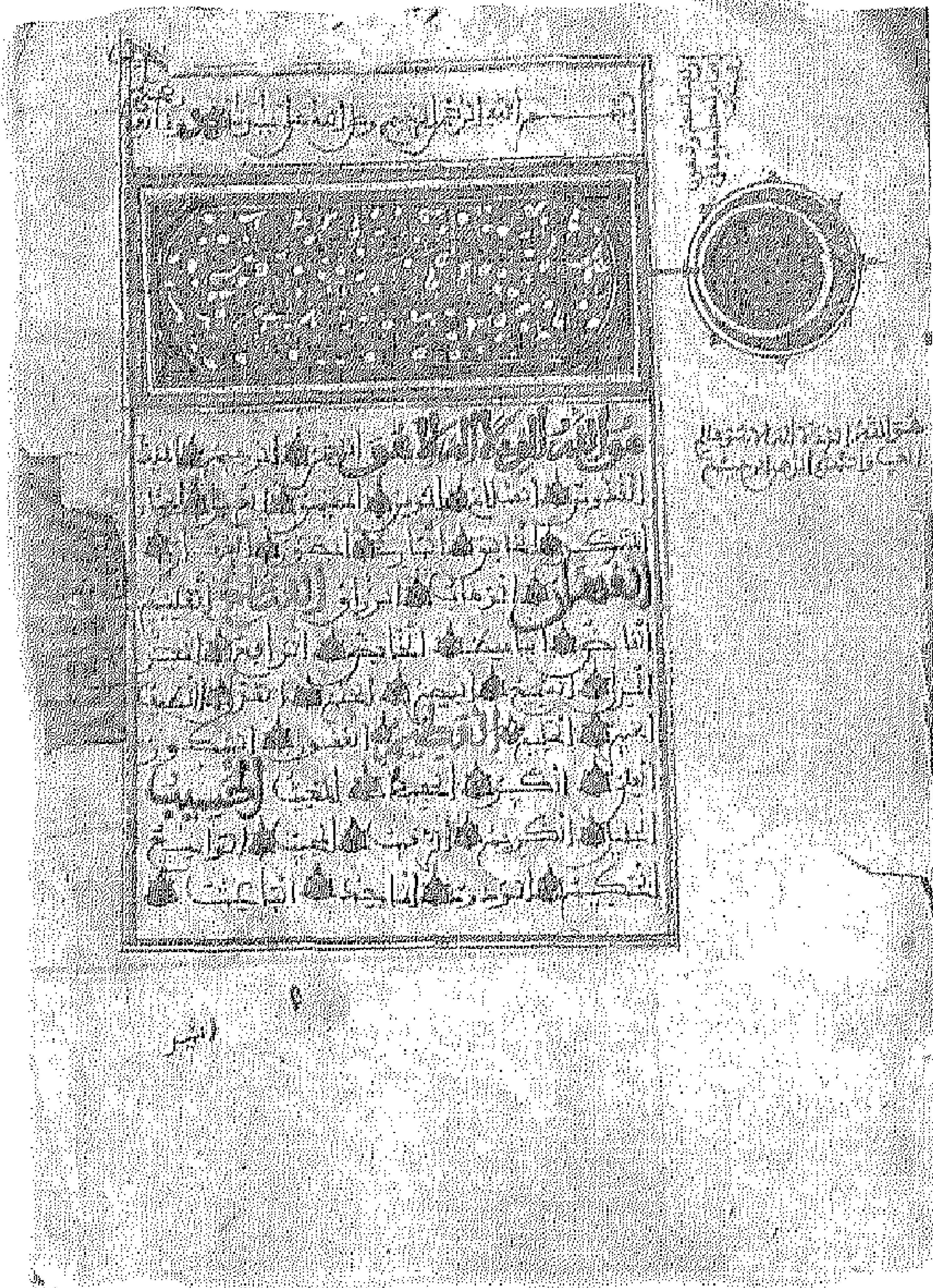


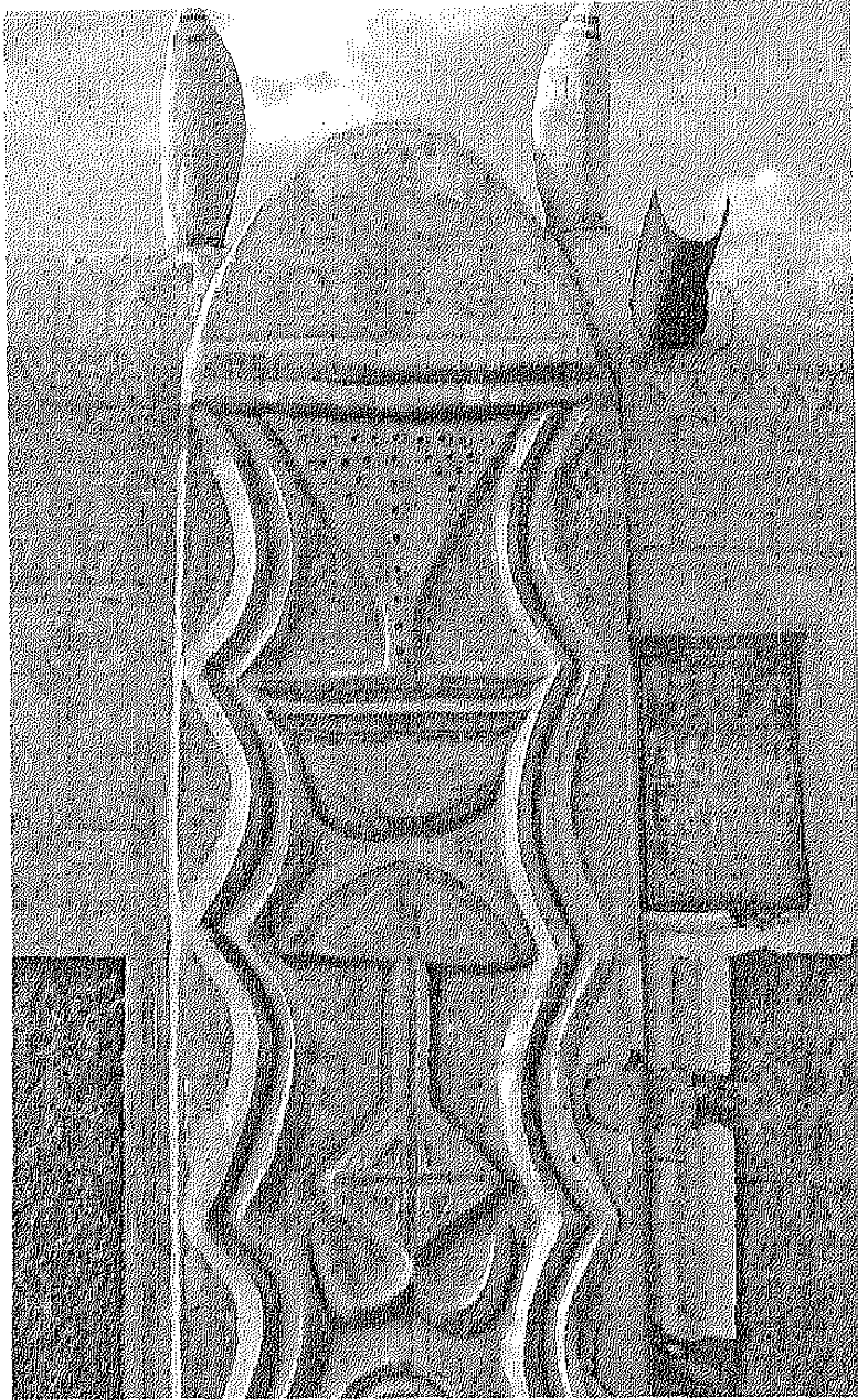
ومنهم الشيخ عبدالرحمن الافريقي، ذلك الافريقي المشهور في بلاد الحجاز المجهول في موطنه الأصلي - جمهورية مالي - وقد ولد الشيخ عبدالرحمن في قرية فَافَا (Fafa) الواقعة في جزيرة في نهر النيجر بدولة مالي» ولقد كان من حكمة الله أن وهب لهذا الفتى حظًا غير قليل من الذكاء، استرعى انتباه الفرنسي المسؤول عن مقاطعته - مقاطعة غاو Gao - وكان ذلك يوم مر هذا بقريته (فافا)، وأقبل على كتابها الأهلي الوحيد يتفقد تلاميذه، ويراقب ما في أيديهم من الكراريس، عسى أن يكون فيها ما ليس في مصلحة الاستعمار، وجعل يوجه إلى الصغار بعض الأسئلة بلغتهم السونغوية، فتأتيه الأجوبة معبرة عن مستوياتهم المختلفة حتى جاء دور عبدالرحمن، فإذا أجوبته فوق مستوى غلام في الثانية عشرة. مما أثار إعجاب المسؤول»[16]، وكان هذا سببًا في نقل عبدالرحمن إلى المدارس العصرية في مدينة غاو، حيث واصل دراسته فيها بتفوق، إلى أن نال الشهادة الثانوية باللغة الفرنسية، فعين مدرسًا للغة الفرنسية في المدرسة التي تخرج منها، ثم عين بعد ثلاث سنوات في مصلحة الأنواء الجوية، وتدرج في السلم الوظيفي حتى وصل إلى رتبة مساعد المدير، ثم سمحت له سلطات الاستعمار بالسفر لأداء الحج، وبعد الحج عزم على البقاء في مكة المكرمة لطلب العلوم الإسلامية التي كان يجهلها تقريبًا، وبعد أربع سنوات من الدراسة في الحرم المكي أراد الرجوع إلى بلده ولكن «شاء الله» أن يجمعه في فندق بأحد المسافرين الذي غير رأيه عن السفر حين اكتشف عبدالرحمن قلة معلوماته الدينية، وحزم أمتعته إلى المدينة المنورة[17]، حيث التحق بمدرسة دار الحديث، مع مواصلة الدراسة على أيدي علماء الحرم النبوي من أمثال الشيخ ألفا

15- عثمان بريما باري، المصدر السابق، ص: 36.

16- محمد المجذوب، «علماء ومفكرون عرفتهم»، دار الاعتصام، القاهرة، 1/63.

17- المصدر السابق، ص: 65.





هاشم الفلاني وغيره من علماء الحرم، ولما تخرج من مدرسة دار الحديث عين أستاذًا فيها، ومدرسًا في المسجد النبوي الشريف، حيث وفد عليه طلاب العلم من كل أنحاء المعمورة، لطلب العلم، وقد ظل في تدريسه إلى أن وافاه الأجل المحتوم في المدينة المنورة، وقد تخرج على يديه طلاب ساهموا في نشر الثقافة الإسلامية والعربية في بلدانهم، ومن أشهر طلابه الشيخ عمر بن محمد فلاته - رحمه الله تعالى - الذي تولى التدريس في مكانه بالحرم النبوي الشريف، وكان الأمين العام للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وعميد كلية الحديث فيها، والشيخ حامد بكر المدرس في الحرم النبوي ـ رحمه الله ـ، والشيخ محمد الثاني إمام الحرم النبوي وغيرهم، ومن مؤلفاته: (الأنوار الرحمانية في الرد على التيجانية).

ومن العلماء الأفارقة الذين لهم مساهمة فعالة في الثقافة العربية الإسلامية في غرب افريقيا ووسطها الشيخ محمود بن عمر باه مؤسس المدارس النظامية في غرب افريقيا، وبخاصة مدارس الفلاح، وقد ولد الشيخ محمود باه في بلدة جُوول (Jowol) في جنوب موريتانيا عام 1906 مسيحي، وبعد حفظه كتاب الله تعالى لازم الشيخ عبدالرحمن التركزي، وأخذ عنه علوم التجويد والقراءات وعلوم القرآن، وفي عام 1928 مسيحي غادر منطقته بقصد الحج، ولما وصل الأراضي المقدسة التحق بمدرسة الفلاح حتى حصل على الشهادة الابتدائية، ثم التحق بمدرسة الصولتية وكان إلى جانب دراسته في المدرسة المذكورة يلازم دروس الحرم النبوي، وبعد أربع سنوات تخرج في المدرسة الصولتية عام 1940 مسيحي، وما أن تخرج حتى عاد إلى بلاده فوتاتورو، وكان أول عمل قام به بعد رجوعه هو افتتاح مدرسة نظامية في قريته باسم مدرسة الفلاح، وذلك عام 1941 مسيحي، ثم افتتح المدرسة الثانية في مدينة كايْ (Kaye) بجمهورية مالي عام 1943 مسيحي، بنفس الاسم، وقد قام الشيخ



الحاج محمود باه بزيارات متعددة لمختلف مناطق الغرب الافريقي يلقي المحاضرات، ويفتح المدارس، وقد افتتح نحو 77 مدرسة عربية في غرب افريقيا[18]، حتى الكاميرون في وسطها، وبنى 89 مسجداً كذلك، وفي عام 1951 مسيحي، تخرجت الدفعة الأولى في مدرسة الفلاح في كاي، وكان عددها خمسين تلميذاً، وتم انتخاب تسعة منهم للدراسة بالأزهر، تحت سرية تامة، خوفًا من سلطات الاستعمار التي كانت تضايقه كثيرًا بسبب نشاطاته الثقافية، ولما علمت سلطات الاستعمار بسفر الطلاب أشاعت مع المتحالفين معها من بعض الشيوخ التقليديين الذين يخافون على مناصبهم الاجتماعية، أشاعت أنه نقل البعثة إلى القاهرة لا للتعليم، وإنما قام ببيعهم بالشرق عبيداً، ولم يجد الشيخ بداً للدفاع عن نفسه، وتفنيد الإشاعات إلا أبياتًا جادت بها قريحته، فقال:

يا عام شعث فخذ ذا الشعر مغتبطًا
مــن الـفـلاح وأبـنـاء لـهـا غـرر
قمنا مع المجد والإيثار نستبق
للنصر والنشر والمولى لنا وزر
لأمة المصطفى المختار من مضر
علم الشريعة في الآفاق ينتشر

إلى أن قال:

محمود قد باع من أبنائنا نفر
ملء الدنانير ملء الكف ينهمر
وحاش لله ما هذا بشيمته
يا فاسق القوم يا غدار يا غدر[19]

والشيخ محمود باه يعد بحق من كبار علماء افريقيا الغربية في القرن الماضي، وقد توفي في عام

18- عمر باه، المصدر السابق، ص: 505 بتصرف.

19- عمر باه، المصدر السابق، ص: 510.

1978 مسيحي، ـ رحمه الله تعالى ـ وقد ترك طلابًا قاموا بنشر الإسلام وثقافته العربية في المنطقة، ومن أشهرهم الأستاذ أبو بكر باه، الكاتب المعروف في موريتانيا، ومن مؤلفاته: (صور من كفاح المسلمين في افريقيا الغربية، الحاج عمر الفوتي، حياته وجهاده، والحاج محمود رائد الثقافة العربية في افريقيا الغربية).



ومن علماء حوض السنغال المساهمين في الثقافة العربية الإسلامية الشيخ موسى كمرا (1863 ـ 1945 مسيحي)، وقد ألف الشيخ موسى كمرا في معظم العلوم والفنون المتعارف عليها في الغرب الافريقي، ومن أشهر مؤلفاته: (زهور البساتين في تاريخ السودانيين)، وكتاب (أشهى العلوم وأطيب الخبر في سيرة الحاج عمر) وهو مطبوع في المغرب عام 2001 مسيحي، بتحقيق خديم محمد امباكي وأحمد شكري.



ومن الجديرين بالذكر الشيخ الحاج محمد مَرْحَبا عالم ببوركينا فاسو، في زمانه، وكاتبها المشهور. ولد الشيخ مرحبا 1314 مسيحي، تعلم القرآن الكريم والعلوم الإسلامية على يد والده، ثم تنقل لطلب العلم من بلد إلى آخر، وارتحل إلى غانا، حيث عاش عدة سنوات، واشتغل بالتأليف والتدريس، ثم سافر إلى النيجر حيث التقى رئيس مجلس النواب آنذاك السيد بَوبَو هَمَّا، وأهدى له عدة مخطوطات هي الآن في معهد البحوث في العلوم الإنسانية في جامعة نيامي. وقد ألف الشيخ في عدة فنون، منها التاريخ والنحو والصرف والتفسير والأدب، وقد بلغت مؤلفاته أربعة وعشرين كتابًا، من أهمها: (أساس التواريخ المنقولة من كتب أهل العلم، الفتوحات الإسلامية في افريقيا)، و(تاريخ ملوك موشي وأحوالهم)، ومنها



مجموعة من الأعمال الأدبية والدينية، وكتاب (فتح الحنان المنان بجمع تاريخ بلاد السودان)، وقد توفي الشيخ محمد مرحبا عام 1974 مسيحي، بمدينة بُوبُو جُولاَسُو ـ رحمه الله تعالى ـ [20].



ونذكر أيضًا الشيخ آدم الإلوري الذي يعتبر بحق من أكثر الأفارقة مساهمة في الثقافة العربية الإسلامية بكثرة مؤلفاته وشهرتها، وقد ولد الشيخ آدم الإلوري عام 1917 مسيحي، ببلدة وسا، وختم القرآن، ودرس مبادئ الفقه المالكي على يدي والده، ثم رحل لطلب العلم، فدرس على الشيخ صالح بن محمد الأول والشيخ عمر بن أحمد الأبهجي، والشيخ آدم نماج الكنوي، وسافر إلى مصر فالتحق بالأزهر، ولكن الظروف لم تسمح له بطول المكث، فرجع إلى بلاده وتفرغ للتدريس والدعوة إلى الله والتأليف منذ عام 1946 مسيحي، وقد قام الشيخ بعدة أعمال في مجال نشر الثقافة الإسلامية والعربية في نيجيريا وما جاورها من البلدان، ومن ذلك بناؤه لمركز التعليم

20 ـ الهادي المبروك الدالي، قبائل الفلان: دراسة وثائقية، ط1، 2003 مسيحي، ليبيا، ص: 102.

العربي الإسلامي بأغيغي (Agege) في لاغوس (Lagos) عام 1954 مسيحي، الذي تخرج فيه ما يزيد على عشرة آلاف طالب، وأما مؤلفاته فهي كثيرة منها مقالات ومنظومات وقصائد ومقررات دراسية، ومن أشهر مؤلفاته، (الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي)، وهو من أوّل ما ألف من تاريخ المنطقة في العصر الحديث، ومنها في مجال الأدب: (مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية)، وهو أول كتاب في المنطقة يحاول تحديد العصور الأدبية في نيجريا، وقد توفي الشيخ في عام 1992 مسيحي[21].

ولا يغفل ذكر الشيخ سعد عمر توري المؤسس لمدارس سبيل الفلاح الإسلامية في مدينة سيغو (Segou) بجمهورية مالي. ولد الشيخ سعد عام 1909 مسيحي، في قرية قريبة من مدينة سيغو، ودرس على أبيه القرآن الكريم، ثم طلب العلم عند علماء بلاده من أمثال الشيخ محمد الأمين تيام، وكذلك درس في المدارس الفرنسية لمدة أربع سنوات، ودرس النحو والصرف عند الشيخ أحمد المدني، وقد ألف الشيخ سعد توري مؤلفات عدة ومن أشهرها على المستوى العالمي:

1- المبادئ الصرفية في جزأين.
2- الدروس النحوية في ثلاثة أجزاء.

وهي من الكتب المقررة في معظم المدارس بغرب افريقيا، وقد نالت قبولاً عند الدارسين والمدرسين، وتوفي في يوم 1/7/1997 مسيحي - رحمه الله تعالى - .



ومن مشاهير الأفارقة في مجال الثقافة العربية الإسلامية في القرن الماضي: الشيخ الدكتور الوزير جنيد محمد البخاري، ولد عام 1906مسيحي، في مدينة سكت، وبدأ تعليمه بقراءة القرآن الكريم عند الشيخ عبدالقادر بن أبي بكر، وبعد ختم القرآن الكريم درس عليه مبادئ الفقه المالكي كالأخضري، والعشماوي، ثم انتقل بعد ذلك إلى الشيخ يحيى بن خليل، وقرأ عليه قصائد العشرينات ومقامات الحريري وملحمة الإعراب وغيرها من الكتب اللغوية، وقد اشتهر الشيخ بكونه المرجع الرئيسي في تاريخ الخلافة السكتية، وقد درّس في مدرسة العلوم الشرعية بسكت، ثم عين مستشارًا لأمور الشريعة في مجلس الأمير، وفي عام 1948 مسيحي، عين وزيرًا لأمير سكت[22]، المنصب الذي بقي فيه إلى وفاته عام 1997 مسيحي، وقد ترك مؤلفات عدة ومن أشهرها: (ضبط الملتقط من الأخبار المتفرقة)، وتبلغ أبيات هذه القصيدة ستمائة وسبعة وثمانين بيتًا، تناول فيها أغراضًا مختلفة من الشعر في المدح والرثاء والوصف وغيره.

المصادر والمراجع:

أولاً - المطبوعات :

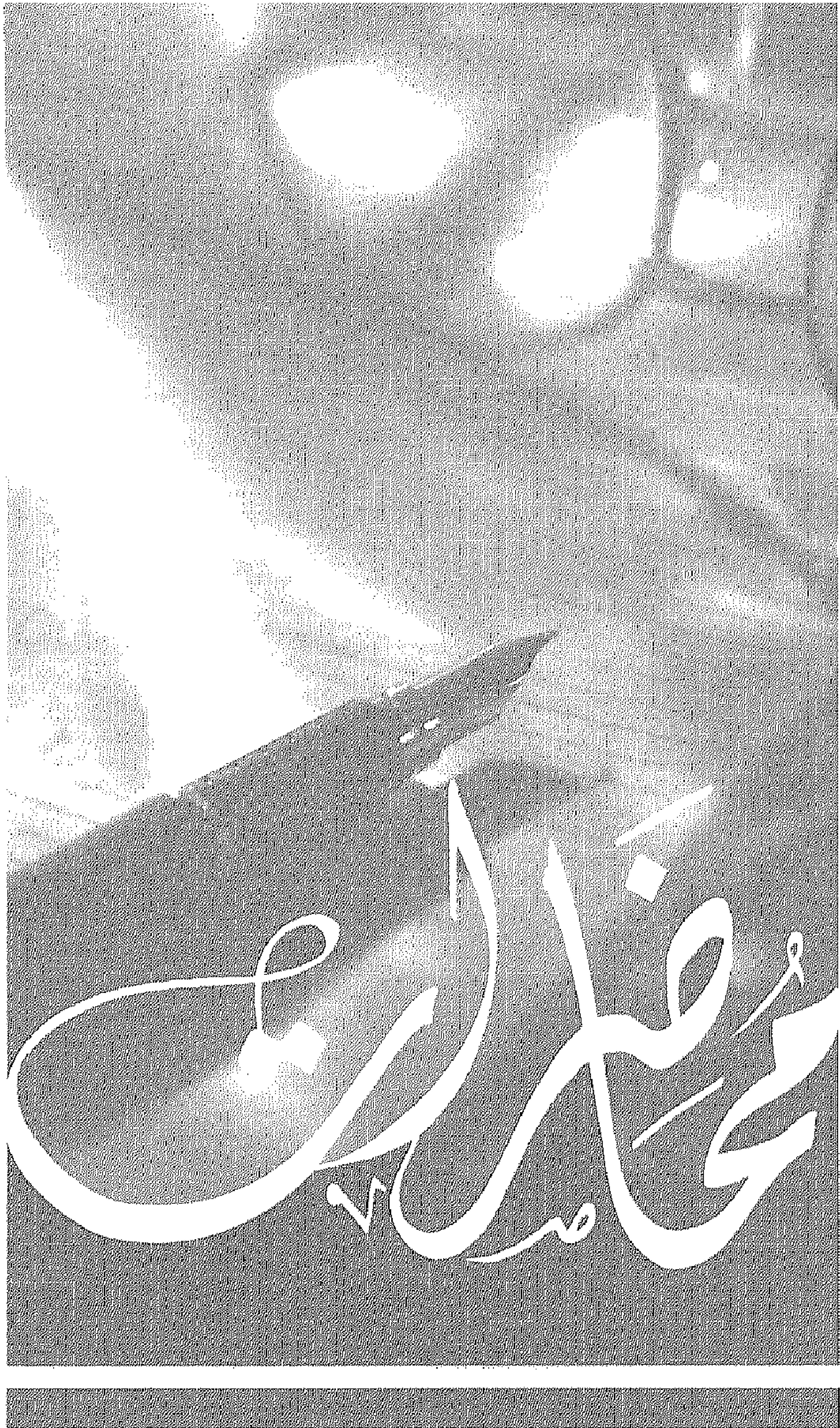
1 - أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، بهامش الديباج المذهب، دار الكتب العلمية، بلا تاريخ.
2 - إيسيسكو، «الحضارة الإسلامية في النيجر»، طبع عام 1994 مسيحي.
3 - سليمان موسى (دكتور)، الحضارة الإسلامية في نيجيريا، ط1، 2000 مسيحي، بدون ذكر مكان الطباعة.
4 - عبدالباقي شعيب أغاكا (دكتور)، «الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري»، ط2، 2003 مسيحي، بدون ذكر مكان الطباعة.
5 - عبدالحي عبدالكبير الكتاني، فهرس الفهارس، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
6 - عثمان بريما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط1، 2001 مسيحي، دار الأمين، القاهرة.
7 - عمر محمد باه (دكتور)، الثقافة العربية الإسلامية في الغرب الافريقي، ط1، 1993 مسيحي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
8 - مارتي بول، كنتة الشرقيون، طبعة دمشق - بلا تاريخ.
9 - محمد بن أبي بكر الولاتي، فتح الشكور في أعيان بلاد التكرور، ط1، عام 1991 مسيحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
10 - محمد المجذوب، مفكرون وعلماء عرفتهم، دار الاعتصام، القاهرة.

ثانيًا - الدوريات :

1- مجلة جامعة أم درمان، العدد الثاني، عام 1969 مسيحي.

21 - عبدالباقي شعيب أغاكا، «الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري»، ط2، 2003 مسيحي، ص: 14، بتصرف.

22 - سليمان موسى، «الحضارة الإسلامية في نيجيريا»، ص: 31، بتصرف.



القرآن الكريم: آفاق علمية



القرآن الكريم : آفـــاق علميـــة*

الأستاذ علي الهاشمي **

عندما أكرم الله الإنسانية بنزول القرآن الكريم ؛ كان نزوله بالنسبة لها نقطة انطلاق نحو مرحلة جديدة، وخطوة عملاقة لم تعرفها البشرية في أي عصر من العصور الغابرة. لقد أكرم الله تبارك وتعالى أمة القرآن التي استجابت لله وللرسول، فاستوعبت رسالته العظمى، وبادرت إلى الاهتداء بهديه، واتخذته رائدها وقائدها ودليلها ومرشدها، وجعلت منه المفتاح الذي تفتح به أقفال المعرفة، والمصباح الذي تبدد بنوره حجب ما في الكون مما تجهله.

وبفضل توجيهات القرآن الكريم، وتربيته الفكرية والخُلقية المُثلى، وإشادته بمكانة العلم والعلماء، وتحريره العقلَ البشريَّ من الخرافات والأوهام، ودعوته الملحة إلى حلّ ألغاز الكون، والكشف عن آيات الله البينات في الأنفس والآفاق:

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [سورة الذاريات: الآية 21]

ورسمه الطريق الصحيح والمضمون لنمو العلم وتطوره إلى أقصى الغايات وبلا حدود (أطلبوا العلم ولو في الصين)؛ لم يلبث المسلمون إلا قليلاً حتى أخذوا يسيرون ويسوحون ويجولون ويصولون في آفاق العلم الواسع، والذي لم يكن للبشرية عهد به، وأصبحت لهم الكلمة العليا والقول الفصل في جميع مجالات الحياة التي خاضوها على بينة وعلى بصيرة، وبإيمان راسخ، وبمثوبة من الله عز وجل.

استمد المسلمون من سماحة الإسلام وسعة معارفه واتساع أفقه؛ إيماناً صحيحاً، وعقيدة قوية، وأمانة على تراث الإنسانية جمعاء، منذ فجر التاريخ حتى تم للمؤمنين إكمال الدين وإتمام النعمة، وأخذوا على عاتقهم - باسم الإسلام والقرآن - إحياء ما اندثر من بقايا العلوم والفنون التي كان الفكر الإنساني القديم قد وصل إليها، رغم قلتها. دونما اعتداء على تراث الآخرين، وإنما بالحرص على تنميته وصقله

* محاضرة ألقيت في كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس، شهر الفاتح 1373 و.ر (2005 مسيحي)

** كاتب وباحث / الإمارات العربية المتحدة

حتى لا يختلط الحق فيه بالباطل، والصواب بالخطأ. فصححوا ما فيه من أغلاط و أخطاء، ووسعوا نطاقها، بعد تحريرها من شوائب الأوهام والخرافات، واستحدثوا منهجاً علمياً جديداً مستمداً من روح القرآن الكريم الذي تعتمد معارفه الحسية على المشاهدة والتجربة، ولا تقبل سوى الحجة والبرهان. وكانت المرحلة التالية أكثر أهمية عندما ابتكر المسلمون علوماً عديدة فتحت أمام البشرية آفاقا جديدة، وأصبحت تلك العلوم التي ابتكروها عماد الحضارة، ومرتكزات العلوم الإنسانية منذ ظهورها على أيديهم حتى اليوم. وهكذا رفع المؤمنون الصادقون المسلمون راية العلم خفاقة في المشرق والمغرب، وحققوا رسالة القرآن في العالم على اتساعه. ومن أراد أن يستوثق من هذه المعاني بكلام غير المسلمين؛ فلينظر - مثلاً - إلى كتاب غوستاف لوبون (حضارة العرب) ويعني بها حضارة الإسلام والمسلمين، وكذلك أعمال المؤرخ الانجليزي الشهير أرنولد توينبي.

إن كتاب الله الكريم يتوافر على أسئلة قرآنية فريدة، ومسالك للكشف عن الحق والحقيقة عديدة، سلكها وتوسل بها ولا يزال إلى أداء رسالته وتبليغها في هذا المجال، مجال الكونيات والعلميات.

فمن الواجب - إذاً - لفت الأنظار إليها، وتسليط الأضواء عليها، وهذا ما تقوم به كلية الدعوة الإسلامية في الجماهيرية الليبية - ولله الحمد - فيما شاهدته من الثراء العلمي المكتبي الذي يعتبر من نجاحاتها التي تتفوق به على غيرها من الكثير من الكليات والجامعات، ولله الحمد على كل حال.

ولا يزال الكشف عن أداء رسالة الإسلام وتبليغها في هذا المجال - مجال الكونيات والعلميات متواصلاً.

فمن الواجب إذاً لفت الأنظار إليها، وتسليط الأضواء عليها، عسى أن تتحرك الهمم وتنهض العزائم من جديد، لاستئناف الدور المنوط بالإسلام والمسلمين، والقيام به أحسن قيام، في ساحة الحضارة الحديثة، والعلم المتطور الحديث، فيعود العلم، في ظل القرآن وبتوجيه منه، إسلامياً عالمياً، ويساهم فيه المسلمون مساهمة فعالة، كما كانوا..

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

[سورة التحريم: الآية 8]

إن القرآن الكريم هو أول كتاب إلهي دعا الإنسان دعوة ملحة ومتواصلة ومستديمة إلى مائدة العلم، وأغراه بالجلوس على بساطها، ودعا إلى استعمال الوسائل النافعة، والأساليب الصحيحة الملائمة لطبيعة الإنسان وتكوينه المادي والروحي، وإثارته بما هو مجبول عليه من حب العلم، والتمكن من المعرفة، وكراهية الجهل، وتنمية ما في أعماقه من حب لذاته، وحرص على استمرار نوعه سليماً معافى، مبرءاً من كل شيء، وسعى إلى التوسل بجميع الممكنات لقضاء مآربه، وتحقيق مصالحه، وتعريفه بأن الأشياء التي يطالبه القرآن الكريم بالنظر فيها، وتتبع أطوارها؛ إنما هي مخلوقة من أجله، من أجل الإنسان. فقد سخر الله البر والبحر والأرض اليابسة والماء والهواء كلٌّ مُسخّر لمنفعته، وأن الغاية المباشرة منها هي توفير كل ما يحتاج إليه من ضروريات وحاجيات، بل وربما من كماليات.

استمد المسلمون من سماحة الإسلام وسعة معارفه واتساع أفقه؛ إيمانا صحيحاً، وعقيدة قوية، وأمانة على تراث الإنسانية جمعاء، منذ فجر التاريخ حتى تم للمؤمنين إكمال الدين وإتمام النعمة.

ولم ينتظر كتاب الله الحكيم أن تمر العصور تلو العصور على الإنسان حتى تتحرك فيه غريزة حب

الاستطلاع، بل إن القرآن الكريم قد هيأها وحركها في الإنسان منذ اليوم الأول، منذ نزول القرآن، متعبداً بتلاوته، وخصص بما عالجه من كونيات وعلميات أكثر من ربع آيات القرآن الكريم.

طبعا في هذه المحاضرة الموجزة لا نستطيع أن نأتي على كل الاستشهادات، ولكننا سنبدي إلماحات من هذا الكتاب. يقول الله تبارك وتعالى:

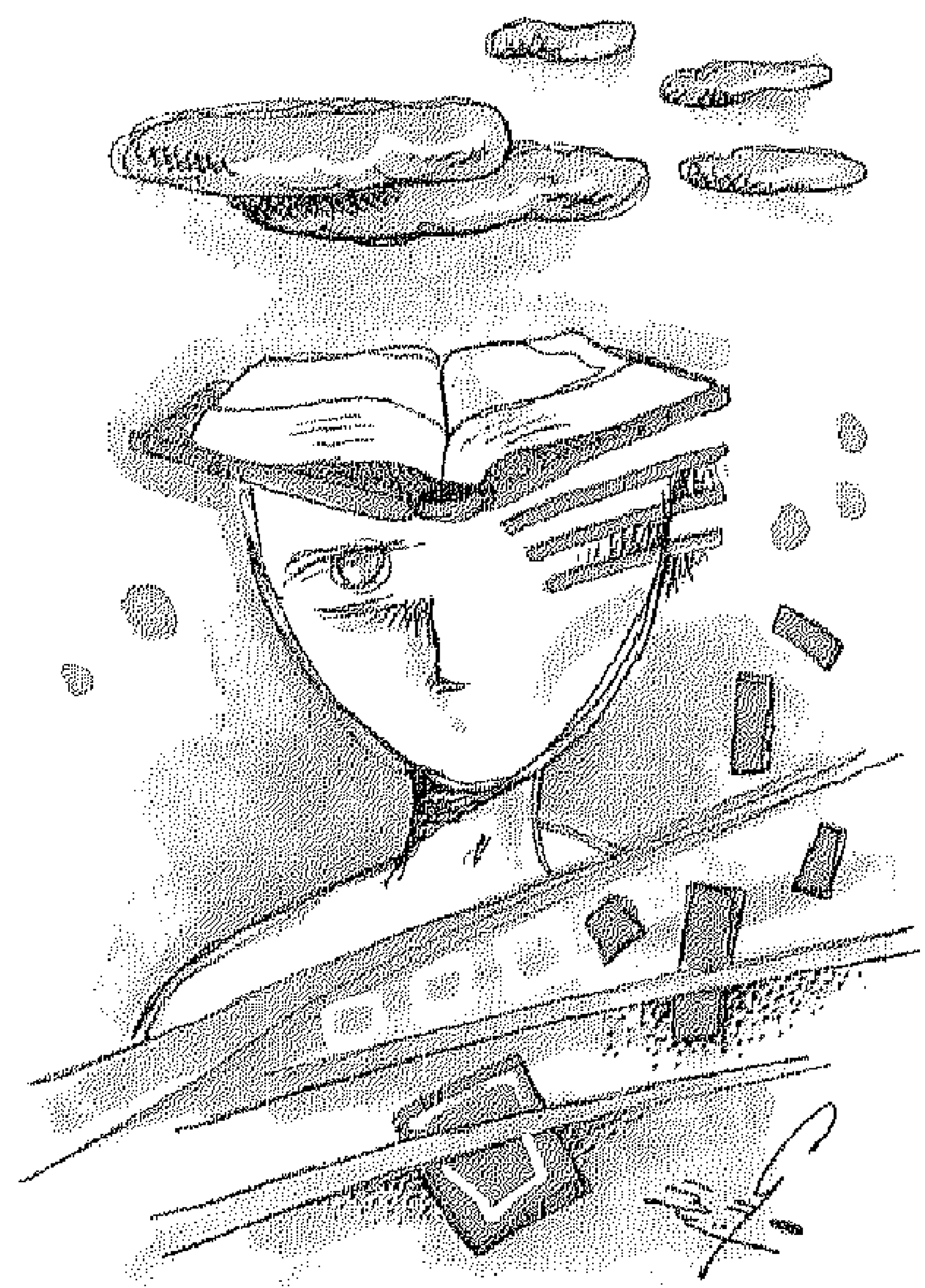
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان: الآية 29]

ويقول عز وجل في سورة الفرقان أيضاً:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [سورة الفرقان: الآية 45]

وفي قوله عز سلطانه في سورة النور:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [سورة النور: الآية 43]



وقوله عزّ وجلّ في سورة الحج:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾

[سورة الحج: الآية 63]

ويقول جل شأنه في سورة الزمر:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة الزمر: الآية 9]

وفي قوله سبحانه في سورة الأنفال:

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنفال: الآية 22]

وهذا أعمق كلام بقوله - تبارك وتعالى - في التنفير من الجهل، والهروب من ساحة عدم العلم.
في قوله عز وجل في سورة المجادلة:

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة: الآية 11]

وقوله تبارك وتعالى في سورة يوسف:

﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف: الآية 76]

وقوله عز وجل في سورة العنكبوت:

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: الآية 43]

أي : لا يستفيد منها إلا أهل العلم وأهل البصيرة وأهل الدربة وأهل العقل. وقوله عز وجل في سورة طه:

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [سورة طه: الآية 114]

وقوله سبحانه:

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ * أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَآئِقَ غُلْبًا * وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا * مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾

[سورة عبس: الآيات 24 ـ 32]

وفي قوله عز وجل في سورة يس:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ * وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾

[سورة يس: الآيات 71 ـ 73]

وقوله عز وجل في سورة فاطر:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[سورة فاطر:الآية12]

إن كتاب الله جرت سنته في نظم آياته البينات على أن يُبرزَ بشكل قويٍ مشاهدَ الكون وظواهر الطبيعة، ويجذب نحوها البصائر والأبصار، بل ويضعها - غير ما مرة - في مكان الصدارة، ويخصها بالأولوية والأسبقية في أكثر من آية من آيات الكتاب الحكيم، وذلك كلما أراد توكيد معنى خلقي، أو تقرير مبدأ عقدي من أصول الدين والعقيدة، وكثيراً ما نجد في القرآن الكريم حديثه عن نفس المشاهد والظواهر في عدة آيات، بل عدة سور من القرآن.. مع أن المؤمنين الصادقين الذين أنزل عليهم القرآن لايكذبون بآياته، ولا يشكون في تعليماته وتوجيهاته، وقد كان في الإمكان أن يعرض عليه حقائقه ودقائقه رأساً، إنما لا بد من هذه الإشارات إلى تلك الظواهر الكونية لتكون هناك بينة العالم وبينة المسلم على غير العالم وغير المسلم.

كان بإمكان القرآن أن يعرض عليهم حقائقه ودقائقه رأساً دون تمهيد، ودون مقدمات، ودونما حاجة إلى تدعيمها بالمشاهد الكونية والظواهر الطبيعية، وكما قلنا فإنها تتوزع في ربع المصحف الشريف، وقد ذكرنا طرفاً يسيراً منها.

ما دام كتاب الله منزها عن اللغو والحشو والتكرار؛ إذاً فهو منزّه عن كل نقص، وما من كلمة من كلماته أو حرف من حروفه إلا وراءه سر دفين، وحكمة بالغة.. ولهذا يصبح لزاما على الذهن الفاحص أن يتلمس الحكمة في ذلك، مستنداً إلى ما يقتضيه المقام ويدل عليه السياق، وهو أن الله - جلت حكمته - أراد أن يجعل الكون - الذي هو من صنعه جل جلاله - حاضراً دائماً أمام المؤمنين وغيرهم من الناس العقلاء، في ثنايا القرآن الكريم، وما يتلوه عليهم من كلامه العزيز، وكلامه البليغ الوجيز؛ حتى يرتبط الإنسان بالكون - الذي هو جزء منه - ارتباطاً محكماً وثيقاً، وحتى يمتد بينه وبين العالم من حوله جسرٌ متينٌ من الألفة والحب والاندماج، يؤدي بالعالم كله إلى ساحة التعارف والتآلف والسماحة والتقارب والتجاوب والتعايش الآمن، والأخذ والعطاء لخيري الدنيا والدين.

نحن نقول هذا الكلام وليس علينا ألا يفهم من لا يريد أن يفهم .

بعد هذا نقول : إن الإسلام - بوصفه دين السماحة واليسر - يكتفي من عوام الناس بما تشاهده العين المجردة، ثم يحثهم في رفق ولطف - لمن كانت له القدرة والموهبة - على أن يدققوا النظر النافذ، ويُعملوا فكرهم، ويستخدموا كافة مواهبهم وملكاتهم لاستجلاء آيات الله البيّنات في كتاب الكون العظيم، وبذلك وحده يستطيع الإنسان، أي إنسان، أن يثق من أعماق قلبه، وينادي وقد تملّى من النظر في عجائب الكون، والإعجاب به ؛ قائلاً - تمجيداً لله وتقديساً له جلّ جلاله:

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[سورة آل عمران:الآية 191]

تُبرز آيات القرآن بشكلٍ قويٍ مشاهدَ الكون وظواهر الطبيعة، ويجذب نحوها البصائر والأبصار، بل ويضعها في مكان الصدارة، ويخصها بالأولوية والأسبقية في كثير من آياته، وذلك كلما أراد توكيد معنى خلقي، أو تقرير مبدأ عقدي من أصول الدين والعقيدة.

إن الله - تبارك وتعالى - من نعمته علينا (نعمه جليلة وعظيمة، ولا تحصى ولا تستقصى) أنه لم يتركنا هكذا من غير بصيرة ولا إرشاد، ولكنه تكفل - جل جلاله - وأنزل لنا القرآن الكريم، على قلب النبي الأمين، وعلّمنا ما لم نكن نعلم، وفضّلنا به على سائر من سبقنا من الأمم، فقال عز من قائل:

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: الآية 52]

(في من يطعن في القرآن وفي من يعتدي على المسلمين. وبعد ذلك فهم كذبة ومنافقون وشريرون ومارقون). ولا يحمل هذا معنى التمييز عن الآخر، حينما فضل الله تبارك وتعالى أمة محمد ﷺ على سائر الأمم؛ فإن هذا لا يحمل معنى التمييز عن الآخر، لا.. وإنما حثّ الآخر على العمل الموصول بمنجزات يمكن تحقيقها من كل الأطراف.

الإسلام ساحة مفتوحة للجميع، ومن سائر البشر، إذا ما اهتدوا بهدي الرسالة الخاتمة المكملة لمكارم الأخلاق. (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى الكيفية الصحيحة التي يتم بها النظر، ضارباً لنا الأمثال ومقدماً لنا النماذج تلو النماذج ضمن آياته البينات، ومن شواهد ذلك - عطفاً على ما سبق بيانه - قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل: الآية 78]

والأفئدة هنا جمع فؤاد، وهو في لغة القرآن الكريم (العقل) الذي يفقه به الإنسان حقائق الأمور، فلا يشتط ولا يشرد، بل عليه أن يشارك مجموع العقلاء من الناس - وإن كانوا على غير دينه - في الفهم والحكم على الأشياء، لأن الحق واحدٌ عند الله والناس، كما هو مدون في أصول الفقه.

إن الكتاب الكريم عندما دعا الإنسان إلى النظر في شؤون نفسه، وشؤون الكون المحيط به ؛ لم يكلفه بما لا يطيق

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة: الآية 286]

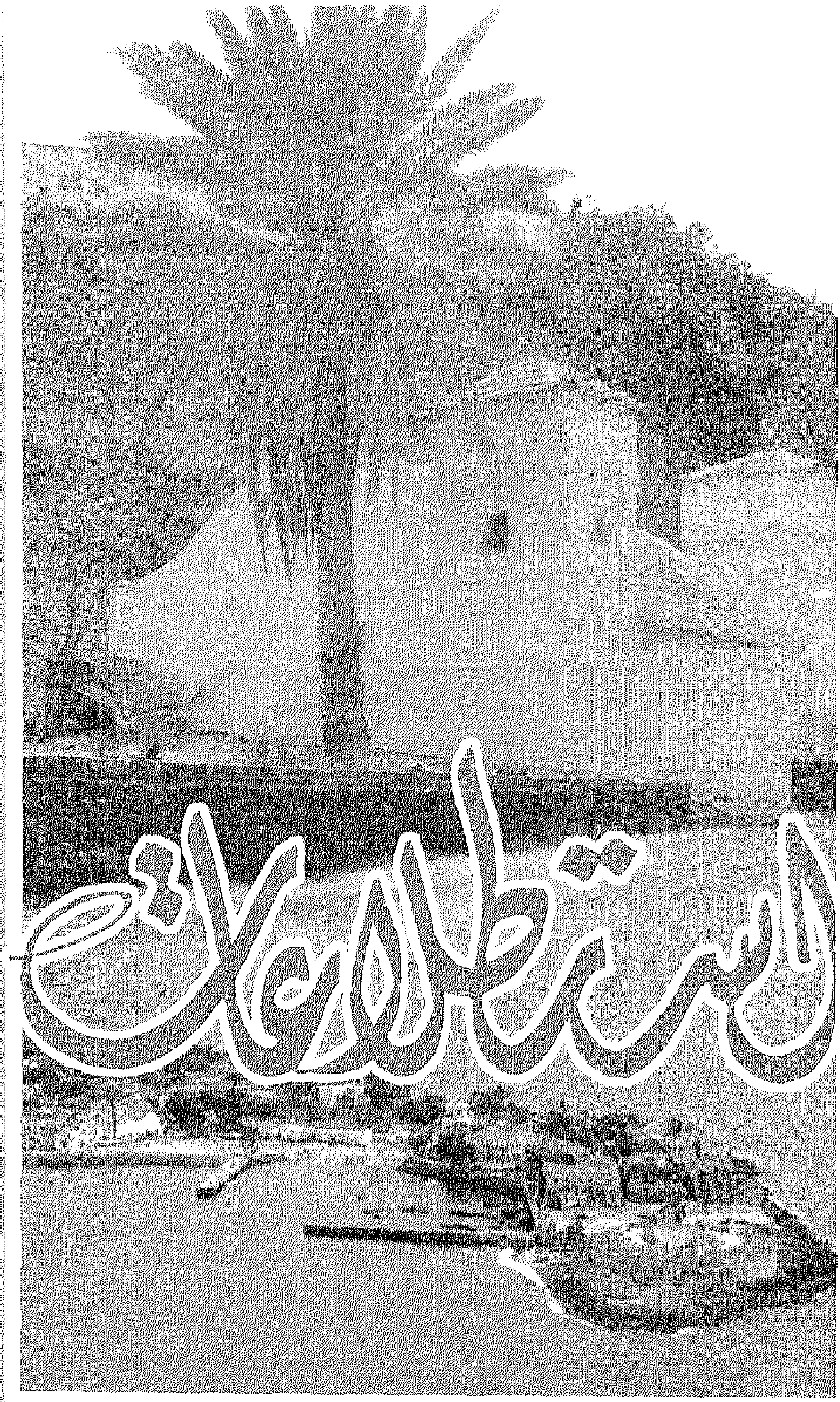
بل دعاه إلى استعمال أيسر الوسائل عنده، وألصقها به، وهي الحواس، وندّد بمن لا ينتبه إلى ما حوله، حتى الصلاة لا بد فيها من النية، وكذلك الصيام والحج، وحتى مجيئنا إلى هذا الصرح العامر، أعني كلية الدعوة الإسلامية هنا، واللقاء بكم وبالعلماء الأجلاء، والإفادة والاستفادة؛ سبقته النية، وندعو الله أن يكون فيه الثواب الجزيل.

إذاً.. الإسلام والقرآن يريدان من الإنسان أن ينتبه إلى ما حوله، ومن لا يستعمل حواسه وعقله فقد خاطبه القرآن ببالغ التنديد، واعتبره في مستوى الأنعام أو أشد. وان معرفتنا بالله سبحانه وتعالى، وبصفاته وأفعاله؛ تكون على قدْر ومقدار معرفتنا بمخلوقاته (لا تتفكروا في الله وإنما تفكروا في مخلوقات الله) ولذلك يقول الرسول الكريم ﷺ: (تخلقوا بأخلاق الله...) ومن صفاته جل وعلا الرحمة والعطف، ومحبته للمؤمنين، ودعوته للناس جميعاً أن يكونوا أمة واحدة. وبهذا تتحقق المعرفة المطلوبة وفق الإرادة الإلهية من خلق الإنسان، كل إنسان، على وجه هذه الأرض، وتلك نتيجة لازمة لما فتحه القرآن الكريم من آفاق علمية غير مسبوقة، يتعذّر على مثلي، وعلى وقتكم، أن نذكرها جميعها، ولكن لعلنا طوفنا في رحابها في هذه العجالة. والله أسأل أن يجعلني وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.



من جهود المحاضر
في ميدان الترجمة

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



جوري

جزيرة الألم.. وبوابة اللاعودة

جوري

جزيرة الألم.. وبوابة اللاعودة

هل سمعتم عن جزيرة اسمها (جوري)؟؟

جزيرة أطلسيّة افريقية، هي أشبه بنتوء صخري، تقع قبالة العاصمة السنغالية داكار. في هذه الجزيرة تتضح أمامك معالم التذكُّر المرير، لذلك الماضي القريب البعيد في آن معا، المليء بفصول ذلك الذل والاسترقاق المهين الذي تعرض له الانسان الافريقي، والمليء كذلك بتفاصيل مآسي القهر والعبوديّة القذرة، حينما كانت تلك الجزيرة، تمثّل المحطّة الأخيرة، لتجميع الآلاف بل الملايين من أبناء القارة السمراء.. افريقيا، من مختلف شعوبها وقبائلها، ومن ثم ترحيلهم عبر سفن - لم تكن تصلح حتى لنقل الحيوانات - إلى بلاد الغرب، وخاصة إلى ما اصطلح على تسميته بالعالم الجديد. جزيرة جوري كانت المحطة الأخيرة، أو بوابة اللاعودة، التي تسبق نقل أبناء افريقيا مكبلين في الأغلال والأصفاد، وفي أسوأ الظروف اللاإنسانية إلى العالم الجديد.. أميركا، حيث يصبح من يصل منهم سالماً إلى البر الغربي، خلال رحلة المحيط القاسية، عبداً يُباع بالمزاد العلني في أسواق النخاسة، وليتحول هو وذريته في المستقبل إلى عبيد لأسيادٍ يعمل من أجل رخائهم ورفاهيتهم ورفعتهم.. دون أي مقابل!! باستثناء ما يجود به عليهم المُلاك البيض من فتات!!

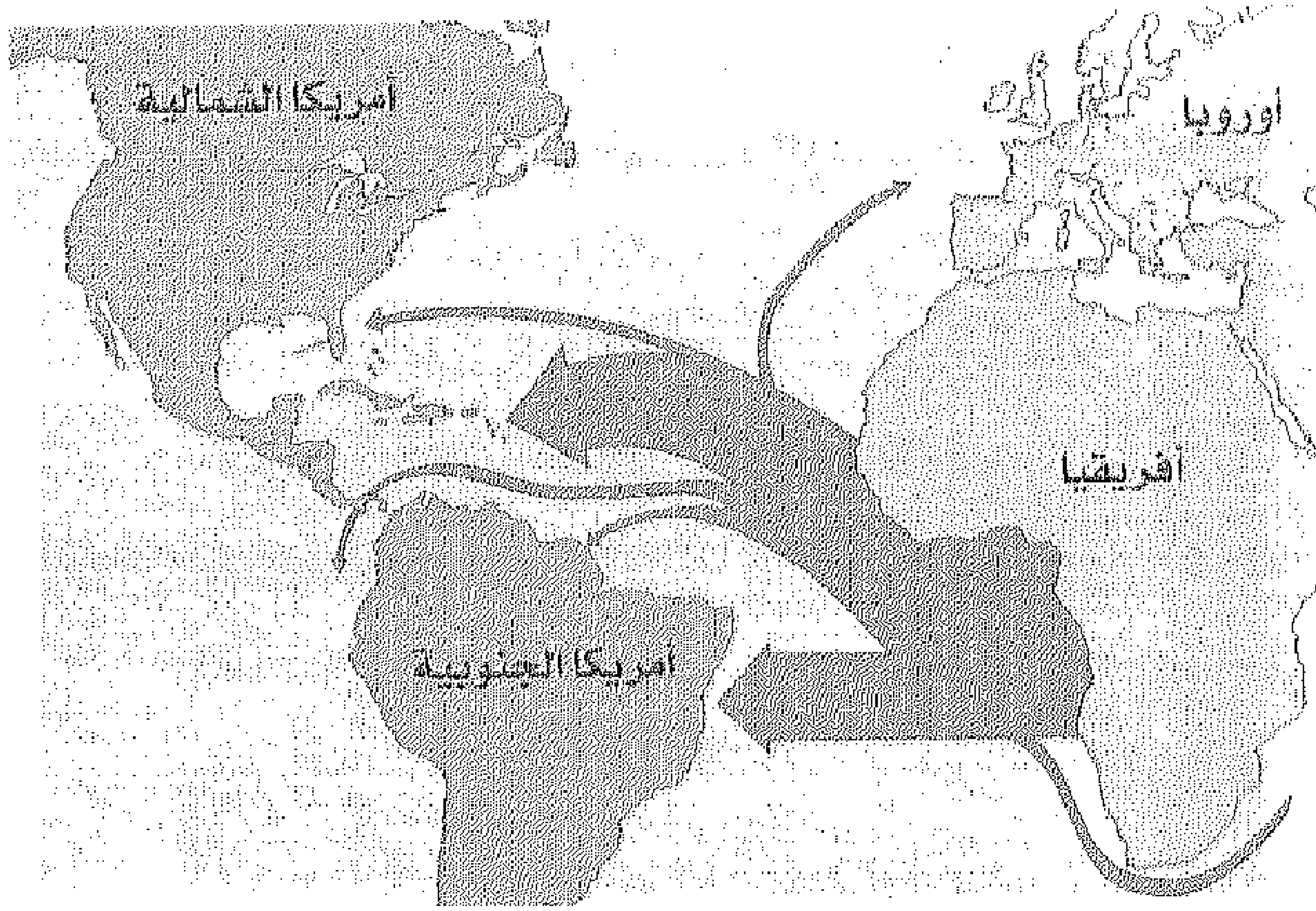


إعداد وتصوير : محمد حسن جحا (*)
* كاتب واعلامي واستاذ جامعي / ليبيا

ا العبودية مأساة لا مثيل لها استمرت قرونا من العصور الوسطى ولم تنته بعد. وفي (جوري) أيضاً ـ كما يقول أحد الكتَّاب : ثمّة جَوْرٌ يستغرق التاريخ كلّه، أوّل مكنوناته (ألف) الاسترقاق، وآخره (عين) العبوديّة، ولا بأس من المزيد من التقصّي.

ذات صباح صيفي متوسط الحرارة، قليل الرطوبة؛ انطلقت بصحبة مرافقي الأستاذ (الشريف سي) أحد موظفي مكتب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في داكار؛ على متن عبَّارة صوب جزيرة (جوري) التي لا تبعد سوى ثلاثة كيلومترات (حوالى ميلين) عن داكار، وبعد ما يقرب من ربع الساعة دارت بنا العبارة يميناً حول (علامة طافية) تحدد نصف المسافة، كما تحدد أيضاً موقع سفينة غارقة تؤرخ لآخر طلقات المدافع (الأوروبية) في هذا المكان، ومن العجيب أنها كانت بين فرقاء فرنسيين أرادوا تصفية حساباتهم هنا.. أمام سواحل افريقيا!! فهم لم يكتفوا بوضع أياديهم على أرض الغير في قارات بعيدة، بل أمعنوا في تصفية الحسابات (البيضاء / البيضاء) فيما بينهم على أرض الآخرين!!

ونحن على متن العبَّارة بدت لنا جوري جزيرة هادئة وادعة، تتمازج ألوان مبانيها البسيطة ما بين الأبيض والقرميدي (الطوبي الأحمر) في تناغم مع زرقة مياه المحيط وزرقة صفحة السماء، لوحة زاهية الألوان تتماهى مع زرقة البحر التي تتحول إلى اللون الفيروزي عندما تتعانق مع صخور (البازلت السود) التي تكون قاعدة الجزيرة الصخرية. نقترب من جوري، ننظر يميناً فيبدو أمامنا مبنى دائري في أقصى جنوب الجزيرة، كان سجناً خلال فترة الاستعمار الفرنسي، وتحول الآن إلى مبنى (متحف التاريخ الوطني) للسنغال. قال مرافقي : سيكون ذلك المبنى المحطة الأخيرة في زيارتنا هذه. أنظر يساراً ـ يواصل ـ ذلك المبنى القديم هو (بيت التجار) وقد بني في القرن الماضي. وكما ترى فالدور الأرضي منه تحول إلى مقاهٍ ومطاعم صغيرة، ومحلات لبيع



الملايين .. إلى أسواق النخاسة

المصنوعات اليدوية التقليدية، ولوحات للفنانين التلقائيين الذين هم ـ كما سنرى ـ كثيرون في جزيرة جوري.

توقفت العبَّارة في ذلك المرفأ الصغير الهادئ الذي يشبه القوس، فانطلقت ومرافقي، مندفعين مع ذلك الفوج المتعدد الأجناس والأعراق والألوان، الذي لفظته العبارة، وأكثرهم من الإيطاليين والفرنسيين، ولجنا في زقاق ضيق. كانت وجهتنا نحو أول محطة في تجوالنا في هذه الجزيرة، زيارة أشهر رموز العبودية في العالم والمعروف باسم (دار العبيد). وفي الطريق إلى دار العبيد يستوقفك (تمثال التحرر من العبودية) الذي أنجزه النحاتان (جان وكريستيان مويزا) كما تفيد بذلك اللوحة المثبتة بأسفله، نصب تذكاري تحفظه القارة السمراء عن ظهر قلب، يرمز إلى التحرر من العبودية من خلال فتاة (افريقيا) ترفع يديها لتحتضن فتاها وقد كسر قيد العبودية. لكن السؤال : هل انتهت العبودية فعلاً؟ الكثيرون يجيبون عن هذا السؤال بالنفي، رغم أن العالم احتفل قبل سنوات بما سمي (ذكرى زوال العبودية) ورغم أن المنظمات الإنسانية ـ بشكل خاص ـ تعاطفت وتتعاطف مع أولئك الذين وقع عليهم ذلك الظلم الصارخ والفادح، الظلم الذي يناقض المقولة التي نجدها في كل الثقافات والحضارات البشرية وإن بصيغ وتعابير مختلفة (الناس متساوون وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) وفي بعض الثقافات نجد الفكرة التي تقول

(يقف الناس سواسية أمام الخالق ـ أو أمام العدالة). كما أن إعلان الأمم المتحدة الصادر قبل سنوات قليلة مضت يؤكد (أن ليل العبودية لم يختفِ بعد، وأن على القوى المناهضة أن تواصل العمل من أجل ذلك). وقد اقيمت في جميع أنحاء العالم احتفالات لإحياء ذكرى زوال تجارة الرقيق، ولإلقاء الضوء على هؤلاء الذين تخلصوا من مسمّى العبودية، وإن كانوا يعيشون في ظروف مشابهة لظروف العبيد. حينها بدأت الاحتفالات في باريس، وافتتح متحف لتاريخ الرق في ولاية أوهايو الأميركية، وأقيم احتفال في جزيرة جوري التي كانت مركزاً من مراكز جمع الرقيق تمهيداً لبيعهم. وقد حددت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو) يوم الثالث والعشرين من شهر هانيبال (أغسطس) من كل عام يوماً عالمياً لتذكر تجارة الرقيق وممارساتها. واختير هذا اليوم ليوافق ذكرى ثورة (سان دومينغو) في (هاييتي) عام 1791 مسيحي، التي كانت أول نصر حاسم ـ للذين استعبدوا ـ على سادتهم في تاريخ البشرية. كما أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 2004 مسيحي عاماً لإحياء ذكرى الصراع ضد الرق والعبودية وممارساتها. ووصف (كاتشيرو ماتسورا) مدير عام منظمة اليونيسكو، العبودية بأنها «مأساة لا مثيل لها، استمرت لسنوات، ولم تنته بعد». مضيفاً: «على الرغم من أن تجارة الرقيق ألغيت وتم تجريمها في القوانين الدولية، لكنها ما زالت تمارس بأشكال جديدة تؤثر على ملايين الرجال والنساء والأطفال حول العالم».

العبودية لم تنته إذاً!! خاصة أن هناك عناوين أخرى أكثر ظلاماً (الجوْر، والرق، والتمييز العنصري، والاستعباد...) وما يشبهها من عناوين وممارسات، سادت وما زالت تلقي بظلالها الكثيفة على حياة الناس في كثير من بقاع العالم، وصارت تتجدد وفق صيغ وأساليب وأشكال شتى، تعبث بمصير الإنسان خاصة في المجتمعات المحكومة بتلك القوانين القسرية التي يناضل الإنسان الحر لتغييرها.



قفزت هذه الخواطر إلى ذهني وأنا أقف متأملاً ذلك التمثال/الرمز، وقد ثُبتت أسفله قطعة من الرخام الأحمر نقشت عليها كلمات للأديب والشاعر الكندي (جان لويس روا) تقول (من يقول لك إن جوري جزيرة.. فقد كذب عليك.. هذه الجزيرة ليست جزيرة.. إنها قارة روحية!!).



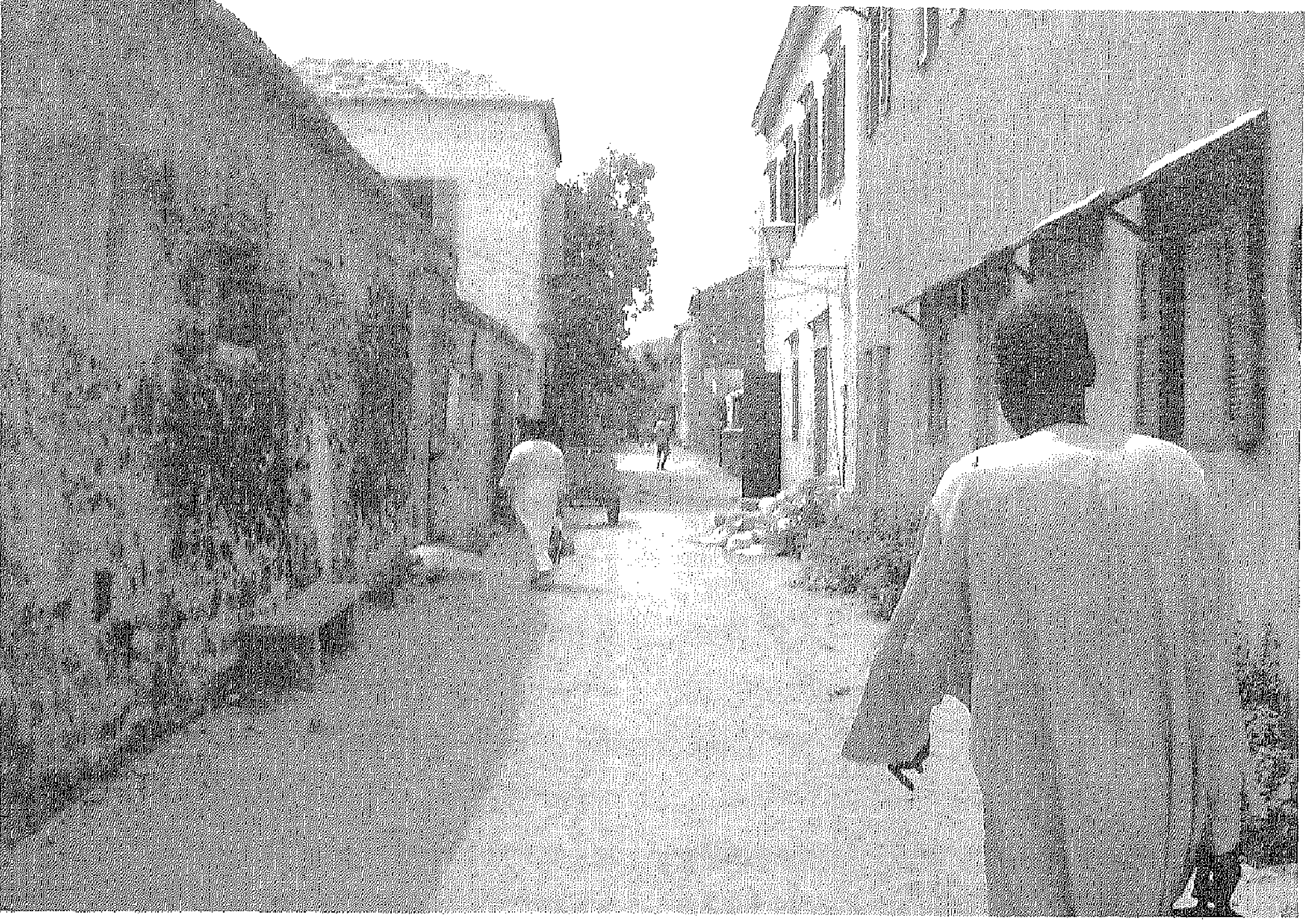
جزيرة جوري كما تبدو من على ظهر العبارة

دار العبيد

مع ازدهار تجارة العبيد عبر الأطلسي، ومع اتخاذ جوري مركزاً للتجميع كثرت دور ومخازن العبيد التي أقامها تجار النخاسة في الجزيرة، إلا أن أبرز النماذج الباقية ذلك المبنى ذا الطلاء الأحمر (دار العبيد)، مبنى مكون من طابقين، يقول مرافقي إنه بني في القرن الثامن عشر، أي خلال الفترة الذهبية لتلك التجارة، حوالى العام 1780 مسيحي، وقد بناه شقيق (آني بيبن) زوجة الحاكم الفرنسي (شيفالييه دو بافالو)، وهو من أكبر دور العبيد، ويعدّ مثالاً صارخاً لاستباحة البيض للبشر الأفارقة، حيث الطابق الأول المظلم والمعتم مخصص للعبيد، أما الطابق الثاني النظيف والمضيء؛ فهو مخصص لإقامة ومفاوضات التجار البيض!!

تركت فوج السياح وهم ينتشرون في باحة الدار وعلى قوسي السلم الصاعدين إلى الطابق الثاني، (وهما على شكل هلالين متقابلين)، وأخذت أتأمل المكان الذي تفوح من كل ركن وزاوية فيه رائحة الظلم

معزوفة على سواحل جوري



في الطريق إلى دار العبيد

والعذاب والأنين، وتنضح حجارته بمرارة القرون. قادتني خطاي إلى تلك الزنزانات / الحظائر البشرية، فتبعني مرافقي بصحبة أحد المسؤولين عن الدار، الذي يبدو أنه على معرفة به، حيّاني بأدب جم وأبدى استعداده لأن يمدني بما لديه من معلومات عن هذا المَعْلم التاريخي، بعد أن علم أنني بصدد إعداد استطلاع صحافي عن جوري. هنا، في هذه الحجرة - على يسار الداخل إلى دار العبيد - يقوم التجار بتسجيل البيانات اللازمة عن غنائمهم من حيث : الجنس، العمر، الجسم... إلخ. ومنها انطلقنا إلى حجرة أخرى، هي أشبه بالزنزانة، إنها حجرة تخزين الرجال، وهي كما ترى - يقول - لا تتجاوز مساحتها 2،50 في 2،50 سنتم (متران ونصف في مترين ونصف). ولك أن تتصور - أيها القارئ - كيف يُحشر فيها من 15 إلى 20 عبداً، كانوا ينامون القرفصاء على الأرض والسلاسل في أعناقهم تشد أحدهم إلى الآخر، ولم تكن أعناقهم وحدها هي المربوطة بالسلاسل، بل هناك أيضا كرات حديد تزن كل واحدة منها 10 كيلوغرامات، تربط في الأرجل ويجرجرها العبد أينما تحرك (وهناك نماذج من هذه الكرات الحديد في الطابق الثاني، ويرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر المسيحي، كما توجد نماذج أخرى منها في متحف بوردو بفرنسا). يقضي أولئك العبيد ما قُدّر لهم من وقت في هذه الزنزانة، ولا تُقدّم لهم سوى وجبة واحدة بائسة في اليوم، وليس هناك أدنى رعاية صحية ولا أي اهتمام بالنظافة.

واصلنا تجوالنا في الطابق السفلي، متنقلين من حجرة إلى أخرى، عفواً من زنزانة إلى أخرى، والمرارة تملأ الحلق مما مارسه الإنسان ضد الإنسان، وكلما ولجنا حجرة ارتسمت أمامنا صور ذلك الظلم الفادح الصارخ الذي قاسى آلامه الإنسان الافريقي على أيدي البيض، على فترة من الزمن امتدت

لقرون.. حجرة الفتيات الصغيرات، حجرة النساء مع أطفالهن، حجرة الأطفال، حجرة الفتيان، وهناك حجرة علف العبيد!! حيث يُعلف الضعاف منهم - فقط - بما يساعد على بيعهم، ثم، وقبل باب اللاعودة، حجرتان متقابلتان للمشاغبين.... إلخ. في حجرة المشاغبين هذه - يقول الشريف سي - يعزل أولئك المقاومون الرافضون لذل الأسر والعبودية، فيتعرضون لكل صنوف الضرب والإذلال، بمنتهى القسوة والوحشية، حتى يستسلموا وهم صاغرون!!. أينما توجهت تلمس بكل حواسك آثار الجريمة البشعة التي ارتكبها البيض في حق السود. غرفة النساء - مثلاً - هي بالزنزانة أشبه، ومع هذا تُحشر فيها حوالي خمسين امرأة. والأطفال الصغار يُعزلون عن أمهاتهم في حجرة مجاورة يفصل بينهما حائط بسمك يزيد على نصف المتر، تتخلله كوّة صغيرة أو اثنتان تسمح بالنظر فقط بين الأمهات وأطفالهن، في مشهد ربما يعجز نجوم هوليوود عن تجسيده. وكل هذه الحجرات مظلمة بائسة، تلمس سقوفها السوداء رؤوسنا رغم انحنائنا.



من إخوتكم في الغواديلوب إلى إخوتهم الأفارقة، أهداها السيد لوسيت ميشو شيري الوزير السابق والسيناتور ورئيس المجلس الإقليمي في غواديلوب، بتاريخ 31/7/2002 مسيحي.

وأنت في باحة دار العبيد تلمح أمامك - بين

تمثال التحرر
من العبودية

الدرجين المتقابلين ـ ممراً ضيقاً مظلماً يفضي إلى ضوء قريب، إنه (باب اللاعودة) الذي يعبر منه العبيد ليخرجوا إلى الشاطئ، حيث تكون السفن في انتظارهم لعبور الأطلسي وفراق أرض آبائهم وأجدادهم.. فراقاً أبدياً ليس بعده لقاء. عبرت خلال ذلك الممر المعتم، وخرجت من باب اللاعودة إلى الشاطئ، حيث الصخور السود، وحيث أمواج المحيط تغسل تلك الصخور.. وقفت مشدوهاً على تلك الصخور التي تضربها الأمواج، متأملاً.. يا الله.. لَكَم يختزن هذا المكان من صور وذكريات مليئة بعذاب ومعاناة الملايين من أبناء القارة السمراء الذين رحلوا عنها بلا عودة.. مكرهين.

أما الطابق الثاني في دار العبيد فهو عبارة عن غرف أو صالات فسيحة ومرتبة، وأضحى اليوم شبه متحف دائم للصور والرسوم والخرائط والأدوات التي تتعلق بتجارة العبيد التي استمرت لأكثر من ثلاثة قرون، نُقل خلالها ـ كما تقول المصادر ـ ما بين 50 و60 مليون افريقي، التهمت مياه المحيط الأطلسي الكثيرين منهم.

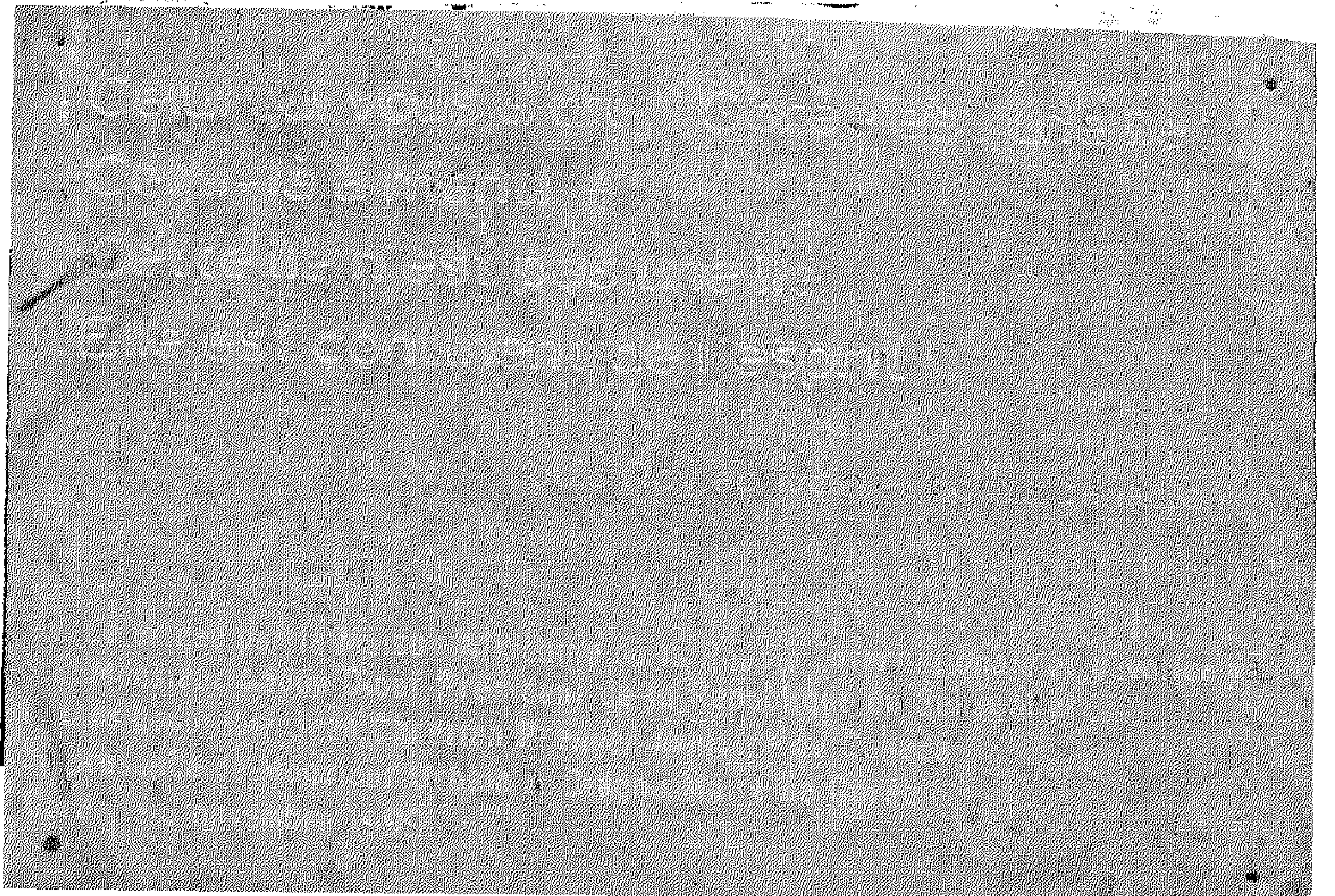


نماذج مما تبقى من وسائل سحق كرامة الإنسان!!

دروب ومسارب

غادرنا (دار العبيد) واستدرنا شمالاً نتابع السير في ذلك الزقاق، وجوري، هذه الجزيرة الصغيرة، كلها أزقة ومسارات ودروب تتشابه إلى حد كبير، حتى انه ليخيل إليك أحياناً أنها أشبه بالمتاهة، وان المرء ليحار في اختيار أي المسالك أو المسارات يسلك، وأي الدروب يقوده إلى هدفه. كانت وجهتنا القادمة الصعود إلى قمة الجزيرة، وفي الطريق إلى هناك لا بأس من التوقف أمام بعض معالم الجزيرة. بعد عدة أمتار توقفنا أمام بيت على شكل سفينة، إنه بيت (فيكتوريا البيس) الذي كان في الماضي ـ مثله مثل سائر بيوت ودور (السنيورات) ـ بيتاً لتخزين العبيد، واليوم، وبعد أن ألغيت تجارة العبيد أصبح (متحف غرب افريقيا الفرنسي).

دور العبيد هذه، أو بيوت (السنيورات) لا يزال بعضها باقياً حتى الآن، ومنها بيت (كاتي لوتي) الذي أصبح الآن مستوصف الجزيرة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن دور أو بيوت أو مخازن العبيد كثرت وازدهرت في جوري مع كثرة وازدهار تجارة العبيد عبر المحيط



من يقول لك
إن جوري جزيرة
فقد كذب عليك،
هذه الجزيرة ليست
جزيرة..
فهي قارة روحية

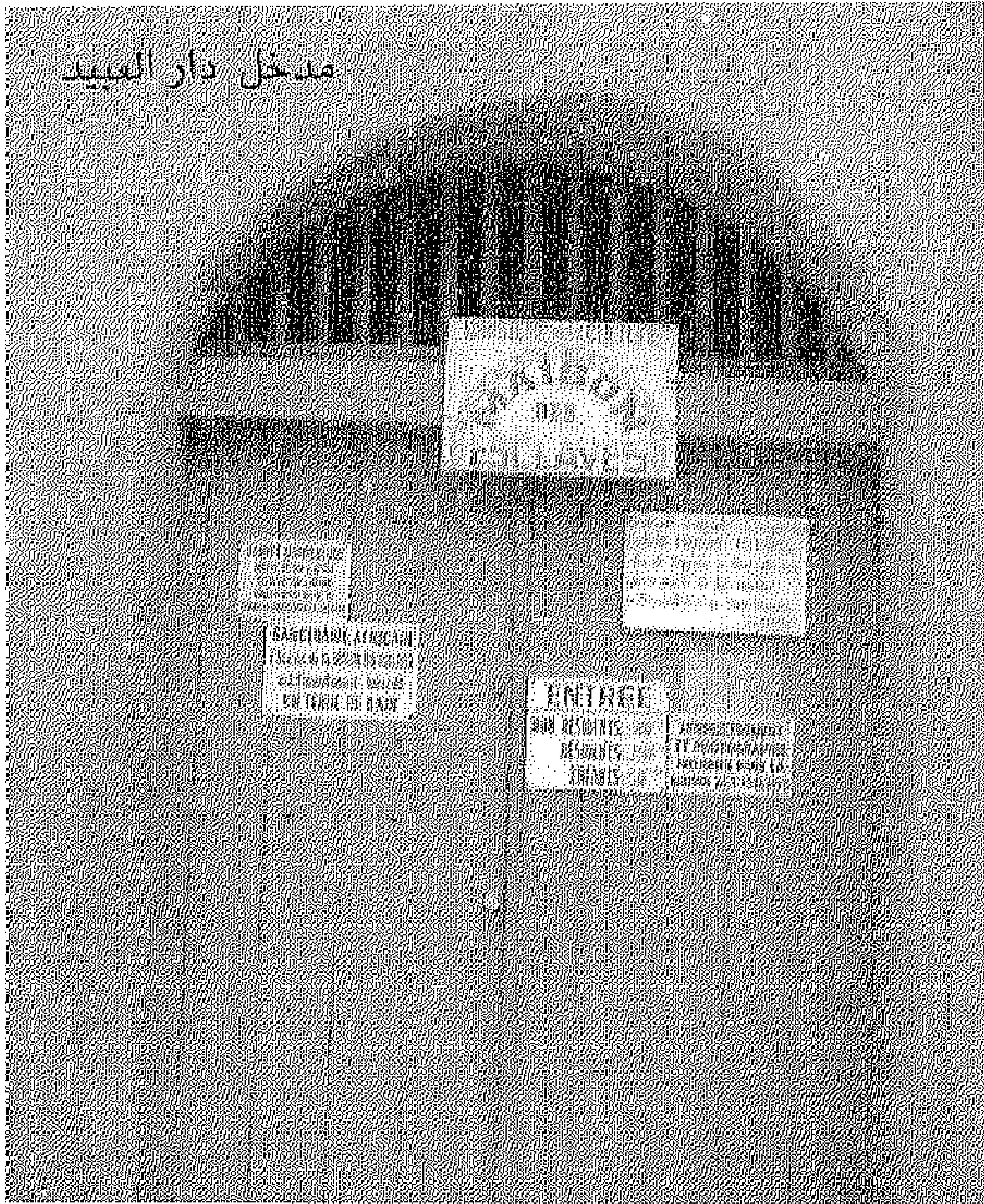
جان لويس روا
كاتب وشاعر كندي



قوسا السلم في باحة دار العبيد

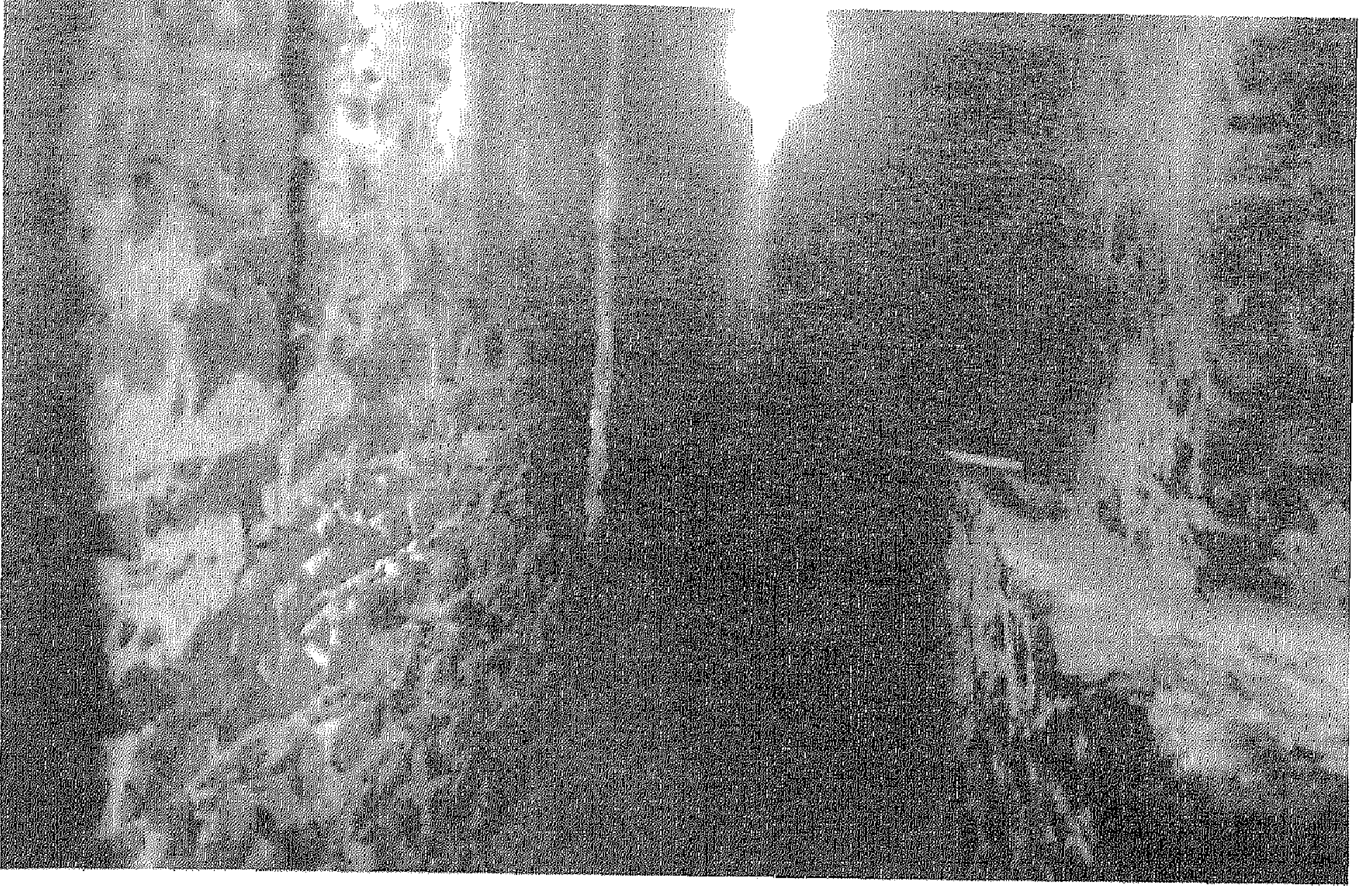
الأطلسي، ولعل مما يثير العجب والدهشة أن هذه الدور وتلك المخازن كانت تحت سيطرة بضع (نساء) عُرفنَ بـ (السنيورات) التي تعني بالإيطالية (سيدات) وهن نساء ذوات دماء مختلطة افريقية / أوروبية، وكنّ يتمتعن بحماية ودعم أزواجهن أو عشاقهن (الأوروبيين) وذلك ما جعلهن يسيطرن على دور أو بيوت العبيد، حيث كنّ يجنين الكثير من تجارة النخاسة، كما كانت لهن حظوة ومكانة في (جوري) يوم كانت تموج بأكثر مما تحتمل من المغامرين الأوروبيين والتجار والبحارة والأسرى من العبيد.

واصلنا المسير، وأخذنا نصعد عبر طريق مرصوف بحجارة البازلت الأسود، على جانبيه تصطف أشجار عملاقة، قال مرافقي : إنها أشجار (الباوباب) جذوعها عملاقة، أشبه بأشجار (السرو) الضخمة، وهي قليلة الأوراق. تحت ظلال هذه الأشجار يقيم الفنانون (التلقائيون) من سكان الجزيرة ومن

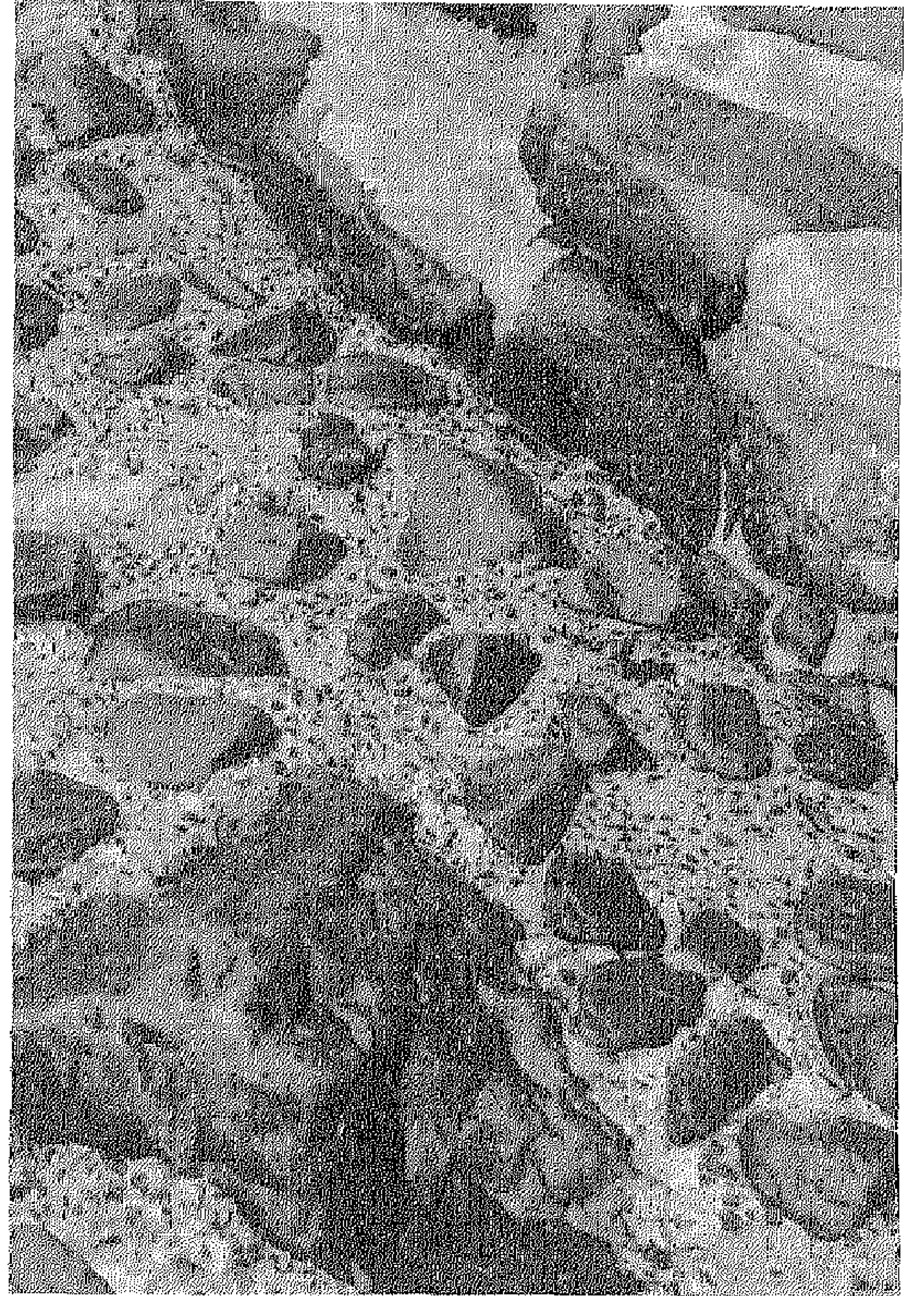


مدخل دار العبيد

(الشعب السنغالي حافظ على بيت العبيد
لكي يتذكر كل افريقي أن جزءاً منه مرّ عبر هذا المكان)
جو إندياي / أمين دار العبيد
قضى عقوداً من عمره باحثاً ومنقباً
في تاريخ تجارة العبيد، وحارساً على أقسى رموزها



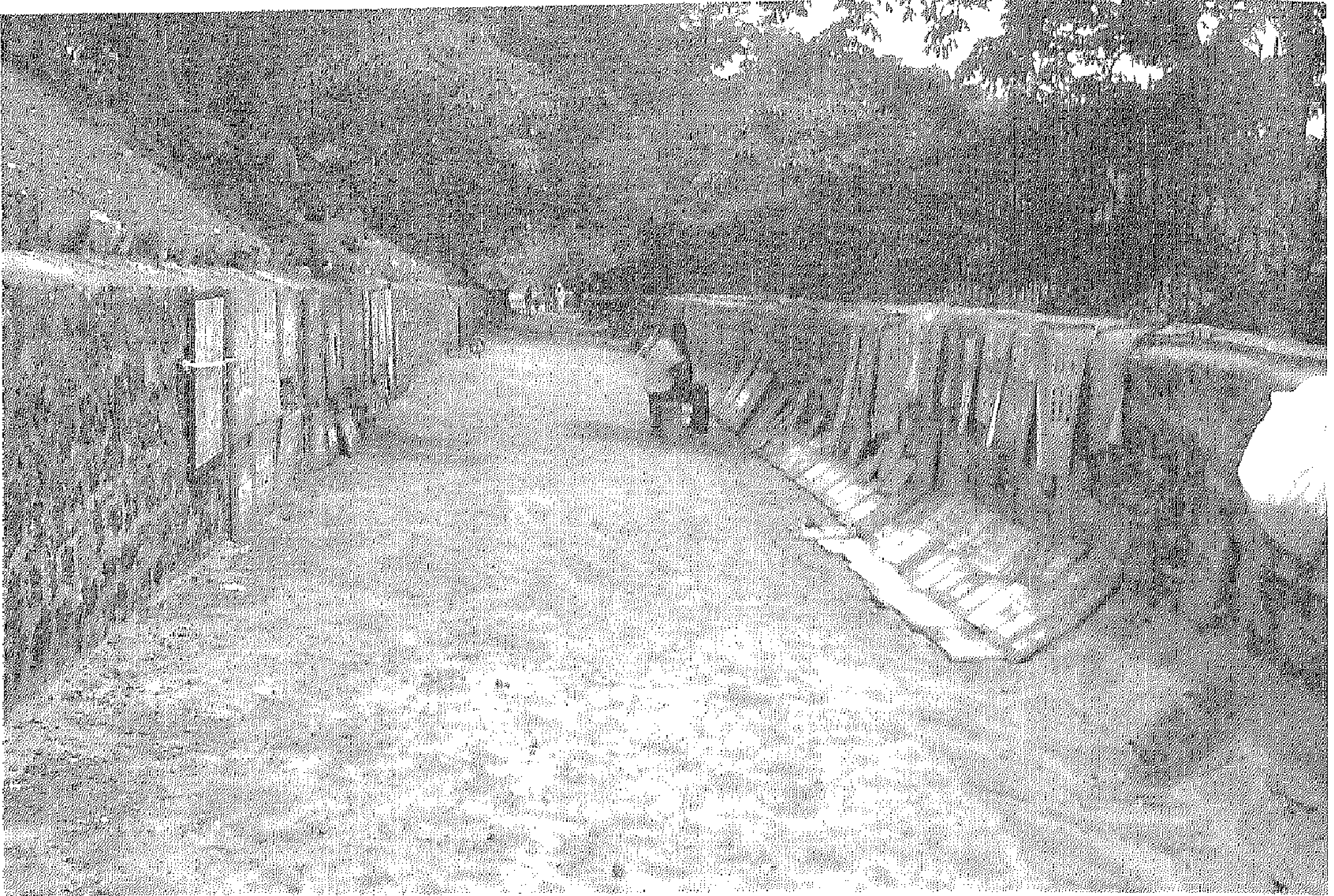
حجرة / زنزانة النساء (هنا تُحشر خمسون امرأة.. مع أطفالهن)



صخور البازلت السود

خارجها، معارضهم الدائمة على مدار العام، لوحات صارخة الألوان، بعضها أقرب إلى الرسم التشكيلي، والأخرى (تيمات) افريقية تحمل في ثنايا ألوانها وخطوطها الكثير من الأبعاد. وبينما نتأمل تلك اللوحات إذا بشاب أسمر يهرع ليسلم على الشيخ الشريف سي، يعانقه بحرارة، ثم قدّمني إليه فتعارفنا. (علمت في ما بعد أن الشيخ الشريف سي يقدم برنامجاً دينياً في الإذاعة المرئية السنغالية، وهذا الشاب أحد المتابعين للبرنامج، فأراد أن يغتنم فرصة اللقاء به صدفة ليحييه ويعبر عن ذلك الإعجاب). أبدى ذلك السنغالي الأسمر (سليمان) استعداده لمساعدتي من خلال تقديم بعض المعلومات عن جزيرة جوري، فهو كثيرا ما يأتي هنا لزيارة أقاربه، ولديه الكثير مما يمكن أن يقدّمه.

ترافق ثلاثتنا حتى وصلنا إلى قمة الجزيرة، إلى حيث القلعة التي بنيت في العام 1856 مسيحي، اتجهنا إلى ذلك البراح المحيط بالقلعة، جلسنا لأخذ قسط

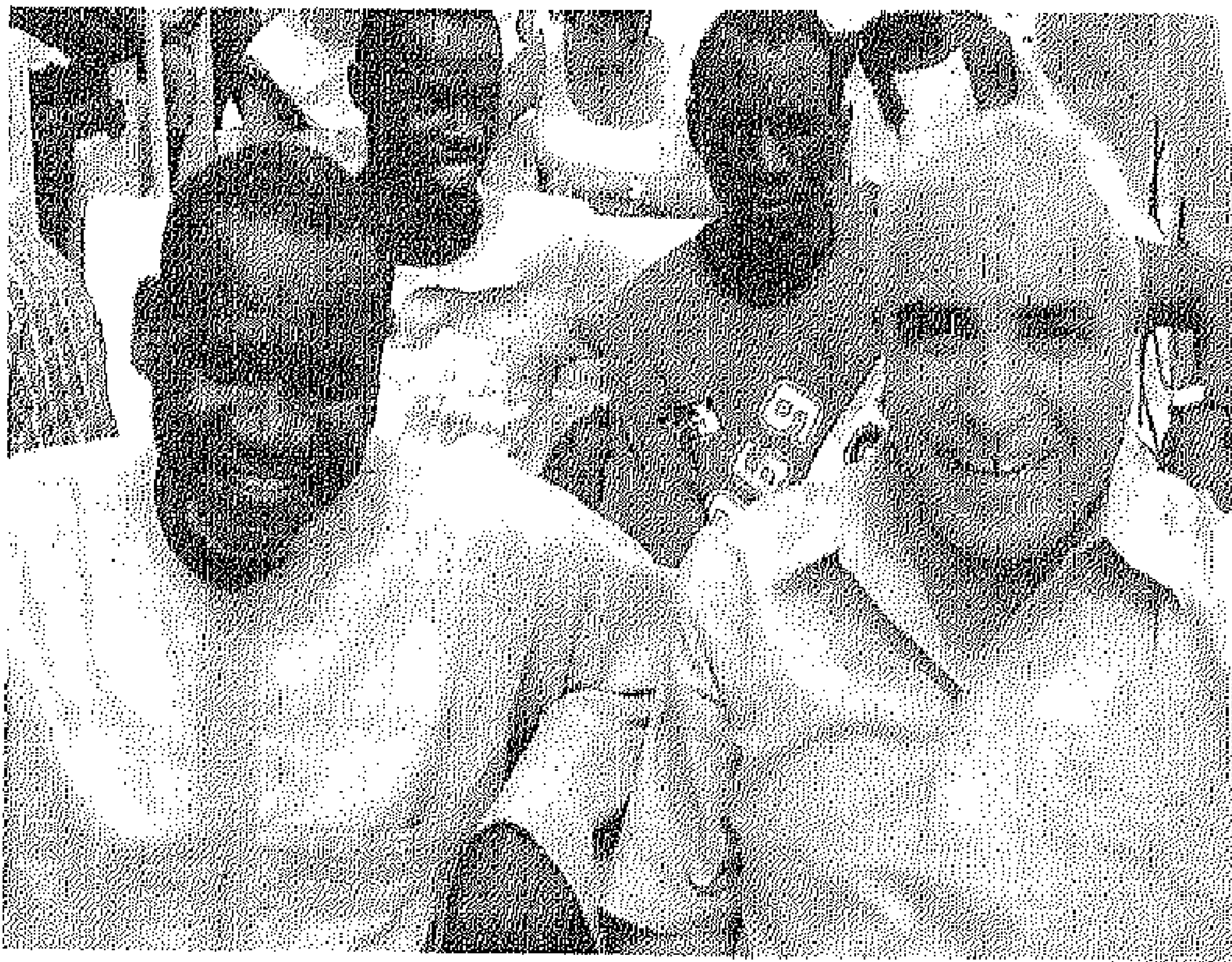


صعوداً إلى القلعة، رسوم لفنانين تلقائيين، وأشجار الباوباب تظلل المكان

من الراحة، وبينما نحن كذلك أخذ سليمان يسرد بعضاً مما يعرفه عن تاريخ جوري..

لمحات من التاريخ

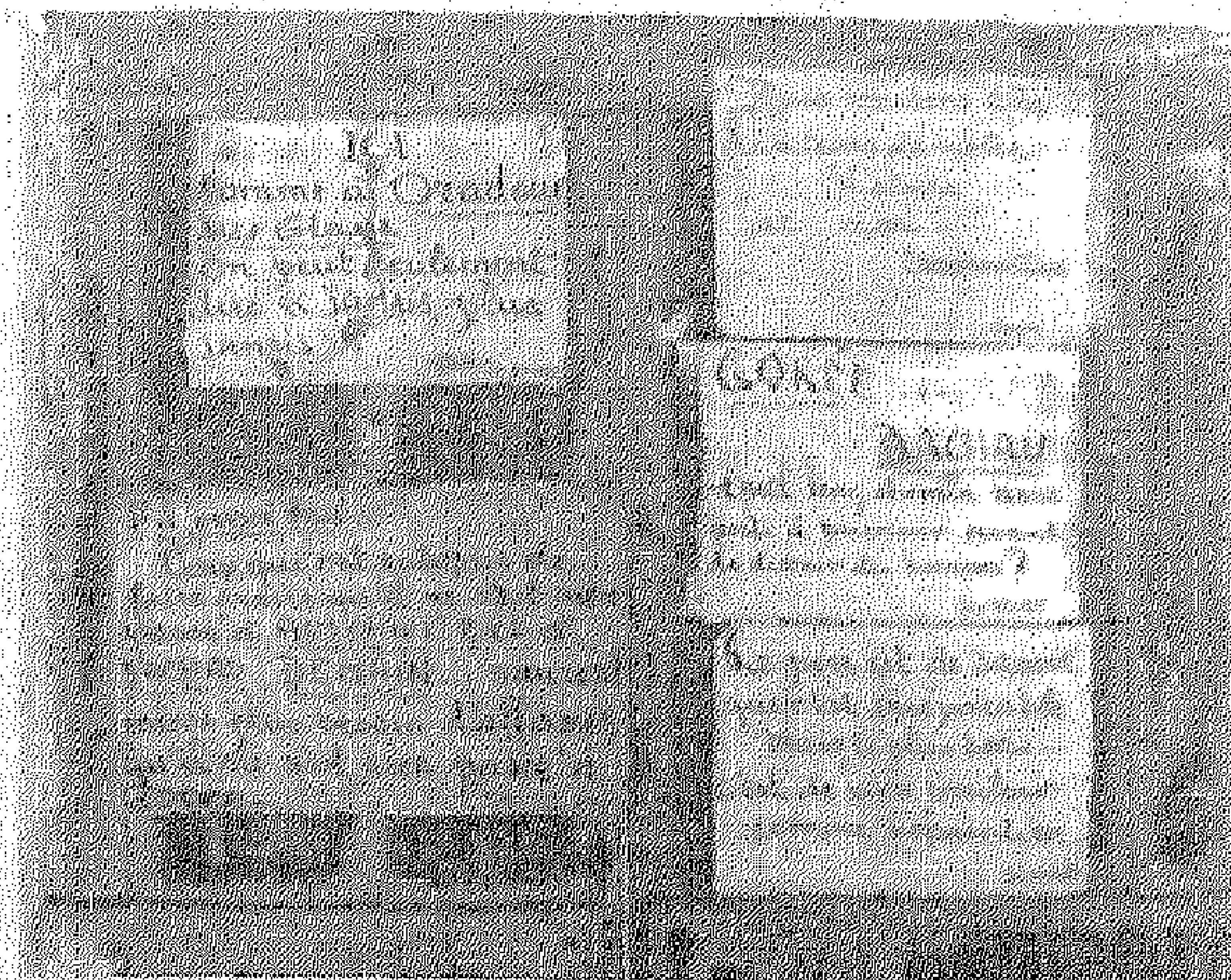
كما تقول المصادر التاريخية، مع منتصف القرن الخامس عشر مسيحي استشرت المحاولات الغربية (البرتغالية خاصة) للبحث عن طريق تجاري مع جنوب غربي آسيا، لقطع طريق التجارة على المسلمين مع الهند وأخذهم من الخلف، وبالتالي الإجهاز على الدور التجاري / الاقتصادي للمسلمين، من خلال شلّ الدور الذي كان يقوم به ما عُرف بـ (طريق الحرير). تقول المصادر التي أرخت لتلك الفترة : إن عشرات المراكب البرتغالية انطلقت بمباركة (هنري الملاّح) - وهو ابن غير شرعي لملك البرتغال - واتجهت نحو السواحل الغربية لافريقيا، بهدف العثور على ما سمي (طريق البهارات المقدس). وفي العام 1444 مسيحي وصل المستكشف البرتغالي (دينيس دياز) إلى جزيرة غوري التي كانت تعرف باسم (بير)، (ويبدو أن هناك علاقة مّا بين هذه الجزيرة وبين منطقة (بير) القريبة من داكار حيث فرع كلية الدعوة الإسلامية في السنغال). في ذلك الزمن لم يكن في الجزيرة سوى بضع أسر تعيش على صيد الأسماك، وقد اعتنقوا الإسلام منذ القرن الحادي عشر كما أفادنا الإمام الراتب بمسجد الجزيرة. أطلق عليها البرتغاليون اسم (جزيرة النخيل) ولعل في هذا تأكيداً على أنها لم تكن



الزميل محمد جحا معد الاستطلاع (يمين)
مع مرافق الرحلة الشيخ الشريف سي (يسار)

شهادات كتاب وأدباء زاروا المكان:

- (هنا.. لا يسعنا إلا أن نقول: أبداً، أبداً، أبداً).
- (الذين يحاولون إقناعنا اليوم بأنه لم يحدث شيء في «أوتشيريتس» و«داشو» غداً سوف لا يحتاجون حتى لتأكيد أن شيئاً لم يحدث حتى في جوري).
- (نريد أن نكون مدينين لتاريخنا وأن لا نكون مستهلكين له).
- (جوري.. و داشو.. سيكون الطريق طويلاً وعلينا أن نقطعه لكي نصبح بشراً).



قاحلة كما يزعم الغربيون ليمرروا الادعاء بأنهم أول من عمَّرها بالنباتات. وظل البرتغاليون يحتلون الجزيرة حتى العام 1587 مسيحي. وفي حمى استشراء الرحلات الاستكشافية الغربية، عرف الأوروبيون ميزات جزيرة جوري كقلعة طبيعية ومرفأ استراتيجي مهم ترسو في (غَوْره) الصغير الهادئ سفنهم ومراكبهم الشراعية. وحينئذ بدأ مسلسل الصراع على جوري، ومعه بدأ مسلسل آلامها الذي ينبعث أنيناً صارخاً وألماً قاسياً من كل ركن وزاوية فيها.

تحولت جوري من مجرد جزيرة صغيرة (نتوء صخري) إلى هدف للفرقاء الأوروبيين، وتواصل الصراع عليها وحولها على امتداد قرنين من الزمان، وربما أكثر. وصارت (درة ثمينة) لا يحصل عليها إلا الفائز بين المتصارعين القادمين من وراء البحار، وما أكثرهم. وظلت آلية الصراع تتكرر بنفس الشكل وذات الأسلوب. تأتي السفن والمراكب الحربية الأوروبية فتلقي بمراسيها خارج الميناء، ثم تبدأ مدافعها في إطلاق حممها على الجزيرة لكي تحطم تحصينات وبيوت من يحتلها، ثم تقوم بغزوها واحتلالها، وبعد أن تسيطر عليها يشرع المحتل الجديد في بناء بيوت وتحصينات جديدة، ثم تأتي مراكب وسفن حربية أوروبية أخرى فتلقي بمراسيها خارج الميناء، وتشرع مدافعها في قصف وتدمير التحصينات والبيوت القائمة، ثم تحتلها، وتبدأ في بناء بيوت وتحصينات جديدة.... وهكذا دواليك، تنتقل الجزيرة من يد محتلٍ لتقع في يد محتلٍ آخر، صراع وتصفية حسابات وثارات بين البيض والبيض جرت هاهنا. وعلى هذا النحو تنقلت جوري بين أيادي البرتغاليين والهولنديين والإنجليز والفرنسيين. وبين الفترة والأخرى كان اسمها يتغير، أطلق عليها



باب اللاعودة كما يبدو من الممر المعتم

ساحة في وسط الجزيرة



الهولنديون اسم (غويدي ريدي) ومعناها (الطريق الطيب) وغالب الظن أن هذا الاسم حُرِّفَ في ما بعد إلى (جوري) اسمها الحالي. لكن (سليمان) و(الشريف سي) يؤكدان أن (جوري) تعني - في لغة أو لهجة قبائل (الوولوف) السنغالية - (العتق).

في تلك الساحة المحيطة بالقلعة ثمة عدد من المدافع تنتشر في المكان، وهي مدافع قديمة، أحدها

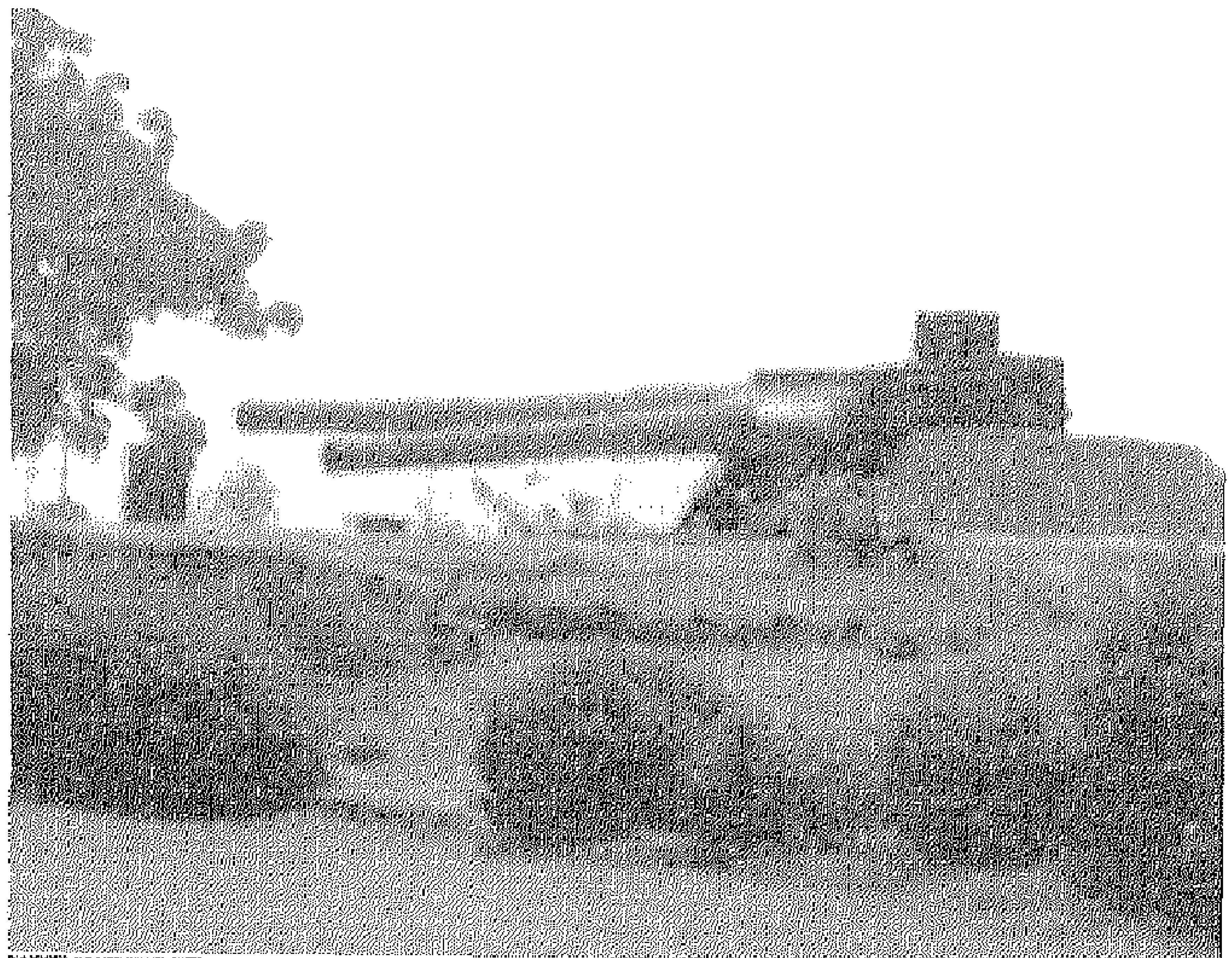


باب اللاعودة كما يبدو من الخارج

كبير الحجم جداً، اقتربنا قليلاً فإذا برجل في منتصف العمر، علم من مرافقيَّ أنني أستغرب وجود مدفع بهذا الحجم في هذا المكان، فأفادنا بأن وزن المدفع يبلغ (1600) ألفاً وستمائة طن، وطوله (16) ستة عشر متراً، أما قطره فيبلغ (240) مائتين وأربعين ملليمتراً. مضيفا أن هذا المدفع قد صنع في فرنسا، ولم يُستخدم سوى مرة واحدة فقط، وكانت في أثناء الحرب العالمية الثانية. تابع سليمان : كان الجنرال (فيشي) يسيطر على جزيرة جوري، وكان في صراع محموم مع الجنرال (ديغول). وقد رأى فيشي سفينة تقترب من الجزيرة، فظن أن فيها غريمه (ديغول) فأمر بإطلاق النار عليها من هذا المدفع، وأغرقها، كان ذلك في الشهر التاسع تقريباً من العام 1940 مسيحي.

الشراع المثقوب

واصلنا تطوافنا في تلك الساحة المرتفعة، والسياح يتنقلون في مجموعات من ركن إلى آخر، وفي ركن فسيح من تلك الساحة يرتفع صرح أبيض اللون على شكل شراع مثقوب بدوائر منتظمة. وهو على شكل باخرة مقلوبة في إشارة إلى نهاية العبودية. قال الشريف سي : إنه نصب جوري التذكاري، وقد أنشئ بمبادرة من الرئيس الأميركي السابق (بل كلنتون)



المدفع الذي لم يُستخدم سوى مرة واحدة

الذي حضر إلى هذا المكان عام 1998 مسيحي، وقدّم اعتذاراً للأفارقة الموجودين في أميركا. وقد أقيم النصب بعد تلك الزيارة، واحتفل بإقامته في 31 من شهر الكانون (ديسمبر) 1999 مسيحي.

أخبرني مرافقي أن مسجد الجزيرة يقع أسفل ذلك النتوء الصخري الذي نجلس على قمته، حاولت أن ألقي نظرة على المسجد من ذلك الارتفاع، غير عابئ بنصائحه وتحذيراته، وفعلاً لم أفلح في ذلك، فطبيعة المكان، والصخور، والانحدار العمودي لذلك النتوء الصخري؛ يمنعك من المحاولة.

ودّعنا السيد سليمان، وعدنا أدراجنا مع ذلك الطريق المرصوف بحجارة البازلت الأسود، الذي تصطف على جانبيه أشجار (الباوباب) العملاقة، عبرنا المسالك والأزقة حتى وصلنا إلى مسجد الجزيرة الذي يقع في الناحية الشرقية قبالة داكار، مسجد صغير قد لا تزيد مساحته على الثلاثمائة متر، وقد قام بصيانته مكتب الجمعية بداكار قبل سنوات قليلة مضت، وأضاف إليه بعض المرافق الصحية للوضوء. عند وصولنا كان قد مضى على أذان الظهر أكثر من ساعة، لذلك فإن أحداً لم يكن هناك. اقترح الشريف سي أن نذهب إلى الإمام الراتب في بيته، لأنه في انتظارنا، وعلى علم بمجيئنا. وكان الأمر كذلك.

استقبلنا الإمام الراتب الشيخ (سعيد سيد فوتي) بفرح غامر، في غرفة إستقبال الضيوف الملاصقة للبيت، وبعد التحية والترحيب والسلام، سألته عن تاريخ بناء مسجد جوري، فأفادني بأنه لا يعرف بالضبط متى أسس المسجد هنا، إلا أنه يعرف أنه هو السابع من الأئمة لهذا المسجد، وقال إنه سمع أن أول



مبنى البلدية

من أسس هذا المسجد شخص اسمه (الشيخ سعيد) من أهالي منطقة (فوتي)، وقد جاء منذ زمن بعيد إلى الجزيرة، فمكث هنا، وأخذ يدعو الناس إلى الإسلام فأسلم على يديه الكثيرون، وإن كان الإسلام قد دخل الجزيرة قبل وصول الشيخ سعيد، وقبل أن يصل الأوروبيون إلى جوري.

الشيخ (سعيد سيد فوتي) هو الإمام الراتب منذ عام 1973 مسيحي، وفضلاً عن كونه الإمام الراتب فهو المرجع للمسلمين في الجزيرة. يؤم المسلمين في الصلوات الخمس والجمعة والعيدين. يقول: الحمد لله.. فهناك الآن نسبة كبيرة من المسلمين في جوري، ويمكن أن نقول إنه من بين كل 100 شخص يوجد 80 منهم مسلمين، والباقي مسيحيون. والمسلمون والمسيحيون متصالحون ومتفاهمون في ما بينهم ولله الحمد، وهناك دائماً مسيحيون يتحولون إلى الإسلام، ولأنه - كإمام راتب - للمسلمين في هذه الجزيرة فحتى المسيحيون يحترمونه ويجلونه ويعطونه حقه في الاحترام والتقدير، وهذا شيء متبادل في ما بينهم، وهم يعيشون بسلام ووئام في مجتمع واحد.

وحول مساحة جوري وعدد سكانها يقول: إنهم ما بين 1500 و2000 نسمة.

وفي ما يتعلق بالمساحة فبحسب معلوماتي فإن أقصى عرض للجزيرة هو 300 متر، وأقصى طول لها هو 900 متر. والجزيرة كما ترى ليس فيها سيارات ولا دراجات (نارية ولا هوائية) وليس فيها مقابر الموتى، ومن يموت من سكانها يشيع في مركب أو زورق ويدفن في داكار.

وعن أبرز وأهم احتياجات المسلمين في هذه الجزيرة يقول:

أهم احتياجات المسلمين الآن كما ترى المسجد، وكما تعرف فإن المنطقة سياحية مهمة جداً، ويأتي السياح الى هنا من كل بلدان العالم، وكان من المفروض أن يكون للمسجد شكل جيد وجميل وواسع، صحيح أن المكان (الموقع) جيد، ولكننا نحتاج إلى مكان أوسع لكي يناسب العدد المتزايد للمسلمين. ويضيف بأنه منذ أن أصبح إماماً وهو يسعى لتوسيع المسجد وترميمه، وقد تم ترميم المسجد مرتين، كانت المرة الأولى في السبعينات، وفي المرة الثانية قام مكتب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بداكار بترميمه، وهذه المجهودات مشكورة بالنسبة لمكتب جمعية

الشراع المنتصب

الدعوة الإسلامية العالمية، ولكننا ما زلنا نحتاج إلى المساعدة، من أجل بناء المسجد المناسب لهذه الجزيرة، فالآن أصبح عدد المسلمين أكثر من ذي قبل، والسياح كثيرون وهم يأتون من جميع أنحاء العالم، فيجب أن يكون هناك مسجد مناسب، ويجب أن يكون مكان عبادة المسلمين ذا مظهر جيد ومناسب في هذه الجزيرة لأنهم الغالبية، ففي صلاة الجمعة لا يتسع المكان لكل المصلين، وكثير منهم يصلون خارج المسجد، وهذا صعب خاصة أثناء البرودة في الشتاء والحرارة في الصيف. وما أتمناه أن ترتفع مئذنة شاهقة في سماء جوري، تكون أول معلم يشاهده الناس من بعيد.



في الطريق إلى المسجد



الإمام الراتب

مسجد جوري



يوم حافل في بانغي

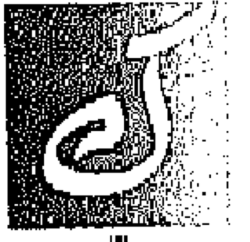


يوم حافل في بانغي

متابعة: أحمد البكّوش*



مطار بانغي

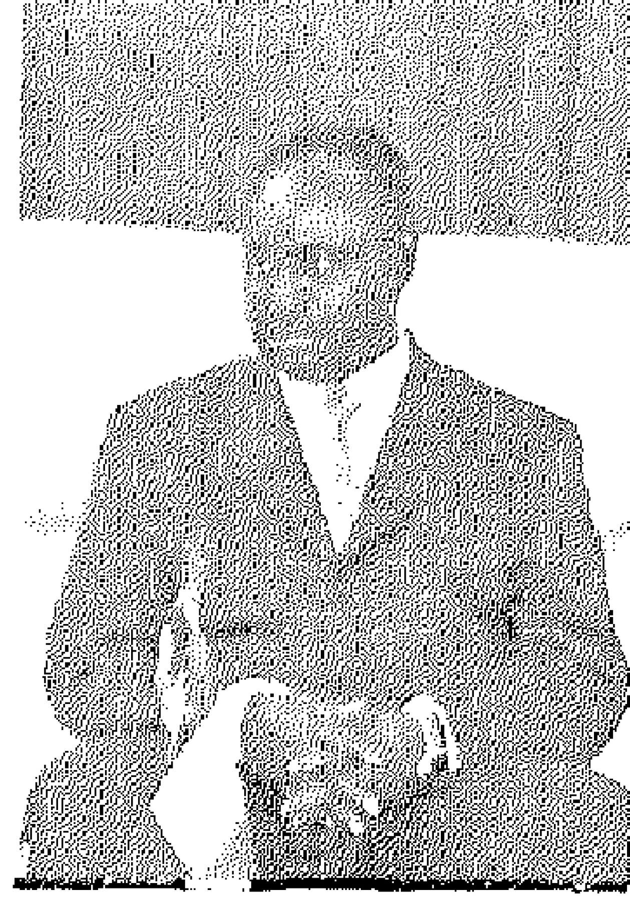


كان من حسن طالعي اختياري ضمن الفريق الإعلامي الذي رافق أحدث قافلة سيرّتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية إلى افريقيا الوسطى، وعندما أقلعت طائرة الشحن الليبية من مطار طرابلس العالمي فجر يوم الأربعاء الرابع من شهر أي النار 1374 ـ 2006 متوجهة إلى مدينة بانغي عاصمة جمهورية إفريقيا الوسطى تنقل ثمانية عشر طناً من المساعدات الغذائية والطبية والملابس، هدية الجمعية إلى شعب هذا البلد الافريقي بمناسبة أعياد رأس السنة المسيحية وعيد الأضحى المبارك اللذين تزامن حلولهما في وقت متقارب.

في تلك اللحظة انشغلت بوضع تصورات عن جغرافية ومناخ هذا البلد الذي أزوره لأول مرة إلا أنني اكتشفت أن كل التصورات التي رسمتها في ذهني لم تكن موفقة لعدم معرفتي بجغرافية المنطقة، وأذكر أنني عندما بدأت الطائرة في الاستعداد للهبوط بمطار بانغي بعد أربع ساعات من الطيران سارعت بالنظر عبر النافذة بجواري، وما أن اتضحت الرؤية شيئاً

* صحافي / ليبيا

فشيئاً وبدأت معالم المنطقة تظهر وتبدو أكثر وضوحاً حتى رأيت بساطاً اخضر يلون الأرض والمرتفعات المحيطة بمدينة بانغي، ويتخلل هذا البساط الأخضر مجرى مائي طويل له قنوات عدة، و قلت في نفسي : ـ هذا هو النهر الذي يذكرني بنهر النيل، مصدر الخير والنماء لهذا البلد، يخترق أرض إفريقيا الوسطى، فالبلد فقير وموارده وإمكاناته المادية محدودة، على الأقل في الوقت الحاضر، ولكن الله عوضه عن ذلك بنهر دافق، يمر عبر قلب عاصمتها بانغي، وهي المنطقة الوحيدة التي شاهدناها من إفريقيا الوسطى وبطبيعة جبلية ساحرة.. ومع أن وصولنا إلى العاصمة كان عند الساعة الواحدة والنصف ظهراً فلم يكن الجو حاراً، بل كان ربيعياً دافئاً ويزيد من روعته نسمات باردة تهب بين الحين والآخر مما ساعدنا على الاحتفاظ بملابسنا الشتوية الثقيلة التي خرجنا بها من طرابلس في ذلك اليوم



الرئيس فرنسوا بوزيزي
رئيس افريقيا الوسطى

الشتوي البارد. وكان في استقبال أعضاء القافلة بمطار بانغي السيد فرانسيس بوزيزي نجل رئيس الجمهورية والسيد محمد مهدي مارابوا رئيس الجمعية الإسلامية بافريقيا الوسطى والأخ عمر كوين الأمين العام للجمعيات الإسلامية، وعدد من أئمة المساجد في مدينة بانغي.

وبعد السلام والترحيب، وعبارات التهنئة بسلامة الوصول، وتقديم عبارات الشكر للجمعية بتسييرها هذه القافلة وإرسالها هذه المساعدات القيمة لشعب إفريقيا الوسطى مسلمين ومسيحيين على حد سواء، تم البدء في تفريغ حمولة الطائرة من المواد الغذائية والأدوية والملابس في شاحنات لنقلها للأماكن المعدة لها إلى حين اتخاذ ترتيبات توزيعها على المواطنين بمعرفة الجهات المحلية المختصة بالتنسيق مع أعضاء القافلة والمكتب الشعبي العربي الليبي ببانغي، وبعد الانتهاء من ذلك غادرنا إلى مكان الإقامة وهو فندق صغير في



وصول المساعدات

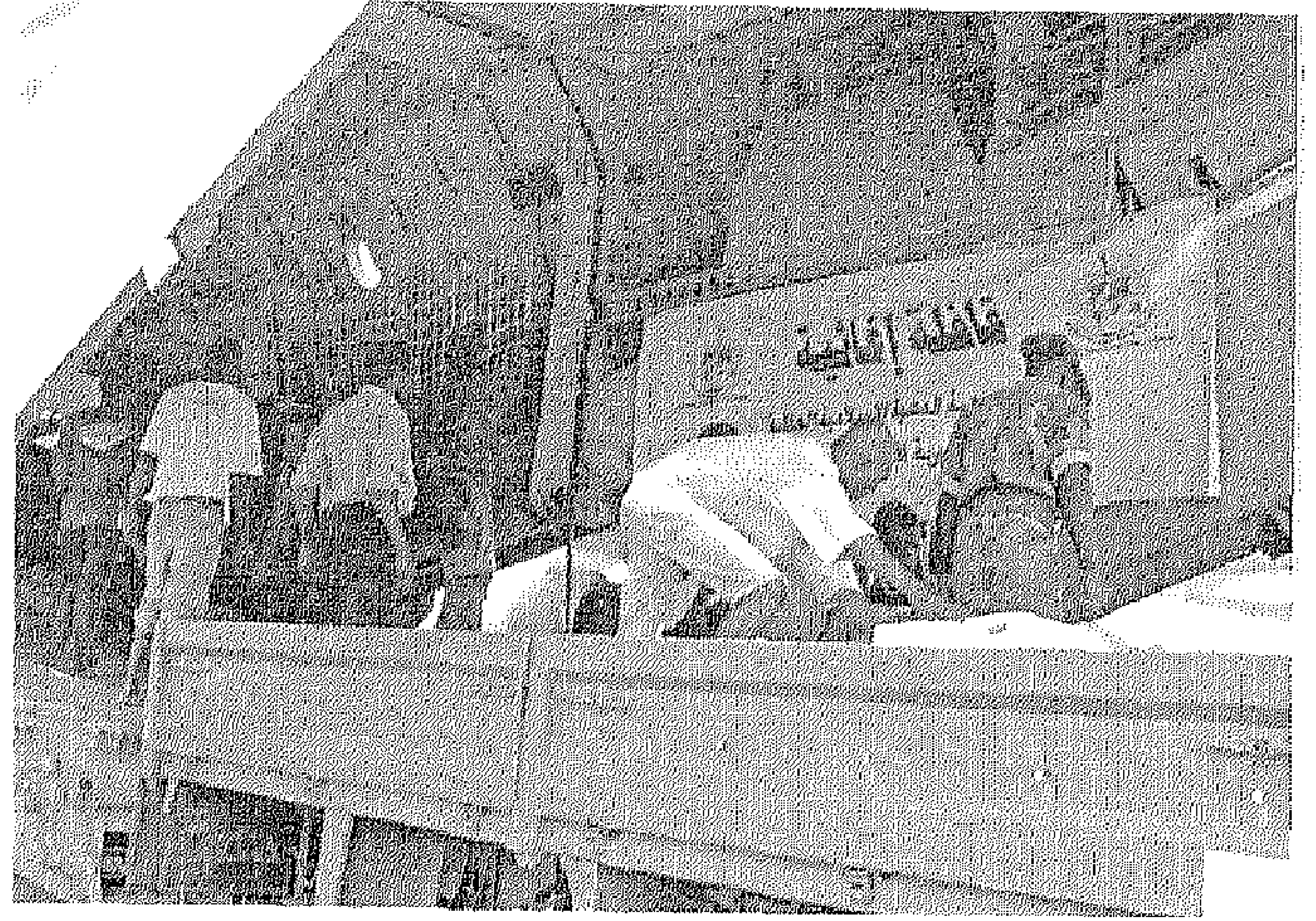
قلب العاصمة ولكنه أنيق ونظيف ومنظم. وطوال الطريق من المطار إلى الفندق كنت انظر من خلف زجاج السيارة إلى البساط الأخضر الذي يغطي ارض بانغي والمرتفعات المحيطة بها، وكان المشهد أخاذاً وغاية في الروعة والجمال، وكأنني أشاهد لوحة رسمها فنان بارع.

كانت الزينات تملأ كل ردهات وقاعات الفندق، فنحن في فترة أعياد ميلاد المسيح ورأس السنة المسيحية. وهذا الفندق كغيره من الفنادق الأخرى شهد خلال الأيام الماضية حفلات في هذه المناسبة.

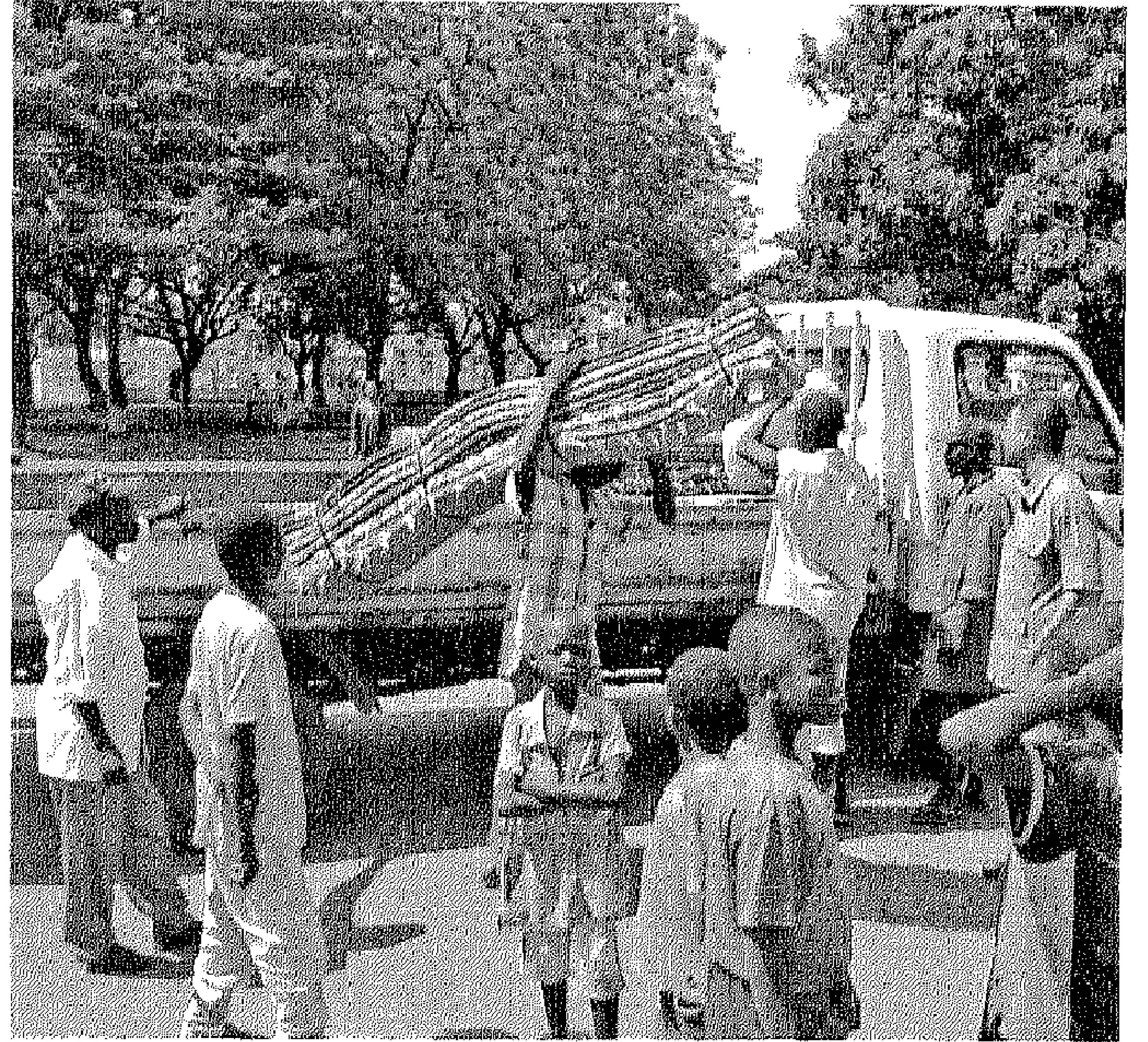
يبلغ عدد سكان إفريقيا الوسطى أربعة ملايين نسمة، سبعون بالمائة منهم مسيحيون، وثلاثون في المائة مسلمون، ولكن المسلمين يتواجدون في مدن ومناطق أخرى خارج العاصمة بانغي. وفي المساء دعينا لتناول العشاء في مقر المكتب الشعبي الذي لا يبعد كثيراً عن الفندق، ولمناقشة ترتيبات نشاط القافلة في اليوم التالي وهو يوم الخميس الذي سيكون حسب البرنامج المعد حافلاً ومليئاً بالنشاط، فالوقت محدود، وعلينا ان نغادر إفريقيا الوسطى مساء يوم الجمعة فالعمل يجب ان يكون مكثفاً للانتهاء من المهمة في الوقت المحدد.

لقاءات واستقبالات مكثفة

وفي اليوم التالي لوصول القافلة وهو يوم الخميس اجتمع الإخوة، منسق وأعضاء القافلة، بالسيد محمد مهدي مارابو رئيس الجمعيات الإسلامية والأخ عمر كوين الأمين العام للجمعيات الإسلامية وتم التباحث خلال الاجتماع في كيفية توزيع المساعدات على المواطنين في مدينة بانغي وبقية المدن الأخرى من خلال المساجد. وقد اقترح السيد مارابو أن يتم التوزيع في بعض المساجد بالعاصمة عقب صلاة الجمعة، حيث يتواجد أكبر عدد من المواطنين، بينما يتم التوزيع في مساجد في أوقات مختلفة، وخاصة في المدن الأخرى والمناطق الريفية بالتنسيق مع أئمة المساجد، وقال السيد مارابو: إنه تم إبلاغ مختلف المناطق بوصول







توزيع المساعدات على مستحقيها يتم في أسرع وقت

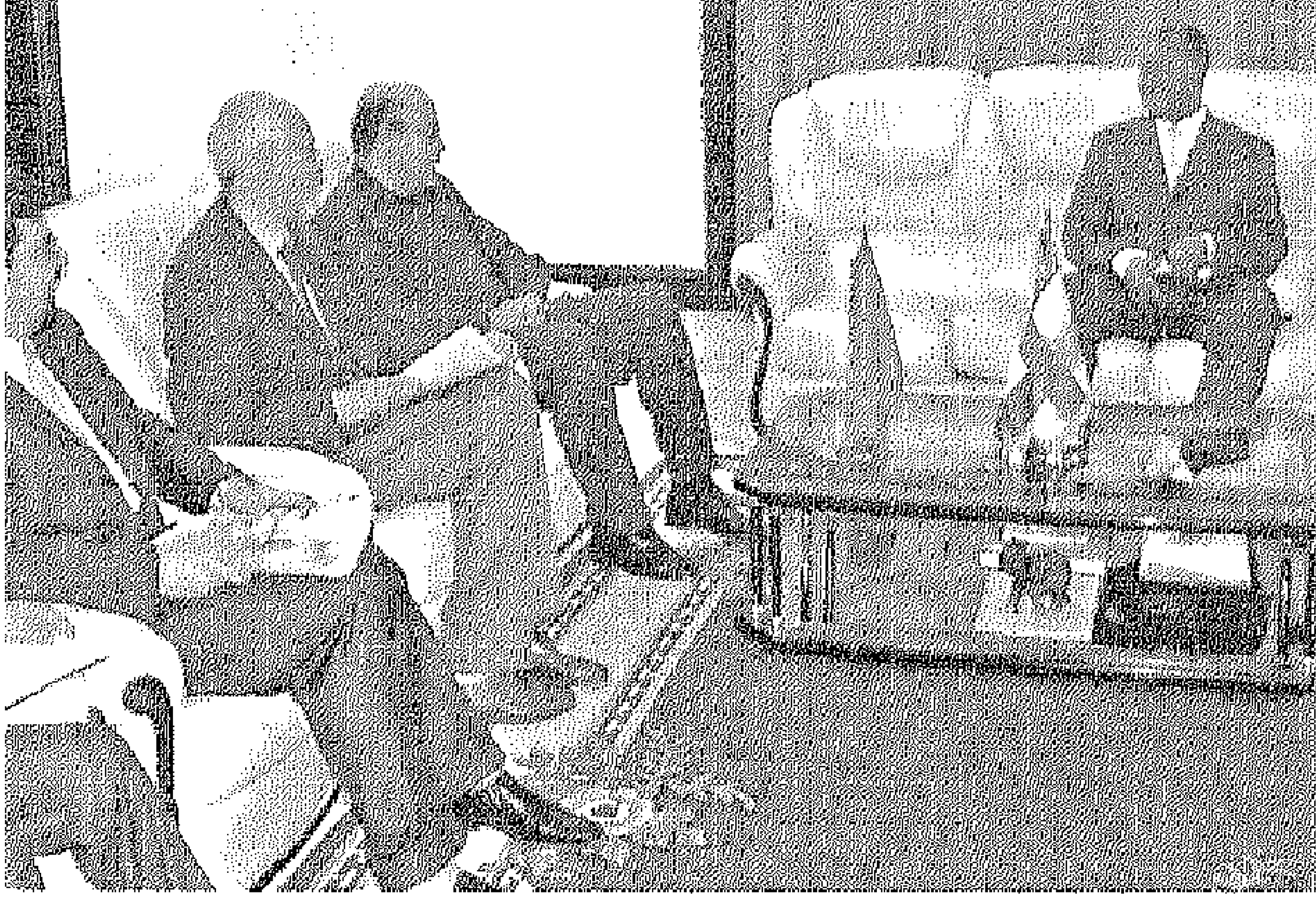
القافلة، مؤكداً أن المساعدات ستصل إلى جميع المواطنين في مناطقهم وأن الفرحة قد عمت الجميع، ويشكرون الجمعية على هذه الهدية القيمة والتي جاءت في وقتها المناسب مع حلول عيد الأضحى المبارك. وتم توزيع كميات أخرى من المواد الغذائية والملابس والأدوية على دور الأيتام والجمعيات النسائية والمؤسسات الاجتماعية في مدينة بانغي.

استقبال الرئيس لأعضاء القافلة

استقبل الرئيس فرانسوا بوزيزي ظهر يوم الخميس الخامس من شهر أي النار منسق وأعضاء القافلة الطبية الاغاثية وذلك في مكتبه بقصر الرئاسة بالعاصمة، وفي بداية اللقاء نقل الأخ منسق القافلة تحيات الأخ أمين الجمعية للرئيس، وقدّم له شرحاً حول المساعدات التي حملتها القافلة هدية من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لشعب إفريقيا الوسطى بمناسبة رأس السنة الميلادية وعيد الأضحى المبارك، كما قدمت للرئيس بعض الهدايا، وقد عبر الرئيس فرانسوا بوزيزي عن تقديره للجهود الكبيرة التي بذلها الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية في سبيل تحقيق حلم جميع الأفارقة بقيام الاتحاد الافريقي، وحرصه الشديد على استكمال وتعزيز مؤسساته، وسعيه المتواصل إلى تحقيق أمن واستقرار وتنمية إفريقيا، وقال في تصريح صحفي إن الأخ القائد يحرص دائماً على تحقيق ازدهار قارتنا وانطلاقها بقوة نحو التطور الاقتصادي والتنمية الاجتماعية لشعوب هذا الفضاء الكبير من أجل سعادة جميع الأفارقة.

وأشاد في تصريحه بعمق العلاقات بين الجماهيرية العظمى وجمهورية إفريقيا الوسطى، حيث إن هذه العلاقات شهدت تطوراً كبيراً في مختلف المجالات والميادين.

وأشار الرئيس إلى زيارته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية خلال شهر الكانون العام الماضي



رئيس إفريقيا الوسطى يستقبل أعضاء القافلة

1373 ـ 2005، وقال: نظراً لما تتمتع به الجمعية من سمعة طيبة وما تحظى به من تقدير في المحافل الدولية فقد حرصت على زيارتها حيث أطلعني الأخ الأمين العام للجمعية على أنشطتها المختلفة وبرامج عملها في العالم وزرتُ مكتبتها ومختلف مرافقها.

اللقاء مع وزيرة الصحة



وزيرة الصحة

استقبلت وزيرة الصحة في حكومة إفريقيا الوسطى بمكتبها منسق وأعضاء القافلة بحضور الأخ أمين المكتب الشعبي العربي الليبي في بانغي وفي بداية اللقاء نقل الأخ منسق القافلة تحيات الأخ أمين الجمعية للسيدة الوزيرة «لي-كوياسوم ـ دومتا» وأكدّ خلال اللقاء أن هذه القافلة تأتي في إطار أنشطة الجمعية الإنسانية بتقديم الغذاء والدواء والكساء للجميع دون تمييز بين دين أو جنس، وأن ما تحمله القافلة هو هدية من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لشعب إفريقيا الوسطى، وتأتي عقب زيارة الرئيس فرانسوا بوزيزي للجماهيرية العظمى ولقائه الأخ القائد، وكذلك زيارته للجمعية حيث صدر تكليف من أمين الجمعية بتسيير هذه القافلة متمنياً لشعب إفريقيا الوسطى الصحة والازدهار.



وقد عبرّت السيدة الوزيرة عن تقديرها وامتنانها للأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية لما يقدمه من دعم متواصل لشعب إفريقيا الوسطى، كما عبرّت في تصريح خاص لصحيفة الدعوة الإسلامية عقب استقبالها أعضاء القافلة عن شكرها وامتنانها لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية لتقديمها المساعدات الطبية لشعب إفريقيا الوسطى، مؤكدة أن هذه المساعدات ستسهم في تحسين الظروف الصحية في البلاد والتي تأثرت بالظروف الصحية التي مرت بها البلاد خلال السنوات الماضية، والتي جعلت المؤسسات الصحية في حالة شبه انهيار كامل، وبالتالي تدني مستوى الخدمات الطبية والإمدادات من الأدوية في مختلف المستشفيات والمراكز الصحية، وقالت: إن أعداداً كبيرة من المواطنين سيستفيدون من هذه المساعدات الطبية وخاصة في المناطق البعيدة عن العاصمة ومراكز المدن، وهذا بالتالي سينعكس على تحسين الظروف الصحية للمواطنين وزيادة العمل والإنتاج ورفع المستوى المعيشي.

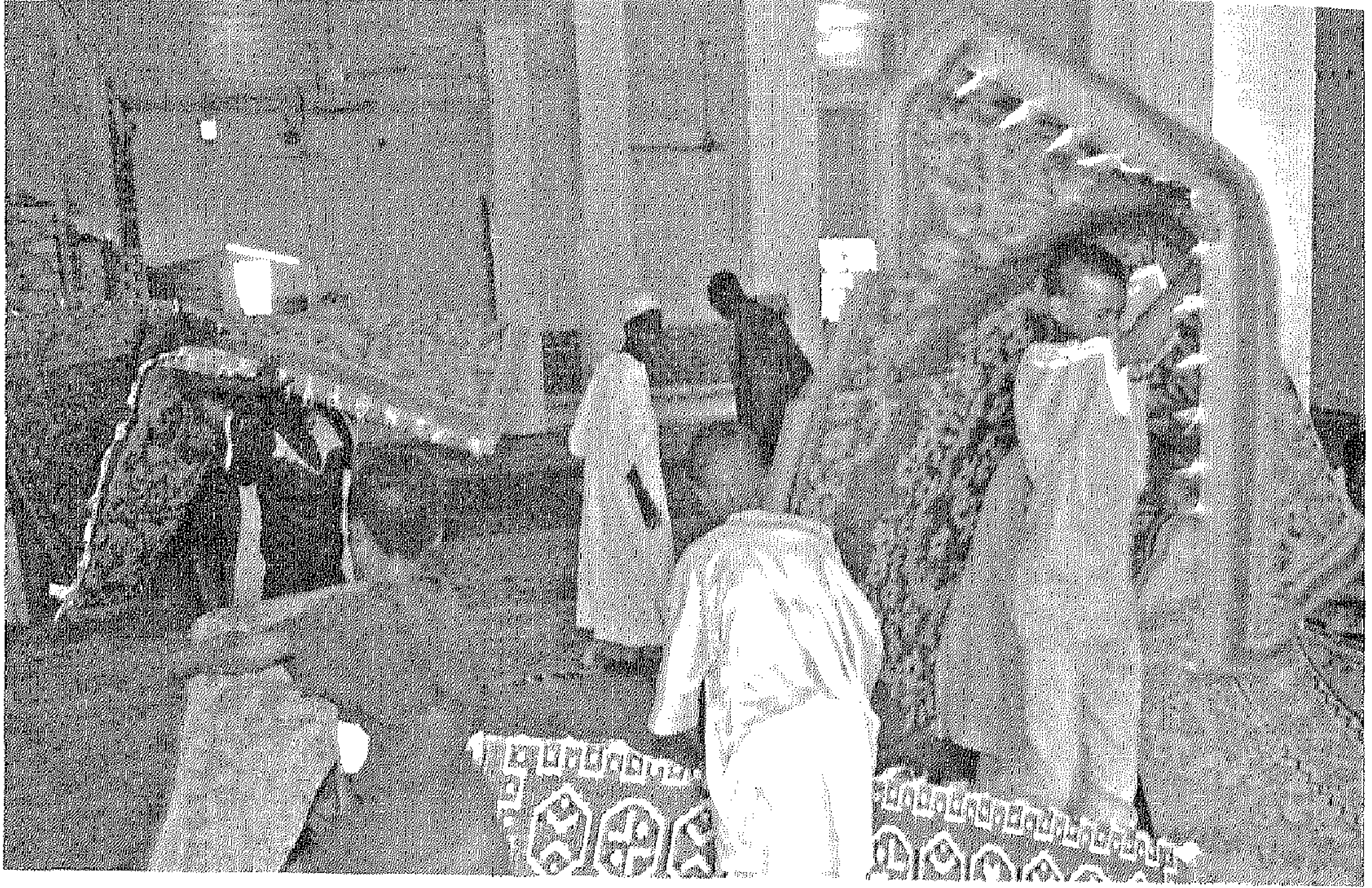
لقاء وزير الداخلية والأديان



ميشيل صالح وزير الداخلية والأديان في افريقيا الوسطى

وقد التقى الإخوة منسق وأعضاء القافلة السيد «ميشيل صالح» وزير الداخلية والمكلف بالأديان في حكومة إفريقيا الوسطى وهو مسلم.

وفي بداية اللقاء رحب الأخ منسق القافلة بالسيد الوزير ونقل إليه تحيات الأخ أمين الجمعية موضحاً أن هذه القافلة تم تسييرها كهدية من الجمعية إلى شعب إفريقيا الوسطى بمناسبة أعياد رأس السنة المسيحية وعيد الأضحى المبارك وقدّم له شرحاً حول المساعدات التي حملتها القافلة، مؤكداً أن المساعدات ستوزع على أبناء شعب إفريقيا الوسطى بغض النظر عن ديانتهم، كما ابلغه بالمساعدات التي ستقدّمها القافلة للمساجد والمتمثلة في فرش وإذاعات محلية ونسخ من المصحف الشريف وترجمة معانيه باللغة



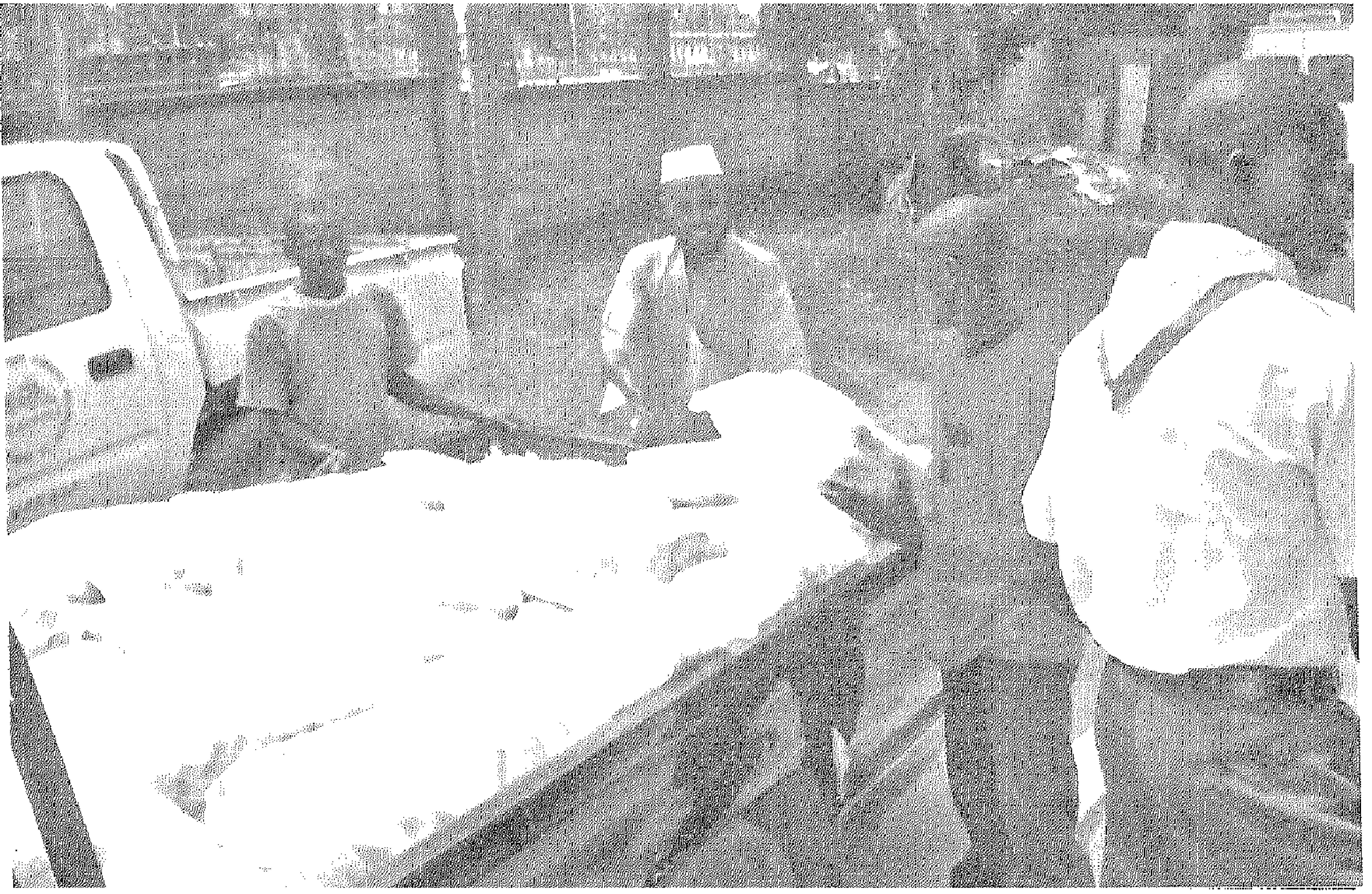
المسجد الكبير ببانغي من الداخل خلال تزويده بالمفروشات

الفرنسية، وأنه ستتم صيانة مسجد وكنيسة، مشيراً إلى أنه خلال شهر رمضان الماضي نظمت الجمعية برنامج إفطار الصائم في عدد من مناطق إفريقيا الوسطى، وقال: «إن هذا اللقاء يتيح لنا الفرصة للتعرف على أحوال المسلمين في هذا البلد».

وقد رحّب السيد الوزير بأعضاء القافلة مشيراً إلى أنه بالإضافة إلى توليه وزارة الداخلية فإنه يشرف على دور العبادة. وقد حدثنا الرئيس في اجتماع مجلس الوزراء عن القافلة، ونقل شكر وامتنان مجلس الوزراء للجمعية لايفادها هذه القافلة، وعبر عن تقديره للاهتمام الكبير الذي يوليه الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية للقارة الافريقية، وبافريقيا الوسطى بشكل خاص، وقال في تصريح خاص عقب استقباله لأعضاء القافلة: «إننا في حكومة إفريقيا الوسطى نتابع جيداً كل ما يبذله الأخ القائد من جهود من أجل إفريقيا. وأشاد في تصريحه بوصول القافلة مؤكداً أن هذه المساعدات ستدخل البهجة في نفوس المواطنين والمسلمين بشكل خاص، وأنها سترفع معنوياتهم، خاصة وأنهم يعيشون فرحة عيد الأضحى المبارك».

مساعدات لمساجد إفريقيا الوسطى

قام أعضاء القافلة الطبية الاغاثية بزيارات إلى عدد من مساجد العاصمة وضواحيها، من بينها المسجد الكبير في العاصمة الذي شيدته الجمعية. وقد تم خلال هذه الزيارات تزويد المساجد بالمفروشات والإذاعات الداخلية ونسخ من المصحف الشريف وقد كان في استقبال أعضاء القافلة خلال زياراتهم أئمة ومشائخ المساجد والدعاة وأعداد كبيرة من المواطنين. وقد عبر أئمة المساجد عن تقديرهم واعتزازهم للاهتمام الكبير الذي يوليه الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية للإسلام والمسلمين في كل مكان، وقد توجهوا بالدعاء إلى الله بأن يوفقه في كل عمل يقوم به لمصلحة الإسلام والمسلمين. كما عبروا عن شكرهم وامتنانهم للجمعية لإرسالها هذه القافلة والتي تزامن وصولها مع حلول عيد الأضحى المبارك



مما يجعل لها قيمة أكبر، مشيدين باهتمام الجمعية بالأئمة والخطباء والدعاة من خلال رعايتهم وإقامة الدورات التدريبية لهم للرفع من مستواهم المهني لكي يؤدوا رسالتهم على أفضل وجه.

(الحاج محمد) فضّل الدّعوة على الوزارة

الحاج محمد مهدي مارابو حالة من الحالات النادرة، ولد مسيحياً من أبوين مسيحيين في منطقة وبيئة مسيحية وتعلم تعليماً مسيحياً كنسياً وتدرج في السلك الكنسي حتى أصبح قسيسا يلقي المواعظ في الكنائس أيام الآحاد وفي المناسبات المختلفة.

تحدث الحاج محمد بحماسة شديدة عن الإسلام والمسلمين في إفريقيا الوسطى فقال: «ان أعداداً كبيرة من أبناء إفريقيا الوسطى يقبلون على الإسلام».

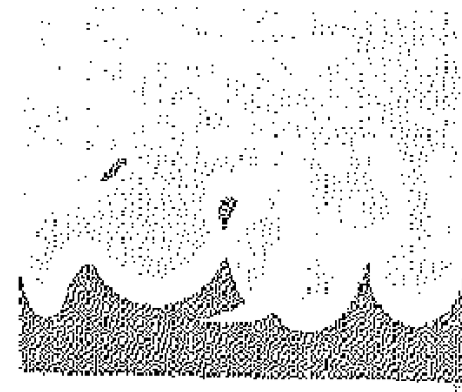
«كل يوم يأتيني أشخاص يريدون الدخول في الإسلام، بل إن كثيراً من زملائه القساوسة يعبّرون له عن رغبتهم في الدخول إلى الإسلام وصار الحاج محمد مهدي مارابو شخصية مرموقة في بلاده».

وقد تقلد أحد المناصب الوزارية في حكومة إفريقيا الوسطى خلال السنوات القريبة الماضية، إلا انه كان يفضل التفرغ للعمل الإسلامي. وتحدّث الحاج محمد المهدي عن هموم ومصاعب العمل الدعوي في بلاده فقال: «إن المهتدين الجدد الذين يتزايدون من شهر لآخر في حاجة إلى الرعاية والاهتمام والمساعدة المادية وإمكانات الجمعيات الإسلامية لا تستطيع ان تتحمل هذه الأعباء».

فالمهتدون يقيمون في المساجد أو في بيوت الأئمة والدعاة المحتاجين أصلاً للمساعدة، ما يحملهم أعباء إضافية. وأما بالنسبة للدعاة فإن أكثرهم غير مؤهلين، ويحتاجون إلى دورات تدريبية ترفع من مستواهم لكي يؤدوا واجبهم على أكمل وجه، وأنهم يعملون بدون مكافآت مما يقلل من أدائهم المهني. وأما بالنسبة إلى مدارس تحفيظ القرآن فيوجد في بانغي عشر مدارس لكنها تواجه نقصاً في المدرسين وحتى المدرسين الموجودين مستواهم المهني ضعيف وبعضهم لا يجيد اللغة العربية.. وعبر الحاج محمد في حديثه عن رغبته في افتتاح مكتب للجمعية في بانغي وان هذا المكتب سوف يؤدي خدماته ليس في إفريقيا الوسطى فقط بل سيقدم خدماته إلى عدد من الدول الأخرى المجاورة لها، لأن إفريقيا الوسطى تقع في قلب إفريقيا. فوجود مكتب للجمعية في بانغي ستكون له أهمية خاصة لأنه سيسهل الاتصال وتقديم الخدمات للمسلمين في عدد من الدول الأخرى.

الواحة







إعداد: التحرير

(1)

«كان محمدﷺ خاتم النبيين وأعظم الرسل الذين بعثهم الله ليدعوا الناس إلى عبادة الله» [1].

(2)

«وكانت تصرفات الرسول ﷺ في «أعقاب فتح» مكة تدل على أنه نبي مرسل لا على أنه قائد مظفر. فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي. ولكنه توّج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو» [2].

(3)

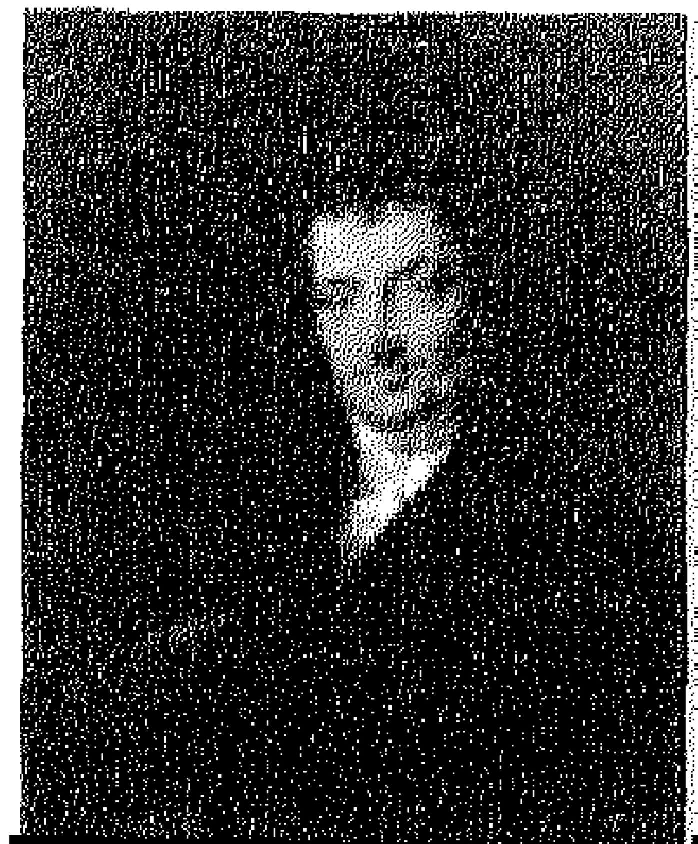
«لقي الرسول ﷺ من أجل نشر الإسلام كثيرًا من العناء، وبذل عدة تضحيات. فقد شك الكثير في صدق دعوته، وظل عدة سنوات دون أن ينال نجاحًا كبيرًا، وتعرض خلال إبلاغ الوحي إلى الإهانات والاعتداءات والاضطهادات، بل اضطر إلى أن يترك وطنه ويبحث عن مكان يهاجر إليه هنا وهناك وتخلى عن كل متع الحياة وعن السعي وراء الثراء من أجل نشر العقيدة» [3].

(4)

«برغم انتصارات الرسول ﷺ العسكرية لم تثر هذه الانتصارات كبرياءه أو غروره، فقد كان يحارب من أجل الإسلام لا من أجل مصلحة شخصية، وحتى في أوج مجده حافظ الرسول ﷺ على بساطته وتواضعه، فكان يكره إذا دخل حجرة على جماعة أن يقوموا له أو أن يبالغوا في الترحيب به. وهو إن كان يهدف إلى تكوين دولة عظيمة، فإنها كانت دولة الإسلام، وقد حكم فيها بالعدل، ولم يفكر أن يجعل الحكم فيها وراثيًا لأسرته» [4].

(5)

«كان الرسولﷺ ينفق ما يحصل من جزية أو ما يقع في يديه من غنائم في سبيل انتصار الإسلام، وفي معاونة فقراء المسلمين، وكثيرًا ما كان ينفق في سبيل ذلك آخر درهم في بيت المال.. وهو لم يخلف وراءه دينارًا أو درهمًا أو رقيقًا.. وقد خيّره الله بين مفاتيح كنوز الأرض في الدنيا وبين الآخرة فاختار الآخرة» [5].



واشنطن ايرفنج

(1) واشنطن إيرفنج Washington Irving: حياة محمد، ص 72.
(2) حياة محمد، ص 72.
(3) نفسه، ص 300.
(4) نفسه، ص 302 ـ 303.
(5) نفسه، ص 303.

(1)

«كان من بين ممثلي حركة التنوير من رأوا في النبي ﷺ أدلة الله، ومشرعًا حكيمًا، ورسولاً للفضيلة، وناطقًا بكلمة الدين الطبيعي الفطري، مبشرًا به»[1].

(2)

«كان العرب يعيشون منذ قرون طويلة في بوادي وواحات شبه الجزيرة، يعيثون فيها فسادًا. حتى أتى محمد ﷺ ودعاهم إلى الإيمان بإله واحد، خالق بارئ، وجمعهم في كيان واحد متجانس»[2].



غلاف كتاب القرآن لرودي بارت*

* رودي بارت Rudi Paret
عالم ألماني معاصر، اضطلع بالدراسات الشرقية في جامعة هايدلبرج، وكرس حياته لدراسة علوم العربية والإسلام، وصنف فيها عددًا كبيرًا من الأعمال، منها ترجمته للقرآن الكريم التي استغرقت منه عشرات السنين وأصدرها بين عامي 1963 و1966، وله كتاب عن النبي محمد ﷺ.

(1) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص 15.

(2) نفسه، ص 20.

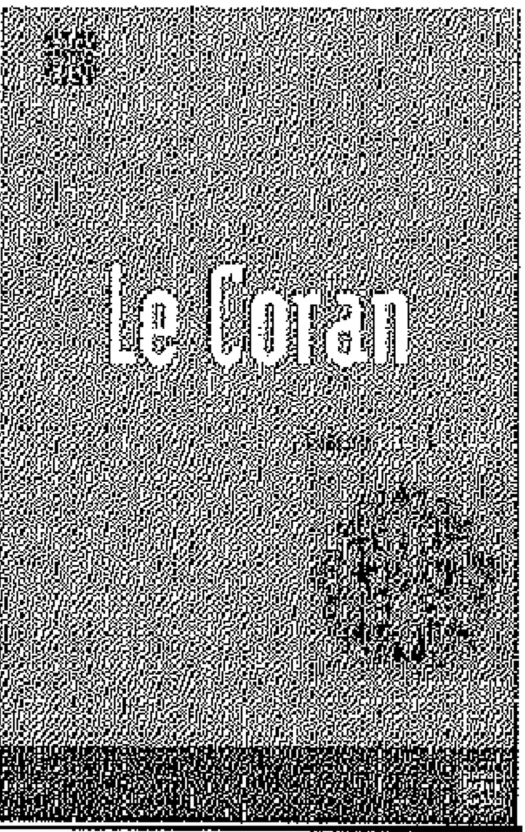
(1)

«.. إن معجزة النبي ﷺ الحقيقية والوحيدة هي إبلاغه الناس رسالة ذات روعة أدبية لا مثيل لها، فمن هو ذلك الرجل المكلّف بالمهام الثقيلة العبء وهي حمل النور إلى عرب الحجاز في أوائل القرن السابع؟ إن محمدًا ﷺ لا يبدو في القرآن إطلاقًا منعمًا عليه بمواهب تنزهه عن الصفات الإنسانية، فهو لا يستطيع في نظر معاصريه المشركين أن يفخر بالاستغناء عن حاجات هي حاجاتهم. وهو يصرّح بفخر أنه لم يكن سوى مخلوق فان: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ الكهف 110.

وهو لم يتلق أي قدرة على صنع المعجزات، ولكنه انتخب ليكون منذرًا ومبشرًا للكافرين. إن نجاح رسالته مرتبط إذن بقيمتها الإحيائية وإلى شكلها المنقطع النظير. ولم يكن محمد ﷺ رغم ذلك، صاحب بيان ولا شاعرًا، فإن الأخبار التي روت سيرته لم تحسن الاحتفاظ بذكرى مفاخراته الشخصية، وثمة عوامل تحملنا على الشك فيما إذا كان عرف استعمال السجع، أو أنه تلقى من السماء فنّ ارتجال الشعر. وعندما قال عنه المكّيّون المشركون أنه شاعر، أو حين عرّضوا بأن مصدر الوحي جنّي معروف أزال الله عنه هذه التهمة:

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ * لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: 69/ 70]

وهكذا يطرح هذا الوحي البالغ جماله حد الإعجاز، الواثق بحمل الناس بقوة بيانه على الهداية، كظاهرة لا علاقة لها بالفصاحة ولا الشعر»[1].



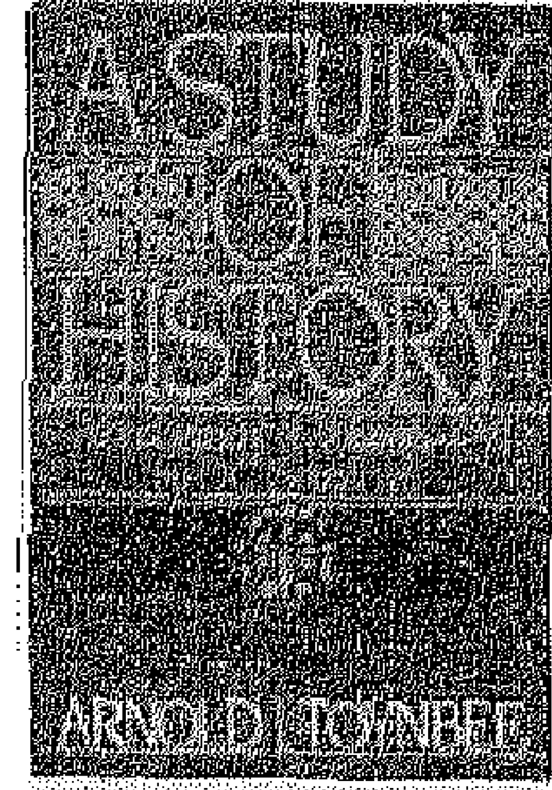
غلاف كتاب القرآن لريجيس بلاشير

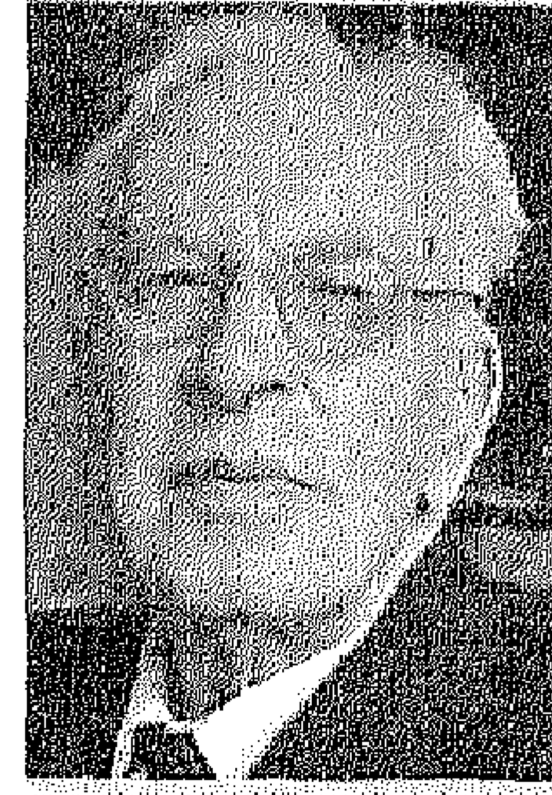
(2)

«.. أما عن انتصار الإسلام فثمّة أسباب تداخلت وفي طليعتها القرآن والسنة وحالة الحجاز الدينية، ونصح وبيان وأمانة الرجل المرسل لإبلاغ الرسالة المنزلة عليه.»[2].

(1) تاريخ الأدب العربي، 2/14 ـ 51.

(2) نفسه، 2/50.





آرنولد توينبي*

(1)

«لقد كرّس محمد ﷺ حياته لتحقيق رسالته في كفالة هذين المظهرين في البيئة الاجتماعية العربية ـ وهما الوحدانية في الفكرة الدينية، والقانون والنظام في الحكم ـ . وتم ذلك فعلاً بفضل نظام الإسلام الشامل الذي ضم بين ظهرانيه الوحدانية والسلطة التنفيذية معًا.. فغدت للإسلام بفضل ذلك قوة دافعة جبارة لم تقتصر على كفالة احتياجات العرب ونقلهم من أمة جهالة إلى أمة متحضرة، بل تدفق الإسلام من حدود شبه الجزيرة، واستولى على العالم السوري بأسره من سواحل الأطالسي إلى شواطئ السهب الأوراسي..»(1).

(2)

«.. لقد أخذت سيرة الرسول العربي (بألباب أتباعه، وسمت شخصيته لديهم إلى أعلى علّيين، فآمنوا برسالته إيمانًا جعلهم يتقبلون ما أوحي به إليه وأفعاله كما سجّلتها السنة، مصدرًا للقانون، لا يقتصر على تنظيم حياة الجماعة الإسلامية وحدها، بل يرتب كذلك علاقات المسلمين الفاتحين برعاياهم غير المسلمين الذين كانوا في بداية الأمر يفوقونهم عددًا»(2).

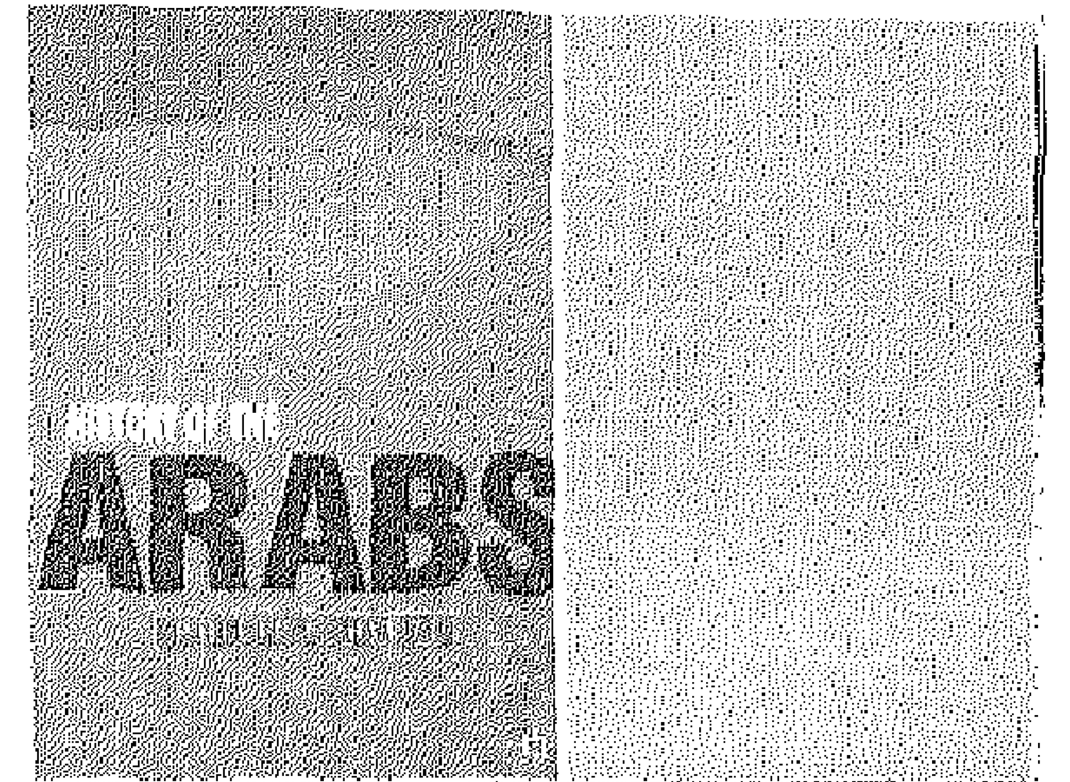
---

* آرنولد توينبي Arnold Toynbee

المؤرخ البريطاني المعاصر، الذي انصبت معظم دراساته على تاريخ الحضارات، وكان أبرزها ـ ولا ريب ـ مؤلفه الشهير (دراسة للتاريخ) الذي شرع يعمل فيه منذ عام 1921 وانتهى منه عام 1961، وهو يتكون من اثني عشر جزءًا عرض فيها توينبي لرؤيته الحضارية للتاريخ. ولقد وضع المستر سومر فيل ـ تحت إشراف توينبي نفسه ـ مختصرًا في جزأين لهذا العمل الواسع بسط فيه جميع آراء المؤلف مستخدمًا عباراته الأصلية في معظم الأحيان، وحذف الكثير من الأمثلة والآراء دون إخلال بالسياق العام للكتاب، وهذا المختصر هو الذي ترجم إلى العربية في أربعة أجزاء، وهو الذي اعتمدناه هنا.

(1) مختصر دراسة للتاريخ 10 /.381 .

(2) نفسه ، 3 / 98 .



غلاف كتاب العرب لفيليب حتي

(1)

«إن اللغة العربية هي لغة القرآن التي كانت الأساس الذي قامت عليه أمة جديدة أخرجت للناس، أمة جاءت بها بعثة محمد (من قبائل متنافرة متنازعة لم يقدّر لها من قبل أن تجتمع على رأي واحد. وهكذا استطاع رسول الإسلام ﷺ أن يضيف حدًا جديدًا (رابعًا) إلى المأثرة الحضارية ذات الحدود الثلاثة من الدين والدولة والثقافة، ذلك الحد الرابع الجديد كان (إيجاد أمة ذات لغة فوق اللغات)..»(1).

(2)

«إن إقامة الأخوة في الإسلام مكان العصبية الجاهلية (القائمة على الدم والقرابة) للبناء الاجتماعي كان في الحقيقة عملاً جريئًا جديدًا قام به النبي العربي ﷺ ..»(2).

(1) الإسلام منهج حياة ، ترجمة د . عمر فروخ ص 19ـ 02 .

(2) نفسه ، ص 51 .

(3)

«من الكتّاب المعاصرين لنا نفرٌ يحاولون أن يكتشفوا الأعمال الباهرة التي حققها محمدﷺ أو أن يعالجوا حياته الزوجية على أساس من التحليل النفسي، فلا يزيدون على أن يضيفوا إلى أوجه التحامل وإلى الآراء الهوائية أحكامًا من زيف العلم..»(3).

(4)

«صفات محمد ﷺ مثبتة في القرآن بدقة بالغة فوق ما نجد في كل مصدر آخر. إن المعارك التي خاضها والأحكام التي أبرمها ، والأعمال التي قام بها لا تترك مجالاً للريب في الشخصية القوية ، والإيمان الوطيد والإخلاص البالغ ، وغير ذلك من الصفات التي خلقت الرجال القادة في التاريخ . ومع أنه كان في دور من أدوار حياته يتيمًا فقيرًا، فقد كان في قلبه دائمًا سعة لمواساة المحرومين في الحياة»(4).

(5)

«إذا نحن نظرنا إلى محمد ﷺ من خلال الأعمال التي حققها، فإن محمدًا الرجل والمعلم والخطيب ورجل الدولة والمجاهد يبدو لنا بكل وضوح واحدًا من أقدر الرجال في جميع أحقاب التاريخ. لقد نشر دينًا هو الإسلام، وأسس دولة هي الخلافة ، ووضع أساس حضارة هي الحضارة العربية الإسلامية، وأقام أمة هي الأمة العربية. وهو لا يزال إلى اليوم قوة حية فعالة في حياة الملايين من البشر»(5).

(3) نفسه ، ص 54 .
(4) نفسه ، ص 54 .
(5) نفسه ، ص 56 .

إميل درمنغم

(1)

«.. إذا كانت كل نفس بشرية تنطوي على عبرة وإذا كان كل موجود يشتمل على عظة فما أعظم ما تثيره فينا من الأثر الخاص العميق المحرك الخصيب حياة رجل يؤمن برسالته فريق كبير من بني الإنسان!»(1).

(2)

«.. ولد لمحمدﷺ من مارية القبطية ابنه إبراهيم فمات طفلاً ، فحزن عليه كثيرًا ولحده بيده وبكاه، ووافق موته كسوف الشمس فقال المسلمون: إنها كُسفت لموته، ولكن محمدًا ﷺ كان من سموّ النفس ما رأى به ردّ ذلك فقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد..» فقول مثل هذا لا يصدر عن كاذب دجال..»(2).

(3)

«إن محمدًا ﷺ الذي خلق القيادة لم يطلب معاصريه بغير ما يفرض عليهم من الطاعة لرجل يبلّغهم رسالات الله، فهو بذلك واسطة بين الله رب العالمين والناس

(1) Emile Dermengham, The life of Mahomet p.9
(2) نفسه ، ص 318 .

أجمعين.. وكان ينهى عن عدّه ملكًا.. ولقد نال السلطان والثراء والمجد، ولكنه لم يغتر بشيء من هذا كله فكان يفضل إسلام رجل على أعظم الغنائم، ومما كان يمضه عجز كثير من الناس عن إدراك كنه رسالته..»(3).

(4)

«.. الحق أن النبي ﷺ لم يعرف الراحة ولا السكون بعد أن أوحي إليه في غار حراء، فقضى حياة يعجب الإنسان بها، والحق أن عشرين سنة كفت لإعداد ما يقلب الدنيا، فقد نبتت في رمال الحجاز الجذيبة حبة سوف تجدد، عما قليل، بلاد العرب وتمتد أغصانها إلى بلاد الهند والمحيط الأطلنطي. وليس لدينا ما نعرف به أن محمداً ﷺ أبصر، حين أفاض من جبل عرفات، مستقبل أمته وانتشار دينه، وأنه أحسّ ببصيرته أن العرب الذين ألّف بينهم سيخرجون من جزيرتهم لفتح بلاد فارس والشام وأفريقية وإسبانية»(4).

(3) نفسه، ص 360.
(4) نفسه، ص 368 - 963.

داڤيد سانتيلانا*

(1)

«ما كان من محمدﷺ إلا أن تناول المجتمع العربي هدمًا من أصوله وجذوره وشاد صرحًا اجتماعيًا جديدًا.. هذا العمل الباهر لم تخطئه عين (ابن خلدون) النفاذة الثاقبة. إن محمداًﷺ هدم شكل القبيلة والأسرة المعروفين آنذاك، ومحا منه الشخصية الفردية Gentes والموالاة والجماعات المتحالفة. ومن يعتنق دين الإسلام عليه أن ينشئ روابطه كلها، ومنها رابطة القرابة والأسرة».(1)

(2)

«كان محمدﷺ رسول الله إلى الشعوب الأخرى، كما كان رسول الله إلى العرب»(2).

* دافيد دي سانتيلانا (1845 - 1391) David de Santillana

ولد في تونس، ودرس في روما، أحرز الدكتوراه في القانون، فدعاه المقيم العام الفرنسي في تونس لدراسة وتدوين القوانين التونسية، فوضع القانونين المدني والتجاري معتمداً بذلك على قواعد الشريعة الإسلامية ومنسقاً إياهما بحسب القوانين الأوروبية. كان على معرفة واسعة بالمذهبين المالكي والشافعي، وفي سنة 1910 عين أستاذاً لتاريخ الفلسفة في الجامعة المصرية، وله محاضرات قيمة فيها. ثم استدعته جامعة روما لتدريس التاريخ الإسلامي.

من آثاره: (ترجمة وشرح الأحكام المالكية)، كتاب (الفقه الإسلامي ومقارنته بالمذهب الشافعي).. إلخ.

(1) تراث الإسلام (إشراف سير توماس آرنولد)، ص 405 - 604.
(2) نفسه، ص 406.

(1)

«إن الشخصية التي حملها محمدﷺ بين جوانحه كانت خارقة للعادة ، وكانت ذات أثر عظيم جداً حتى إنها طبعت شريعته بطابع قوي جعل لها روح الإبداع وأعطاها صفة الشيء الجديد..»[1].

(2)

«إن نبي الإسلام هو الوحيد من بين أصحاب الديانات الذي لم يعتمد في إتمام رسالته على المعجزات وليست عمدته الكبرى إلا بلاغة التنزيل الحكيم..»[2].

(3)

«.. إن سنة الرسول الغرّاءﷺ باقية إلى يومنا هذا، يجلوها أعظم إخلاص ديني تفيض به نفوس «مئات الملايين» من أتباع سنته منتشرين على سطح الكرة[3].

إيتين دينيه *

(4)

«كان النبي (يعنى بنفسه عناية تامة، إلى حد أن عرف له نمط من التأنق على غاية من البساطة، ولكن على جانب كبير من الذوق والجمال، وكان ينظر إلى نفسه في المرآة.. ليمشط أو ليسوي طيات عمامته.. وهو في كل ذلك يريد من حسن منظره البشري أن يروق الخالق سبحانه وتعالى..»[4].

(5)

«لقد (دعا) عيسى (عليه السلام) إلى المساواة والأخوة، أما محمدﷺ فوفق إلى (تحقيق) المساواة والأخوة بين المؤمنين أثناء حياته»[5].

---

* إيتين دينيه Etienne Dinet (1861ـ 1929) تعلم في فرنسا، وقصد الجزائر، وأشهر إسلامه وتسمى بناصر الدين (1927)، وحج إلى بيت الله الحرام (1928).

من آثاره: صنف معاوية سليمان بن إبراهيم، و«محمد في السيرة النبوية»، وله بالفرنسية «حياة العرب»، و«حياة الصحراء»، و«الشرق في نظر الغرب»، و«الحج إلى بيت الله الحرام»، و«أشعة خاصة بنور الإسلام».

(1) أشعة خاصة بنور الإسلام ، ص 15 .

(2) نفسه ، ص 16 .

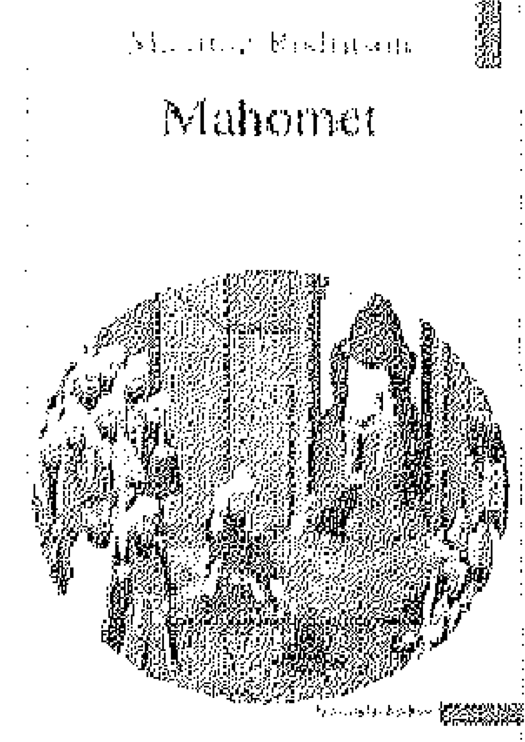
(3) محمد رسول الله ، ص 51 .

(4) نفسه ، ص 312 .

(5) نفسه ، ص 323 .

(1)

«.. بظهور عدد من المؤرخين الأوروبيين المستنيرين في القرن الثامن عشر ، بدأت تتكامل معالم صورة هي صورة محمد ﷺ الحاكم المتسامح والحكيم والمشرع» [1].



مكسيم رودنسون*

* مكسيم رودنسن Maxim Rodinson

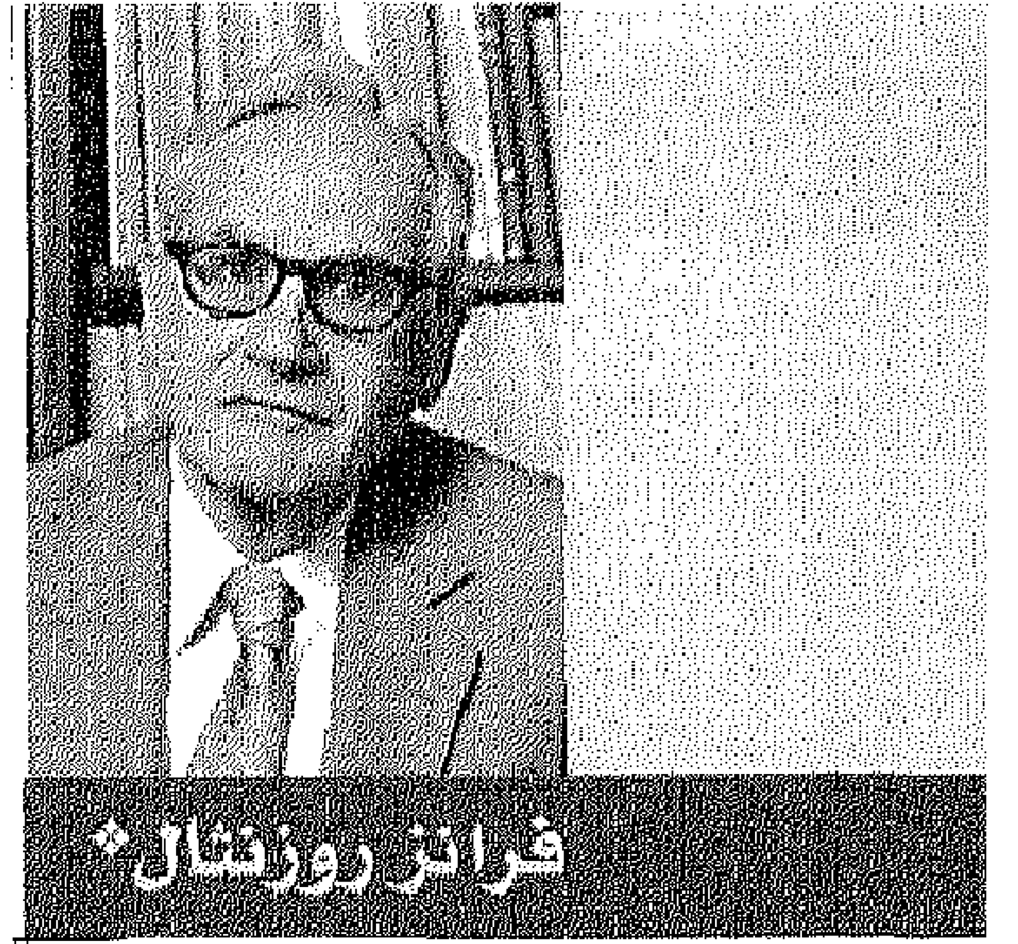
ولد عام 1915، من أساتذة مدرسة الدراسات العليا بباريس، ثم مديرها.

من آثاره: (مباحث في فن الطبخ عند العرب) (1949)، ونشر عدداً من الدراسات في المجلات المعروفة من مثل (دانتي والإسلام)، و (حياة محمد والمشكلة الاجتماعية المتعلقة بأصول الإسلام)، و(دراسة الصلات بين الإسلام والشيوعية).

1 ـ تراث الإسلام ، (تصنيف شاخت وبوزوث)، 1 / 67 ـ 86 .

(1)

«إن أفكار الرسول ﷺ التاريخية نشّطت دراسة التاريخ نشاطًا لا مزيد عليه، فقد أصبحت أعمال الأفراد وأحداث الماضي وحوادث كافة شعوب الأرض أمورًا ذات أهمية دينية، كما أن شخصية الرسول ﷺ كانت خطًا فاصلاً واضحًا في كل مجرى التاريخ، ولم يتخط علم التاريخ الإسلامي هذا الخط قط..» [1].


فرانز روزنتال*

(2)

«تبقى حقيقة ، هي أن الرسول (نفسه وضع البذور التي نجني منها اهتمامًا واسعًا بالتاريخ.. لقد كان التاريخ يملأ تفكير الرسول ﷺ لدرجة كبيرة، وقد ساعد عمله من حيث العموم في تقديم نمو التاريخ الإسلامي في المستقبل، رغم أن الرسول ﷺ لم يتنبأ بالنمو الهائل للمعرفة والعلم الذي سيتم باسم دينه» [2].

* **فرانز روزنتال** ولد في برلين سنة 1914 ، وتلقى علومه في جامعتها حيث حصل على درجة الدكتوراه سنة 1935 . قدم إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1940 ، وعمل أستاذاً للغات السامية ، ودرّس اللغة العربية في جامعة بنسلفانيا، كما شغل منصب أستاذ كرسيّ اللغات السامية في جامعة ييل . له عدد من المؤلفات من أشهرها كتابه علم التاريخ عند المسلمين الذي ترجمه إلى العربية الدكتور صالح أحمد العليّ ، وكتاب مناهج البحث عند المسلمين الذي ترجمه الدكتور أنيس فريحة .

1 . فرانز روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة د. صالح العلي ص 40.

2 . المصدر السابق ص 45 .

جورج سارتون *

(1)

«صدع الرسول ﷺ بالدعوة نحو عام 610 م وعمره يوم ذاك أربعون سنة، وكان مثل إخوانه الأنبياء السابقين (عليهم السلام) ولكن كان أفضل منهم بما لا نسبة فيه.. وكان زاهدًا وفقيهاً ومشرّعًا ورجلاً عملياً..»(1).

(2)

«إنه لم يتح لنبي من قبل.. أن ينتصر انتصارًا تامًا كانتصار محمدﷺ ..»(2).

(3)

«.. لم يكن محمد ﷺ نبي الإسلام فحسب، بل نبي اللغة العربية والثقافة العربية، على اختلاف أجناس المتكلمين بها وأديانهم»(3).

* ولد جورج سارتون في بلجيكا سنة 1884، وقد هاجر إلى أمريكا سنة 1915، وتحصل على الجنسية الأمريكية سنة 1924، درّس مادة (تاريخ العلم) في جامعة هارفارد. من أشهر مؤلفاته كتاب (مقدمة في تاريخ العلم) وقد تُرجم إلى العربية .

1 ـ الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط ، ص 29 ـ 03 ـ 13.

2 ـ نفسه ، ص 43 .

3 ـ نفسه ، ص 43 .

هنري سيريو *

(1)

«لم يغرس محمدﷺ في نفوس الأعراب مبدأ التوحيد فقط، بل غرس فيها أيضًا المدنية والأدب»(1).

(2)

«محمد ﷺ شخصية تاريخية حقة، فلولاه ما استطاع الإسلام أن يمتد ويزداد، ولم يتوان في ترديد أنه بشر مثل الآخرين مآله الموت، وبأنه يطلب العفو والمغفرة من الله عز وجل. وقبل مماته أراد أن يطهر ضميره من كل هفوة أتاها ، فوقف على المنبر مخاطبًا: أيها المسلمون، إذا كنت قد ضربت أحدًا فهاكم ظهري ليأخذ ثأره، أو سلبته مالاً فمالي ملكه. فوقف رجل معلنًا أنه يدينه بثلاثة دراهم، فردّ الرسول ﷺ قائلاً: أن يشعر الإنسان بالخجل في دنياه خيرٌ من آخرته. ودفع للرجل دينه في التو. وهذا التذوق والإحساس البالغ لفهم محمد ﷺ لدوره كنبي يرينا بأن (رينان) كان على غير حق في نعته العرب قبل الإسلام بأنها أمة كانت تحيا بين براثن الجهل والخرافات..»(2).

(1) فلسفة الفكر الإسلامي ، ص 8 .

(2) نفسه ، ص 17 .

(3)

«إن المحاولة الإسلامية في التاريخ ذات أثر كبير، والعبقرية العربية تجد في محمد ﷺ منشأً لحضارة التوحيد التي تعتبر ذات أهمية كبيرة، إذا فكرنا في القيمة الفلسفية للتوحيد، وفي تفوقها الكبير الذي جعل كل الشعوب الآرية تمارس أفكار تلكم الفلسفة. وهذه الثروة الروحية الغزيرة في الأمة العربية، راجعة إلى الغريزة النبوية والتي تعد واضحة لدى الشعوب السامية، فاليهود الذين يستطيعون الفخر بأنبيائهم الكبار، يقرون بأن روح النبوة قد اختفت لديهم بعد هدم معبدهم الثاني، وهذا ما يفسر بمعنى أكيد العداوة العنيفة والكثيرة التكرار في القرآن بالنسبة إليهم»(3).

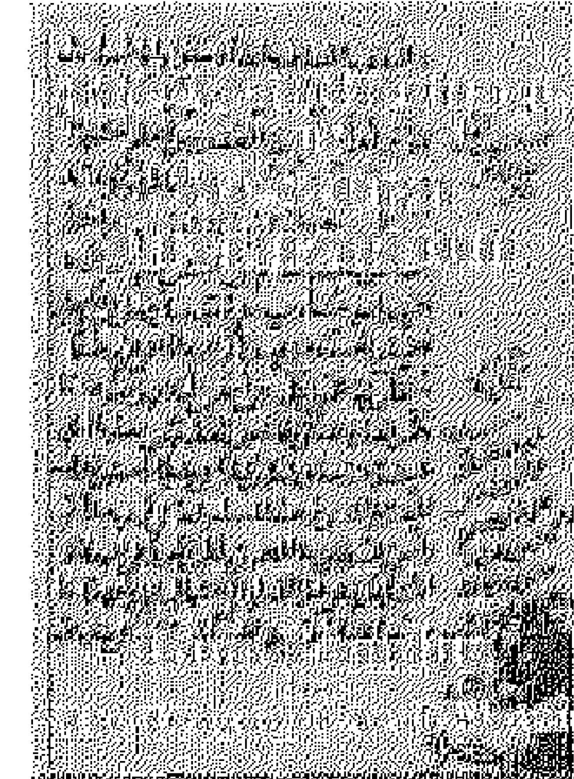
(4)

«.. إن الحضارة الفكرية الذهنية الحقيقية لم تظهر وتوجد ـ لدى العرب ـ إلا لدى وصول محمد ﷺ»(4).

(3) نفسه ، ص 31 .
(4) دفاع عن الإسلام ، ص 24 .

(1)

«.. لم ينسب محمدﷺ في أيّ يوم من الأيام إلى نفسه صفة ألوهية أو قوى عجيبة . على العكس، لقد كان حريصًا على النص على أنه مجرد رسول اصطنعه الله لإبلاغ الوحي للناس»(1).



(2)

«كان محمدﷺ تقيًا بالفطرة ، وكان من غير ريب مهيّأ لحمل رسالة الإسلام التي تلقاها.. وبالإضافة إلى طبيعته الروحية ، كان في سرّه وجهره رجلاً عمليًا عرف مواطن الضعف ومواطن القوة في الخلق العربي، وأدرك أن الإصلاحات الضرورية ينبغي أن تقدم إلى البدو الذين لا يعرفون انضباطًا وإلى المدنيين الوثنيين ، وفي آن معًا ، على نحو تدريجي . وفي الوقت نفسه كان محمدﷺ يملك إيمانًا لا يلين بفكرة الإله الواحد.. وعزمًا راسخًا على استئصال كل أثر من آثار عبادة الأصنام التي كانت سائدة بين الوثنيين العرب»(2).

(1) روم لاندو Rom Landa في كتابه The Arab heritage of western civilization، ص 32 .
(2) نفسه ، ص 33 .

(3)

«كانت مهمة محمد ﷺ هائلة . كانت مهمة ليس في ميسور دجال تحدوه دوافع أنانية (وهو الوصف الذي رمى به بعض الكتاب الغربيين المبكرين الرسول العربي ﷺ) أن يرجو النجاح في تحقيقها بمجهوده الشخصي، إن الإخلاص الذي تكشف عنه محمدﷺ في أداء رسالته ، وما كان لأتباعه من إيمان كامل بما أنزل عليه من وحي، واختبار الأجيال والقرون، كلّ ذلك يجعل من غير المعقول اتهام محمدﷺ بأيّ ضرب من الخداع المتعمد . ولم يعرف التاريخ قط أي تلفيق (ديني) متعمد استطاع أن يعمر طويلاً . والإسلام لم يعمر حتى الآن ما ينوف على ألف وثلاثمائة سنة وحسب ، بل إنه لا يزال يكتسب، في كل عام، أتباعًا جددًا. وصفحات التاريخ لا تقدم إلينا مثلاً واحدًا على محتال كان لرسالته الفضل في خلق إمبراطورية من إمبراطوريات العالم وحضارة من أكثر الحضارات نبلاً»(3).

(4)

«كانت مهمة محمد ﷺ هي القضاء على النظام القبلي القوي الذي كان مسؤولاً عن اندلاع نار الحرب ، على نحو موصول تقريبًا بين العرب، والاستعاضة عنه بولاء لله يسمو على جميع الروابط الأسرية والأحقاد الصغيرة . كان عليه أن يعطي الناس قانونًا كليًا يستطيع حتى العرب المتمردون قبوله والإذعان له ، وكان عليه أن يفرض الانضباط على مجتمع عاش على العنف القبلي والثأر الدموي لضروب من المظالم بعضها واقعي وبعضها متوهم . كان عليه أن يحلّ الإنسانية محل الوحشية ، والنظام محل الفوضى، والعدالة محلة القوة الخالصة»(4).

(5)

«عندما توفي محمد ﷺ عام 632م كان في نجاح الإسلام ما زكى إيمان خديجة بالوحي الذي تلقاه زوجها ، وكانت العقيدة التوحيدية الجديدة في سبيلها إلى القيام بفتح روحي ومادي لا يضارعه أي فتح في التاريخ البشري»(5).

---

(3) نفسه ، ص 33 ـ 43 .

(4) نفسه ، ص 34 .

(5) نفسه ، ص 35 .

إدوارد مونته*

(1)

«إن طبيعة محمدﷺ الدينية تدهش كل باحث مدقّق نزيه المقصد بما يتجلى فيها من شدة الإخلاص. فقد كان محمدﷺ مصلحًا دينيًا ذا عقيدة راسخة ، ولم يقم إلا بعد أن تأمّل كثيرًا وبلغ سن الكمال بهذه الدعوة العظيمة التي جعلته من أسطع الأنوار الإنسانية في الدين . وهو في قتاله الشرك والعادات القبيحة التي كانت عند أبناء زمنه ، كان في بلاد العرب أشبه بنبيٍّ من أنبياء بني إسرائيل الذين نراهم كبارًا جدًا في تاريخ قومهم. ولقد جهل كثير من الناس محمدًا وبخسوه حقه ، وذلك لأنه من المصلحين النادرين الذين عرف الناس أطوار حياتهم بدقائقها»[1].

(2)

«كان محمد ﷺ كريم الأخلاق حسن العشرة، عذب الحديث، صحيح الحكم صادق اللفظ، وقد كانت الصفات الغالبة عليه هي صحة الحكم وصراحة اللفظ ، والاقتناع التام بما يعمله ويقوله»[2].

(3)

«.. ندر بين المصلحين من عرفت حياتهم بالتفصيل مثل محمد ﷺ، وإن ما قام به من إصلاح أخلاق وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للإنسانية»[3].

(4)

«لا مجال للشك في إخلاص الرسولﷺ وحماسته الدينية التي تشبعت بها نفسه وفكره..»[4].

---

* إدوارد مونته (1856 ـ 1972) Edward Montet

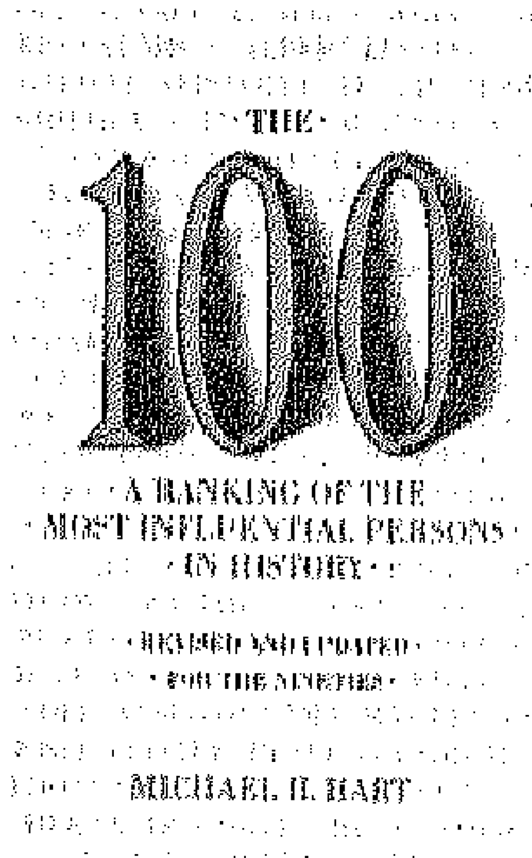
أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف، من كتبه (محمد والقرآن)، وترجمة جيدة للقرآن، و(حاضر الإسلام ومستقبله).

(1) محمد والقرآن ، ص 18 (عن ستودارد: حاضر العالم الإسلامي 1 / 32).

(2) نفسه ، (عن ستودارد 1 / 32).

(3) حاضر الإسلام ومستقبله (عن محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية 1/67).

(4) نفسه ، 1 / 67 .

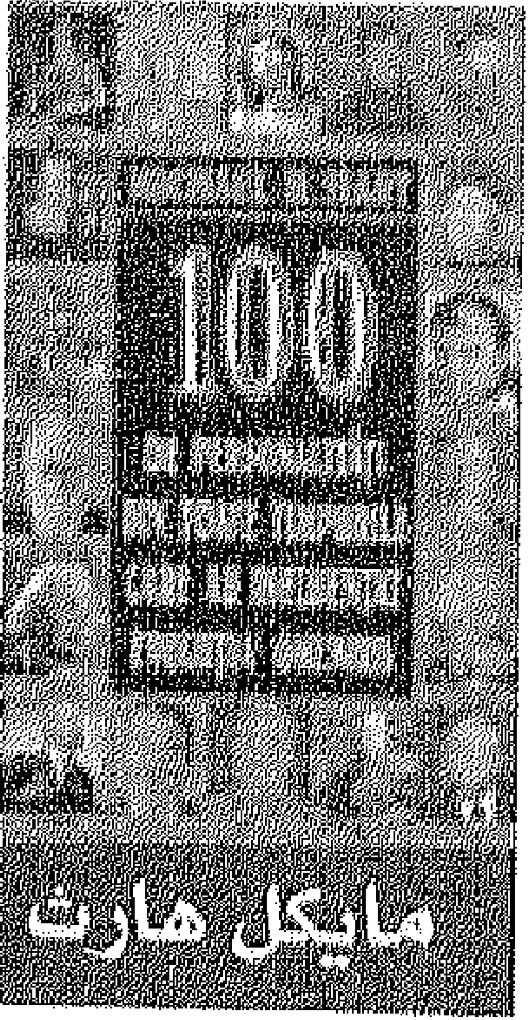


(1)

«إن اختياري لمحمد ﷺ ليكون رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، ربما أدهش كثيرًا من القراء... ولكن في اعتقادي أن محمدًا ﷺ كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي»[1].

(2)

«لقد أسس محمد ﷺ ونشر أحد أعظم الأديان في العالم ، وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظام. ففي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرنًا تقريبًا على وفاته ، فإن تأثيره لا يزال قويًا وعارمًا..»[2].



(3)

«.. من وجهة النظر الدينية الصرفة يبدو أن محمدًا ﷺ كان له تأثير على البشرية عبر التاريخ كما كان للمسيح (عليه السلام)»[3].

(4)

«.. إن محمدًا ﷺ يختلف عن المسيح بأنه كان زعيمًا دنيويًا فضلاً عن أنه زعيم ديني، وفي الحقيقة إذا أخذنا بعين الاعتبار القوى الدافعة وراء الفتوحات الإسلامية ، فإن محمدًا ﷺ يصبح أعظم قائد سياسي على مدى الأجيال»[4].

(5)

«.. إن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له في التأثير الديني والدنيوي معًا يخول محمدًا ﷺ أن يعتبر أعظم شخصية فرد ذات تأثير في تاريخ البشرية»[5].

❖ **الدكتور مايكل هارت Michael Hart**

أمريكي، حصل على عدة شهادات في العلوم وعلى الدكتوراه في الفلك من جامعة برنستون، عام 1972، عمل في مراكز الأبحاث والمراصد، وهو أحد العلماء المعتمدين في الفيزياء التطبيقية.

(2) دراسة في المائة الأوائل ، ص 19 .

(3) نفسه ، ص 19 .

(4) نفسه ، ص 23 .

(5) نفسه ، ص 24 .

(6) نفسه ، ص 25 .

(1)

«.. هل تراك علمت قط أن رجلاً على غير كريم السجايا مستطيع أن يتخذك صديقًا؟ ذلك أن من عرفوا محمدًا ﷺ كانوا أشد الناس إيمانًا به أكثر من غيرهم. وقد آمنت به خديجة كل حياته . وأبو بكر أفضل شاهد على ذلك ، وهو لم يتردد قط في إخلاصه. كان يؤمن بالنبيﷺ. ومن العسير على أي إنسان يقرأ تلك الأيام ألا يؤمن بأبي بكر، وكذلك علي، فإنهما خاطرا بحياتيهما من أجل النبي ﷺ في أحلك أيامه سوادًا.»[1].

(2)


هربرت جورج ولز *

«حجّ محمد ﷺ حجة الوداع من المدينة إلى مكة، قبل وفاته بعام، وعند ذاك ألقى على قومه موعظة عظيمة.. إنّ أول فقرة فيها تجرف أمامها كل ما بين المسلمين من نهب وسلب ومن ثارات ودماء، وتجعل الفقرة الأخيرة منها الزنجي المؤمن عدلاً للخليفة.. إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها إنسانية السمة ممكنة التنفيذ، وقد خلقت جماعة إنسانية يقل ما فيها ، مما يغمر الدنيا من قسوة وظلم اجتماعي، عما في أي جماعة أخرى سبقتها»[2].

(3)

«لقد منح (العرب) العالم ثقافة جديدة، وأقاموا عقيدة لا تزال إلى اليوم من أعظم القوى الحيوية في العالم أما الرجل الذي أشعل ذلك القبس العربي فهو محمدﷺ[3].

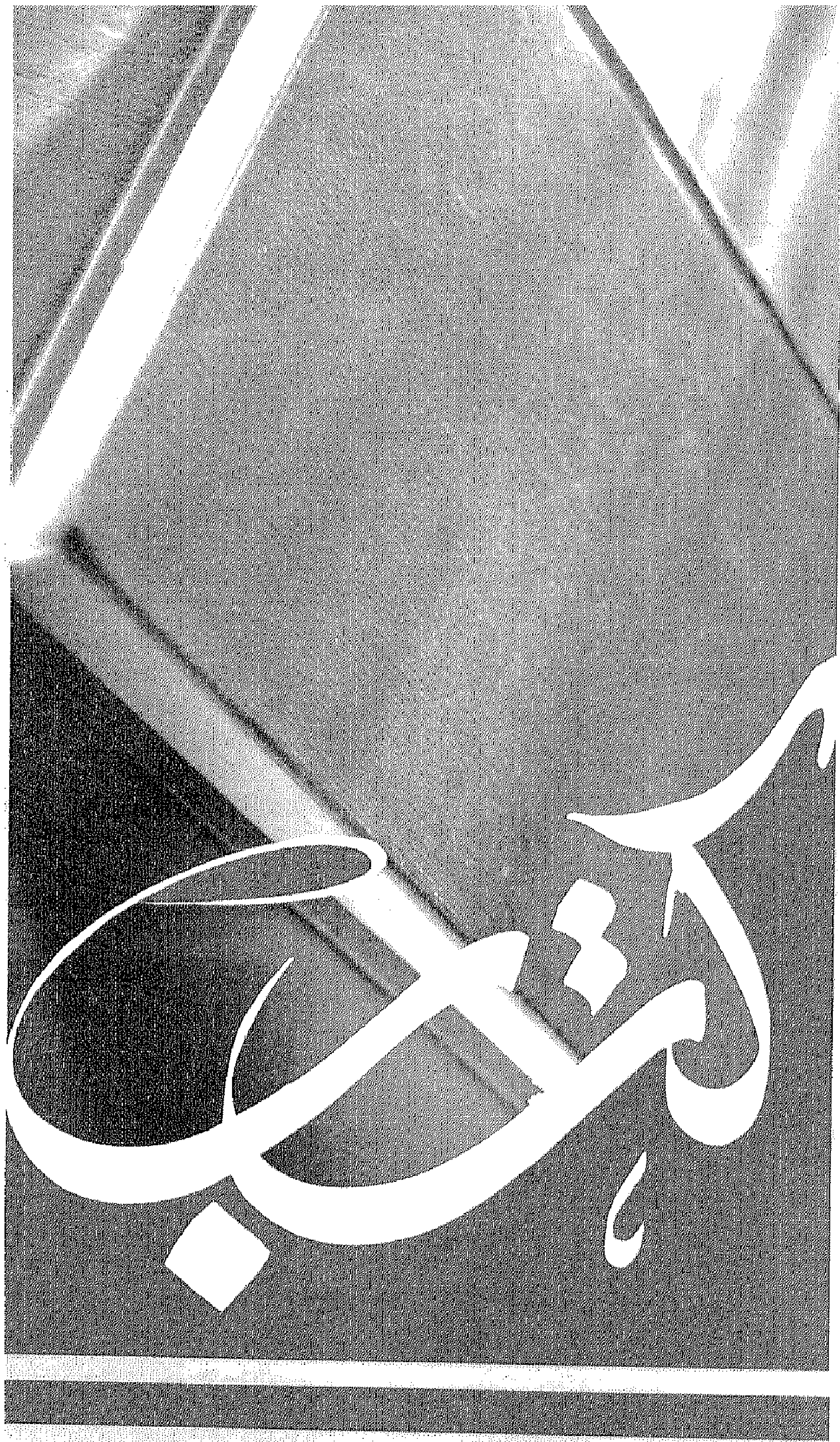
* هربرت جورج ولز (1866 - 1946) **Herbert George Wells**

الكاتب والأديب البريطاني المعروف. حصل على بكالوريوس العلوم سنة 1888، تولى التدريس بضع سنين ثم انصرف للتأليف. اشتهر بقصصه الذي يعتمد الخيال العلمي من مثل (آلة الزمن) و(الرجل الخفي)، فضلاً عن رواياته النفسية والاجتماعية من مثل (ميكافيللي الجديد) و(الزواج). ولم يغفل ولز البحث في التاريخ فأنجز عام 1920 (معالم تاريخ الإنسانية) وأعقبه بـ(موجز تاريخ العالم). وكان آخر كتاب أصدره هو (العقل في أقصى تواتراته) (1944). ولولز كتاب في السيرة الذاتية بعنوان: (تجربة في كتابة السيرة الذاتية).

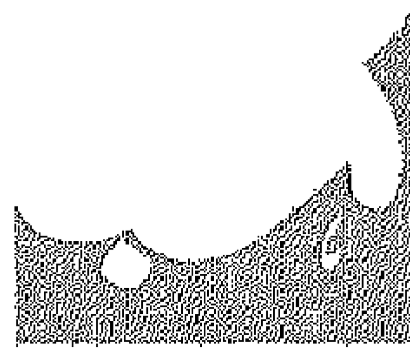
(1) معالم تاريخ الإنسانية ، 3 / 639 .

(2) نفسه ، 3 / 640 ـ 146 .

(3) موجز تاريخ العالم ، ص 200 ـ 102 .



- **الكفار: تاريخ الصراع بين الممالك المسيحية والإسلام**
- **رسالة إلى أوريانا فلاتشي**
- **المكتبة**



الكفار

تاريخ الصراع بين الممالك المسيحية والإسلام

Infidels, A history of conflict between Christendom and Islam

عرض: **الصديق بشير نصر***

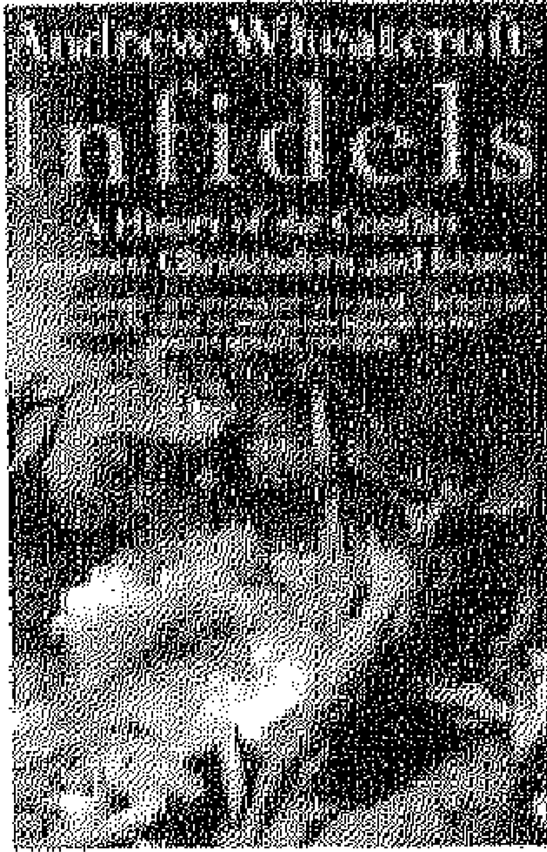
أندرو ويتكروفت، درّس مادة التاريخ في Christ College بكمبردج وجامعة مدريد University of Madrid. وهو مؤرخ مشهور عالمياً باهتمامه بالصورة والنصّ. وبعد أن ترك التدريس الجامعي دخل إلى عالم المطبوعات والنشر، وعمل في المجلات مع مؤسسة النشر الدولية IPC، كما عمل مديراً أكاديمياً للتحرير مع Weidenfeld & Nicolson وله عدد من المؤلفات فضلاً عن كتابه (الكفّار).

ومن مؤلفاته:

- آل هابسبورغ (1997) The Habsburgs
- العثمانيون (1994) The Ottamans
- الطريق إلى الحرب The Road to War
- جزيرة العرب والخليج في صور أصلية Arabia & the Gulf in Original Photographs

يقع كتاب (الكفّار) في 464 صفحة، ويتكوّن من خمسة أقسام ومقدمة وخاتمة، موزّعة على خمسة عشر فصلاً على النحو الآتي:

محتويات الكتاب:



الكتاب:
الكفار: تاريخ الصراع بين الممالك المسيحية والإسلام.
تأليف: أندرو ويتكروفت
Andrew Wheatcroft
من منشورات: دار فايكنغ ـ البنغوين، في المملكة المتحدة سنة 2003.

* باحث وأستاذ جامعي / ليبيا

❖ القسم الثالث:
ـ الفصل السابع: إلى الأرض المقدسة
ـ الفصل الثامن: الفتح وإعادة الفتح
❖ القسم الرابع:
ـ الفصل التاسع: أشباح البلقان
ـ الفصل العاشر: تعلّم الكراهية
ـ الفصل الحادي عشر: خط عريض من الدمّ
❖ القسم الخامس:
ـ الفصل الثاني عشر: العمامة والسيف المعقوف
ـ الفصل الثالث عشر: الفن الأسود
ـ الفصل الرابع عشر: اللعنة، كلمات الكره
❖ الخاتمة:
ـ الفصل الخامس عشر: الملائكة الأفضل


المؤلف

طُبِعَ الكتابُ طبعات عدة آخرها في سنة 2005. ونال من التقريظ ما يستحق على صفحات الغارديان، والأوبزرفر، والصانداي تلغراف، والفاينانشيال تايمز، والاندبندنت.

وبحسب ما أطلقته الصحافة، استغرق ويتكروفت سبعة عشر عاماً في دراسة وبحث موضوع (الكفرة)، والمؤلف نفسه يقول في تواضع إنه أنفق أكثر من عشر سنوات في ذلك. والمؤلف مؤرخ قدير، مسلّح بثقافة تاريخية عميقة تؤهله للخوض في مثل هذا الموضوع.



والمجال الذي تناوله ويتكروفت مجال خصب. وهو قد ركب في بحثه هذا الموج الغضوب كما فعل أوليسيس في الأوديسا على رأي أحد النقاد. وهو في البحث عما يؤمّنُ أُسُسَه العقلية يستعين بأشكال متباينة مثلما فعل جاك لاكان Jacques Lacan وإيڤان باڤلوف Ivan Pavlov. ولكن الوزن الثقيل الذي يعني الكثيرَ له هو الناقد ميخائيل باختين Mikhail Bakhtin ففي عبارة مشهورة يصوّر باختين عدوّين يواجه أحدهما الآخر. وبالرغم من أنهما يشغلان نفس الحيِّز إلا أنهما يريان شيئاً مغايراً. وكلٌّ يرى ما لا يرى الآخر، وكلّ ذلك يجري وراء ظهر الخصم. وبالرغم من أن موقف باختين أكثر تعقيداً من ذلك، إلا أنه أعطى لويتكروفت هذا الملاّح الجسور الذي ركب اللجّة، البوصلة التي يستعين بها وهي «الأعداء في المرآة» تلك العبارة الشهيرة التي قالها باختين. فالمسلم والمسيحيّ كلّ منهما كافرٌ في عين صاحبه.

يبدأ ويتكروفت رحلته مع حصار العرب للقدس سنة 638 .

فالتفسيرات التي تمّت بخصوص احتلال المسلمين للأندلس،

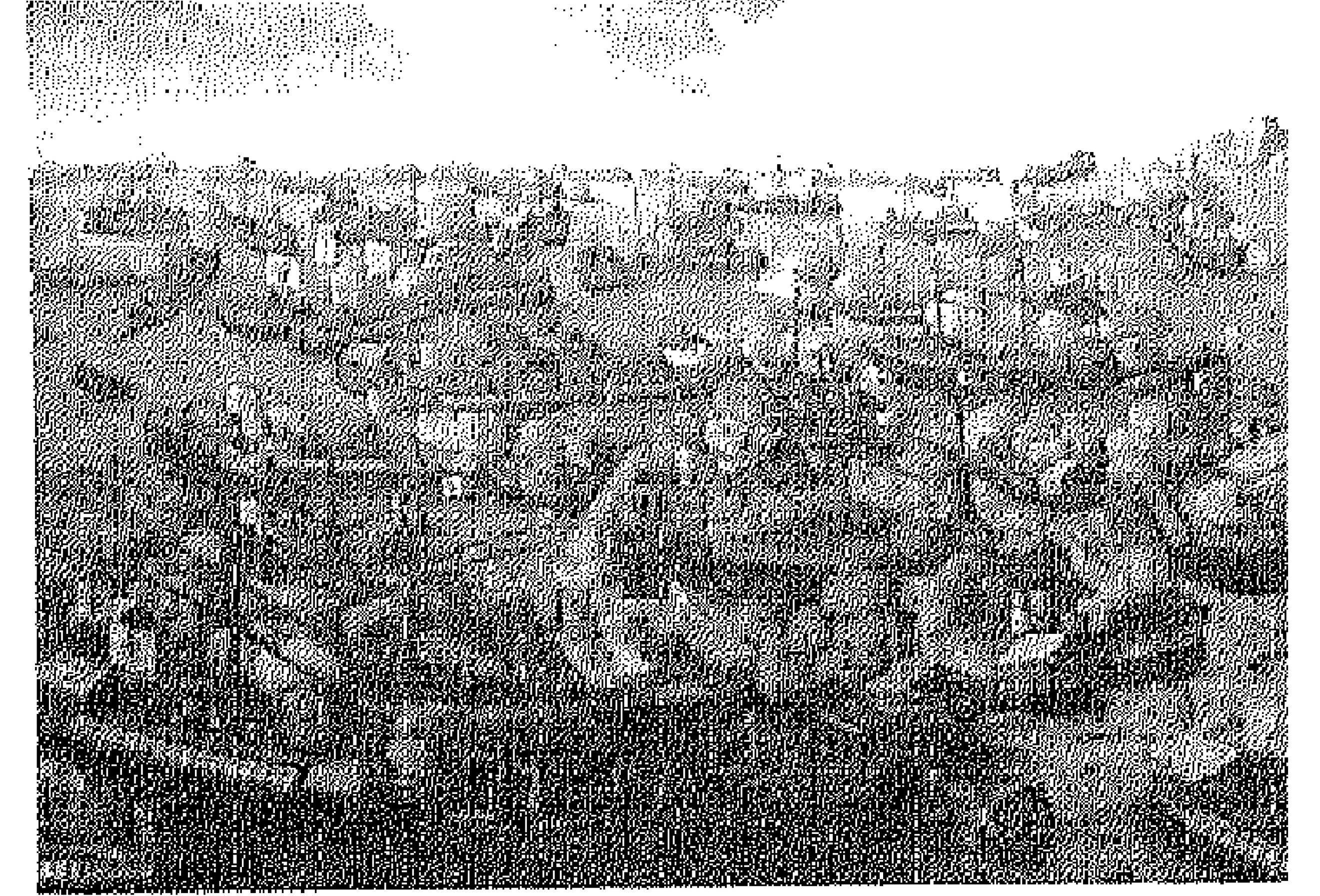
واسترداده بعد ذلك على يد النصارى، وحروب الأمبراطورية العثمانية وتهديدها لأوروبا، والعداوة المستحكمة بين الأتراك وأعدائهم في البلقان، كلّ ذلك صنع كتلة من الكفرة.

فهذه الشواهد التاريخية الثلاثة (فتح الأندلس / سقوط الأندلس / انبعاث الأمبراطورية العثمانية وتهديدها لأوروبا) منحت ويتكروفت فرصاً مذهلة للبحث.

وكتاب (الكفار) « قراءة جوهرية لكلّ من يهتمّ بما يجري اليوم في نظام العالم الجديد » بحسب رأي الصانداي هيرالد.

وبالرغم من أنّ المؤلف حاول جاهداً أن يكون موضوعياً في معالجة موضوع يتّسم بالحساسية، إلا أنه أخفق في مواطن كثيرة حيث ظلّ رهين العقل الاستشراقي الذي لعب في بعض الأحايين دوراً في تشويه التاريخ.

(الكفّار) محاولة جريئة لإعادة رسم الوقائع التاريخية وتفسيرها بالكشف عن الأيديولوجيا التي تتخفّى وراءها، ومن خلال إعادة تكوين البنية التاريخية من منظور متعدد الرؤى بحسب المدرسة البنيوية، وهو ما دعا مَن قام بعرض كتابه في صحيفة (الغارديان) إلى أن يصفه بأنه «مفتونٌ بأعمال البنيويين)، وبأن كتابه «نتاج لتفكيرٍ في التاريخ غير مألوف» .



معركة ليبانتو البحرية

كتاب (الكفّار) عرضٌ زمني لتاريخ العداء A chronicle of antagonism ، أو كما عبّر عنه مؤلفه بقوله: « هذا كتابٌ عن العداء. كيف تولّد، وكيف تغذّى » .

بدأ المؤلف فصله الأوّل بالحديث عن معركة ليبانتو البحرية التي جرت في أكتوبر 1571 بين الأسطول البحري الأوروبي الذي اجتمعت فيه بحرية البندقية، وإسبانيا، وجنوة ، تحت رعاية دولة الفاتيكان بقيادة يوحنا النمساوي، والأسطول العثماني بقيادة علي باشا. وقد انتهت المعركة بهزيمة العثمانيين.

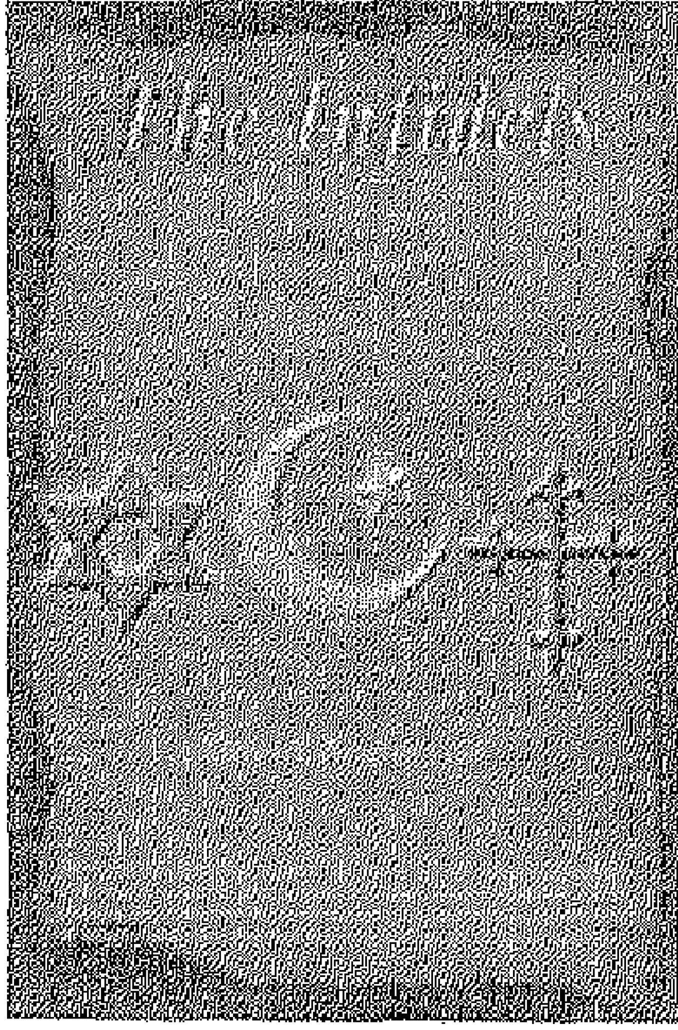
كانت هذه المعركة بسبب إحساس الأوروبيين بتهديد الإسلام مُمثّلاً في الأمبراطورية العثمانية التي كانت تسعى لبسط نفوذها على أوروبا.

وقد ساهم العلماء الغربيون في الترويج لأساطير لا تزال سائدة حتى اليوم كقولهم إن المسلمين ينحدرون من نسل قابيل، وغيرهم يتحدر من نسل هابيل، وقد قتل قابيلُ هابيلَ، ولذلك تجري دماءُ القتل في عروقهم. وكان المسيحيون يطلقون على أعدائهم أوصافاً مهينة مثل: « أبناء قابيل »، و«أبناء الزنا»، و «المسيح الدجّال». وبالمثل كان المسلمون ينعتون أعداءهم.

إنّ الفكرة الأساس التي يتمحور حولها الكتاب وهي تبادل الاتهام بالكفر، ترجع إلى أصول ميتافيزيقية يشترك فيها الطرفان. وربما كانت

هذه الدراسة أوّل محاولة جادّة لتفسير العداء المزمن بين عقيدتين.

وقد وقع المؤلف في بعض المغالطات سجّلتها عليه الكاتبة جوستين ونتل Justin Wintle مؤلفة كتاب (المرشد الفظّ لتاريخ الإسلام) في عرضها للكتاب المنشور بصحيفة الإندبندنت بتاريخ 2003/5/10، فهو في رأيها وقع في فخّ الوصف العام ، وأنه ضرب مسماراً في نعش التوحيد السائد، بأيّ معدّل من معدّلات قياس الانحراف عن ذلك التوحيد العام كما يتصوره المسيحيون. وليس لما يقوله معنى إلا من خلال الثقافة النسبية فقط التي تصنع معنى أخلاقياً إذا آمن بها الجميع واعتنقوها. وفضلاً عن ذلك وجود بعض الأخطاء فيه كقوله: «الكعبة حجر أسود كبير في مكة» وهذا خطأ بلا ريب حيث ظنّ أنّ الستار الأسود الذي تُغطى به الكعبة هو لون حجرها. كما سجّلت عليه الناقدة استهدافه لزلة لسان الرئيس بوش عندما ذكر الصليبية بعد أحداث 11 سبتمبر، وتجاهله أن الرئيس بوش أجبر على الرجوع على ذلك سريعاً بفعل الأيديولوجيا العقلانية المهيمنة في الإعلام الغربي، (وإن كان هذا لا يُسلّم للناقدة بشكل مطلق). ويبدو أنّ عرض بعض الباحثين في الصحافة الغربية يميلُ إلى توظيف الصور السلبية عن المسلمين الواردة في الكتاب دون ذكر الصور السلبية الأخرى التي تتعلّق بالمسيحيين. وفي هذا مجافاة للموضوعية، ومخالفة للمقاصد التي أرادها المؤلف لكتابه.



ولعلّ ما ورد في العرض الذي قدّمته صحيفة الغارديان للكتاب بتاريخ 2004/5/22 يعكس شيئاً من ذلك. فقد جاء في مطلع هذا العرض:

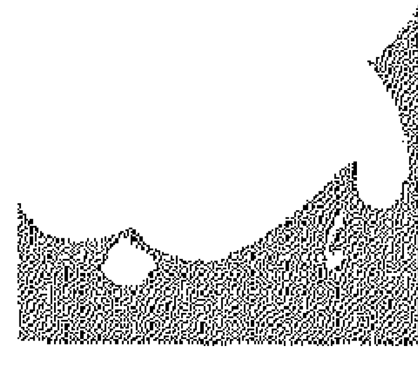
«في سنة 1571 التمس مارك انطونيو براجادينو حاكم مدينة فاماخوستا Famagusta (بقبرص) استسلاماً مُشرفاً بعد حصار دام أربعة أشهر على يد القائد العثماني لاله مصطفى، وبعد استسلامه قُطعَتْ أذناه وجُدِعَ أنفه، وقُطِعت رؤوسُ قوّاده أمام عينيه بعد ذلك. وأمام رجاله الأسرى طِيفَ به في الشوارع وهو يرتدي ملابسه الرسمية، ووُضِعَ على ظهره ما يوضع على ظهور البغال، ووُضِعَ في فيه لجامٌ وشُدّ برَسَن، ورُبِطَت يداه إلى رُكبتيه، وكلما وصل إلى خيمة القائد العثماني مُلئَ فمه بالتراب، ثم في النهاية علّق من عقبيّه وسُلِخَ جلدُه.».

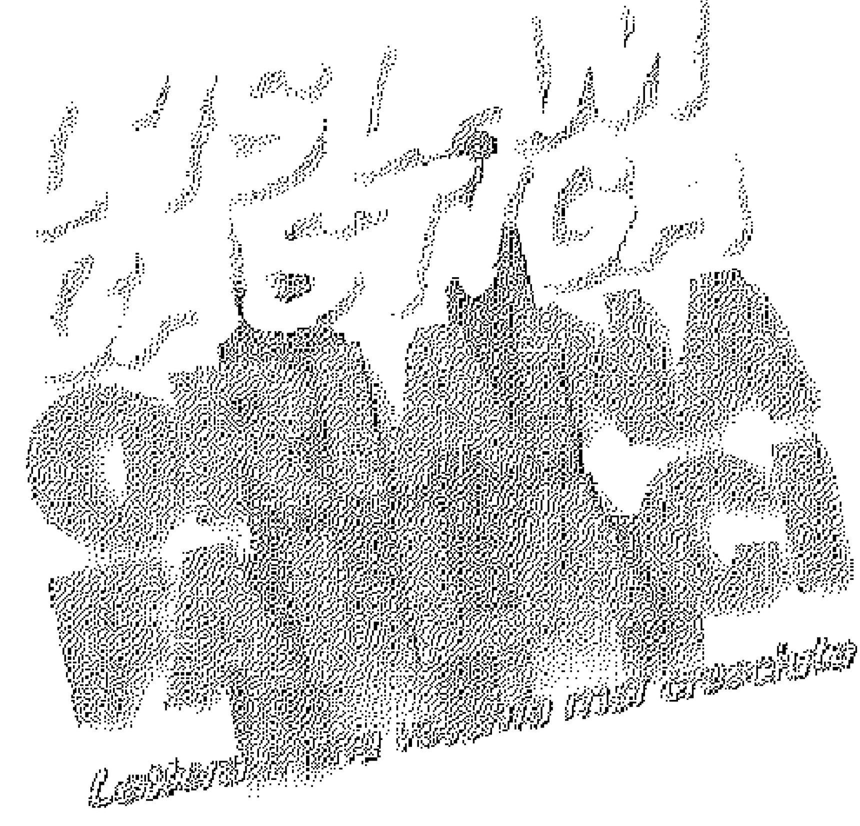


ويبدو أنّ صُدورَ الكِتَاب حفّزَ آخرين ليكتبوا في الموضوع نفسه، وكأنهم يكتبونَ استكمالاً لما بدأ فيه ويتكروفت، أو ردّاً عليه عند مَنْ لم تقع معالجته في أنفسهم موقع الرضى.

ففي أوّل سنة 2005 صدر كتاب بعنوان (الكفّار) لمؤلف يُدعى داڤيد أندرسون David Anderson تكلّم فيه عن الصراع بين اليهودية والمسيحية والإسلام اليوم.

وهذا الكتاب من منشورات Authorhouse. كما صدرت مؤخراً رواية سخيفة تحمل اسم (الكفّار ـ الحل للإرهاب الإسلامي) من منشورات Burlington National Inc. لكاتب يُدعى Beau Joule لم تلق صدى عند النقّاد.





رسالة إلى أوريانا فلاتشي
Oriana Fallaci

عرض: علي الصادق حسنين*

أوريانا فلاتشي لن تكون أول ولا آخر كاتبة تناصب الإسلام العداء. إنها تتمتع بشهرة كبيرة بصفتها كاتبة موهوبة ألفت كتباً كثيرة كان من أواخرها كتاب عنوانه «الغضب والكبرياء» كالت فيه للمسلمين ولدينهم الحنيف ما وسعها من التهم الجوفاء والشتائم النكراء. لقد أتت في الحقيقة شيئاً فرياً، مع أن الكتاب لقي - بحسب ما يقال - رواجًا لم يكن به حرياً. ومما هو جدير بالذكر أن صنعها السيئ هذا لم ينطل على إخواننا في الدين في البلاد الإيطالية الذين وقفوا لها بالمرصاد للذود عن الإسلام والأمة المحمدية.

فهذا الناقد المسلم ماسّيمو تزوكّي (Massimo Zucchi) الذي في معرض تعريفه بكتاب لأخيه في الدين والوطن عادل سميث (Adel Smith) يشبّه الكتاب بوعاء خاوٍ من الثقافة، وحاوٍ للألفاظ البذيئة، ومليء بالافتراءات الشنيعة، فاستحق لذلك الرد الشافي الذي ضمّنه الدكتور سميث المذكور مشكوراً كتابه القيم «الإسلام يعاقب أوريانا فلاّتشي» الصادر عن الناشر Alethes بمدينة كاريشيتّي (Carichitti) سنة 2002 مسيحي، ذلك الكتاب الذي نحن بصدد عرضه والذي يؤهله - على حد قول الناقد المشار إليه أعلاه - ليكون «الممثل الأوحد» لمسلمي إيطاليا، وذلك نظرًا إلى تمكنه من اكتشاف ضروب الزيف، وإتقانه إماطة اللثام عنها والدفاع عن بعض الحقائق المشوّهة وتصويبها.

فقد وفّر من خلال ذلك عدة مغامز لمن أراد من قرائه الوقوف على بعض الحقائق المذهلة. وقد ختم ماسّيمو تزوكّي كلامه الصريح قائلاً: «إن أمام أوريانا فلاتشي الآن خيارين لا ثالث لهما: إما أن تنكب على دراسة الدين الإسلامي، وتسعى بجد وإخلاص إلى اعتناقه والتمسك بعروته الوثقى وهجر الأباطيل، وإما أن تنغلق على نفسها في جحر جهلها وعارها وضلالها، وأن تكفّ لسانها السليط الخبيث وتلزم الصّمت إلى أبد الآبدين».

هذا ويتألف الكتاب الذي نحن بصدد عرضه من 236 صفحة قطعها 20×15 سم وينطوي على مقدمة وعشرة فصول، هي:

---

* كاتب وباحث / ليبيا

أولاً- إلى المنكوبين (يتعذر عليّ ترجمة العنوان الأصلي لفداحة فحشه!):

يجيب الدكتور سميث في هذا الفصل عن الأقوال النابية التي سطرتها المؤلفة في حق المسلمين، وكالت لهم فيها الشتائم بسخاء، وخلعت عليهم أبشع الأوصاف، وعابت عليهم عكوفهم على الصلاة راكعين ساجدين خمس مرات في اليوم. إن كتابها كأنه «كوميديا إلهية» جديدة جاءت لتواصل النيل من الإسلام والمسلمين، إذ مجرد عنوانه يدل بوضوح على أن مؤلفته عاقدة العزم على إطلاق العنان لما تمليه عليها غرائزها الدنيئة، شأنها في ذلك شأن من يفكر - تحت تأثير العواطف - بقدميه وليس بجوهرة عقله.

ثانياً- (حذار الذئب):

لقد استرعت انتباه الدكتور سميث - منذ البداية - قصة حادث كانت «أوريانا» بطلته إبّان طفولتها، الأمر الذي دفعه بشدة إلى تحليل شخصيتها و - في ذات الوقت - إلى إعادة تركيبها، وقد استطاع - من خلال ذلك - أن يخلص إلى معرفة حقيقة أنها كانت قد تعرضت إذ ذاك لصدمة نفسية. إن هذا الأمر قد يمكّن من إلقاء الضوء على الأسباب التي ولّدت في وجدانها كل هذا الحقد الذي لا تقدر هي على حبسه، وحسبنا اعترافها بقسوة قلبها، قسوة تحول دون أن تدمع عيناها لأي ألم يعتريها أو لأي عقوبة تنزل بها.

ثالثاً- (الضارية التي يؤنبها المروّض):

مما لا غبار عليه أن عقل هذه المرأة عقل سقيم للغاية إذ بوسعها ليّ كل خبر وكل معلومة وأي شيء آخر. وإن خير دليل على هذه الحقيقة ذلك السؤال الذي وجهته إلى الحبر الأعظم الراحل يوحنا بولس الثاني قائلة: «اسمحوا لي قداستكم بأن أسألكم عما إذا كان صحيحاً أنكم طلبتم - في وقت مضى - إلى أبناء دين الله أن يصفحوا عما سبق أن اقترفه أسلافكم من شنّ الحروب الصليبية لاستعادة القدس الشريف. أكنتم قداستكم تلمحون إلى من هو اخبث ألف مرة من ستالين، ملتمسين العفو ممّن سرقوا وربما يريدون أن يسرقوا منكم الفاتيكان؟».

رابعاً- «المغويات المهجورات»:

تبدو هذه الملحدة كأنها لم تكتف بكل ما ارتكبته حتى الآن من خطايا، فتردف في هذا الفصل مؤكدة أن القرآن الكريم «يأمر ويسمح بإساءة معاملة المرأة». فيرد عليها عادل سميث مؤكداً أنه لم يقرأ قط شيئاً من هذا القبيل في المصحف الشريف، وذلك خلافاً لها إذ دأبت على إصدار أحكام مسبقة.

فإن أرادت الخوض في هذا الحديث كان أحرى بها أن تتناول في المقام الأول الجرائم التي يرتكبها - على مرأى ومسمع من الناس - رجال الكنيسة الكاثوليكية في حق النساء. وحسبنا أن نشير إلى حادثة الطبيبة الكورية التعسة التي أغواها الراهب المونسنيور ميلينغو فاعتدى عليها جنسيًا، ثم - بفعل ضغوط حاضرة الفاتيكان - عقد عليها، ولم تمض سوى أيام قلائل على ذلك حتى غير رأيه واختفى عن الوجود.

خامساً- «الساذجات»:

بهذه اللفظة تنعت فلاتشي المسلمات، وتفتري أن أحكام القرآن المجيد توجب اعتبارهن أقل شأناً من حمر النعم، كلا، ليس في كتابنا المقدس نص من هذا القبيل، ويكفي دليلاً على ذلك ما ورد في عديد الآيات القرآنية التي أورد المؤلف ترجمة لها ومن جملتها ما يلي:

﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ [آل عمران: 195]

﴿... وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [سورة النساء: الآية 19]

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [سورة التوبة: الآية 71]

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾
[سورة الرُّوم: الآية 21]

ففي ضوء هذه الآيات الكريمة يبدو جليًا أن النساء في الإسلام لسن أقلّ شأناً من النوق. وبهذا الصدد يقول الأخ سميث: «ترى تحت تأثير أي مخدر صاغت أوريانا فلاتشي مثل هذه الترّهات السخيفة؟ ألا تكفّ عن هذا الهذيان؟ أغاب عنها أن القرن الخامس الميلادي قد شهد رئيس أساقفة مدينتها المحبوبة فلورنسا المسمى القديس أنطونيو، شهده يضع قائمة دقيقة مرعبة للصفات السلبية التي يصف بها المرأة، ويستعمل عبارات تنمّ عن أشد التحقير وأشنع الذم لها؟

سادساً - «الغبي والبليدات الأربع»:

إن المسلمة - في نظر هذه المؤلفة - بليدة لمجرد رضاها بالاقتران برجل غبي يجوز أن تكون في عصمته أربع زوجات. وتمضي قائلة: إن تعدد الزوجات قد أوصى به القرآن المجيد، إلا أن قولها هذا زور وبهتان، حيث إن جواز تعدد الزوجات مقيّد - في واقع الأمر - بشروط وظروف معينة. إنما يوصي القرآن المؤمنين بالزواج بواحدة. بل إن التوراة - في الواقع - هي التي توصي بتعدد الزوجات، واتخاذ المحظيات وإن هذا الترخيص ليس مقتصراً على المسلمين وعلى الشعوب الإفريقية النامية. ففي عالم فلاتشي أرامل ومطلقات تتباهين علناً ليس فقط بالكتابة عن فحشهن، وإنما بعرضه في برامج محطات البث المرئي.

سابعاً - «الأغبياء الممتنعون عن شرب الخمر»:

لا شك في أن لهذه المرأة ثقافة محدودة جدًا - وعن قصد - حول الإسلام. فبحماقتها المعتادة تتساءل: كيف التعامل مع «شرب الخمر والحكم بالإعدام على شاربها»؟ قائلة: «أليس ذلك واردًا في القرآن أم لا؟» فيجيب عنها أخونا عادل سميث قائلاً: «كلا، ثم كلا، لا ينص القرآن الكريم ولا السُّنة النبوية الشريفة على إنزال عقوبة الإعدام بشارب الخمر. إنما ذلك ليس سوى افتراء آخر من افتراءاتك الدنيئة المعهودة».

ثامناً - «العين بالغضب»:

من غباوة هذه المرأة إثارتها أمورًا تقيم الدليل على جهلها بمحتوى الذكر الحكيم، الذي تتجرأ هي على نقده بكل صفاقة. إن مبدأ «العين بالعين والسن بالسن» ليس في حقيقة الأمر بدعة قرآنية، وإنما هو مبدأ توراتي صميم، كما ورد في سفر الخروج «وإذا تخاصم رجال وصدموا امرأة حبلى فسقط ولدها ولم تحصل أذية يغرم كما يضع عليه زوج المرأة ويدفع عن يد القضاة. وإن حصلت أذية تعطى نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورجلاً برجل» 21/22-25.

لقد جاء في القرآن المجيد:

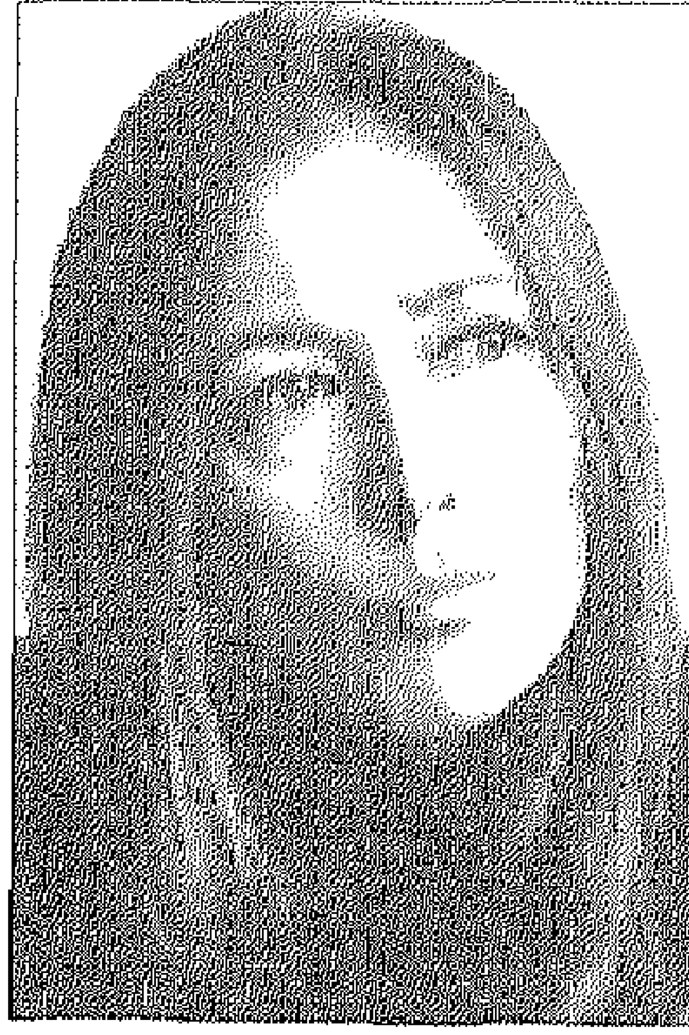
﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة الشورى: الآيات 40-42]

هذا وفضلاً عن مغالطاتها يُلاحظ أن هذه المخلوقة قد أعماها غلّها إلى درجة أنها تناقض نفسها، وتبدي بكل وقاحة شدة رغبتها في قتل مخلوق لم تحدد هويته: من الجائز أن يكون بن لادن أو هتلر أو شارون أو وكيل متوكلي أو ستالين أو موسوليني بالذات.

إن ما يهمها هي بالأحرى رغبتها الشديدة في إزهاق نفس، وإن ما يهمها هو أنها هي بالذات أوريانا فلاتشي التي تريد تطبيق مبدأ «العين بالعين والسن بالسن» إذ تصرح: «.... لقد أخذت اسمه ترى ما عساها أن تهيئ لي الحياة من فرص. قد يمكنني أن أصادفه يومًا في طريق مقفرة، ولأجل قتله قد يمكن أن أحتاج إلى التأكد من هويته».

تاسعًا ـ «حضارتنا أرقى»:

تواصل فلاتشي في هذا الفصل إيراد ترّهاتها المستقاة من خيالها السخيف ومن عقلها العليل جدًا، إنها تزعم أن نسبة الأمية في الأقطار الإسلامية لا تقل دائماً عن ستين في المائة (60٪). ولتفنيد هذا الزعم يعقد الدكتور عادل سميث ـ على سبيل المثال ـ مقارنة بين مصر وإيطاليا المتقاربتين من حيث عدد السكان. فبحسب إحصاءات منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة تبلغ نسبة خريجي الجامعات في أرض الكنانة ما بين 18 في المئة و20 في المئة، بينما حسب معطيات معهد الإحصاء الإيطالي تبلغ النسبة ذاتها في إيطاليا 9,4 في المئة. أما نسبة الأمية في مصر فتبلغ 38 في المئة وليس 60 في المئة كما تزعم فلاتشي، علماً بأن هذه النسبة الأخيرة لم تسجل قط أيضًا في أي قطر إسلامي آخر إذ كانت بالأردن سنة 1991 مسيحي 4, 10 في المئة وأصبحت سنة 2002 مسيحي 8٪. وقد ثبت أن هذه النسبة في الأقطار ذات الثقافة المسيحية أعلى بصورة ملحوظة من مثيلاتها في الأقطار ذات الثقافة الإسلامية.


أوريانا فلاتشي

ويرد عادل سميث على نكرانها فضل العلماء المسلمين في شتى مجالات العلم والمعرفة وتمهيدهم السبيل لمن جاء بعدهم من علماء الغرب.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يبدو أنها قد نسيت بل تناست مقترفات الكنيسة الكاثوليكية ورجالها في حق العلم والعلماء وفي حق الرجال والنساء، كما غضّت البصر عن جرائم الدول المسيحية الاستعمارية في آسيا وافريقيا واميركا وعن المآسي التي جرت في الأندلس والجزائر وتونس وليبيا.

وقصارى القول إن كتب التاريخ تعلمنا أن الحضارة الغربية مدينة في الواقع كثيراً للإسلام وللحضارة الإسلامية.

وأوريانا فلاتشي تسير ـ غافلة ـ على درب من سبقها من المنكرين لأفضال الإسلام والمسلمين، وتعرض لقسوة حكم المعاصرين وحكم اللاحقين.

مما يؤسف له أن هذه المرأة لم تتعلم بعد أن التاريخ لا يرحم أمثالها من دجالي الإعلام، وبالتالي فإن عاجلاً أو آجلاً سيحكم عليها أيضا بكل تأكيد بصفتها كاتبة بذيئة.

هذا ولا بد الآن من إبراز حقيقة أن الحضارة الغربية ظلت دائمًا تطبق حرفيًا تعاليم التوراة (وليس تعاليم القرآن) التي تحض على إبادة الأعداء.

هذا ومن جهة أخرى هل «الحصار» من ابتكار الحضارة الإسلامية؟

كلا إنه هو الآخر من نسج خيال «الحضارة» المسيحية الغربية التي لضرب حاكم غير مقبول لا تجوعه هو فقط وإنما تجوع شعبًا بأسره!

ففي العراق مثلاً ـ بعد نهاية حرب 1991 مسيحي ـ أدى «الحصار» إلى وفاة مليون ونصف المليون من المدنيين كان من جملتهم أكثر من نصف مليون طفل.

لا يجوز للمرء أن يفخر بانتمائه إلى «حضارة» تاريخها مشوه بمثل هذه الجرائم، وإن ذلك لمدعاة للخجل وليس للافتخار!

ويشير الأخ عادل سميث إلى الجرائم البشعة التي اقترفها مواطنوه الإيطاليون المسيحيون الغربيون في حق السكان الآمنين إبان غزوهم ليبيا. ومن ضمن الجرائم الأخرى التي ما برحت ترتكب في حق الإنسانية لا بد من أن نشير إلى جرائم إسرائيل في الأراضي المقدسة المحتلة. ومن جهة أخرى ليس بخاف أن المسلمين صدروا علومهم وحضارتهم الأرقى فعلاً إلى الغرب المسيحي الكاثوليكي عندما كان الأخير منشغلاً باختراع أدوات التعذيب وبمطاردة السحرة والهراطقة والعلماء، أمثال: غاليليو غاليليي. ولم تسلم من وحشية المسيحيين حتى مكتبة الإسكندرية، أشهر مكتبة في العصور القديمة. فبعد الحريق الذي اندلع

فيها سنة 48 ق.م. لدى دخول يوليوس قيصر إلى المدينة جرى تدميرها تماماً في سنة 391 مسيحي، على أيدي المسيحيين الذين تجرأوا بكل وقاحة على نسبة هذه الجريمة النكراء إلى الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

كما لم تسلم من وحشية المسيحيين حتى تلك الحضارة الإسلامية التي كانت مزدهرة في الأندلس وعمّ إشعاعها أقطار أوروبا. هذا ومن مظاهر السياسة الثقافية المسيحية الكاثوليكية الغربية تدخلها في شؤون التربية والتعليم. إن الرأي القائل أن العالم الكلاسيكي قد نال قسطاً من الثقافة العامة صار تدريجيًا عرضة للحظر بالنسبة للمدارس العلمانية، وذلك بهدف أن يحظى تعليم اللاهوت بالمقام الأول.

وإبان القرون الوسطى لم تكن الاستفادة من كل ضرب من ضروب المعرفة إلا بالقدر الذي كانت به دعمًا للتبشير الإنجيلي. وتكفي الإشارة إلى أن أربعين أسقفاً أميًّا كانوا ضمن المشاركين في المجمع المسكوني الرابع، المنعقد سنة 451 مسيحي، وأن غالبية بابوات القرنين التاسع والعاشر للميلاد كانوا أميين. وفي فترات أوج سطوتها شددت الكنيسة مكافحتها للتقدم الأخلاقي عندما عارضت قرار إلغاء النخاسة.

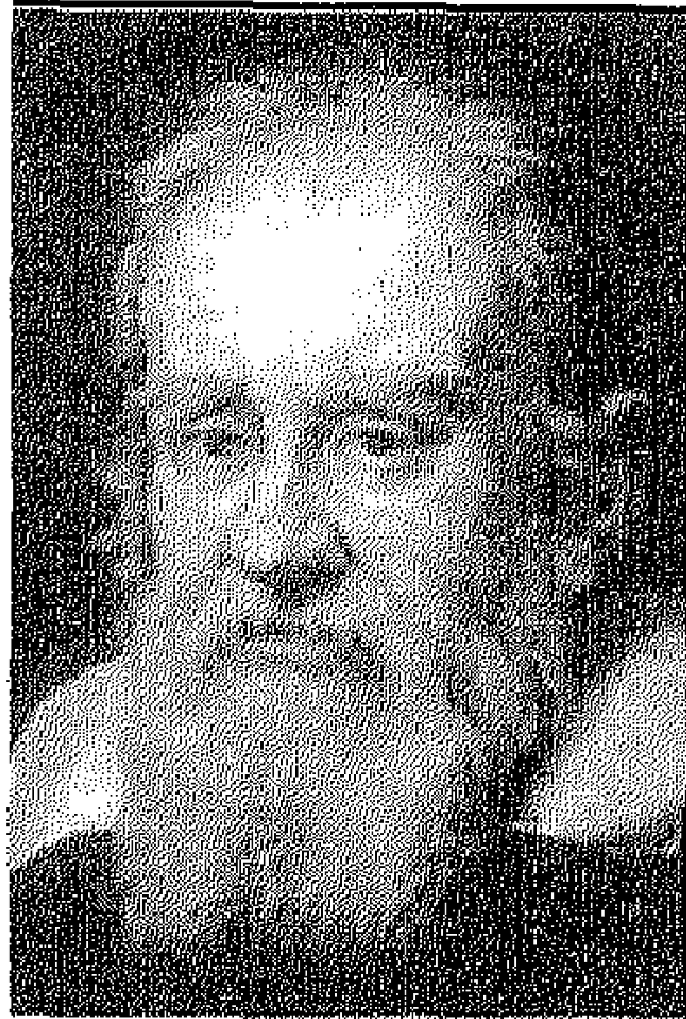
هذا ومن أفضال المسلمين كان تأسيس أول جامعة في أوروبا ألا وهي جامعة قرطبة بإسبانيا.

وتشهد شخصيات علمية أوروبية ـ نحو سافاري وبولنفيليه ولابنتز ـ بأن الإسلام دين أكثر عقلانية، وذو وظيفة تمدينية أقرب لسد حاجة البشر. وحسبنا ذكر بعض من لمعت أسماؤهم في أفلاك العلم نحو الطبري والرازي وابن سينا وابن رشد وابن حيان وابن الهيثم وابن الجزار وابن البيطار والزهراوي والبيروني وابن النفيس وابن عباس وابن الخطيب والكندي والخوارزمي والبتاني والإدريسي.

إن نكران أهمية إسهام المسلمين في تطوير العلوم والثقافة الغربية (إن صح تقسيم هذا الموروث الإنساني) يعد شتماً للحقيقة، وسبّاً للتاريخ. ولعل من المناسب الاستشهاد في هذا المقام بقول الفيلسوف الفرنسي بيار ابيلار: «تعلمت من المدرسين العرب شيئاً واحدًا هو أن أستسلم لقيادة عقلي».

عاشراً: «المعاملة بالمثل: لمن الدور؟»:

تزعم فلاتشي أن المسلمين لا يسمحون بإنشاء ولو كنيسة صغيرة في بلدانهم، متناسية أن في مدينة الإسكندرية فقط ستاً وستين كنيسة. كما تتشدق بأن لا مكان في إيطاليا للمآذن ولا للمؤذنين، ولا للأعفّاء الزائفين ولا مكان للشادور وللبرقع، وحتى إن توفر هذا المكان فإنها لا تعطيه لو كانت تملك سلطة المنع، لأن ذلك في رأيها إنكار لأفضال دانتي ودافنتشي ورفاييلو، وكفران بعصر النهضة وعصر البعث الإيطالي. ويرد عليها الدكتور عادل سميث بأن المسلمين في إيطاليا ليسوا من المهاجرين الغرباء فحسب، إذ كثيرون منهم يتمتعون ـ مثله ـ بكامل حقوق المواطنة الإيطالية منذ الولادة، مشيرًا إلى أن المادة (19) من الدستور الإيطالي تضمن لهؤلاء الحق في ممارسة أي عقيدة، وبأي صورة من الصور، سواء جماعات أو فرادى، وتكفل لهم حرية الدعوة إلى هذه العقيدة.



غاليليو غاليلي

هذا وفي ما يتعلق بالتسامح الديني، والتعايش السلمي في دار الإسلام، يردف الدكتور سميث قائلاً: إن ممارستهما كانت مضرباً للأمثال، إذ استطاع أن يتعايش جنبًا إلى جنب في الإسلام ـ بربوع الأندلس مثلاً ـ المسلمون واليهود والنصارى موقرين أعظم ما كان بوسع عبقرية البشر إنتاجه من الأعمال. وحسبنا أن نذكر - على سبيل المثال ـ موسى بن ميمون الفيلسوف اليهودي الذي ولد في قرطبة سنة 1139 مسيحي، وقضى مراحل حياته ـ فضلاً عن اسبانيا ـ في

المغرب الأقصى وفلسطين وأرض الكنانة حيث توفي سنة 1204 مسيحي، وعلّم بمطلق الحرية بني جلدته اليهود وغيرهم وألّف أشهر أعماله بلغة الضاد، وأصبح الطبيب الشخصي للملك صلاح الدين الأيوبي. ومما يذكره التاريخ زيارة فرانسيس الأسيسي مصر، وتجواله في بعض ربوعها بكل حرية في عهد السلطان الكامل.

ثم يتوجه الأستاذ سميث إلى المنادين بتطبيق مبدأ المعاملة بالمثل بين بلاد الوافدين والبلاد المضيفة ويناشدهم بأن يشرحوا له - إذا استطاعوا - لماذا الأقطار ذات الغالبية السكانية الإسلامية - مثل مصر - تبيح إذاعة الطقوس والاحتفالات الدينية المسيحية كاملة على الهواء عبر الإذاعتين المسموعة والمرئية الحكوميتين، لا يحصل مثل ذلك في ايطاليا حيث يعيش أكثر من مليون مسلم ومسلمة، وحيث يعتبر الإسلام رسميًا الدين الثاني.

ألا تبدو المطالبة بتطبيق مبدأ المعاملة بالمثل مطالبة بتطبيق وحيد الجانب؟

المادة (19) من الدستور الإيطالي تضمن لهؤلاء الحق في ممارسة أي عقيدة، وبأي صورة من الصور، سواء جماعات أو فرادى.

ويجوز - في هذا المضمار - إضافة مسألة ذات بال، ألا وهي إلزام المواطن الإيطالي بمراعاة أحكام قانون الأسرة الإيطالي بالخارج أيضًا، حتى في بلاد تطبق فيها الشريعة الاسلامية، بيد أن المواطن الأجنبي المقيم في إيطاليا لا يحق له الخضوع لأحكام قانون بلاده في هذا الشأن، أليس ذلك أيضاً تطبيقاً وحيد الجانب للمبدأ المذكور؟

هذا وإن مطالبة بعض الجهات السماح بإنشاء كنيسة بأرض الحرمين الشريفين تدفع المسلمين إلى المطالبة بإنشاء مسجد في مدينة الفاتيكان. ولولا ضيق المجال لكان لزاما - على حد قول الأخ عادل سميث - الاسترسال في ضرب أمثلة مختلفة أخرى على عدم تطبيق مبدأ المعاملة بالمثل، وعلى المكابرة والشوفينية اللتين يعاني منهما المسلمون في ايطاليا، حيث تم السماح بإقامة معابد لليهود والبوذيين وشهود يهوه وطوائف دينية أخرى أقل عددًا من الجالية الإسلامية.

وعند هذا الحد يختتم المؤلف عرض بعض من المسائل التي أثارتها أوريانا فلاتشي والتي تدل على الحسد والخوف من مواجهة الإسلام مواجهة مباشرة. إنه الخوف من انتشار هذا الدين السمح القويم، ومن منافسته وتحديه المسيحية، ومن كونه محور كل هذا الجدل العنصري التمييزي المتعصب الذي سيعود على مثيريه بعواقب وخيمة، والذي حتّم كشف وعرض أمور طالما حاولت الكنيسة إخفاءها: منها ما أماط المؤلف اللثام عنها، ومنها ما سيميطه عنها مستقبلاً بإذن الله تعالى.

وأخيراً أود استرعاء الانتباه إلى أن للدكتور عادل سميث مؤلفات مهمة أخرى باللغة الإيطالية من الراجح أنها من إصدار الناشر (Alethes) ونذكر من هذه المؤلفات:

1 - أخطاء وأهوال في العهد القديم.

2 - الأسرار المزعجة في الإنجيل.

3 - مائة خطأ في التوراة.

4 - المرأة في التوراة والقرآن.

5 - الخنزير في التوراة والقرآن.

6 - هل في التوراة ذكر لمحمد ﷺ؟

7 - رب لم يصلب أبداً.

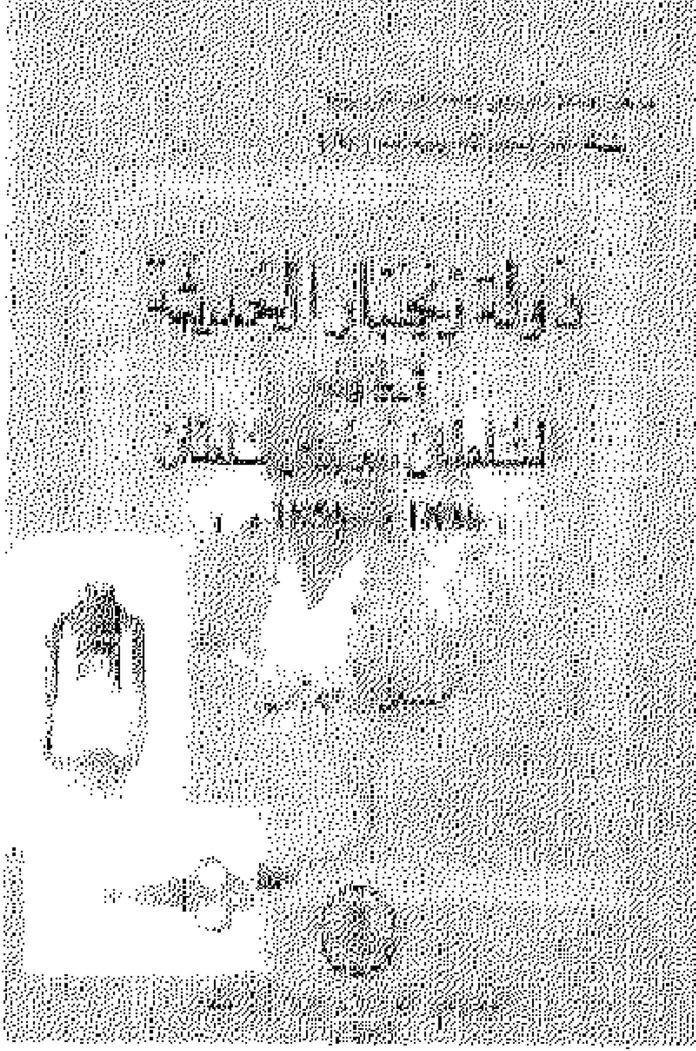
8 - الرب الذي لا وجود له.

9 - آيات ربانية.

10 - خمسمائة خطأ في التوراة (كان قيد الإعداد في عام 2002 مسيحي).

11 - لماذا لم أكن مسيحيًا ولكني مسلم؟ (كان قيد الإعداد في عام 2002 مسيحي).

دولة زنجبار الحديثة
في عهد السلطان سعيد بن سلطان



تأليف: سميحة إبراهيم محمد

منشورات: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية / طرابلس

207 صفحات / قطع متوسط

حظيت العلاقات العربية بساحل شرق افريقيا باهتمام كثير من الباحثين فتناولوا بالبحث والتحليل الجوانب المتعددة والجذور التاريخية للصلات القديمة التي ربطت بين العرب والأفارقة في الساحل الافريقي الشرقي . وهذا الكتاب يبحث في تاريخ دولة زنجبار الحديثة التي أسسها السلطان سعيد بن سلطان (1806 / 1856 مسيحي) والدور الذي لعبته في دعم المؤثرات العربية الإسلامية، وجهودها في توسيع رقعة انتشار الإسلام والثقافة العربية الإسلامية على طول ساحل شرق افريقيا ومن ورائه من المناطق الداخلية، وكيف كان ذلك التأثير كبيراً على حياة شعوب المنطقة في المجالات كافة السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية. تتناول المؤلفة الموضوع عبر أربعة فصول : الأول يعطي تعريفاً جغرافياً وتاريخياً عن ساحل شرق افريقيا، ويتناول الثاني النظام الإداري والقضائي بدولة زنجبار الحديثة وملحقاتها في ساحل شرق افريقيا، وتركيبة السكان والعلاقات السياسية. ويركز الفصل الثالث على العلاقات الاقتصادية وأثرها في التطور الاقتصادي لساحل شرق افريقيا في تلك الفترة . أما الفصل الرابع فيعنى بدراسة العلاقات الثقافية والاجتماعية في دولة زنجبار ودورها في ترسيخ مفاهيم الحضارة العربية الإسلامية في المناطق التي امتد إليها نفوذها. مقدماً صورة واضحة لأبعاد وأهمية الأثر الديني والتعليمي ودور العلماء في إثراء الحياة الثقافية .

المرأة .. في ظل شريعة القرآن

تأليف: زيدان عبد الفتاح قعدان

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

200 صفحة / قطع صغير

زيدان عبد الفتاح قعدان

المرأة

في ظل شريعة القرآن

تعمل الحضارة المادية على ترويض المرأة ووضعها في قالب من البهرجة يأخذ بالألباب، معتمدة سبيل الإبهار من خلال وسائل الإعلام التجارية والدعائية، وهكذا وضعت المرأة في قوالب وأشكال عصرية للمتاجرة بها واستغلالها وسحق كرامتها . وفي هذا الكتاب يحاول المؤلف أن يوضح للمرأة بأن لا خلاص لها إلا بشريعة القرآن، وعليها أن تعض على تلك الشريعة بالنواجذ لتأخذها بقوة - في يدها وقلبها - وبإيمان لا يلين ولا يتزعزع، لأن قانون السماء هو قانون الرحمة والهداية لبني الإنسان . وشريعة القرآن ترفع الحيف والظلم عن المرأة، لأن تلك الشريعة ترسم الحقوق والواجبات بسمت إلهي عظيم. ويأخذنا المؤلف في رحلة مع القرآن الكريم، وكيف أوضح وأجلى الدور العظيم الذي يمكن أن تلعبه المرأة في مسيرة الحياة .

القرآن حرز الإنسان

تأليف: الدكتور إبراهيم الشهابي

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

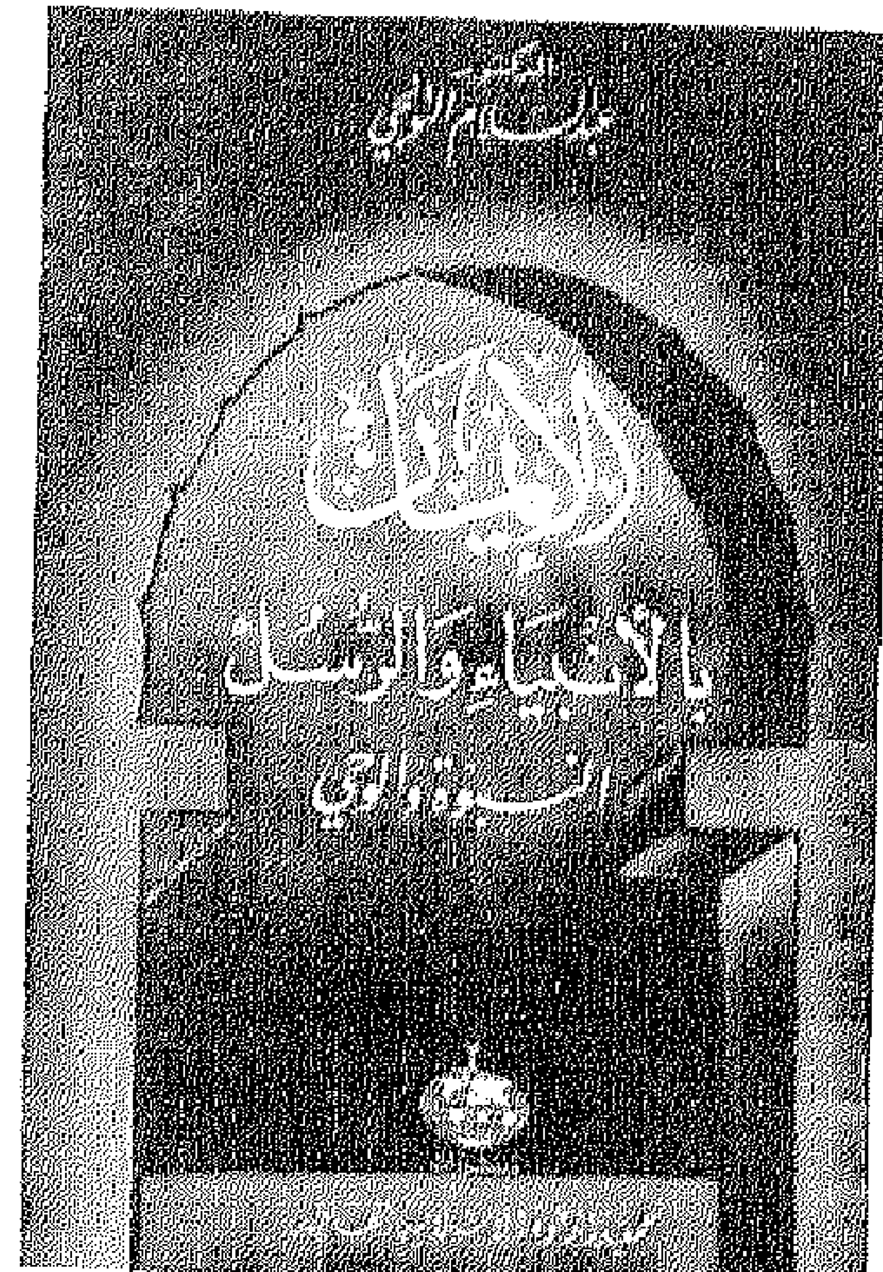
160 صفحة / قطع صغير

يناقش هذا الكتاب مفهوم الإنسان ومفهوم حريته وحقوقه عموماً، ويدرس النظرة المتميزة التي نظر بها القرآن الكريم للإنسان، وخلاصتها أن لا بد من الاعتراف بالإنسان كإنسان وبحقيقته كما هو، بكل ما فيه من نزعات وأهواء ورغبات تشده إلى الأرض، إلى المادة، وبكل ما فيه من سمو مصدره الروح الإلهية التي نفخها الله فيه، كما يدرس كيف أن القرآن الكريم جعل الدين أساساً استجابة لهذا الاعتراف واستجابة له . ويدعو المؤلف إلى النظر إلى الإسلام من خلال القرآن الكريم، وليس من خلال التاريخ الإسلامي، داعياً المسلمين أن يبدأوا من حيث بدأ المسلمون الأوائل، من حيث بدأ النبي المصطفى ﷺ، لكي نصحح الأوضاع، ونعيد الأمور إلى نصابها .

الإيمان بالأنبياء والرسل النبوة والوحي

تأليف: الدكتور عبد السلام التونجي

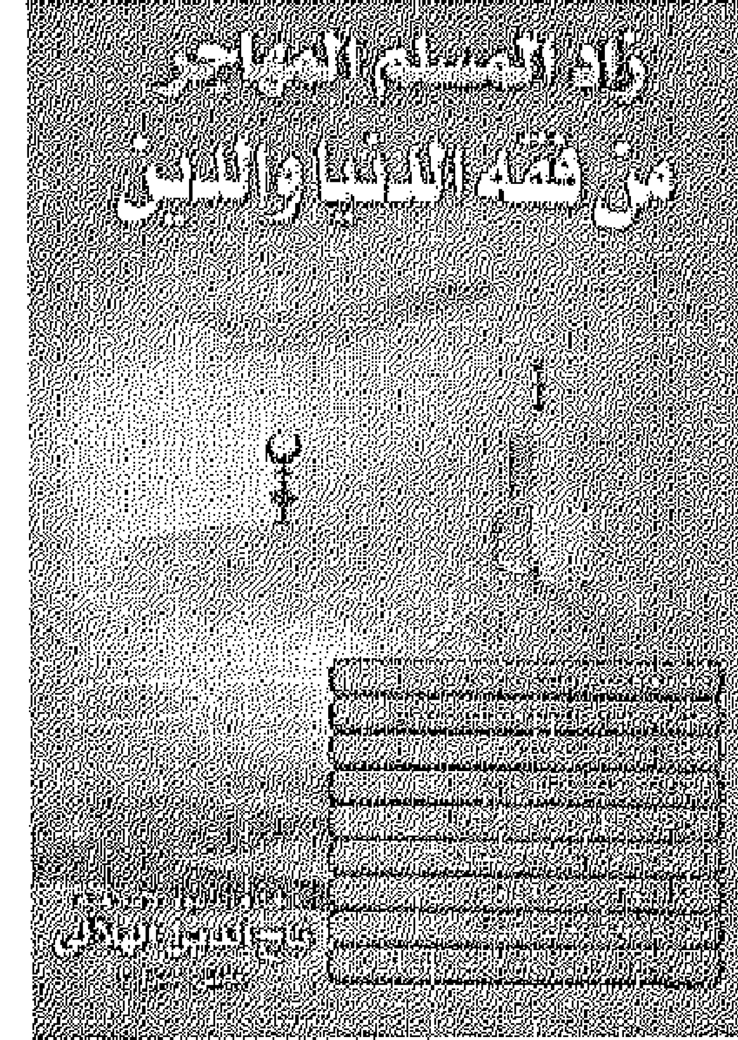
منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية



يعتمد المؤلف في بحث هذه المسألة على معيار الهداية، من حيث هي الأساس، لأن العقل وحده غير كاف لمعرفة الحقيقة، لأن ما يراه أحد حقاً قد يراه آخر باطلاً. والمؤلف لا يغفل العقل والنقل في استقصاء الحقيقة، ذلك أن الإيمان بالرسل هو من أركان العقيدة، وقد وردت في القرآن الكريم آيات عدة حول هذا الركن من العقيدة الإسلامية. ويبدو أن أهمية هذا البحث تظهر لأن الوسيلة الوحيدة لنشر العقيدة بأركانها كافة؛ تتم بالرسل والأنبياء، ومن هنا كان الاهتمام بدراسة ظاهرة النبوة والأنبياء والرسل الذين هم عماد الدعوة وطريقها في الهداية إلى سواء السبيل، كما أن الوحي المنزل عليهم، هو مضمون الرسالة، مما يقتضي الإيمان بالأنبياء والرسل والوحي، وما تم على يديهم من معجزات تأييداً لرسالاتهم. والرسالة في جوهرها قيام علاقة وصلة بين الله والناس، ويحاول المؤلف بحث هذه المواضيع بأسلوب علمي مبسط، تفهمه العامة والخاصة.

زاد المسلم المهاجر من فقه الدنيا والدين

تأليف: الشيخ تاج الدين الهلالي
الناشر: المؤلف نفسه

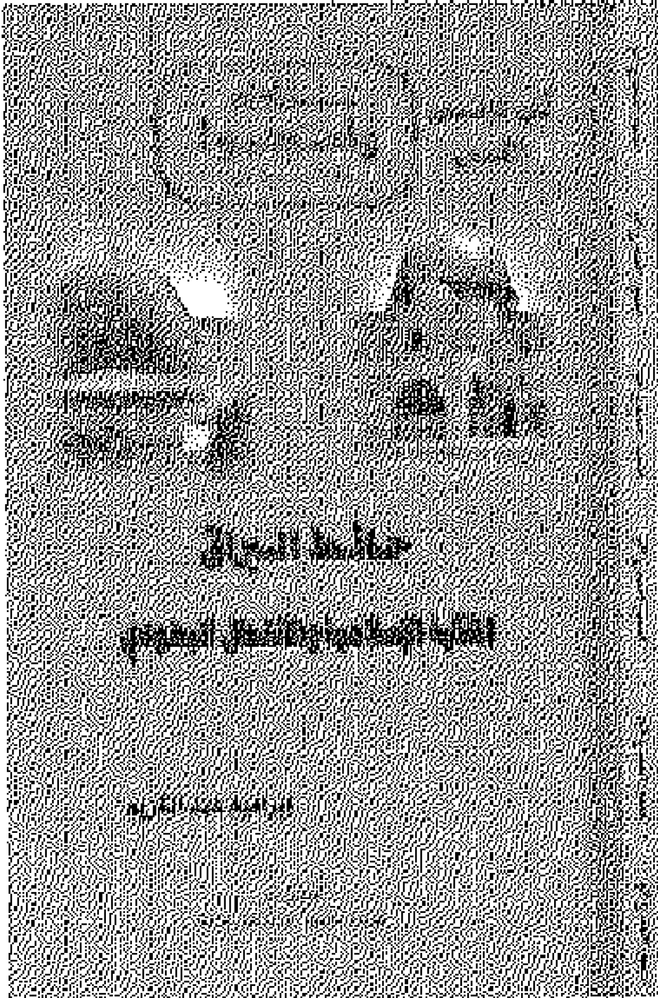


النزوح من البيئات الإسلامية التي يسمع فيها نداء التوحيد خمس مرات كل يوم، إلى مجتمعات تدين بالحرية المطلقة بلا ضوابط دينية ولا روابط اجتماعية، ولا اعتبار للأخلاق؛ يعتبر مغامرة صعبة محفوفة بالمخاطر، ذلك أن المسلم المهاجر يصارع أمواجاً في بحر لجي، لا ينجو منه إلا من استقل سفينة بناؤها الإيمان، وشراعها اليقين، وزادها التوكل والتفقه في الدين. وفي هذا الدليل الفقهي يحاول المؤلف أن يعين المسلم المهاجر على تطبيق أحكام دينه في معترك الحياة المتشابكة، من واقع مشاهداته، ومعايشته، ومواكبته للحياة المهجرية لما يزيد على الثلاثين عاماً، منها عشرون عاماً في القارة الأسترالية. ويحاول المؤلف في عرض موضوعاته أن يراعي القواعد الأصولية، متوخياً مبدأ التيسير المناسب لمتطلبات الحياة المهجرية، كما قرره الثقات من العلماء والحكماء المشهود لهم برجاحة الفكر، والفهم الثاقب للنصوص الشرعية. كما يحرص المؤلف على اختيار السهل من الكلمات والواضح من العبارات حتى تكون النسخة الإنكليزية مطابقة للنسخة العربية قدر المستطاع.

حائط البراق

الملكية الإسلامية والانتحال اليهودي

تأليف: إبراهيم عبد الكريم
منشورات: القيادة الشعبية الإسلامية العالمية



يشكل النزاع بين المسلمين واليهود حول حائط البراق (المبكى) أحد أكثر فصول الصراع العربي - الصهيوني امتداداً، خاصة وأنه يتعلق بموضوعات دينية تنطوي على تناقض عدائي تام بين الحق والباطل، بين الملكية والاغتصاب. وعلى الرغم من النجاح اليهودي الصهيوني في الاستيلاء على هذا الحائط؛ إلا أن المسلمين جميعهم يرفضون التسليم بالأمر الواقع، ويصرون على ضرورة تصحيح الخطأ التاريخي الذي قاد إلى ذلك الاستيلاء. ومن هنا يمكن النظر إلى مسألة حائط البراق على أنها تعد أحد الحوافز المهمة للعمل الإسلامي الرامي إلى تحرير المقدسات الإسلامية في فلسطين من نير الاحتلال. وتعنى هذه الدراسة بتقديم معطيات موظفة تغطي أبعاد المسألة المثارة، وتسلط الضوء على جانب مهم من النزاع الإسلامي - اليهودي، والصراع العربي - الصهيوني، باعتماد مصادر ومراجع مختلفة، وضمنا بعض الكتب التي يبث فيها اليهود والصهاينة سمومهم الدعائية بصورة واضحة، أو في ما بين السطور.

الإطار التشريعي لنظام الوقف في بلدان المغرب العربي

تأليف: الدكتور جمعة محمود الزريقي

منشورات: الجامعة المغاربية / طرابلس

يهدف الكتاب إلى بيان الإطار التشريعي لنظام الوقف في منطقة المغرب العربي، بالنظر إلى تقارب الأصول التي يستمد منها هذا النظام أحكامه التشريعية والقانونية، واجتهاداته في الفتوى والتطبيق، وتجانس السكان في أعرافهم وعاداتهم وتقاليدهم، كما يسلط الضوء على مسيرة الوقف من خلال ذلك، وفقاً لاجتهادات المدارس الفقهية التي عرفت فيها، مع عرض لبعض النوازل والقضايا، وما تعرض له الوقف في تاريخه الطويل من مصاعب أدّت أحياناً إلى إلغائه، وفي أحيان أخرى إلى الحد منه أو تنظيمه، أو تقرير بعض الأحكام الجديدة المتعلقة به وبإدارته وتطويره.

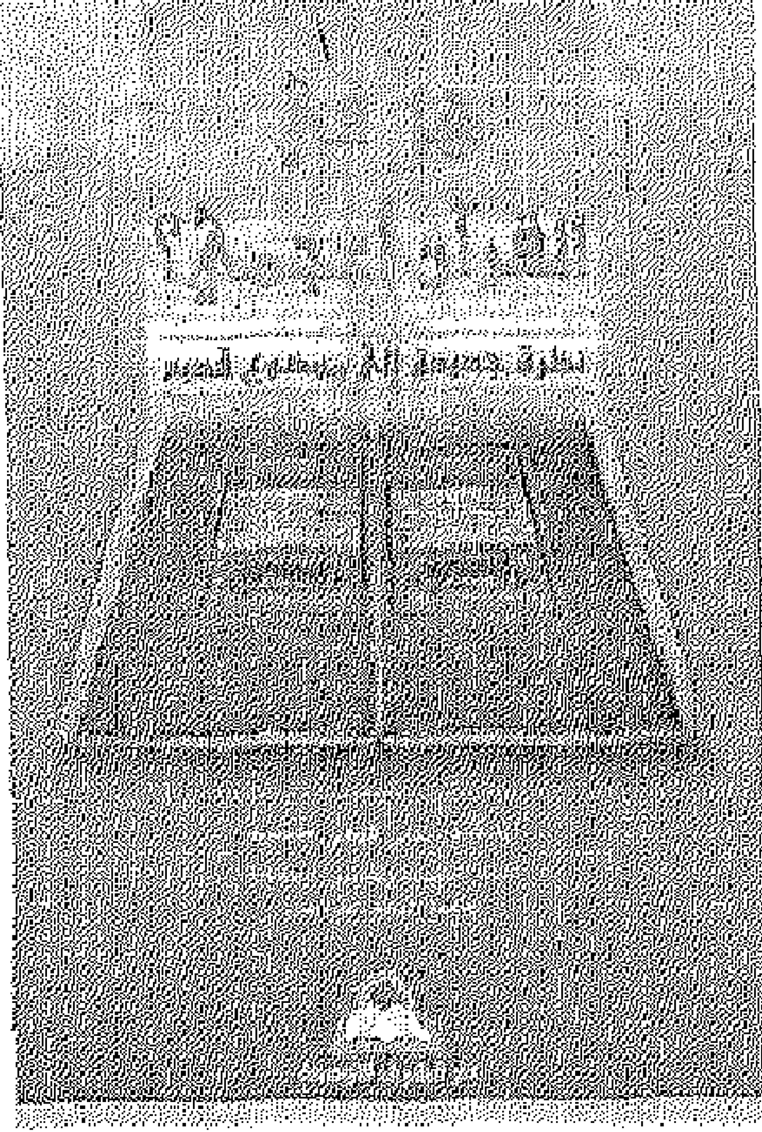


هل في القرآن أعجمي ؟

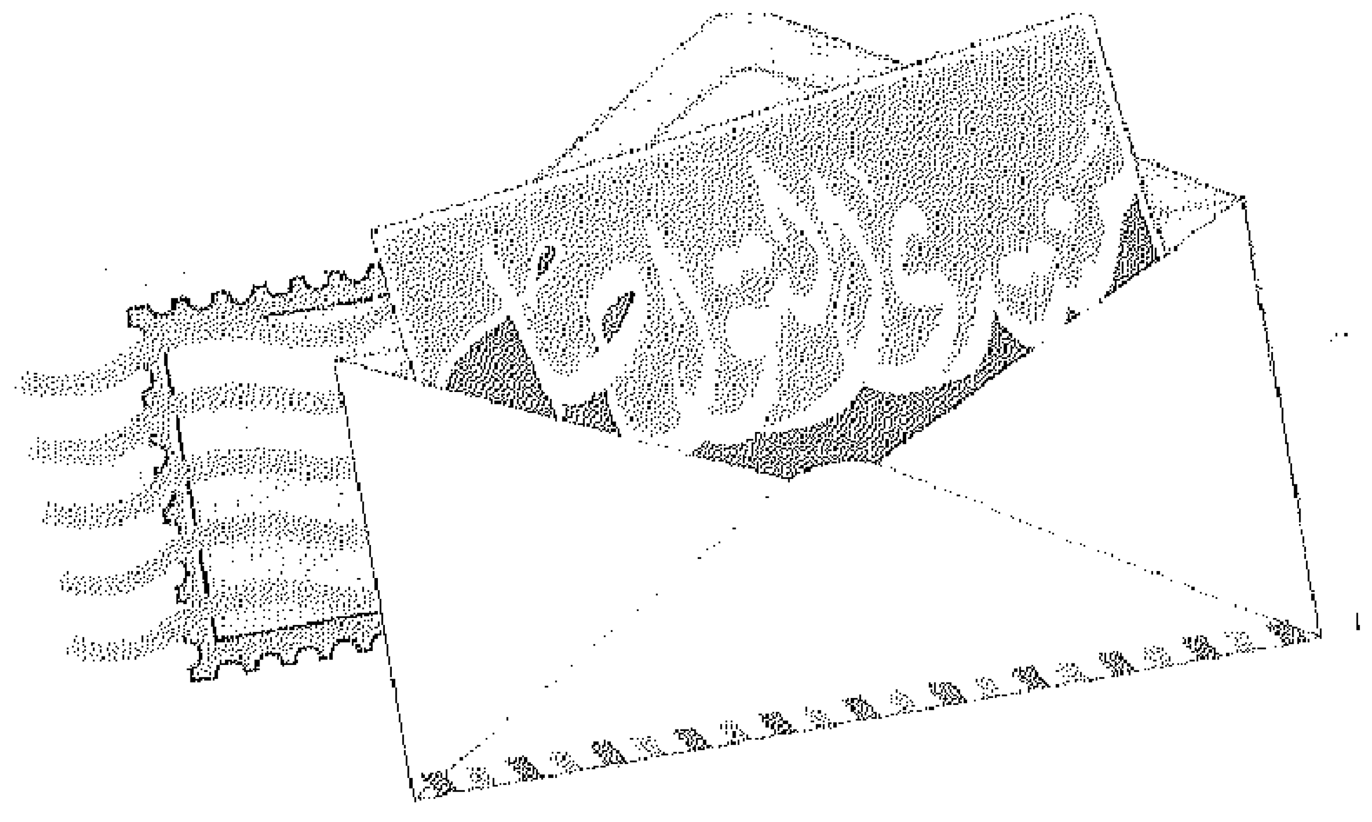
نظرة جديدة إلى موضوع قديم

تأليف: الدكتور علي فهمي خشيم

منشورات: دار الشرق الأوسط



احتلت قضية المعرب والدخيل والمولّد جزءاً كبيراً من اهتمام الباحثين في الدراسات اللغوية العربية قديماً وحديثاً، وهي تمثل - في الدراسات القرآنية بالذات - مسألة بالغة الأهمية دار حولها الجدل، ما بين رافض رفضاً تاماً لورود لفظ غير عربي في القرآن الكريم، وقابل لوروده المعرب ذي الأصل غير العربي ولكنه عُرّبَ حتى صار جزءاً من لغة العرب بحكم اتصال اللغات وتطورها ونموها المستند بعضه إلى بعض. كانت بداية البحث في هذا الموضوع - كما يذكر المؤلف - مقالة قدمها في ندوة عن ترجمات معاني القرآن الكريم، نظمتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وعقدت بمدينة اسطمبول بتركيا في العام 1986 مسيحي، ثم رأى التوسع في ما قدمه حينذاك واستكمال نواقصه، فظهر بحثه وتقصيه على هذه الصورة التي هي بين يدي القراء الآن في هذا الكتاب. وجاء الكتاب في قسمين: الأول يعرض لما اشتهر وانتشر في المصادر العربية القديمة، وعند المحدثين - مستشرقين وعرباً - من ألفاظ قرآنية ترى أنها دخيلة على العربية، أما القسم الثاني فيخصصه لما أورده القس (آدي شير) في كتيبه (الألفاظ الفارسية المعربة) ولم يقل هو إنها قرآنية، ولكنه جاء بها في جملة ما ادّعى فارسيته من ألفاظ.



اعتذار وتنويه

مع حرص إدارة التحرير على اتباع الحد الأقصى من تدقيق المواد المنشورة بالمجلة، فثمة أخطاء مغفلة تسللت في فقرات مقال أو مقالين بالعدد الثامن نعتذر عنها للقارئ الكريم، منوهين بصحتها.

يفصل هنا.. ولا يفصل هناك

في افتتاحية العدد عن (الإعلام في الدول القوية) جاء الخطأ في مكشلة الإعلام في الدول القوية تكمن في أنه يعاني من انفصام واضح، فهو لا يفصل بين المتغير والثبت في الدول التي يتبعها».

والصحيح: أنه يفصل في دوله بين الثابت والمتغير بينما يطالب - وبسوء نية لا لبس فيه - إعلام الدول الضعيفة الخلط بين المتغير والثابت إذن فهو يفصل هنا.. ولا يفصل هناك، وتلك هي محنته الراهنة.

الدكتور الزريقي وملف المجامع الفقهية

ساهم الدكتور جمعة محمود الزريقي المستشار بالمحكمة العليا والأستاذ الجامعي في ملف «المجامع الفقهية» المنشور بالعدد الثاني من خلال إعداد وصياغة رؤية الدكتور يوسف القرضاوي، وقد سقط اسم الدكتور الزريقي سهواً من الملف، وتكرر الخطأ بالعدد الثامن عند نشر (حصاد عامين) الذي احتوى توثيقاً بالمواد المنشورة على صفحات التواصل خلال عامين، لذلك وجب الاعتذار والتنويه..

ابن بطوطة

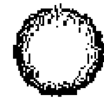
في شرح صورة لغلاف كتاب: ابن بطوطة نشرت بالعدد الثامن ص 181 جاء ما يلي:

:«إحدى طبعات رحلة ابن بطوطة» والصحيح «إحدى طبعات كتاب عن ابن بطوطة».

نهديكم أطيب تحياتنا ، وخالص أمنياتنا ، سائلين الله عز وجل دوام النجاح والتوفيق ، ويطيب لنا أن نعلمكم بأننا تسلمنا بيد الشكر والامتنان نسخة من مجلتكم الموقرة (التواصل) العدد السابع، التي أصبحت إضافة جديدة ومهمة إلى مجموعة مقتنيات مكتبة المركز، شاكرين لكم حسن اهتمامكم وتعاونكم ، ومتطلعين إلى دوام تواصلكم .

وتفضلوا بقبول فائق تحياتنا، مع وافر الشكر والتقدير.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث / دبي



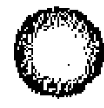
لقد سُعدت جداً بحصولي على العددين 4، 5 من مجلتكم الغراء، وقد أعجبت شديد الإعجاب بهذا العمل الثقافي المميز.

نشعركم بأن الساحة الإريترية في أمس الحاجة إلى أعداد من هذه المجلة المميزة، نرجو أن تصلنا في أقرب فرصة .

مع تحياتي الأخوية

د . امطير سعد غيث

أسمرا / إريتريا

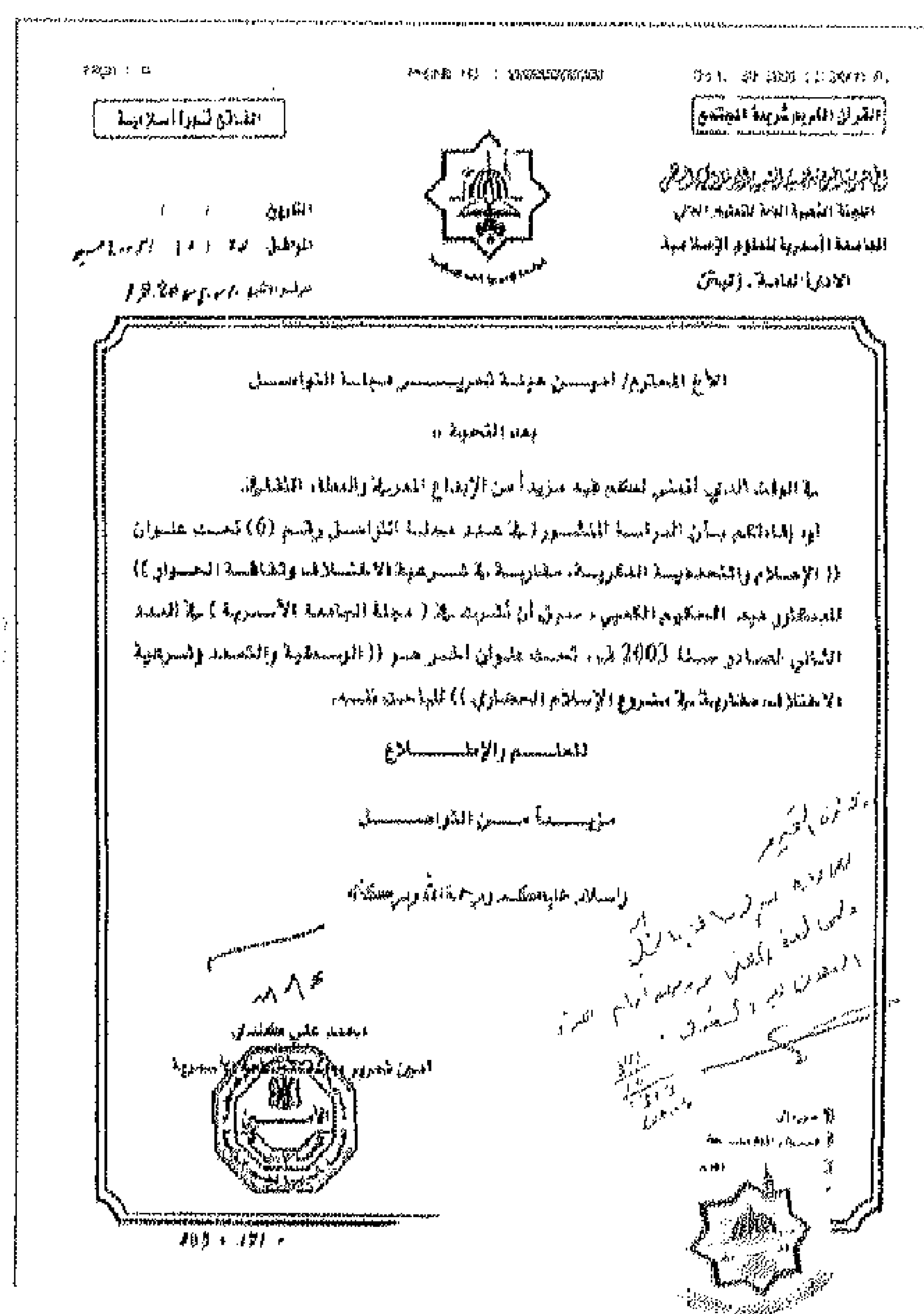


وصلت إلى منتدى التواصل رسالة من المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، ضمنها تحياته وخالص شكره وتقديره لتلقيه العددين الرابع والخامس من الفصلية الثقافية الشاملة (التواصل) معبراً عن سرور المعهد بضمها إلى مقتنيات مكتبته العربية .

وأسرة التواصل تبادل الإخوة في المعهد المصري للدراسات الرسلامية بمدريد التحية بمثلها وأحسن منها، نرجو دوام التواصل على طريق الكلمة الصادقة.

مما يؤسف له أن بعض الكتّاب يقومون بإرسال موضوعات للنشر على صفحات (التواصل) ثم نفاجأ بأنها قد سبق نشرها في مطبوعات أخرى ، مما يعدّ مخالفة للفقرة الخامسة من شروط النشر المنشورة على صفحات المجلة في أكثر من عدد، ونصها (ألا يكون البحث قد سبق نشره في مطبوعة أخرى). وكنموذج على هذا الموضوع المنشور بالعدد السادس، والمعنون بـ (الإسلام والتعددية الفكرية .. مقاربة في شرعية الاختلاف وثقافة الحوار) والذي أُعلمْنا رسميا بأنه سبق أن نُشرَ في (مجلة الجامعة الأسمرية) مع تغييرات طفيفة شملت العنوان وبعض العناوين والفقرات الداخلية.

وأسرة التواصل إذ تسجل عميق أسفها، وتعتذر من قرائها الكرام ؛ فإنها تنشر هنا نماذج من تلك المراسلات ، من دون نشر الأسماء . وأملنا أن لا يتكرر هذا من أحد مستقبلاً .



الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية
الإدارة العامة . زليتن

التاريخ
الموافق 2005 مسيحي

الأخ المحترم/ أمين هيئة تحرير مجلة التواصل

بعد التحية ،،

في الوقت الذي نتمنى لكم فيه مزيداً من الإبداع والمعرفة والعطاء الثقافي.

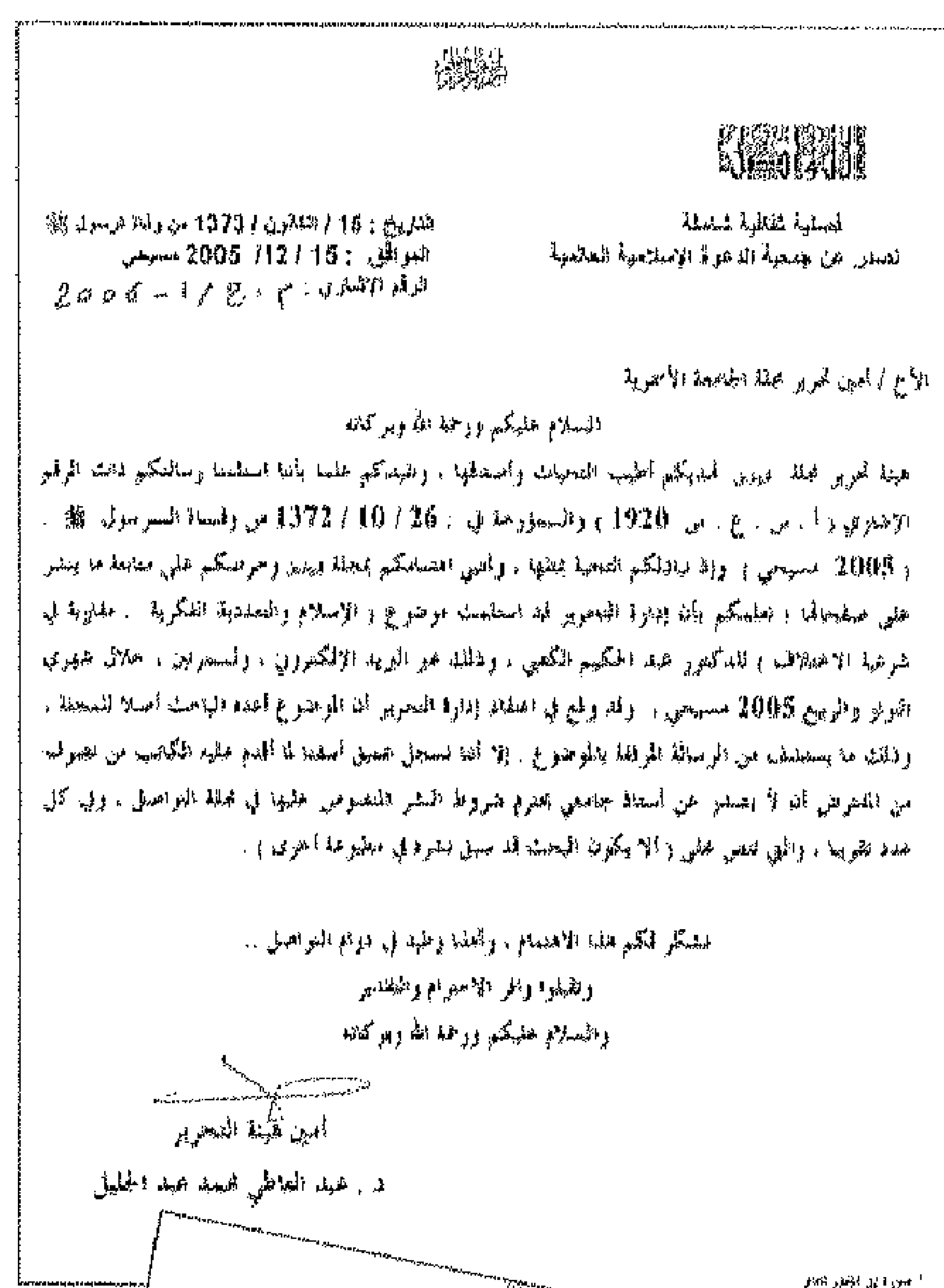
نود إعلامكم بأن الدراسة المنشورة في عدد مجلة التواصل رقم (6) تحت عنوان ((الإسلام والتعددية الفكرية، مقاربة في شرعية الاختلاف وثقافة الحوار)) للدكتور عبد الحكيم الكعبي، سبق أن نشرت في (مجلة الجامعة الأسمرية) في العدد الثاني الصادر سنة 2003 ف، تحت عنوان آخر هو ((الوسطية والتعدد وشرعية الاختلاف مقاربة في مشروع الإسلام الحضاري)) للباحث نفسه.

للعلم والإطلاع

[illegible]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد علي [illegible]
أمين تحرير مجلة الجامعة الأسمرية



نشرية ثقافية شاملة
تصدر عن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

التاريخ : 16 / الكانون / 1373 من وفاة الرسول ﷺ
الموافق : 15 /12/ 2005 مسيحي
الرقم الإشاري : م ج / 1 - 2006

الأخ / أمين تحرير مجلة الجامعة الأسمرية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هيئة تحرير مجلة [illegible] تهديكم أطيب التحيات وأصدقها ، وتفيدكم علماً بأننا استلمنا رسالتكم ذات الرقم الإشاري (أ . س . ع . س 1920) والمؤرخة في : 26 / 10 / 1372 من وفاة الرسول ﷺ . (2005 مسيحي) ، وإذ نبادلكم التحية بمثلها ، ونثمن اهتمامكم بمجلة [illegible] وحرصكم على متابعة ما ينشر على صفحاتها ؛ نعلمكم بأن إدارة التحرير قد استلمت موضوع (الإسلام والتعددية الفكرية . مقاربة في شرعية الاختلاف) للدكتور عبد الحكيم الكعبي ، وذلك عبر البريد الإلكتروني ، ونشرته ، خلال شهري التمور والربيع 2005 مسيحي ، ولم يكن في علم إدارة التحرير أن الموضوع أعده الباحث أصلاً لمجلتكم ، وذلك ما يستشف من الرسالة المرفقة بالموضوع . إلا أننا نسجل عميق أسفنا لما أقدم عليه الكاتب من تصرف من المفترض أنه لا يصدر عن أستاذ جامعي يحترم شروط النشر المنصوص عليها في مجلة التواصل ، وفي كل عدد تقريباً ، والتي تنص على (ألا يكون البحث قد سبق نشره في مطبوعة أخرى) .

نشكر لكم هذا الاهتمام ، وأملنا وطيد في دوام التواصل ..
وتقبلوا وافر الاحترام والتقدير
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمين هيئة التحرير
د . عبد العاطي أحمد عبد الجليل

الوسطية والتعدد وشرعية الاختلاف
مقاربة في مشروع الإسلام الحضاري



الإسلام والتعددية الفكرية
مقاربة في شرعية الاختلاف وثقافة الحوار

❖ محمد الشحومي(*)

الدين والعولمة

(الشرق شرق، والغرب غرب، ولن يلتقيا..) هذا ما أعلنه أواخر القرن التاسع عشر الشاعر الإنكليزي (كلبينغ). ومن قبله بقرون قال (أرسطو) إن كل ما هو غير إغريقي لا يكون إلا بربريًا متخلفًا، وعلى مثل هذه الموروثات يتشكل الوعي المعرفي الغربي في مجمله، حيث يتداخل التاريخ والسياسة والدين والاقتصاد، الأمر الذي يحتم علينا قراءة الخلفيات الدافعة للمواقف الغربية من الأمة العربية والعالم الإسلامي.

وقبل الاستطراد تنبغي الإشارة إلى أن انتقال الطور الحضاري في النصف الثاني من القرن المسيحي المنصرم من الدائرة الأوروبية إلى الدائرة الأمريكية، كان انتقالاً جغرافيًا مجردًا من الخصائص الفاصلة بين الأطوار الحضارية التي عرفتها الحضارات البشرية، لذلك اتفق المؤرخون وعلماء الاجتماع على أن الحضارة الأمريكية ما هي إلا امتداد للحضارة الأوروبية، ومن هنا ذهبت الكتابات إلى استجماع الاثنين في خانة اصطلاحية واحدة تحت اسم (الحضارة الغربية)، الأمر الذي لا ينطبق على الحضارات التاريخية الأخرى كالعربية والفارسية والصينية، حيث لكل واحدة منها سماتها وخصائصها المميزة عن غيرها.

إن الاسترجاع التاريخي العنواني لبعض الأطوار الحضارية يبرز صورة الوعي الغربي المشوه للثقافة العربية الإسلامية، التي تشكلت وفقًا لمنطق صدامي ديني وعسكري، عبرت عنه المؤلفات والكتابات الدينية والسياسية بطريقة استغرقها العداء المفرط، بحيث بات من الصعوبة أن تخرج العقل الغربي من براثنها. وكما يقول (اليكس غورافسكي) فإن الغربيين أدرجوا الدين الإسلامي في خانة الانشقاق المنحرف عن المسيحية، وقد جاء في كتابات المؤرخ الإنكليزي آدم بيد (672 ـ 735 مسيحي) «وفي ذلك الوقت قام الوباء الموجع المتمثل في السراسنة (المسلمون العرب) بتدمير مملكة الغال». وأشرف رئيس دير كلوني بطرس المكرم (1059 ـ 1156 مسيحي) على ترجمة نصوص إسلامية منها القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية بطريقة مشوهة وسيئة للغاية. تلك الترجمة هي التي شكلت الثقافة الغربية العامة عن العرب والإسلام لأكثر من خمسة قرون، وهذا الذي جعل فيلسوف الكنيسة (توما الإكويني) يرى أن انتشار الإسلام يعود إلى القائمة الثلاثية المرعبة وهي (الجهل والسيف والشهوة)، وقد يكون الإيطالي دانتي أكثر من عبر عن حالة الانشقاق التشويهي التخريبي تلك، في كتابه الملعون (الكوميديا الإلهية) من خلال الصورة المنحرفة لمصير سيدنا محمدﷺ، كما أوهمه خياله الفاسد فوضعه في الدرك الأسفل من الجحيم باعتباره (مثيرًا للفتن والانشقاقات).

هذه الصور المشوهة عن العرب، والمسلمين والإساءة القديمة/الجديدة لنبيهم ﷺ والاستهانة بماضيهم وحاضرهم ومقدساتهم؛ صاغت الأرضية التحريضية لمختلف الحروب التاريخية وأخطرها الحروب الصليبية، وفي عهد الاستعمار كانت المؤلفات الدينية مادة ضرورية لتحفيز المقاتلين الغربيين على الحرب والتوسع، فعند احتلال الجزائر وصف مطران باريس نزول الجيش الفرنسي إلى الشواطئ الجزائرية بأنه «انتصار للمسيحية على الإسلام»، وكتب المؤرخ (مالفيزي) في كتابه (المسلمون والثقافة الأوروبية) عن صورة العرب في العصر الحديث: «إن الإسلام دين العنف الذي يخدم المسيح الدجّال، والمسلمون معادون للعقل والعقلانية»، أما فولتير الفرنسي (1694 ـ 1771 مسيحي) فقد وصف النبي محمداًﷺ، بقوله: «نموذج للتعصب والطغيان وعار على الجنس البشري»، وهذا ما ذهب إليه الفيلسوف السياسي (مونتسيكو) في كتابه (رسائل فارسية) والشيء نفسه ينسحب على دنيس ديدرو (1213 ـ 1784 مسيحي) في مؤلفه (الحلى الفاضحة). وأوجز عالم الآثار والفيلسوف ارنست رينان (1823 ـ 1892 مسيحي) رؤيته للعرب والإسلام باعتبارهما عنوانًا للتخلف والعنف والتعصب..

وفي واقع الحال أسفرت دعوة المسيحي الألماني مارتن لوثر (1483 ـ 1546 مسيحي)، عن سجال عنيف مع الكاثوليكية السائدة في أوروبا، فقد اعتبر لوثر الإسلام مرادفًا للخطيئة، وهو يهاجم الكنيسة الكاثوليكية بقوله «البابا والإسلام يشكلان العدوين اللدودين للمسيحية»، «إذا كان الإسلام يمثل جسد المسيح الدجال، فإن البابا رأسه دون شك»، وهكذا ذهب رجال البروتستانتية إلى تكريس هذه الصور المشوهة لاحقًا، وهذا اللاهوتي البروتستانتي ساتكليف في كتابه (البابوية التركية) يرى أن (الكاثوليكية صورة فضائحية كبرى عن الإسلام)، ويرى المستشرق الانكليزي (هنري بريدو) في كتاب (الطبيعة الحقيقية للاحتيال) صورة مشوهة للعقاب والخلاص فيقول: «الإسلام دين عقابي والبروتستانتية دين الخلاص»، وعلى هذا الأساس الثقافي المشوه الذي لا يعرف الآخر، وبصرف النظر عن المقولة التي راجت أخيرًا عن (صدام الثقافات)، فإن منطق الصدام مع الثقافة العربية الإسلامية، وضع أسس التوجه السياسي الغربي في تعامله مع الشرق العربي الإسلامي، ولعل استعادة استحضار التاريخ باعتباره من أهم المكونات الرئيسية للثقافات والسياسات تبدو ملحة انطلاقًا من هذه الزاوية بالضبط، نتفق في ذلك تمامًا مع المفكر الفرنسي (ريجيس دوبريه) الذي يرى «أن الفعل السياسي الغربي، كان يستبطن دائمًا مجالاً دينيًا، والسياسة في الغرب هي وجه من وجوه الفعل الديني».

---

* كاتب وباحث / ليبيا


التواصل
AT-TAWASUL
فصلية ثقافية شاملة



جزيرة جوري/ السنغال





مع تحيات مجلة التواصل

تنفيذ وطباعة: شركة الآن للطباعة والنشر